

الجمهورية العربية المتحدة
مديرية الآثار العامة
في الإقليم الشمالي
الطوبى للآثار السورية
مجلة علمية تبحث في آثار سورية وتاريخها

الجزء الأول والثاني

١٩٥٧

المجلد السابع

فهرس القسم العربي من العدد السابع

— الأبحاث —

الصفحة	
٣	الآثار في خدمة الدولة العربية الدكتور سليم عادل عبد الحق
٨	سورية أرض عربية تطلع بوائع الآثار الدكتور سليم عادل عبد الحق
٢٥	مدفن حنن اللات للأستاذ عدنان النني ونسب سليم
٥٣	الرفق للأستاذ أبو الفرج المش
٧٣	دراسة أولية لتأريخ اللاذقية للأستاذين هشام المصدي وآخوب كيرشيان
٩٥	مدينة أمانية الأثرية للأستاذ أحمد وصفي زكريا
١٢٥	الأبنية الأثرية في دمشق للأستاذ عبد القادر الرجاوي
١٣٥	تاريخ الحفر على الأختام للأستاذ عدنان الجندي
١٤٣	ملوك حلب من السلافة السورية للأستاذ صبحي الصواف
١٥٥	قناة سليمة السيد كامل دحاده
١٦٧	زاوية المكتشفات الأثرية للأستاذ عبد القادر الرجاوي
١٧٥	وحدة الفن بين مصر وسورية للأستاذ منير سليمان

مختصرات عن المقالات المنشورة في القسم العربي من المجلد

٢٠١	البحث عن سيبيرا للأستاذين مورييس دوتان ونسب سليم
٢١١	تغيبات أثرية في الجزيرة للأستاذ أنطون مورتقات
٢١٣	ملاحظة حول الكتابة التذكارية المكتشفة في نوى الأب رونييه مونيير
٢٢٧	خلاصة عن نتائج موسم الحفريات في رأس شمرا سنة ١٩٥٥ للدكتور كلود شيفر
٢٣٧	مبد ببل شين في تدمر للأستاذ بول-كولار
٢٣٩	أوركيش المركز الديني الحوري للأستاذ ج. فان لير
٢٥٥	المدابع التدمرية المكتشفة للأمير جعفر الحسني والأب جان ستاركي
٢٦٥	المرض السوري للفن والفولكلور والصناعة للدكتور سليم عادل عبد الحق
	المؤتمر الثاني للآثار العربية للأستاذ جبرائيل سمادة

مجلة الحوليات الاثرية السورية

مجلة علمية أثرية تاريخية ، تصدرها مديرية الآثار العامة في سورية مرتين في السنة ، غايتها دراسة تاريخ سورية وآثارها ، ونشر أخبار المكتشفات الأثرية السورية ، وإيضاح الأعمال الفنية التي تقوم بها مديرية الآثار العامة ، وإفساح المجال أمام العلماء السوريين للمساهمة بالفاعلية العلمية العالمية ، وتعميم الثقافة الأثرية في البلاد السورية .

وتشرف على تحريرها وإصدارها لجنة مؤلفة من :

مدير الآثار العام

الدكتور سليم عادل عبد الحق

رئيس فرع التاريخ في كلية الآداب من
الجامعة السورية

الدكتور جورج حداد

مدير الشؤون الإدارية في مديرية الآثار العامة

الأستاذ مطيع الم رابط

محافظ متحف حلب

الأستاذ فيصل الصبري

بدل الاشتراك في هذه المجلة :

٢٠ ليرة سورية

الاشتراك السنوي في سورية

٥٠ شلناً أنكليزياً أو ما يعادلها بالدولارات والفرنكات

الاشتراك السنوي خارج البلاد

٢٠ ليرة سورية

ثمن المجلد في سورية

٢٥ شلناً أو ما يعادلها

ثمن الجزء خارج سورية

ويتألف مجلس الإدارة في مديرية الآثار العامة لسنة ١٩٥٧ من السادة :

رئيساً	الدكتور سليم عادل عبد الحق	مدير الآثار العام	
عضواً	الأستاذ وفيق السيولي	الأمين العام لوزارة المالية	
»	الأستاذ رزق الله سالم	نائب حلب	
»	الدكتور جورج حداد	رئيس فرع التاريخ في كلية الآداب	
»	الأستاذ مطيع الم رابط	مدير الشؤون الإدارية	
»	عضو سادس	من رؤساء فروع مديرية الآثار العامة	

* * * * *

عنوان المجلة : الحوليات الأثرية السورية . مديرية الآثار العامة .

جميع الحقوق محفوظة لمديرية الآثار العامة .

الآثار في خدمة لقومية العربية

للدكتور سليم عادل عبد الحق
مدير الآثار العام

من الوسائل الهامة التي يمكن ان تستخدمها القومية العربية في بلوغها أهدافها السامية من جمع شمل العرب ، والنهوض بهم ، وإحلالهم المحل اللائق بهم في عالم اليوم ، الآثار الكثيرة المتنوعة التي تطفح بها أرض البلاد العربية ، والتي هي شواهد مادية على مراحل تاريخنا العظيم . وفي الواقع أن بمكنة هذه الآثار أن تبين بشكل واضح لا يترك لبساً أو لبها ما أن قوميتنا العربية ماهي ظرف طاريء في حياة العصر الحاضر . وانما هي نهاية تطوّر تاريخي محتوم ، وتعبير سام عن إرادة شعوب كبرى انتسبت الى عرق واحد ، واستوطنت المدى الحيوي المعروف بأرض الوطن العربي ، وملأت جباله وسهوكه وصعاريه بما أنتجته أفرع أبنائها وأخيلتهم ، وزرعتها بدمائهم وعرق جباههم . ولا يخفى ما في ذلك من أثر بالغ على فورة شعور كل عربي ، في اعتقاده أنه يمثل لوجود عظيم مستر استمرار الحياة البشرية نفسها .

ولقد كان بعض المتشككين في مصير الأمة العربية ، وبعض من لم تكن لديهم الافكار سطحية عن ماضيها الطويل يعتقدون ، الى عدة سنوات خلت ، أن الأبحاث الأثرية وأعمال التنقيب في بلاد العرب ستنتهي الى نتائج في غير صالح القومية العربية ، ويظهرون إستفهامهم من أن تلك الأبحاث والأعمال ربما أدت الى تفريق الشعوب العربية عن طريق بلبلة مثلها العليا ، واختطاط تاريخ خاص لكل منها يختلف عن تواريخ بقية الأقطار . الا أن حصيلة كل

الأبحاث والأعمال الأثرية في كل البلاد العربية التي جرت خلال السنوات الأخيرة والمحمد لله أوصلت علم التاريخ الى عكس ما كان يتوقعه هؤلاء المتشككون ، وتجلت نتائج هامة إشير الى بعضها فيما يلي :

(١) أولاً : إن المدى الحيوي العربي بمفهومه الذي تشله اليوم كان مرتع ومقصد هجرات الأقوام التي كُتبت الى أصل واحد ، والتي نشأت في مهد واحد وهو شبه جزيرة العرب ، ودرجت منه على موجات بشرية متعاقبة اندفعت خلال العصور التاريخية على فترات متباعدة . واستطاعت الابحاث الاثرية ان تعد خمس موجات منها ، وأن تؤكد أن آخرها وأقواها كانت موجة العرب المسلمين قبل أربعة عشر قرناً . ولا ريب أنه سبق هذه الهجرات العربية التاريخية الخمس هجرات عربية قديمة أخرى قبل التاريخ امتدت على افريقيا الشمالية والبلقان وابتاليا واسبانيا ، وعرفت بأسماء موجات أقوام البحر الأبيض المتوسط .

وكانت آثار الحركات البشرية العربية عميقة جداً في المدى الحيوي العربي . إذ أن كلاً منها استهدف مدّ التجمعات البشرية القديمة بدماء عربية شابة وتجديد الحضارات المرمية ، وتعزيز الصلات بين الجزيرة العربية التي هي الوطن الأم ، وبين أبنائها الأقطار العربية الاخرى . ولا يمكن الشك أبداً أن هذه الحركات البشرية العربية هي أقوى وأعظم وأشد الحركات البشرية العرقية الأخرى ، وتتضاءل أمامها حركات الهجرات الجرمانية والسلافية اذا قيس بها .

(٢) ثانياً . تختص هذه الحركات البشرية العربية بكثرة مبتكراتها الحضارية فجّل مآثره العالم حتى عصر النهضة من آثار فاعلياتها . وما المدينيات السورية والرافدية والمصرية والقرطاجية القديمة والأموية والعباسية والاندلسية والفاطمية والأيوبية والملوكية بما أبدعته من علوم وفنون وآداب الا من ثمرات جهود أبنائها وعصارة تفكيرهم ، وتجسيد أخيلتهم .

(٣) ثالثاً . ان الحضارات الأخرى الكبرى في العالم لم تنشأ ، ولم تتطور الا بتأثير الحضارات ذات المنشأ والطابع العربي . فالحضارة اليونانية القديمة أخذت عنها أصول علومها وفنونها وآدابها وأساطيرها ، والحضارة الرومانية لم يرتفع لها شأن قبل احتكاكها بافريقيا الشمالية وسورية ومصر واتصالها بسكانها ، والحضارة البيزنطية تلت من الشرق العربي 'كل' مقومات حياتها . وأخيراً

فان عصر النهضة في أوربا لم يكن شيئاً مذكوراً لولا دروس الأندلس وبيزنطة والحروب الصليبية وغيرها .

٤ (رابعاً . اننا نملك في أرجاء بلاد العرب آثاراً تزيد أهميتها على أهمية 'كل' ما نملكه من آثار ، أقطار العالم الأخرى . وما علينا اذا أردنا أن نتصور ذلك الا أن نذكر الآثار المنقولة وغير المنقولة الموجودة في بغداد وسامرا ونيوى وبابل ، ودمشق ، وحلب ، ودمر ، وقلعة سمعان ، وبيروت ، وبعلبك ، والقدس ، والبتراء ، والقاهرة ، والاسكندرية ، والأقصر ، وطرابلس الغرب ، وتونس ، ومراكش ، وفاس ، ومثات المدن والمواقع الأثرية العربية الأخرى . وتجلى في هذه الآثار على اختلاف أنواعها وتباعد آفاق إلهام صانعها ، وتعاقب العصور التي أنشأتها ، صفات متشابهة تتألف من مجموعها صورة هي صورة الروح العربية الخالدة التي تتحدث خلال كتاب تاريخها الضخم وبسطور صفحاته المنسقة عن حياة العرب اللامتناهية .

ان الذكريات المشتركة التي تنبعث من هذا السفر الضخم هي القاعدة التاريخية المتينة التي يجب أن تستند عليها القومية العربية ، وأن تستكمل بها أهم مقومات كيانها ، وأن تستلبي بها على كل الوحدات القومية الأخرى . وفي الواقع ان اللغة الواحدة والديانة الواحدة والرغبة المشتركة التي تشعربها الشعوب العربية في العيش ضمن كيان واحد ، والثروات الطبيعية الفخمة التي تحتويها الأراضي العربية تزداد قوة ورسوخاً اذا ارتكزت على الماضي التاريخي الطويل المشترك المتصل بالآثار العربية ، والذي تفقده الوحدات العالمية الأخرى كالكنوويلت البريطاني أو الولايات المتحدة الأميركية فلا تجدده .

ولا شك أن التاريخ العربي الطويل المستند على براهين مادية حسية تقدمها الآثار مازال بحاجة كبرى الى كثير من الدراسات الجدية المطولة التي توضح 'تسلسل' حلقاته ، وثبتين مراحل تطورات ، وتحلوا ماهو مبهم فيه . ولا يخفى أن كثيراً مما وصلنا عنه مأخوذ من الدراسات التي قام بها الآثريون الأوروبيون والأميريكيون الذين تجاهلوا متعدين وحدة الأمة العربية خلال العصور المتعاقبة ، فجزأوا تاريخها الى عشرات التواريخ ونسبوا الى عشرات الامم . فلزام على المختصين بالآثار والمؤرخين العرب في عصرنا الحاضر إذا أرادوا ان يسو بأبحاثهم

ودراساتهم إلى المستوى الرفيع الذي وصلت إليه القومية العربية أن يُعيدوا النظر الآن في كل النظريات التي انتهت إليهم ، على أساس أن الوجود العربي في كل العصور كان أمراً واقعاً لا يجب أن يرقى إليه الشك ، وأن المدينة العربية ذات أصول وأسباب واحدة تلوّنت بصفات الأوساط المختلفة التي صرّفت أسبابها . وهذا ما كان ماثلاً في أذهان منظمي مؤتمر الآثار العربي الثاني الذي انعقد قبل أشهر في بغداد ، وحضره عددٌ كبيرٌ من علماء الآثار والمؤرخين العرب وقد عملوا جميعاً مدةً اثني عشر يوماً ، وتبادلوا وجهات النظر في إفادة القومية العربية من وحدة التراث الأثري العربي ، فوجدوا أن العناية يجب أن تُبذل أولاً ، في جمع أجزاء هذا التراث وصيانتها والتنبيه إلى خطرها فصَدَرُوا مقرراتهم بالتوصية الآتية :

(١) إن آثار البلاد العربية تراثٌ مشتركٌ خاصٌ بالأمة العربية جمعاء ، لذلك يجب أن تتخذ الدول العربية كل التدابير التشريعية والتنفيذية لحمايتها وصيانتها والاحتفاظ بها سليمة للأجيال الصاعدة . وتحقيقاً لذلك يجب على الدول العربية أن تعمل على وضع قانونٍ آتٍ موحدٍ لجميع الدول العربية ، وأن 'تُجمَع' لجنةٌ من رجال الآثار والقانون لتقوم بدراسة مقارنة لقوانين الآثار المعمول بها في البلاد العربية ودراسة القوانين الأخرى والاتفاقات الدولية لوضع مشروع ذلك القانون الموحد . إلا أن القانون الموحد لا يكفي لتوحيد العمل الأثري في البلاد العربية لذلك فإن مؤتمر

الآثار قرر أن تُنشأ إدارةٌ أثرية عربية مشتركة تابعة للجامعة العربية مهمتها تسيق الخطط الأثرية ، والسهر على إنشاء متاحف وطنية في عواصم الدول العربية ومدنها الرئيسية 'تُخصّص' فيها أجنحةٌ وقاعاتٌ رئيسية تُعرّض فيها معالمُ المديّنات في مختلف الأقطار العربية ، وتُجمع معروضات هذه الأجنحة والقاعات من قطع أثرية وغاذج ومخططات من مختلف أنحاء العالم العربي . وتكون المتاحف المذكورة مراكز ثقافية تساعد على دراسة تطور الحضارة العربية في جميع مواطنها وفي مختلف مراحلها .

وكذلك فقد أوصى المؤتمر أن تعمل السُلطاتُ الأثرية على إنشاء متاحف محلية في مختلف المدن الأخرى ، ويراعى في إنشائها أن يحفظ فيها ما يتعلق بتاريخ المنطقة التي تقع فيها المدينة أو بعض ما يكتشف فيها من آثار .

وأخيراً أوصى المؤتمر دول الجامعة العربية بإنشاء متاحف شعبية يقام في كل منها قسم خاص بالأزياء والأدوات والمواد التي تتعلق بحياتها الشعبية لارتباط هذه المتاحف ارتباطاً وثيقاً بالتراث الحضاري لتلك البلاد .

أما ما يتعلق بالتنقيب الأثري مما خفي من ماضي الأمة العربية فقد أوصى المؤتمر المذكور أن يكون موقف كل الدول العربية موحداً إزاء بعثات التنقيب الأجنبية ، وأن يكون هذا الموقف متفقاً مع أحكام المبادئ العامة لنظام الحفريات الدولي الذي أقرته كل الدول المشتركة في مؤسسة اليونسكو .

وقد أوصى المؤتمر أيضاً أن ينقب علماء الآثار العرب بأنفسهم ، وأن يُعُنُوا خاصة بالعمل في نقاط معينة من الجزيرة العربية أو طلباً للزبد من الإيضاح عن بعض الأدوار الزاهرة في حياة أمة العرب .

ثم أن العماثر الأثرية الماثلة في مختلف المدن العربية والدالة على مفاهيم العرب في فن البناء والواجب حفظها إلى الأجيال القادمة ينتحتم أن تُصان ميزاتها فلا يُعهدُ في ترميمها إلا إلى مهرة الصانع الفنين ، وأن تُنبّه المؤسسات والأفراد الذين يملكونها إلى وجوب بذل عناية فائقة ما زالوا يحرمونها منها ، وأن تُحدد مناطق حمايتها لا يُسمح بإنشاء الأبنية الجديدة فيها إلا بشروط خاصة ، وأن تنظم ارتفاعات هذه الأبنية وطُرُزها وحجومها حسب ما تراه دوائر الآثار . كما يجب أن تُبذل العناية لتحقيق الانسجام بين طُرُز البناء في كل قطر عربي ، وتأمين التجدد الذي لا بد منه للعارة ، وذلك عن طريق جمع جان فنية تتألف من علماء الآثار والمهندسين المعماريين اللامعين لوضع الخطوط العامة لتطور المدينة العربية في المستقبل بما يجمع بين الإبداع والاقتناس من القديم .

والخلاصة أن مقررات مؤتمر الآثار العربي الثاني في بغداد توخت أن تضع القضية الأثرية العربية على المستوى الذي يجب أن توضع فيه ، وأن تُحدث تحولاً في طرق تفكيرنا بالآثار وأن تجعل من الآثار عنصراً أساسياً في تغذية القومية العربية .

سليم عادل عبد الحفي

(١)

سورية أرض عربية تطفح بروائع الآثار

للكمور سليم عادل عبد الحق
مدير الآثار العام

تؤلف سورية العربية مع أشقائها لبنان والأردن وفلسطين ، القسم الشمالي من شبه جزيرة العرب ، وتمتد بين مصر والأناضول وبلاد الرافدين ، متمتعة بمركز متوسط بين قارات العالم القديم الثلاث . وهذا ما جعلها ملتقى البشر والأفكار ، ونقطة تقاطع الطرق العالمية ، وبؤرة انصهرت فيها كل المدنات ، ثم توزعت في كل الاتجاهات خلال كل العصور . وشاء مصيرها هذا ان تطفح أرضها بأوابد وآثار لا يحصر عددها ، ويعود عهدا الى اكثر من خمسين قرناً ، مجتمعة على شكل متحف ، تمتد كنوزها الأثرية على كل البقاع السورية . وتدل هذه الكنوز على ان لسورية مدنية أصيلة لم تكن مزجا سطحياً لكل المدنات المعروفة ، بل اتحاداً وثيقاً وفذا لكل التيارات الفكرية والفنية التي عرفها الشرق الأدنى قديماً . ويضاف الى ذلك نزعة عاطفية للروحانية والتجرد ، ورغبة دائمة في البراعة والاتقان لا تجارى .

وتبين بنتيجة الأبحاث الأثرية والدراسات العلمية أن العامل الاساسي في نشوء هذه المدينة السورية واستكمال اسبابها وتطورها وصياغة مراحلها المختلفة ، هي الأقوام التي خرجت على دفعات متعاقبة خلال العصور من شبه جزيرة العرب . ولما كانت هذه الاقوام تتشابه عرقياً وتتقارب لغوياً ، وتشترك في وطن واحد هو شبه جزيرة العرب ، فليس من خير أن يُطابق عليها اسم آخر حلقه في سلسلتها ، وهم العرب الذي انحدروا من الأصل المشترك وكانوا أفرجها إليه .

(١) القيت هذه المحاضرة في مؤتمر الآثار الثاني للدول العربية الذي انعقد بين ١٨ - ٢٨ تشرين الثاني من عام ١٩٥٧ في بغداد

وإذا كان اسمُ العرب لم يذكر لأول مرة إلا في نص (سالما نازار الثالث) الذي يعود عهده الى سنة (٨٥٣ ق . م) ، وان صورة الرجل العربي لم يسبق ان أثبتت قبل ظهورها في لوح (تغلات فالازار الثالث) نحو سنة (٧٣٨ ق . م) ، فليس من الجائز ان تُقطع الصلاتُ او ان تُجعلَ واهية بين العرب ، وبين القوى البشرية ذات الطاقات التي لا حد لها ، والتي استوطنت بلادنا منذ ما ظهرت الحياة البشرية فيها .

ومن المستحيل على أي مؤرخ انكار هذه الصلات والتخفيف من شأنها او من شأن التجارب التي تعرضت اليها تلك القوى البشرية ، وتناقلتها جيلا بعد جيل مع حياة قاسية عاشتها في الصحراء العربية ، فمنحتها هذه الحياة المناعة والصلابة اللتين تجمعنا بشكل كامل في العرب فيما بعد . ولا ريب ان جهود هذه القوى البشرية العربية تعود الى عهود ما قبل التاريخ التي يزيد مقدارها على ٩٩ ٪ من حياة البشرية ، وأنها كانت آتخذ تنحوا نحو الاستفادة من الطبيعة ، وتخزين امكانياتها الكبرى ، وتجهّد وسائلها المتنوعة التي منها قطعان الماعز والحراف وخاصة الجمال التي جعلتها رحالة تطوف الآفاق منذ عهد بعيد . إذ أن صورة الجبل المقعي وجدت في مصر ، منعقدة من زمن ما قبل السلالات . كما أن المصريين القدماء صنعوا من وبر هذا الحيوان النيل الجبال وقماش الحيام في عهد السلالة الثالثة . مما يدل على أنه عُرف في بلاد النيل خلال زمن أقدم ، وانه مدّ في امكانيات القوى البشرية العربية ، وجعل هذه القوى تتدفق من مخزنها في شبه جزيرة العرب على كل أطراف الشرق الأدنى .

وقد أغنى الاستاذ كون من جامعة بانسلفانيا مؤخراً نظرية الصحراء كخزان بشري عربي بخصائص جديدة . إذ أنه جعل من هذه الصحراء بعد حفرياته في غاري (ثنية البيضاء) و (جرف العجلا) القرييين من تدمير الأرض التي نشأ منها انسان (الهوموسايانس) جد الانسان الحالي ، والمكان الذي انطلقت منه كل الأقوام التي سكنت كل القارات . فقد عثر في المكانين المتقدمين على أدوات صوانية وبقايا عضوية من العهدين الاشولي و (المستري - اليفالوازي) . وبصح ان يُؤرخ الزمن الأول من عهد (٦٠ الف سنة ق . م) ، والزمن الثاني من عهد (٣٠ الف سنة ق . م) . مما جعل الاستاذ كون يقول إن هذا الانسان أقام في تلك البقعة (٣٠ الف سنة متعاقبة) . وهذه المدة الطويلة لم تتحقق لأية إقامة بشرية في أية بقعة أخرى من

العالم . وما يغري بالظن ان الصحراء كانت منشأ جنس (الهوموسابيانس) الذي وجدَ في غاباتها المندثرة ومراعيا خيراً مكان يَقطُنه خلال الأزمنة التي كانت فيها الحياة متعذرةً في مناطق أخرى بسبب الجموديات والتلوج .

فهل يمكن اعتبار العناصر البشرية العربية أقرب العناصر التي نشأت من أصل الانسان الحالي ؟ لا شك أنه تصعب الإجابة ، في حالتنا العلمية الحاضرة عن هذا السؤال ، إلا أن بإمكان الدراسات الباليوثنتولوجية الجارية الآن أن تلقي شيئاً من النور على سكان الهلال الحبيب في تلك الأزمنة البعيدة . ولا يخفى أنه لم يعثر على بقايا عظمية بشرية في الشرق الأدنى من الزمن الأشولي أو عهود ما قبل التاريخ التي سبقته ، وأنه لم يوجد من الزمن (المستري - الليفالوازي) إلا بقايا بشرية من النوع المسمى (النياندرتال) بقسيه الكلاسيكي والمتطور ، في جبل الكرمل من فلسطين . إلا أنه اكتشف لحسن الحظ خلال ربيع السنة الماضية في غار (شانيدر) من العراق في طبقة موسترية عدها من (٣٤٠٠٠ - ٥٠٠٠٠) سنة هيكل عظمي تحطمت بعض أعضائه من جراء انهيار صخور سقف الكهف . وهذا الهيكل العظمي من نوع النياندرتال أيضاً ، وما زال يحتفظ بجمجمته التي انخلع فكها الأسفل . وتختص هذه الجمجمة بمجاعها البارزة الكائنة فوق عجز العينين ، وهي من علامات إنسان ذلك العهد . وقد رأينا هذه الجمجمة خلال زيارتنا للعاصمة العراقية أثناء انعقاد مؤتمر الآثار الثاني للدول العربية ، وهي ترمم في المعمل الفني لمتحف بغداد ، وتشاهد في حالة جيدة ، وفيها الأسنان ، والفكان .

وقد اكتشف أيضاً في أسفل الطبقة الموسترية من كهف (شانيدر) الذي تقدم ذكره ، هيكل عظمي آخر ، حجمته مهشة نهشياً بالغا ، وتاريخه أقدم بكثير من تاريخ الهيكل الأول . ويعود هذا التاريخ كما يقول مكتشفه الأستاذ رالف سوليك إلى (٦٠,٠٠٠) سنة قبل الميلاد . ونأمل أن تتم الدراسات التفصيلية لهذين الهيكلين في أقرب وقت حتى يتوفر للمختصين معلومات كافية عن تطور الحياة البشرية في ذلك الجزء الهام من العالم العربي .

ومما يمكن أن فاعلية العناصر البشرية الناشئة من شبه جزيرة العرب تظهر بجلاء قبل فجر التاريخ في أطراف الهلال الحبيب . وكل الدلائل تشير الى ان عناصر عربية هائلة يطلق عليها المؤرخون اسم الاكاديين قَدِمَتْ خلال الألف الرابع قبل الميلاد ، فأقامت في بلاد الرافدين

وصحراء الشام ، وسورية وسهت في إنشاء وتطوير المدينيات التي نعرفها من مكتشفات موقعي (تل حلف) و (العبيد) وغيرهما . ويظن بعض العلماء ومنهم (ادوارد دورم) ان علاقات هذه الأقسام بالامم التي كانت مقيمة هناك قبلها ولا يستبعد ان تكون هي الاخرى من نفس المنشأ ، كعلاقات سكان السهوب بسكان السهول او العلاقات التي تعكسها الأسطورة بين (أنكيديو) و (جيلغامش) . فـ « العربي » الجديد قبل عصر التاريخ مباشرة هو (أنكيديو) ، والعربي القديم المتمدن المقيم في بلاد الرافدين هو جيلغامش . والاتفاق بين البطلين كان اتفاقا بين سكان السهوب الرحل ، وسكان السهول المقيمين . وسيصبح نموذجنا للاتفاق الذي يجري بين فترة وفرة ، وسنة وأخرى ، ويوم ويوم منذ ذلك التاريخ حتى عصرنا هذا ، أثناء قدوم العناصر العربية من شبه جزيرة العرب وترشحها الى العراق وسورية والاردن وغيرها ، كما يقول العالم رنيه دوسو .

وعلى الرغم من أن تسرب هذه العناصر العربية التاريخية الأولى ، لم يكن متصلا كل الاتصال بوادي النيل كاتصالها ببلاد الهلال الحبيب بسبب بعد المسافات ، وندرة الواحات على طريق بلاد النيل ، فانها كانت فقد من حين وآخر على ذلك القطر . وإن أعوزنا الدليل على إيضاح آثارها في مدينيات (الخرطوم) و (مرمدة) و (البداري) لما أعوزتنا الإشارات التاريخية المتعددة التي تثبت لنا أن المتحضرين المصريين كانوا يحشون ، شأن سكان بلاد الرافدين ، البداة الرحل ويعادونهم معاداة المقيمين للمتقلبين . وما منا من يجهل ان ملوك السلالة الاولى خاضوا معارك طاحنة ضد بداة صحراء سيناء الذين أطلقوا عليهم اسم (ايوتيو) . وأن البداة الناشئين من شبه جزيرة العرب دخلوا مصر في آخر عهد السلالة السادسة وأقاموا فيها . ويذكر بعض المؤرخين معتمدين على بعض النصوص التاريخية أنهم أنشأوا السلالتين السابعة والثامنة . واذا لم يدل كل ذلك على شيء فهو يدل على أن العناصر الخارجة من شبه جزيرة العرب كانت على اتصال مباشر بالمدينيات الكبرى التي انشأتها أو أسهمت الى حد كبير في إنشائها في أطراف الهلال الحبيب وفي وادي النيل .

وفي نحو سنة (٢٩٠٠ ق . م) امتدت من شبه جزيرة العرب موجة بشرية أخرى حملت الكنعانيين ، وهم الفينيقيون المقلبون ، الى ساحل البحر الابيض المتوسط الشرقي ، والعوريين الى سورية الوسطى ثم الى بلاد الرافدين . وتاريخ سورية في الألف الثالث غير واضح تماما . الا أن الثابت أن السكان كانوا يمتون بصلات القرى الى سكان بلاد الرافدين ، وان العلاقات التجارية والسياسية كانت قائمة بين سورية ومصر .

وقد طلعت علينا المكتشفات الاخيرة التي قامت بها بعثة الاستاذ (أندره بارو) في تل حريري بما يوضح معارفنا عن تلك الازمنة بعض التوضيح ، وما يقدم لنا صوراً شائعة عن مدينة الفرات الأوسط المعاصرة . إذ أن هذه المكتشفات أبانت أن مدينة (ماري) الثاوية في جوف التل المذكور كانت مركزاً سياسياً هاماً في تلك المنطقة ، وأن ازهى عصورها انقضى في فترتين :

الأولى عاصرت النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد . وتدل مخلفات هذه المرحلة على مدى التقدم والازدهار والسوية الحضارية العالية والفن الرشيق التعبيري الذي بلغته العناصر العربية المتزوجة بغيرها من العناصر السومرية آنئذ . وقد أظهر موسم الحفريات الثامن في هذه المدينة لدى التنقيب في حيتها الديني معبدن للآله (شمش) والربة (عشتارات) يرقيان الى ما قبل عهد صارغون . والتقطت من أرض هذين المعبدن حطاماً من تماثيل كبيرة وصغيرة مصنوعة من الألباتر . فظهرت بعد إصلاحها روائع ابتكرها احساس مرهف وقوة وشاعرية ولطف ودقة منقطعة النظير في التعبير . وقد اعتدنا أن نسمي الآثار التي سأصفها لكم بالآثار السومرية ولا يمكننا أن اسميها آثاراً عربية ، وكل ما بسعنا قوله هي أنها نتاج بشري ثقافي كانت تجده الموجهات البشرية الخارجية من شبه جزيرة العرب .

— اليكم تمثالا من الألباتر تشير كتابه أكادية خلف ظهره أنه يمثل (ايتور شامغان) ملك ماري وهو أكبر التماثيل المرمية المعروفة من هذا النوع . وقد كان محطاً فجمعت قطعه الاثنان والأربعون ، وحفظ في جناح الآثار الشرقية في المتحف الوطني في دمشق .
— وهذا تمثال صغير من الألباتر أيضاً لا يتجاوز ارتفاعه (٢٥ سم) . وهو آية نادرة من آيات الفن العالمي ، ويمثل حسب ما تذكر كتابة محفورة على ظهره ، مغنية الملك (أورنيننا) التي أهدت صورتها ، دليلاً على تقاها ، الى معبد الربة عشتارات . وأجمل ما فيه التعبير القوي والعينان المتألفتان في وجهة والشعر المسدل المتموج خلف ظهره .

— رأس صغير للربة (نينهور ساغ) ، وهو من روائع آثار الألف الثالث قبل الميلاد في ماري .
— تماثيل صغيرة مختلفة يلبس أصحابها المتعبدن ثياب (الكوناكس) ، وأيديهم مجتمعة الى بعضها وأعينهم من اللازورد . وهم من أعضاء بلاط ماري وامرئتها المالكة .
— اليكم الآن مجسماً جصياً ظهر خلال الموسم العاشر من الحفريات في نفس الحي الديني .

ويعود عهده الى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد . وهو يمثل منزلاً موزعاً الى خمس غرف ، ومحاطا بسور مستدير . ويدل على نخط العمارة قبل عهد صارغون ، وأن مهندسي ذلك الزمن كانوا يتخذون طرقاً وأساليب متقنة في تنفيذ تصاميمهم .

والعصر الثاني في حياة هذه المدينة الزاهرة فاتحة الألف الثاني قبل الميلاد . وقد أوقف لدى تخريب المدينة نحر سنة (١٧٥٠ ق . م) على يد حمورابي ملك بابل العوري . وقد تهدم ما كان يفخر به آخر ملوك ماري (زيمر - ليم) على كل مدن الشرق . وهو قصر المدينة الملكي ولؤلؤة فن البناء الشرقي القديم ، وتعادل مساحته هكتارين مربعين ونصف الهكتار . وأظهرت منه الحفريات (٢٦٠) غرفة وباحة ، وما زالت بعض أقسامه تحت التراب . ويدل تنظيحه وتوفر وسائل الراحة فيه على مقدار ما بلغت مدينة (ماري) العورية من تقدم مدني . في أول الألف الثاني قبل الميلاد . إذ أن فيه منازل خاصة بالملك ومعبداً كبيراً ، ومكاتب للموظفين ورؤساء الدواوين والكتبة وقاعات لحفظ المعاملات الاقتصادية والسجلات السياسية ، وغرفاً للخدم والمصانع والحوائج والأشياء اللازمة اليومية ، ومطابخ وافرناً وغرفاً للتحميم . وعثر في هذه الغرف على مغاطس آجرية ومواقد لتسخين المياه . على أن أشهر المكتشفات الأثرية في هذا القصر :

- تمثال من الألباتر بحجم يعادل ثلاثة أرباع الحجم الطبيعي . وتتجلى فيه دقة الفن الأكادي العوري . وأجل ما فيه ابتسامة الربة عشتار أو إلهة الخصب والينبوع ، وعقودها الستة ، وشعرها المصقف ، والإناث الذي تحمله بيديها ، وثوبها الذي يمثل خطوطاً متوجة ترمز الى الماء ، وعلى هذه الخطوط سمكات تسبح فيها .

- تمثال ايشتوب ابلوم المصنوع من حجر الديوريت الصلب . ويرى صاحبه لابساً الفبة التي كان يضعها أمراء بلاد الرافدين على رؤوسهم . وهو في موقف خشوع وتعبد .

- رأس لبوة مصنوع من البرونز وكان يزين مدخل أحد معابد ماري ، ونحته والشعور المفاجيء المحبوس فيه يدلان على مدى الاتقان الذي بلغه فن تمثيل الحيوانات في ماري قبل أن تحل بها النهاية المحتومة .

ومن اللقى التي عثر عليها في هذا القصر العظيم رقم فخارية صغيرة زاد عددها على عشرين ألف رقم ، وكانت تستخدم في المراسلات بعد أن يكتب عليها وهي طرية بأقلام من القصب ، ما يراد التعبير عنه ، ثم تجفف ، وتحمل إلى الأشخاص الموجهة إليهم . وقد انكب على قراءة نصوصها المسماة المكتوبة باللغة الأكادية التي كانت اللغة الدولية الشائعة في ذلك العصر ، والعصر الذي يليه ، عدد من العلماء من جنسيات مختلفة أشهرهم : (دوسان) و (نوغايرو) و (كوبر) و (جان) . ونشروا عنها أبحاثاً هامة كان آخرها سنة أجزاء في (مراسلات ملوك ماري) صدرت منذ مدة غير بعيدة .

وكشف كل ذلك على أنه حكم مدينة (ماري) خلال القرون الأخيرة من حياتها أربعة عشر ملكاً آخرهم (زير - ليم) . واتضحت أيضاً الخطوط العامة لسياسة هذه الدولة مع ملوك وحكام البلاد المجاورة العيلامية والبابلية ، والآشورية ، والتحالفات التي عقدتها معهم ، والمساعدات المالية والعسكرية التي كانت تبادلهم إياها . وظهر أن منطقة الشرق الأدنى في أول الألف الثاني قبل الميلاد لم تكن منطوية على نفسها ، بل كانت أجزاءها متصلة بسلسلة من العلاقات المختلفة . وقد كانت (ماري) على اتصال مع البلاد السورية المختلفة كـ (ترقا) و (كركميش) و (حلب) ، و (تدمر) ، و (قطنا) ، و (عامورو) و (حاصور) ، وتستطلع أخبارها وتتبادل الهدايا المختلفة مع أمرائها .

وفي الوثائق المذكورة معلومات غنية عن حياة منطقة الفرات الأوسط ، تلقي أضواء ساطعة على البلاد التي غلبت على أمرها ، ففتحت وأخذ أهلها أسرى . وفيها أخبار عن القبائل التي كانت تجوع ، وعن البداة واللصوص الذين كانوا يغربون على المدن والآلهة ، وعن تجمع الجيوش الصديقة ، وغزوات الجيوش العدو ، ونقل الجنود بواسطة المراكب النهرية بين ضفتي الفرات ، وإرسال البرد والسعاة متفرقين ومجتمعين ، ومخفوفين ، وعن تنظيم الإشارات الضوئية بين البلاد ذات المراكز الحساسة ، والمعاني التي يجب أن تتضمنها هذه الإشارات ، وعن تعبير القلاع ، وتحديد عدد الجنود الواجب أن يربطوا فيها ، ووصول رسل العدو لعقد الصلح ... كما فيها أمور كثيرة تمت بصلات وثيقة إلى الحياة الاقتصادية والدينية والإدارية والاجتماعية . ففي رسائل (كيري - داغان) حاكم (ترقا) ورسائل (بيج دي ليم) حاكم القصر الملكي في

ماري إلى مولاها (زير - ليم) إشارات إلى استثمار الأراضي الاميرية وجمع المحاصيل ورعي المواشي ، وجز أصواف الأغنام ، واستيفاء الضرائب ، والاهتمام بالسدود ، وإصلاح مايتهدم منها ، وشنق الأتنية ، والحيطه من فيضانات نهري الخابور والفرات ، وتولي القضاء ، ومعالجة المشاكل الحقوقية الدقيقة ، والقيام بالشعائر والطقوس الدينية ، وإطلاع الملك على كل تفاصيل الأمور التي تجري في أنحاء البلاد . وفي غيرها من الوثائق معلومات مختلفة عن المدن القديمة ، التي كانت مزدهرة كـ (بابل) و (أشنونة) و (لارسا) ، و (تيرقا) و (توتول) وغيرها ، وعن أسماء ملوكها وحكامها ، وملوك وحكام كثير من دول وبلاد الشرق الأدنى . كما فيها تلميح لتبادل المنتجات والبضائع والتجارب والمعلومات الفنية ، والخبراء في أمور الطب والمهندسة والبناء والزراعة ، وإشارات إلى العادات وأصول السلوك السائدة في ذلك العصر . ومن ذلك ان الملكة (شبتو) ترسل إلى زوجها عدداً من الاثواب الصوفية الثمينة الدافئة ليلبسها وهو على سفر ، وان أحد الولاة يؤثر ملكه عن نفسه فيرسل إليه جارية جميلة جداً ، وأن آخر ينصحه ألا يتطهى حصاناً لان هذا لا يليق بملك مثله ، وأن الاولى به أن ينتقل على عربة .



واستمرت العناصر المنبثقة من الجزيرة العربية على استيطان الأرض السورية ، وأسهمت في تطوير زراعتها ، وإنشاء مكائنها التجارية ، وتأليف باتيون دياناتها ، ولم تكتف هذه العناصر في القرون الأولى من الألف الثاني قبل الميلاد ، بضم الهلال الخصيب إلى مدى الجزيرة العربية الحيوي ، بل انها تطلعت إلى وادي النيل . وقام من يسمى منهم بـ (الهيكسوس) وهم كنعانيون وعرب بالوصول إلى مصر ، وراحوا يعملون للأخذ بأسباب مدنياتها ، ويوثقون العلاقات بين بلاد الشام ووطنهم الجديد ، ويقدمون غاذج رائعة عن أدبهم الكنعاني إلى القصر الفرعونية ، ويسعون إلى تطوير الكتابة ، ونقلها من شكلها التصويري إلى شكلها الألفبائي .

وفي هذا الزمن فارق الفينيقيون كما يذكر (هيرودوت) سواحل البحر الاحمر الشمالية وهاجروا الى الساحل السوري . وجهدوا في توثيق صلاتهم ببلاد العرب الجنوبية برا وبحرا وساعدوا على إنشاء جهاز متقن للسقاية في أودية البين العليا . فكانوا بذلك أول من وصل بين

طرفي العالم العربي الشمالي والجنوبي . ثم راحوا يعملون وقد أدركوا أن مستقبل هذا العالم حول البحر الأبيض المتوسط ، وفي مياه المحيط الأطلسي ، فنثروا مستعمراتهم ومرافقهم في كل مكان ، وأنشأوا الجزيرة العربية معتمدين على موارد وإمكانيات الساحل السوري ، أكبر توسع بحري عرفته العصور القديمة ، أمتد على 'جزر البحر المتوسط المشهورة وعلى شطآنه الجنوبية والغربية ، وعلى سواحل افريقية الغربية وحتى انكلترا ، وربما أمريكا كما تدل بعض المكنشقات الاميركية الأخيرة .

وليس مثل مدينة (أوغاريت) الثاوية في بطن رأس شمرا شمالي اللاذقية ما يبين هذه الفاعلية الحضارية الهامة . فمنذ سنة ١٩٢٩ حتى يومنا هذا تلقى الحفريات التي يقوم بها الدكتور (كلود شيفر) هناك أضواء باهرة على حضارة هذه المدينة ، التي كانت عاصمة لدولة صغيرة في رقعتها كبيرة في الأثر الذي تركته في حياة العالم المعاصر .

ولن أتحدث عما أبانته الحفريات من تنظيمها العمراني وشوارعها وأحيائها ودورها ومعابدها ، وأبنيتها المشهورة وقصرها العظيم الذي كان أكبر القصور الملكية وأفخمها في الشرق الأدنى خلال الألف الثاني قبل الميلاد ، لأن كل ذلك معروف لديكم . الا انني اسمح لنفسي لان أتعرض للكنوز الاثرية المعنوية التي وجدت في هذا القصر ، وهي الرقم الفخارية المكتوبة باللغات الاكادية والاوغاريتية والحرورية والقرصية وغيرها ، والتي كانت محفوظة على شكل وثائق مصنعة بحسب مواضيع القضايا والأمور التي تتضمنها . وقد نشرت هذه الوثائق مؤخرًا في كتب علمية ضخمة تبينت منها معلومات هامة ومفصلة عن التنظيم السياسي في مملكة (أوغاريت) ، وعن علاقاتها بجيرانها وسياستها ازاهم وعن مبادئ القانون الدولي السائد آنئذ ، وأصول التحالف والتعاضد السلمي بين الحكومات ، وانظمة التجارة الدولية ، وقواعد التحكيم وتقديم المساعدات ودفع التعويضات ، وشجب الانتهازة السياسية ، وبصورة عامة كل ما يتعلق بالتشريع والحقوق . ولا ريب أن هذه الحقوق الاوغاريتية كانت نافذة في كل المدن الكنعانية الفينيقية ، وانما انتشرت مع انتشار التجارة في كل أرجاء البحر الأبيض المتوسط ، فعرفتها شعوبه البحرية ، وأسهمت في صوغ الحقوق اليونانية والرومانية فيما بعد .

وتبين منها أيضا ان تاريخ المدينة كان متصلا بالتاريخ العام للشرق الأدنى ، وأن ملوكها الذين تعاقبوا على عرشها خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر بلغ عددهم اثني عشر ملكا .

وظهرت أسماء الملوك الحثيين في بوغازكوى وكركيش وأسماء ملوك عامودا ، ومقيس ، وصيدا ، وبيروت ، وعمورو الذين عاصروهم . كما عُرفت قوائم المدن والقرى التي كانت تابعة لأوغاريت والضرائب المفروضة على سكانها وأنواع هذه الضرائب ، وعدد الأيام اللازم على كل فرد تقديمها الى الدولة لتعميد الطرق ، وتعبير الجسور وقطع الاشجار . وعثر أيضا على نصوص كثيرة تتعلق بالمبيعات والمبادلات والمبات والتركات ، والأحكام والمراسيم التي تنظم الحياة الاقتصادية والادارية والاجتماعية . ولوحظ خلال نصوص أخرى أن الاموال كانت متوفرة والمعادن الثمينة الذهبية والفضية كثيرة ، والأراضي مرتفعة الأسعار ، والمدايا التي تقدم الى الملك غالية القيمة في أوغاريت . وكل ذلك يدل على التواء الذي كان منتشرا في هذا البلد الواقع على الطرق التجارية الدولية . وعلى أن الحياة كانت فيه ناعمة للجميع . كما استدل من مجموع كل هذه النصوص الحقوقية على أن الحقوق الاوغاريتية تشبه الحقوق التي كانت منتشرة في بابل وآشور ، وعيلام وماري وبقية أنحاء الهلال الحصب خلال الألف الثاني قبل الميلاد. ويُفسر هذا التشابه بالقرابة العرقية والأصل المشترك اللذين تُمثُّ اليهما بأوثق الصلات كل الشعوب التي سكنت العراق وسورية آنئذ .

وتراعى أيضاً بنتيجة الحفريات الأثرية أن أوغاريت كانت على الساحل السوري كما كانت فيما بعد (البندقية) و (انقرس) أي مرفأ دوليا ، وان تجارتها بلغت درجة عالية من الازدهار . وكانت عنابر مرفئها تمتع بالبضائع التي تُصدَّرُ الى كل الجهات . ومن الأشياء التي كانت تُصدَّرُ من أوغاريت وغيرها من المدن الساحلية السورية الأواني المعدنية الثمينة . وقد امتدحها هوميروس في إلياذته المشهورة عندما تحدث عنها البطل آشيل . فقال إنه لا توجد آنية أخرى في العالم تنافسها في جمالها . وفي الواقع إن تجار أوغاريت وسييرا وصور وصيدا كانوا يحملونها الى مراقي البحر المتوسط ، فتتعرف شعوب الغرب ، في المشاهد المثلثة على جنباتها ، على صور الشرق وأحلامه . وفي متحف حلب النموذجان رائعان من هذه الآنية ، كانا قد أُخرجتا في حفريات أوغاريت سنة ١٩٣٣ . والأول قصعة من الذهب الأصفر ، -يزين سطحها المحذب حقلٌ مستدير وصفان من المشاهد المتوازنة في التأليف ، ويظهر فيها ملكٌ يُصبي طريدة بسهم وهو قائم على عربة ويلاحق قطيعا من الحيوانات المختلفة . والثاني كأس من الذهب نصف كروي مزين بزهرة

نباتية وحيوانات حقيقية وخيالية ، وكان هذا الكاس طنفسة شرقية غنية الزخارف .

ومن آيات الصناعة الفنية التي ازدهرت في أوغاريت بعض المصنوعات الدقيقة التي عثر عليها بين الانقراض في إحدى باحات القصر الملكي . وأشهرها قطع عاجية منحوتة جمعت ونظفت وأعيد تركيبها ، فتألف منها لوح ذو مشاهد متعددة ، ويُظن أنه كان يُزَيَّنُ واجهة عرش ملك أوغاريت ، وبين المشاهد التي ترى على هذا اللوح ربة أوغاريت الكبرى ، وعلى رأسها تاج يشبه ما تضعه الربة المصرية (حتحور) على رأسها ويضاف إليه قرنا الآلهة بلل حامي مملكة أوغاريت ، وتلقم الربة نديها إلى أمير وأميرة . وتؤلف هذه المجموعة مشهدا غربيا من مشاهد الميتولوجيا السورية القديمة . ومنها أيضا لوح يمثل ملك هذه المدينة وملكتها وهما متعاقبان . وتبدو فيه الملكة بجمال رائع وهي تُقَرَّبُ من وجه الملك خنجر العطر . ومن المكتشفات العاجية الثمينة أيضا في القصر الملكي رأس من العاج المكف بالذهب . وهو يمثل ملكا من ملوك أوغاريت . ويؤلف أثرا ثميننا نادرا من آثار النحت في ذلك العصر . ومنها أيضا بوق مصنوع في ناب فيل وعليه زخارف منحوتة تمثل القسم العلوي السليم منها الربة عشتار عارية وهي تمسك نديها بيدها ، وإلى كل جانب من جانبيها حيوان خرافي على شكل أبي الهول . ولا يُعرف شيء كثير عن العموريين في سورية الداخلية خلال الألف الثاني قبل الميلاد . وما ذلك إلا لانه لم تجر أعمال أثرية هامة في المدن الداخلية حيث يُتوقع أن توجد مخلفاتها . فعفريات البعثة الدانيركية الأثرية ، التي رأسها الأستاذ (هارولد انكولت) ، في تل مدينة حماة والتي كان متوقعا ان تكشف الستار عما نجّله عن حياة ذلك العصر ، توقفت لما اوشكت أن تصل إلى الطبقات المقابلة له . كما ان مخلفات العموريين ان وجدت في دمشق وحلب ، فهي واقعة على أعماق سحيقة تحت المركزين القديمين من هاتين المدينتين ، ويتعذر الوصول إليها حاليا . ومهما يكن فان أروع الآثار التي وصلتنا من هذا العهد ، أسد منحوت اكتشف في قرية الشيخ سعد من حوران ، وأودع المتحف الوطني بدمشق .

ويتصف هذا الأسد بلبدته القوية ومشيبته الواقعية ، وبنزوع الفنان الذي أبدعه لمحاكاة تحرك الأسود ، وهي طليقة ، ولا شك ان هذا الاثر يمثل الفن السوري المعاصر المتأثر من فن بلاد الرافدين .

وفي نحو السنة (١٥٠٠ ق . م) حملت موجة ثالثة إلى سورية دفعة جديدة من الأقوام الناشئة في شبه جزيرة العرب . وقد عرف هؤلاء باسم الآراميين كما أطلقت عليهم أسماء أخرى منها (الأخلامو) وال (خيرو) وال (خاباطو) . وكانوا أصلح الأقوام لأن يرثوا العموريين ويتعايشوا مع الكنعانيين ، ويحلوا في المدن السورية الداخلية الشمالية والجنوبية ، وأن يسودوا هذه المنطقة وينشئوا أساسها البشري ، وينحوها لغتهم حتى يجيء الموجتين العرييتين الأخيرتين الرابعة والخامسة اللتين حملتا إلى سورية الأنباط والمسلمين . وقد ارتكز الآراميون خاصة في دمشق ، وألفوا سلالة ملكية هي سلالة (عبدى عاشرتا) وابنه (غازيرو) التي عاصرت القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وحالفت فراغة السلالة الثامنة عشرة . ثم امتد الآراميون إلى الجنوب وألفوا بملكة (موم) وبملكة (ايدوم) واستعمروا النقب ، وأقاموا في حماة ، واختلطوا في الشمال ببقايا الحثيين وأنشأوا عدداً من الدول المتحالفة الصغرى .

وضع الآراميون الفن السوري في الموضع الذي يجب أن يكون فيه دوماً ، أى في مستوى متوسط بين الفن المصري وفن بلاد الرافدين ، وأغنوه ببراعتهم ومهارتهم ودقتهم فاكتسب منهم هذه الصفات التي أصبحت أكثر صفاته لصوقاً به . ويدل على هذا الفكر الجديد - القديم في الحياة الإبداعية السورية القطع العاجية التي عُثر عليها في أرسلان طاش والتي كانت أجزاء في صرير وحمالة ملك دمشق حزاقيل . وهي محفوظة حالياً في متحف حلب ، وتتألف من لوحات صغيرة منحوتة نحاً دقيقاً . وبشاهد في إحداها ثوران مجنحان وعلى رأسها تاجا مصر العليا والسفلى ، وهما يتقابلان في طرفي الشجرة المقدسة . ويرى في لوحة ثانية الإله (حورس) وفي ثالثة جنتيان يسكان حزمة من أوراق البودى ، وفي رابعة وعل ، وفي خامسة بقرة ترضع عجلاً .

- ومن الآثار السورية المشهورة في هذا العصر أسدا أرسلان طاش وهما منحوتان في كتلتين ضخمتين من حجر البازلت ، وتزن كل منهما عشرين طوناً ، ويشبهان ما يائثلها من الصور في الفن الآشوري ، ويؤلفان أثرن رائعين وغريبين حقاً . وقد تصرف الفنان في تمثيل أوبارهما تصرفاً حراً مستوحياً مفهوماً واقعياً قوياً يعتمد على الهجوم الضخمة .

- وقريب من هذين الأسدين أسد ثالث وجدته مديرية الآثار العامة في (عين دارا) خلال حفرياتنا التي اشرف عليها الأستاذ فيصل الصيرفي في السنة الفائتة ، وهو أسد منحوت بفن مدهش ، ويتجلى فيه نفس المثل الأعلى الذي رأيناه في أسدي أرسلان طاش مع قوة متزايدة في التعبير ، وتصرف زخرفي في نحت تفاصيل الرأس واللبدة والوبر ، ويمكن نسبته كالأسدين المتقدمين إلى القرن التاسع أو القرن الثامن قبل الميلاد .

وحلّ العصر الهلنستي أو السلوقي في سورية ، واحتكّت مدينة بلاد اليونان بالشرق على أثر حملات الإسكندر الماكدوني ، وأقام بعض اليونانيين في الوسط الآرامي السوري ، فتطورت المدينة اليونانية ، ونمت نمواً جديداً لم تعرفه في سالف أيامها ، ومنحتها سورية امكانيات واسعة جداً ، فأنشئت في الأراضي السورية مدن لا يحصى عددها منها : انطاكية وسلوقية واللاذقية ودورا أروبروس وتجددت مدينتا دمشق وحلب . وبصعب علينا في هذه النظرة العاجلة أن نلّم ولو قليلاً بصفات التقدم العمراني الواسع الذي حققته كل مدينة من هذه المدن بنشأتها الهامة ودورها وساحتها وشوارعها .

أما الفنون البلاستيكية فقد اكتسبت نزعة عاطفية ساعدتها على تمثيل النهج والألم والحزن والغضب والذهول واليأس والرجاء وغير ذلك من العواطف ، بما نقل الفن العالمي المعاصر من مرحلته الكلاسيكية إلى مرحلته الرومانطيقية . وأشهر الآثار التي تركتها المدرسة الفنية السورية الهلنستية ، مجموعة تماثيل (أفروديت) و (بان) و (ايروس) التي صنعها مثالوث سوربون في آخر القرن الثاني قبل الميلاد ، وأهدوها إلى معبد من معابد (ديلوس) ، وهي محفوظة في متحف أثينا الآن .

- ومن هذه الآثار أيضاً تمثال (بسيشة) التي عثرت عليها بعثة الامتاذ (ماينس) البلجيكية في خرائب (أفاميا) بالقرب من حماة . وتتبدى فيه بسيشة على شكل فتاة صغيرة جالسة على قاعدة شبه مستطيلة ، وعيناها تتجهان إلى السماء كأنها تستعطف الأرباب التي لا ترحمها . - وتمثال (تيمكه) أوبرة سعادة انطاكية . وتوجد منه ثلاثة نسخ محفوظة في متاحف الفاتيكان ، وفلورنسا والأفوزي ، وهو يمثل المرأة الجميلة (ايماته) التي قدمت ضحية إلى الآلهة لدى تشييد انطاكية ، وهي جالسة على صخرة ، وتمسك بيدها حزمة من السنابل ، وينبجس نهر العاصي على شكل غلام من تحت قدميها بحركة مسرحية ، أما رأسها فتتوج بتاج مصنوع على هيئة سور المدينة .

- وأخيراً فإن العهد الهلنستي السوري كان يعمل في تقليد الفنانين الكلاسيكيين ومحاكاةهم في طرقهم الفنية ، ومن أشهر ما أبدعه في هذا المضمار تمثال (أليينسة) أو (اسبازيا) وقد عُثر عليه (هارولد انكولت) خلال حفرياته في حماة . وهو نسخة من القرن الثاني عن تمثال أصلي محفوظ حالياً في متحف دمشق .

* * *

ثم أصبحت سورية بعد سنة (٦٤ ق م) ولاية رومانية . ولم تستطع روما أن 'تحدث' في الوسط الثقافي السوري أي تغيير . إذ أنها وجدت نفسها إزاء بلاد متحضرة على درجة عالية من المدنية ، فتركت لها أنظمتها الادارية ، ومؤسساتها الخاصة ، وأبقت على مدنها استقلاليتها المحلية ، ولم يجر إليها الرومان كما فعلوا في بقية الولايات ، فاستفادت المدنية السورية الهلنستية الآرامية من هذا الوضع ، وتعمت بالسلم العالمي الذي انتشر آنئذ ، وراحت 'تطور' مبكراتها وتتنوع منشآتها وتعمر مدنها . وأسهم السوريون في كل مضمار وظهر منهم القواد والاباطرة ، ومخلفات هذا العهد كثيرة جداً في سورية ، وتدل عليها القلاع والحصون والابراج والمسارح واقواس الظفر والاقنية والسدود ، كما تدل عليها مئات وآلاف التماثيل والتحف الاثرية الصغيرة المصنوعة من المرمر والفخار والزجاج والبرونز والفضة والذهب والمحفوطة في المتاحف السورية .

- هذه خوزة اثرية وجدتها مديرية الآثار مع قطع أثرية هامة اخرى من الذهب والفضة في مقبرة بالقرب من حمص ، ويعود عهدا إلى النصف الاول من القرن الاول الميلادي ، وتتألف من قسین : الاول حديدي ويمثل الرأس ، والثاني حديدي أيضاً إلا أنه مغطى بالفضة ، ويمثل الوجه ، ولهذا الوجه تقاطيع واقعية تدل على أن الخوزة عملت على صورة صاحبها ، وأكبر الظن انها صنعت في أحد معامل انطاكية لحساب أحد ملوك حمص المنحدرين من سلالة (شمشي غرام) التي كانت تحكم المدينة آنئذ .

وعثرنا في تل (أم نوى) من حوران على خوذتين أخريتين مصنوعتين من البرونز ، وعلى الأولى صورة صاحبها تحت صورتي ربة الظفر وآله الشمس ، وإلى الجانبين يعلو هذا الرجل إلى السماء على عربة رمزاً لخلوده . أما القناع فيمثل تقاطيع وجهه .

- أما الخوذة الثانية فيقف صاحبها أمام مذبح ليُقدّم تضحية إلى الإله . وإلى طرف من أطرافها يوجد اسم (مآكتوريوس بارباروس) صانع الخوذة . وهذا الاسم عربي ومحول إلى شكل لاتيني عن اسم المختار أو المقطر .

ولا ريب أن الفنان المتقدم صنع الخوذتين لحساب قائد سوري من قواد الإمبراطورية الرومانية الذين قدّموا لها خدمات جلّلى . وهو من جملة أولئك القواد الذين اعتمدت عليهم أسرة سيفير . وقد زاد النفوذ السوري في روما خلال عهد هذه الأسرة ، ولعب الأمراء والأميرات الناشئون من هذه البلاد الدور الأكبر في تصريف الحكم . ثم قام فيليب العربي فاستولى على الإمبراطورية .

ولم يكتف السوريون بالوصول إلى عرش روما بل حاولوا أن يستخلصوا كل الإمبراطورية وتطلع أمراء تدمر في النصف الثاني من القرن الثالث لجمع سورية ومصر والأناضول ، ولجعل تدمر عروس الصحراء عاصمة لها ، وذلك قبل أن تودي كارثة سنة ٢٧٠ بآمال زنوبيا وأحلامها التي سيحققها العرب مع موجتهم الخامسة الإسلامية بعد أربعة قرون .

ولزام علينا أن نذكر أن المدينة التدمرية مدينة بوجودها للعبقريّة العربية وحدها ، فأصل التدمريين عربي واضح . وأسماءهم وديانهم وآلهتهم وتقاليدهم عربية صحيحة ، والظاهر أنهم اكتشفوا واحدة تدمر أثناء أسفارهم ، فاستخدموها كمحطة كما فعل الأنباط في البتراء . ولما آل أمر التجارة الدولية البرية اليهم ، نظّموا سير القوافل التي تقطع الصحراء ، ونجّاذي الفرات ، وتصل إلى الخليج الفارسي . وقد أبحروا بمراكبهم إلى الهند وتاجروا بمحاصلاتها وحاصلات بلاد العرب ، وباعوها إلى سكان البحر المتوسط بأرباح طائلة . فتجمعت لديهم ثروات هائلة كان من أثرها منشآت تدمر العظيمة وشوارعها المستقيمة المتعامدة وساحاتها ومعابدها وأسوارها ومقابرها الرائعة . وتعد أطلالها بحق أعظم أطلال في الشرق الأدنى ، وتخصص الحكومة السورية للإنفاق على إصلاحها وترميمها وإظهارها مبالغ ضخمة كل سنة .

- ومن الأعمال الأثرية الكبرى التي قامت بها مديرية الآثار في هذه المنطقة قبل الحرب العالمية الثانية إظهار معبد (بل) وعزله عن الأبنية المزينة الحديثة التي تجمعت في قنائه الواسع . وضمن هذا القناء الخارجي يقوم المعبد الداخلي المحاط بعُمدٍ كورنتية وكانت الطقوس الدينية العربية الوثنية تقام فيه وقد حوّل إلى كنيسة ثم إلى مسجد .

- ومنذ عدة سنوات كشفنا التراب عن مسرح تدمر الجميل ، وأظهرنا كل أجزائه ، فبين أن 'مدرج' القسم السفلي منه يتألف من عشرة صفوف من المقاعد ، وان له ساحة (اوركسترا) مستديرة ومحاطة بمجازر ، وان دكة التمثيل فيه مجهزة " بدرجين من الخارج ودرجين من الداخل ويتوسطه خمسة أبواب شأن المسارح الكبرى المعروفة في العالم كمرسح (بومي) ومرسح (أورانج) . وكل هذه الأبواب مزينة بالأعمدة والزخارف النباتية والهندسية البديعة . ووراءها من الجانبين غرفتان صغيرتان كانتا مخصصتين للنلن .

- ونحاول اليوم أن نحصر الرمال عن كل أجزاء المدينة . وقد قننا في هذه السنة بحفريات واسعة خلال ستة أشهر متوالية في منطقة الشارع الكبير في تدمر . وهو يمتد على مسافة (١٦٠٠ متر) فتمكنا من كشف ساحة طولها (١٢٠ متراً) وعرضها (٤٠ متراً) .

- وكذلك فإن بعثة أثرية سويسرية برئاسة الأستاذ (بول كولار) عميد كلية الآداب في جنيف أظهرت خلال السنوات الثلاث الماضية أطلال معبد (بعل شامين) وهو ثاني المعابد الاثرية التدمرية ، وتبين أنه كان له رواقان جانبيان وباحتان شمالية وجنوبية وقاعة لتقديم الذبائح .

* * *

ومن المعلوم أن سورية أسهمت إسهاماً كبيراً جداً في نشوء المسيحية ، وفي ازدهارها ، كما أنها كانت من مقاطعات الامبراطورية البيزنطية المشهورة بتجاريتها وزراعتها وصناعتها ، وعلومها وآدابها وكثرة رجال الدين فيها الذين أغنوا المسيحية بأفكارهم وآرائهم . وقد زود السوربيون المسيحيون ديانتهم بالمنشآت الدينية الالفة خلال القرون الرابع والخامس والسادس . فانتشرت الكنائس والاديرة بكثرة في حوران وجبل الدروز . ويذكر المؤرخون أنه كان يوجد خمسة عشر ديراً في غوطة دمشق . وما تزال الاطلال المسيحية الرائعة ترى في منطقة قصر ابن وردان القريبة من حماة ومنطقة الاندلين والكراتين بالقرب من معرة النعمان .

وتحتل الرصافة مكانة ممتازة بين المواقع المسيحية السورية . وتختص هذه المدينة الاثرية أنها كانت ابتكاراً صنعياً من عمل عرب بلاد الشام لحماية خط الفرات من غزوات الفرس قبل الإسلام . وأوابدها مشيدة داخل سورها ، ولها أهمية كبرى في تاريخ العمارة خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين . وأحسنها حالاً كنيسة القديس ماركس . وقد مسح مخططها الأستاذ كوللويتز رئيس البعثة الألمانية التي تعمل بالاشتراك مع مديرية الآثار العامة في إظهار اطلال الرصافة . ويظهر أن هذه الكنيسة تعود إلى النصف الثاني من القرن الخامس . وقد أظهر العالم المذكور أيضاً خلال العامين الفائتين اطلال كنيسة الاستشهاد . وما تزال اطلال كنيسة أخرى

وعدد كبير من الأوابد المختلفة مطبورة في التراب ويمكن رؤية الزخارف لمنحوتة لكل هذه الأوابد وتيجانها وأقواسها في كل أطراف المدينة . ويلاحظ أن الأحجار التي بنيت منها ذات طبيعة فريدة أي أنها من الحجر المبلور الذي يضي عليها روعة خاصة . وأجمل أوابدها على الإطلاق باب السور الشمالي ذو الزخارف الغنية . وتتألف هذه الزخارف من خمسة أقواس بأبعاد مختلفة محمولة على أعمدة . وقد شُبه تركيبها وأسلوبها ببعض أقسام قصر الامبراطور ديوكلسيان في مدينة (سبليت) . وأخيرا فإن المواقع الأثرية المسيحية في شمالى سورية يزيد عددها على المئات ، وتتراوح عهدها بين القرنين الأول والسابع بعد الميلاد . وقد تكاثفت هذه المنشآت خاصة حول الأديرة مؤلفة مجموعات أثرية هامة . وأشهر هذه المجموعات على الإطلاق المجموعة القائمة في قلعة سمعان . وفي هذه القلعة كنيسة القديس سمعان ذات الشكل الصليبي . وقد شُيدت في الربع الثالث من القرن الخامس حول العمود الذي عاش عليه هذا القديس سبعة وثلاثين عاما من حياته ، والذي ظل بعد وفاته مدة طويلة سحجة مشهورة يقصدها الحجاج المسيحيون . وتُعد بقايا هذه الكنيسة أعظم وأضخم أطلال مسيحية في الشرق ، وليس لها مثل في العالم ، لا لها من تخطيط فريد في نوعه ، وتركيب علمي في قسمها المثلث الأوسط ، وما في هذا القسم من أقواس مدورة وما لحنيته وواجهته الجنوبية من نسب بدية ، وما للواقعة ككنيسة التعميد ، ولأبنية الدير الأخرى من أثر في تاريخ العمارة البيزنطية .

★ ★ ★

وخلاصة القول إن ثروات سورية الأثرية عظيمة وغنية جدا وهي كثيرة التنوع الا أنه تجمعها صفات توحد بين مظاهرها المختلفة ، وهي أنها كما ذكرت مرارا من إنشاء وابتناء العناصر البشرية العربية التي خرجت على موجات متعاقبة من شبه جزيرة العرب خلال القرون الطويلة ، وعاشت في الأراضي السورية وتأثرت من جوها وتقاليدها وثقافتها . لذلك فإن هذه الآثار أنت منسجمة مع الطبيعة السورية انسجاما تاما ، ومتفقة اتفاقا كاملا مع الغايات التي صنعت من أجلها ، فهي في المادة الخالدة ذكرى الانسان العربي في أطوار حياته اللامتناهية المليئة بجلائل الاعمال المبدعة .

وليس لدي بعد هذه اللوحات الاستعراضية السريعة عن آثار سورية القديمة إلا أن أتوقف عن الكلام تاركا الحديث عن العصور العربية الاسلامية السورية وما تركته من آثار في مختلف الفنون والصناعات وهو حديث طويل ، الى فرصة أخرى أتمنى أن يسعدني فيها الحظ للاجتماع بحضراتكم .

سليم عادل عبد الحفي

مدفن شلم اللات

وادي القبور- تدمر

عبدان البني

رئيس دائرة الحفريات والدراسات الفنية

نسيب صليبي

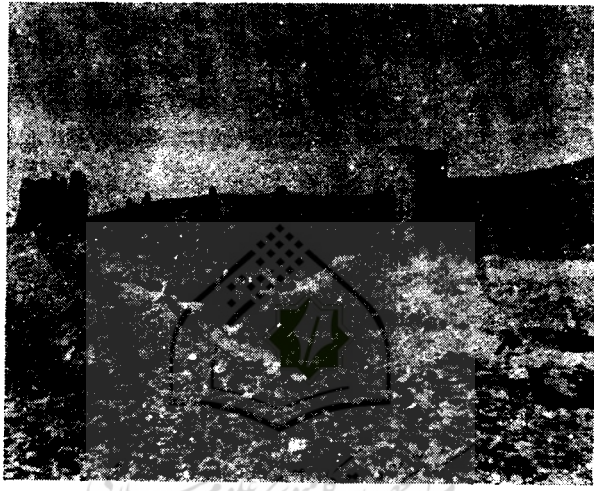
المساعد الفني الممتاز

كان في برنامج دائرة الحفريات في العام الماضي القيام في الربيع بحفريات في أحد مناطق المدافن في تدمر، وقد تألفت بعثة الحفريات منا نحن كاتب هذا البحث فشحطنا الى تدمر، معززين بالتشجيع والتوجيه من استاذنا الدكتور سليم عادل عبد الحق مدير الآثار العام في سوريا. وكان عملنا بالتعاون مع مراقب آثار تدمر السيد عبيد الله وله بالمناسبة منا الشكر والتقدير. وسرعان ما حالقنا النجاح، فأنجزنا بين ٢٤ آذار ١٩٥٧ و ١٨ نيسان ١٩٥٧، الكشف عن مدفن أرضي محفور في الصخر النضاري - الرملي هو من أروع وأكمل المدافن التدمرية المعروفة حتى الآن، أسسه رب أسرة من سرة تدمر يدعى شلم اللات بن ملكو، في النصف الاول من القرن الثاني الميلادي.

اخرتنا بين المناطق الثلاث الفنية بالمدافن في تدمر المنطقة الغربية المعروفة بوادي القبور. وبعد دراسة طبيعة الأرض في الراية الواقعة على يسار الوادي (الشكل ١) بين مدفن ايلابل الشهير وهو أعلى وأجمل المدافن - الابراج في تدمر وموقع مدفن يرحاي الأرضي المعاد بناؤه في متحف دمشق الوطني^(١). أجرينا فيها أربعة أسبار بشكل خنادق مستطيلة طول كل منها

(١) راجع عن هذا المدفن : Robert Amy et Henri Seyrig, Recherches dans la Nécropole de Palmyre, (extrait de la revue Syria, 1936, Fasc. 3).

خمس أمتار بعرض قرابة متر ونصف . وما كاد ينتهي يوم العمل الأول حتى تأكدنا نهائياً من وجود مدفين منهارين من الداخل وبمئلتين بالرمال والأنقاض بينها حوالي ثلاثين متراً ، أولهما وهو الواقع مباشرة وراء مكان مدفن يرحاي دلت معالته الخارجية على أنه أضخم وأكثر تعقيداً . فلذلك آثرنا تركيز جهودنا فيه وتركنا الثاني ، بعد أن وضعنا فيه فريقاً صغيراً من العمال بضعة أيام^(١) .



الشكل (١)

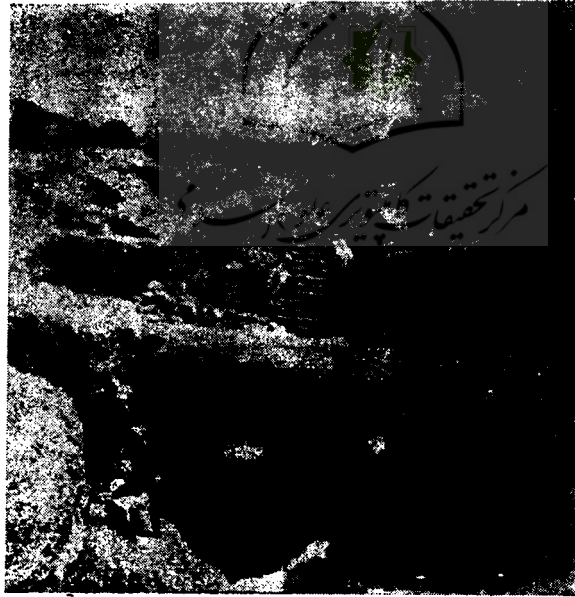
وكنا في الواقع بعد أن عزمنا على الاكتفاء في هذا الموسم بتعزيل المدفن الأول ، جد سعدها لكونه منهاراً من الداخل وبمئلتاً بالأنقاض والرمال كما قدمنا ، إذ أن التجربة قد دلت العاملين في الكشف عن المدافن التدمرية أن المدافن المنهارة هي التي يؤمل منها بالثروة الأثرية . إذ أنها كانت تستعصي كلياً أو جزئياً على لصوص العاديات قديماً وحديثاً ، أما المدافن السليمة فهي غنائم سهلة المأخذ كان يدلف إليها المدجون في الليل ويصلون إليها عن طريق حفر قد تم في ساعات . وإن ما منعنا مدفن سلم اللات الذي نحن بصدد من نفائس لدليل على صحة تقديرنا . ذكرنا آنفاً أن العمل في اظهار المدفن قد استلزم قرابة شهر أنجزنا فيه تخليصه من الأنقاض .

(١) تأمل دائرة الحفريات في مديرية الآثار العامة انعام حفريات هذا المدفن خلال ربيع عام ١٩٥٨ ، وهو مدفن الإخوان نوربل ومقيم وحيران أولاد ملكو بن نوربل وقد أسس في تشرين الثاني عام ٤٥٦ سلوقي ، الموافق تشرين الثاني ١٤٤ م .

والرومال والتهديم كما أخذنا تماثيله الأربعين وما تبقى من عناصره الهندسية المنكسرة إلى آلاف القطع . وكانت ورشة العمل بإدارة المعلم السيد صالح الطه ومؤلفة من ثلاثين عاملاً تقريباً مع خط حديدي وثلاث عربات حديدية « ديكوفيل » .

اقسام المدفن الخارجية

المدفن محفور في الطبقة الصخرية الغضارية الرملية ، على محور شرقي غربي (الشكل ٢) ، يبلغ طوله (٢٦ م) من أول الدرج حتى صدر الجناح الغربي وعرضه (١٦ م) من صدر الجناح الشمالي حتى صدر الجناح الجنوبي ، ينزل إليه بدرج عرضه (٣,٥٣ م) مكون من ثلاثين درجة^(١) ارتفاع كل منها (١٨ سم) صف جانبيه الأيمن والأيسر بمجاراة منحوتة من الحجر الجيري الطري ووراء الأيسر منها جدار مبني بالحجر الغشيم يبلغ سمكه (٥٠ سم) (الشكل ٣) (المصور ١) .

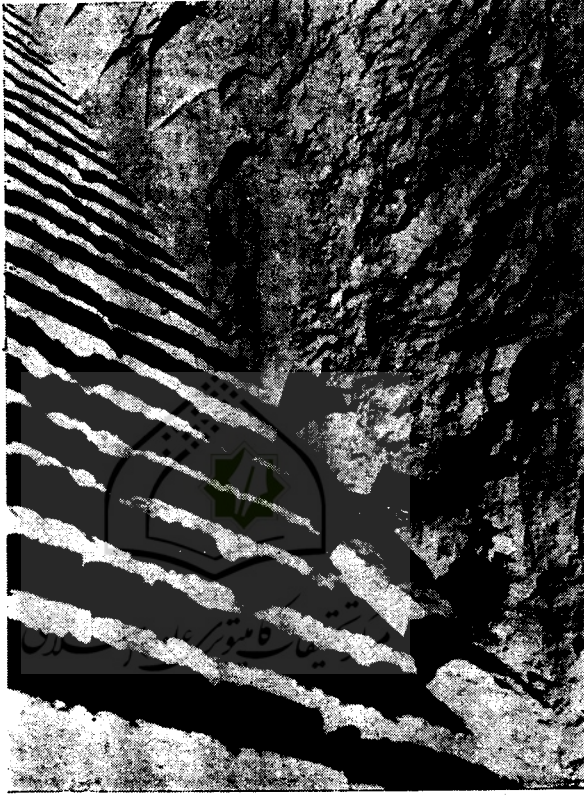


(الشكل ٢)

ويؤدي هذا الدرج الى باحة خارجية غير مبلطة مقاييسها ٤,٤٥ م طولاً و ٣,٩٥ م عرضاً وسطياً وعمق أرضها عن سطح التل (٦,٥٠ م) لها من كل جانب ثلاث عضائد (الشكل ٥)

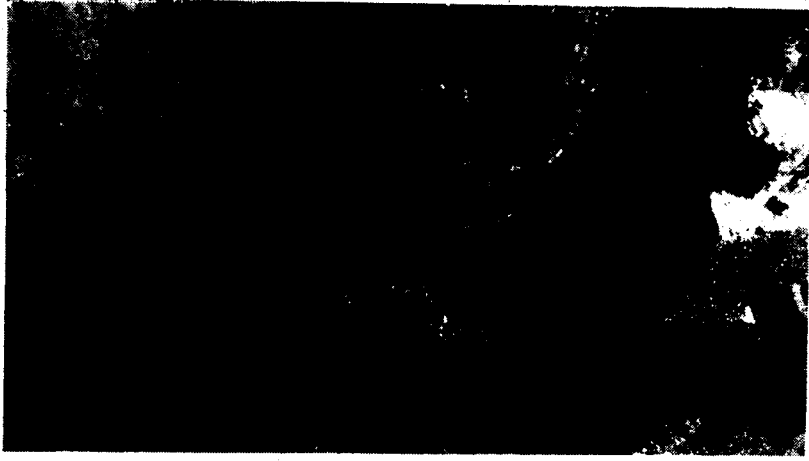
(١) إن هذا الدرج هو أطول درج في المدائن التدمرية المعروفة .

كان كلٌّ منها ينتهي بطنف (كورنيش) بارز كان يدور حول الباحة ولربما كان يمنع سقوط الأتربة عليها لأنها كانت مكشوفة كما هي الحال في جميع المدافن الأرضية التدمرية المعروفة .

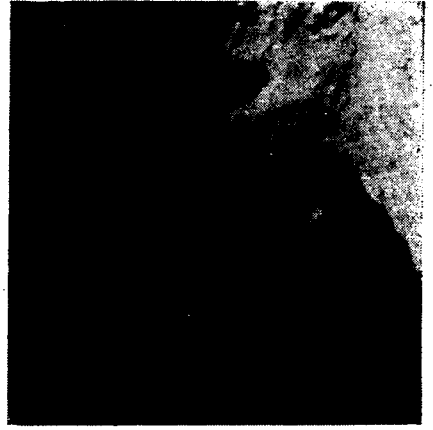


(الشكل ٣)

وفي صدر الباحة الخارجية باب حجري (الشكل ٤) ارتفاعه ٢,١٢ م بعرض ١,٤٥ م وسماك ٢٣ سم ، مؤلف من قطعة واحدة ، وهو متجه نحو الشرق ويفتح نحو الداخل بواسطة بروزين أسطوانيين مثبتين في فجوتين في الاعلى والأسفل . والعلوي منها كان مجهزاً في الاصل بمحور برونزي . والباب قائم بين حجرين مؤلف كل منهما من قطعة واحدة ، فوقها حنت حجري هو عبارة عن قطعة مستطيلة من الحجر ، نقش عليها الكتابة التي أعطيناها رقم (١) في سجل كتابات المدفن ، وهي مؤلفة في الاعلى من سطرين باليونانية تحتهما أربعة سطور بالندمية طول الكتابة وسطياً متر واحد باستثناء السطر الاخير الذي يبلغ طوله (١١٤ سم) وعرض الكتابة وسطياً (٢١ سم) الحروف اليونانية والتدمرية واضحة ، فيها أثر تلوين بالاحمر



(الشكل ٥)



(الشكل ٤)

زيادة في إيضاحها ، ارتفاع كل حرف من حروف الكتابة التدمرية واليونانية (٣ سم) وسطياً .
 توجه النص التدمري هي كما يلي مع مراعاة ترتيب التركيب الاصل (١) .
 « بيت الابدية هذا عمله سلم اللات بن ملكو بن دينس له ولبنيه ولبنيه بنيه .
 ومن بعد موت سلم اللات بن ملكو هذا شارك حنبل بن سلم اللات بن ملكو ابنه .
 وفرستنا بنت تيرصون عتريد زوجته ، زبدعته بن حنبل بن دينس بنصف هذا المدفن له



(الشكل ٦) وهو يمثل استنساخ الكتابة رقم (١)

(١) تفضل الأمير جعفر الحسي بمراجعة النصوص الآرامية والتدمرية التي عثرنا عليها في هذا المدفن فله منا بهذه المناسبة بالغ الشكر والتقدير . هذا وإن النصوص التدمرية في هذا المدفن على جانب كبير من الأهمية لما فيها من أسماء تدمرية جديدة وبعض المردات والتراكيب المفيدة وسيمثل أحدها الأستاذ عدنان البني على نشرها جيماً في أنوب فرصة يمكنه .

ولبنيه ولبنى بنيه على شرفهم إلى الابد بشر نيسان سنة ٤٥٨ (نيسان ١٤٧ ميلادية)
(الشكل ٦) .

أما النص اليوناني فهو ملخص عن النص التدمري وعليه التأريخ أيضاً .
وظاهر أن هذه الكتابة هي كتابة تسجل المشاركة على المدفن من قبل وريثة المؤسس أما
لوحة التأسيس المعهودة في كل المدافن التدمرية فسنأتي على ذكرها بعد قليل .
كان فوق الخنت في الأصل حجر مفروز بشكل قوس فيه فجوة نافذة مفرغة بأشكال
هندسية جميلة لانهارة المدفن ، كسرت الى قطع صغيرة وجدناها مبعثرة في أنحاء المدفن ومعها
قطع لوحة التأسيس التي كسرت إلى قطع صغيرة مبعثرة هنا وهناك ، وقد استطعنا العثور
على بعضها وضاع البعض إلى الأبد والقطع التي عثرنا عليها كانت في الأصل ثمان تؤلف شكلاً
مستطيلاً طوله ٥١,٥ سم وعرضه ٤٨,٥ وقد كانت تحمل ستة أسطر باليونانية تحنها سبعة أسطر
بالندمية منقوشة وغير مظلة بالاحمر ضمن إطار عرضه (٥ سم) وطول الكتابة (٣٠,٥ سم)
وعرضها (٣٥,٥) وارتفاع الاحرف وسطياً (١,٧ سم) ويمكن أن نستخلص مما تبقى من



(الشكل ٧) صورة لوحة التأسيس المكسورة

النص التدمري ، الذي ذهب أكثر من نصفه ، ان الموضوع يدور حول تأسيس المدفن وبناء
أقسامه على نفقة ستم اللات بن ملكو من بعد موت أبيه ملكو بثلاث وثلاثين سنة له ولبنيه

ولبني بنه على شرفهم الى الابد بشر آس سنة ... (التاريخ ناقص لم يبق منه في خانة المئات الا ثلاث خطوط لا تمكن من قراءة التاريخ الصحيح) (الشكل ٧) .

(والتافذة مع اللوحة التأسيسية كسرتا ، على ما يظهر ، في محاولة غير قديمة نسبياً للتسرب إلى المدفن لم يكتب لها سوى نجاح طفيف ، وقد استهدفت هذه المحاولة تماثيل المدفن بدليل العثور على التمثال النصفي لآحد فتیان الامرة (اللوحة الثانية ٣) واسمه دنيس بن زبدعته بن حنبل مكسور الى عدة قطع فوق الدرج وتمثال فتى آخر ملتح (اللوحة الرابعة ١) ورأس امرأة مقطوع من تمثال نصفي .

ولا يفوتني أن أذكر أيضاً أنه يبدو من دراسة المدفن أنه كان عرضة لعملية نهب قديمة جداً لعلها حصلت في فترة الفوضى والانحطاط التي اعتبت أمر الزباء ملكة تدمر وتهديم جيوش الامبراطور اورلثان لتدمر عام ٢٧٣ م واستهدفت زخارفه العمرانية والاثاث الجنائزي في قبوره الجدارية ، ولكن لحسن الحظ أبقت على الكثرة الساحقة من تماثيله النصفية ملقاة بعضها فوق بعض ومغمية بالانقاض والرمال على أرض المدفن^(١) .

اقسام المدفن الداخلية

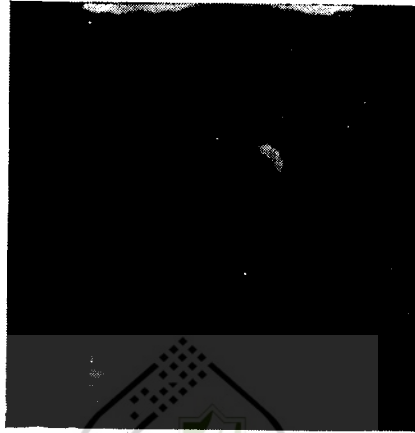
ومن باب المدفن يدلف المرء إلى باحة المدفن الداخلية ، فآزلا على درج مؤلف من ثلاث درجات (الشكل ٨) طوله (١٠٢ سم) وهذه الباحة الداخلية غير مبلطة ومعقها عن سطح التل (٧,٢٥ م)^(٢) تقريباً وابعادها (٢,٧٥ × ١,٩٥ م) . ويتفرع من الباحة الداخلية بشكل حرف T مقلوب ثلاثة أجنحة كانت كلها مملأى بالرمال وأنقاض المدفن (المصور ١) . الجناح الرئيسي منها يمتد نحو الغرب ، ابعاده (٥,٣٠ م × ٣,٥٧ م × ٤,٣٠ م) وجناح شمالي ، ابعاده (٥,٣٠ م × ٣,٦٧ م × ٣,٨٠ م) وجناح جنوبي ابعاده (٥,٢٠ م × ٣,٢٥ م × ٣,٨٠ م) . وسقوف الأجنحة الثلاثة محفورة في الصخر السهل الحث بشكل صرير مقلوب وقد ابقيت بشكلها الطبيعي ، ولم تعمر بالحجارة ، وقد كانت في الاصل مغطاة بطبقة من الملاط الجصي . وقد انسلخت من هذه السقوف قطع كبيرة بفعل المياه وتعاقب الحرارة والبرودة ، وكانت

(١) إن حالة أكثر المدافن التدمرية مآلة وقد مر مدفن برحاي المجاور لمدفنتنا بنفس الأزمة ونهب بنفس الشكل راجع :

Robert Amy et Henri Seyrig, Recherches dans la Nécropole de Palmyre, Syria, 1936, Fasc. 3, P. 229.

(٢) إن هذا المدفن كما يبدو أعرق المدافن التدمرية المروثة .

معرضة للسقوط خلال الحفريات ، ولكننا حرصنا على دعمها وإزالة خطرهما حفظاً لأرواح الموظفين والعمال وصيانة للآثار الموجودة تحتها ، وقد انتهت الحفريات دون أي أحداث . ونورد هنا ملاحظة عامة وهي أن هذا المدفن قد حفر دفعة واحدة بشكله الكامل وأن



(الشكل ٨)

الدفن بدأ طبعاً في جناحه الرئيسي ، حتى امتلأت جميع معازبه تماماً ، وتمت زخرفته ثم بدىء باستخدام الجناح الشمالي منه ، فحُفرت في جنباته ثلاث معازب فقط واستخدمت للدفن ، ثم توقف الدفن في المدفن كله ، فلم يزين هذا الجناح عمراً ، كما بقي الجناح الجنوبي المقابل دون استعمال تماماً ولنتحدث الآن بشيء من التفصيل عن كل جناح على حدة .

الجناح الجنوبي (المصور ١)

يشبه هذا الجناح في تقسيماته العامة الجناح الشمالي الذي يقابله . ولاحظنا أن جدرانها لم تقفح فيها المعازب للدفن . بل جل ما هنالك إشارات تدل على أماكن تلك المعازب ، ولم يبق منها ظاهراً سوى القليل عند مدخل الجناح أما الباقيات فقد انهارت أطرافها بمرور الزمن ، وتبلغ مقاييس المعزبة الاولى القائمة في الجانب الأيسر (١٦٨ × ٤٤ × ٢٥ سم) . وقد شاهدنا جزءاً من الطنف الذي يعلو المعازب ، والنحوت في الجدران الصغيرة نفسها يبروز يبلغ ١١ سم ، وقد أثير إلى أطرافه وتقسيماته بخط أحمر . ولم نلاحظ أي اتصال بين الطنف المذكور وأطناف العضادتين القائمتين عند مدخل هذا الجناح . وعلى كل حال لا نستطيع البت بهذه الناحية لأن الأقسام العلوية من العضادتين المذكورتين منهارة . مقاييس هذا الجناح كما أسلفنا هي (٥,٢٠ ×

وقد كان سقفه متهدماً جداً ومعرضاً للانهار بما، اضطرنا إلى رفع أكثره وإبقاء القسم الخلفي منه مدعوماً بالرمال التي تملؤه . ويمكننا اعتبار هذا الجناح بمثابة جناح خال من كل ما من شأنه أن يزيد في معلوماتنا عن المدافن التدمرية وخصائصها الفنية أو عن طرائق الدفن فيها وشعائره . وما عثرنا عليه في أرض هذا الجناح من كسر فخارية أو زجاجية إنما تحذر اليه ، في الواقع ، من الجناح الرئيس على أثر النهب والتهديم .

الجناح الشمالي (المصور ١)

تتقدم مدخل هذا الجناح دعامتان منحوتتان في الصخر ، وهما مصفحتان بالواح من الحجر الجيري الطري لم يبق منها إلا بعضها . ويعلو الدعامتين قوس نحت في الطبقة الصخرية ذاتها . وشكل هذا الجناح مستطيل شبه منحرف وأرضه غير مبلطة . ومقاييسه كما أسلفنا (٥,٣٠ × ٣,٦٧ × ٣,٨٠ م) .

وقد حددت في جدران هذا الجناح الثلاثة ، أمكنه تتسع لأربع عشرة معزبة ، لم يستخدم منها للدفن سوى ثلاث فقط ، اثنتان منها في الجدار الشرقي وواحدة في الجدار الشمالي أي صدر الجناح . وكل من هذه المعازب الثلاث المذكورة ، تحتوي على ستة قبور فوق بعضها ، واحد منها نحت مستوى أرض الجناح . وتفصل بين هذه القبور سقف من ألواح الآجر المركزة على نتوءات في جدران المعازب بشكل أسنان المنشار (الشكل ١١ ، ١٢) وارتفاع كل من القبور ٤٥ سم .

ويدور فوق المعازب طنف بسيط منحوت في الجدران الثلاثة نفسها ، يبلغ بروزه نحو ١١ سم وقد أشير إلى تقاطيعه بخطوط حمراء ، وفوق الطنف مباشرة يبدأ السطح المحدب الذي نوهنا به آنفاً . وفيما يلي وصف إجمالي لما عثر عليه داخل المعازب الثلاث المستخدمة للدفن في هذا الجناح . وهي تحمل الحروف ب ، ج ، ح .

المعزبة ب : مدخل القبر الثالث فيها منقوش مدخله بلوح من الآجر المشوي (١) . والقبر الرابع عثرنا فيه على هيكل عظمي لشخص بالغ وكذلك في القبر السادس .

(١) من المؤكد أن القبور في هذه المعازب الثلاث لم تغلق بالتأثيل النصفية كما هو مألوف ، ففي هذا القبر اكتفي بلوح الآجر للاغلاق ، وكذلك أغلق القبر الخامس من المعزبة ح بلوح من الحجر الجيري . ثم إن الأطر التي تدخل فيها التأثيل النصفية غير موجودة كما لم نثر لآثر من التأثيل النصفية حتى على أرض هذا الجناح .

المعزبة ج : القبر السادس فيها منطى بألواح من الآجر وفي القبر الخامس هيكل عظمي بالغ وكذلك في القبر السادس . وقد ادخلت يد الهيكل العظمي في مطرة للحجيج فخارية كبيرة البطن كسرت من جانبها عمداً لادخال تلك اليد فيها (٢) كما عثر في هذه المعزبة على سراجين فخاريين (٣) وبعض الحروز .

المعزبة ح : القبر الخامس مدخله مفلق بلوح من الحجر الجيري ، وهناك هيكلان بالفان في القبرين الخامس والسادس .

الجناح الرئيسي (المصور ٣ ، ٤ ، ٥)

يمتد هذا الجناح ، كما قدمنا ، نحو الغرب ، على محور الدرج والباب . وهو أهم الأجنحة الثلاثة من جميع النواحي ، وكل معازبه كانت مستخدمة للدفن ، ويبلغ عددها ١٣ ، وهي محفورة في الصخر ، خمس في الجدار الأيمن تقابلها خمس في الجدار الأيسر ، وهناك ثلاث في صدر الجناح ، وكلها محفورة بشكل مستطيل طولاني جانبا كاستنان المنشار لوضع الفواصل بين القبور ، وعددها في كل معزبة ست فوق بعضها أحدها تحت مستوى أرض الجناح ، وفتاز المعازب الثلاث القائمة في الصدر أنها مبنية من الداخل بالحجر . وان الارتفاع الوسطي لكل معزبة في هذا الجناح (١٥ و ٣ م) وعرضها (٤٨ سم) وتدل الألواح التي تحمل التماثيل النصفية البوق والتي عثر عليها في هذا الجناح ، على أنه لم يخصص للأمرة الأولى التي ابنت المدفن بل اشغلتها معها الاسرة المشاركة التي لم تختص بجناح كما هو المألوف في غالب المدافن التدمرية . ولكننا نرجح على كل حال من وضع التماثيل النصفية اللقاء على الأرض أن الأمرة الأولى كانت تختص بالجدار الأيمن من هذا الجناح وبالصدر غالباً .

ومدخل هذا الجناح مكون من دهليز طوله (٢٥٧٤ سم) بينه وبين الجناح عتبة صغيرة . وكان سقفه بشكل مقوس نصف قطره (٢٥٧٨ م) وقد وجدنا أجزاء هذا السقف منارة على الأرض وخاصة أقسام القوس الحجري الأمامي الذي تتوسطه زهرة . وفي الجانب الأيسر من هذا الدهليز بين عضادتين حجريتين قبر أمامه سرير جنازي (شكل ١١ و ١٢) أو على الأصح واجهة سرير جنازي من

-
- (١) في الواقع إن هذا الأمر جدير بالملاحظة ولا يبعد أن يكون في وضع يد الميت في مطرة الحجيج نوع من الطقوس التي كانت مألوفاً في تدمر . وقد يقصد منها استنقاء روح الميت من ماء مقدس .
- (٢) في الشكل رقم ١٥ يوض فمادج من السرج التي عثر في هذا المدفن وهي في الواقع لا تختلف بشيء عن السرج التدمرية المألوفة .

حجر الجير القاسي (شكل ٩) (المصور ٣ ، ٥) طوله ١٧٠ سم وعرضه ٧٧ سم ، عليه فراش منقوش ومزركش بثلاثة أشرطة مؤلفة من حبيبات تتوسطها أوراق نباتية وزهرات داخل دوائر ، ورأس هذا الفراش مزين بمجذع حصان وعنقود غنب وفيه دوائر في منتصفها صورة نصفية لفتى أجعد الشعر ، وبين رجلي السرير المفروزين بشكل جميل أربعة تماثيل نصفية تمثل في الوسط شاين أجعدي للشعر ، وعلى الجانبين فتاتان ترتدي كل منها وشاحاً وعمرة ملفوفة وعصابة مطرزة ولها قرطان كرويان مدليان وعنقا مزين بمقد حباته كبيرة . والغريب أن الشاين والفتاتين منشاهون تماماً وواضح أنهم أشقاء .



(الشكل ٩)

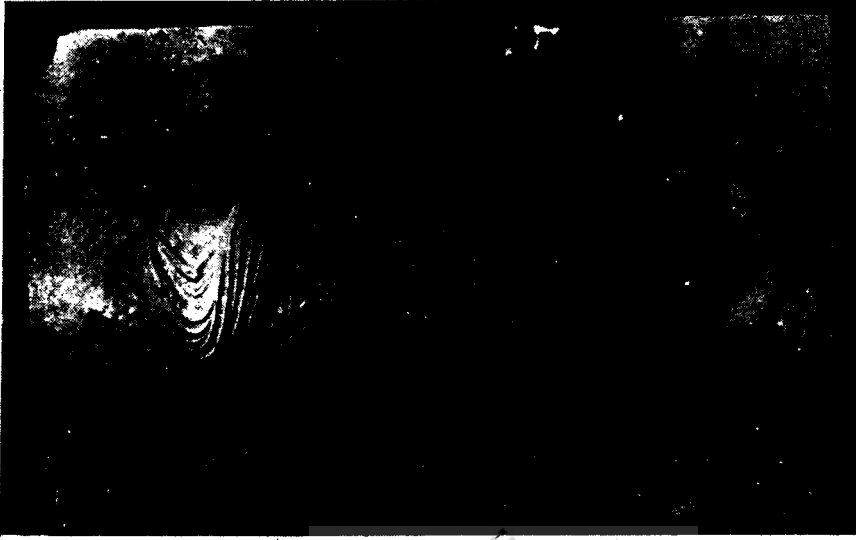
وفوق السرير الآتف الذكر مشهد ولية جنازية منحوت من الحجر الجيري القاسي أيضاً يضم أربعة أشخاص الأول رجل ملتج خارباً، منتولان حول رأسه اكليل من ورق النبات تتوسطه

صورة نصفية لكاهن ، وهذا الرجل يستند إلى وسادتين مطرزتين بأوراق نباتية ، يحمل فوق أصابع اليد اليسرى إناءً مزيناً بخطوط هندسية . وهو يرتدي الرداء التدمري التقليدي الطويل ويليه كاهن حليق يعتبر بقلنسوة الكهان وحولها اكليل من ورق النبات في وسطه صورة نصفية لكاهن بقلنسوة ، وهو يستند أيضاً إلى وسادتين متقدماً قليلاً وفوق أصابع يده اليسرى إناء مماثل للأول وذراعه الأيمن عار ويمسك في راحته الموضوعة فوق الركبة غصناً من النبات وساقه اليسرى مثنية تحت الساق اليمنى المغطاة بالرداء الطويل حتى القدم الذي يتنعل خفاً مقوساً معقوداً بشريط . ووراء هذا الكاهن يقف فتى يافع في الوضع التقليدي التدمري ملاحه جبلة مطابقة للامع الشاين المثلثين على السرير . وفي آخر المشهد تجلس سيده تدمرية بوشاح وعمرة وعصابة مطرزة ، شعرها مرفوع من الجانبين ، قرطها كرويان ، عنقها محلى بعقد حبائه كبيرة ، ثوبها الطويل معلق عند الكتف برصيفة مستديرة . وهذه السيدة تشبه من حيث الهيئة واللباس والزينة الفتاتين المثلثتين على السرير . والراجح أن المشهد يضم وجبياً من وجهاء الأسرة المشاركة وهو يبدو مع أخيه وأصغر أبنائه ثم زوجته^(١) وعلى السرير ، كما قدمنا ، ابناء وابنتاه . وإنه ليدور في خلد المرء إزاء هذا المشهد والسرير أن عائلة الميت ماثلة في هذه الوليمة تصله بعالم الأحياء وتؤنس غربته الطويلة .

وقرب الجدار الأيمن من الدهليز ، عثرنا على لوحتين من الحجر الجيري القاسي كانتا في الأصل معلقتين فوق بعضها بمسارين حديدين في مقابل السرير الآتف الذكر . وهاتان اللوحتان متماثلتان تماماً مقاييسهما واحدة (٥٦ × ٩٤ سم) وموضوعهما واحد وأشخصهما متشابهون تماماً مع فروق زهيدة جداً^(٢) وهما مسجلتان في سجل الحفريات برقمي ٣٣ و ٣٤ والأخيرة ظاهرة في (الشكل ١٠) (المصور ٣ ، ٥) وعليها كما يبدو اطاران دائريان جانبيان بينها اطار صغير مماثل ، وفي الأطار الأيمن منها يبرز تمثال نصفي الكاهن تدمري يعتبر بقلنسوة مخروطية عليها اكليل من أوراق النبات تتوسطه صورة نصفية صغيرة لكاهن ، ووجه الكاهن المائل في الاطار

(١) المؤلف أن تورد أسماء الموق على السرير وفوق المشهد نفسه مما لم نجد له أثراً هنا ، ولكن عثرنا على كتابة باليونانية والتدمرية منقوشة وملونة بالأحمر على حجر جصي ناصع البياض ملقى قرب هذا السرير ونرجح أنها تتعلق به ولعلها كانت مثبتة في أحد المضادتين اللتين تحداه . وهذه الكتابة تذكر شخصين هما زبدعته ومقيمو .

(٢) مثلاً في أحد اللوحتين الاكليل الذي يزين قلنسوة الكاهن تتوسطه صورة لكاهن صغير يبتأ الاكليل في الناحية تتوسطه زهرة .



(الشكل ١٠)

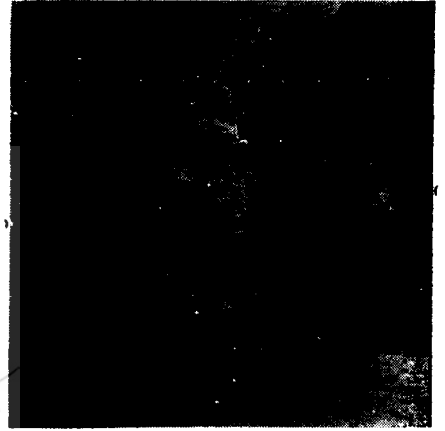
الأين دقيق القصات ، وهو يرتدي معطفاً من النوع المسمى (كلاميد) معلق على كتفه الأيمن بوصيفة مستديرة . ومن الدائرة اليسرى يبرز تمثال نصفي لسيدة تدمرية بوشاح وعمرة وعصابة مطرزة ، قرطاسها بشكل عنقودي غيب ، وشعرها يتعذر متواجداً على الكتفين شقها ملوتات بالأحمر ، حول عنقها عقد ، وعلى صدرها قلادة أشكالها معينة ، طبات ثوبها تتثنى بشكل جميل على يديها المكورين ، وفي الدائرة الصغرى تمثال نصفي صغير لكاهن .

ومن القطع الكثيرة التي عثرنا عليها بين انقاض هذا الجناح من تركة الحريين ، استطعنا أن نتأكد من أن جدران الجناح الثلاثة كانت مبنية ، لها واجهات من الحجر الجيري الطري مؤلفة من أنصاف أعمدة (الشكل ١٢) قطرها ٢٢ سم بارزة عن مستوى الجدار تتعاقب بين المعازب وتعلوها تيجان أعمدة من النظام الأيوني مصنوعة من الحجر الجيري الأصفر الطري ، وتحتها قواعد مفروزة بأشكال جميلة وترتكز قواعد الأعمدة على طنف « كورنيش » سفلي تليه قواعد حجرية تجاور الأرض ، وبين الكورنيش والقواعد ٧٠ سم . وفوق تيجان الأعمدة نظام هندسي كامل مؤلف من سقيفه « أرشتراف » وأفريز وطنف « كورنيش » مجموع ارتفاعها ٥٨ سم ، وقد زين الطنف بالزهرات والسينات المتدلية وقد لونت أطرافها بظل أحمر جميل . وبعض أقسام الطنف التي كانت ترفق المعازب نقش عليها باللون الأحمر كتابات تدمرية تذكر بعض أسماء المدفونين . هذا وتتألف كل معربة من ستة قبور فوق بعضها (راجع وصف الجناح الشمالي) يقع

أحدها تحت مستوى أرض المدفن، وبفصل بين كل قبر وآخر رف من ألواح الآجر المشوي كل منها طوله (٤٧ سم) وعرضه (٣٩ سم) وثخنه (٤ سم) وسطياً، وبعض هذه الألواح منحوت من الحجر الجيري الطري بنخن (٣ سم) وسطياً، والواجهة الظاهرة من كل معزبة بين الأعمدة مؤلفة من ثلاثة أقسام كل منها طوله (٤٨ سم) وعرضه (٤٦ سم) وكان يوضع في كل قسم تمثال نصفي يمثل أحد الموتى وبين التماثيل النصفية أطراف من الحجر الجيري الطري تشبه الأطراف المرتبطة بالأعمدة السالف ذكرها (المصور ٥) .



(الشكل ١٢)



(الشكل ١١)

والتماثيل النصفية التي كانت في الأصل تتقدم معازب هذا الجناح هي حوالي ٤٠ تماثلاً إذا



(الشكل ١٣)

فرضنا مبدئياً أن المعازب الثلاث عشر، كل منها تتحلى واجبتها بثلاثة تماثيل نصفية وقد عثرنا على هذه المجموعة كاملة تقريباً ملقاة على أرض هذا الجناح فوق بعضها بدون نظام (الشكل ١٣) في وسط الجناح وفي أنقاض بعض المعازب وعلى يمين مدخل الجناح، ووجودها على هذا الشكل بعد نزاعها من أماكنها وخلوها من التشويه المتعمد لدليل واضح على ما قدمنا من أن المدفن استهدف في عصر انحطاط تدمر إلى نهب موجودات قبوره وعناصره العمرانية فحسب، وإن أيدي الناهبين كانت آتتد تطهير من نقل التماثيل أو تحطيمها أو تردها فيها لعدم الفائدة المادية منها في ذلك الزمن.

معازب الجناح الرئيسي (المصور ٢)

لما يلي وصف إجمالي لما عثر عليه داخل معازب هذا الجناح المستخدمة كلها للدفن وفيها جيماً بقايا هياكل عظمية، وعندنا ١٣ ممزبة أثرتنا إليها بالحروف من س إلى خ مقتصرين على ذكر المعازب التي عثر فيها على بعض العظمى أو شاهدها فيها ما يستحق الذكر:

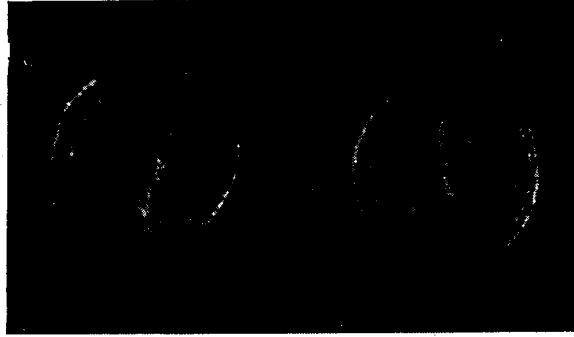
المزبة س: عند نهب هذه المزبة اختلطت معالم الهياكل العظمية، ففي القبر السفلي وجدت ثلاث جماجم عظمية بالغة مبشرة هنا وهناك وفي القبر الخامس بقايا عظام مع ٢١ قطعة للذئب برونزية مؤشكة صدئة كانت ملتصقة مع بعضها جلها من عهد الإمبراطور الروماني غاليان (٢٦٠ - ٢٦٨) (١) تبدو إحداها في (الشكل ١٤).

(١) نفلت هذه النفود وأصلحت في العمل الفني لدرية الآثار العامة وقد سلت إلينا عند أعداد هذا التقرير، ولم ندوسها بعد بشكل نهائي ولكن نؤكد أن الكثرة الساحقة فيها من عهد الإمبراطور غاليان ابن فاليريان، وقد عرفت تدمر في عهده أعظم ازدهار وأضافت إلى سيادتها الاقتصادية على الشرق سيادتها السياسية والحربية ووقفت وجهاً لوجه وحدها تقريباً أمام الفرس. وهذا الإمبراطور الذي حكم بين ٢٦٠ - ٢٨٦ م كان متقناً وفيلسوفاً ولكنه ضيف وقد انسح المجال لعدد من الولايات فوضت لها إمبراطرة خاصين. وقد مات هذا الإمبراطور مقتولاً.

ويقول الأستاذ J. Chabot في كتابه 1922, Paris, Choix d'inscriptions de Palmyre, في الصفحة ١٦ و ١٧ ما يلي:

لما سقط فاليريان أسيراً بيد الفرس الذين اجتاحتوا سوريا وكبادوكيا ودخلوا انطاكية، حاول أذينة الثاني وهو على قيادة القوات التدمرية والسورية أن يقطع خط الرجعة على جيش سابور وأجبره على أن يرجع إلى ما وراء الدرات. وكان أذينة وهو يوحد سلطته الخاصة بهذا الشكل يدعى أنه لا يتصرف إلا بمقتضى قائد عند غاليان خليفة فاليريان. ولكن مع احترامه لحظة الإمبراطور أخذ لقب «ملك» وأعطاه لقب «Dux» وعهد إليه بالقوات الرومانية في سورية فعارب الفرس بين عامي ٢٦٢ - ٢٦٤ م -

المعزبة ص : في القبر السفلي منها هيكل عظمي بالغ مع عظام أطفال وعثرنا فيها على سراجين وهي من الناذج المنشورة في (الشكل ١٥) .



(الشكل ١٤)

المعزبة ر : أُنبت في داخلها بعض التماثيل النصفية وتمثال نصفى لامرأة بدون رأس .

صدر الجناح المعزبة ش : في القبر الثانى منها بقايا هيكل عظمي وكذلك في السفلي وفي الرابع عثرنا على قطعة من الفخار مثبتة في قالب مربع من المونة لها مبخرة .

الجدار الأيسر المعزبة ط : عثرنا فيها على هيكل عظمي بالغ في القبر السفلي وخرزة من الطيق ودمية صغيرة من العظام ذراعها مثبتان بسيارين من البرونز (١) (الشكل ١٦) .

المعزبة غ : ميكلان عظمتان بالغان في القبر السفلي وسراج فخار في القبر الثالث . وكان ملقى فيه تمثال نصفى لشيخ لاه كان يسد مدخل القبر الرابع ؟

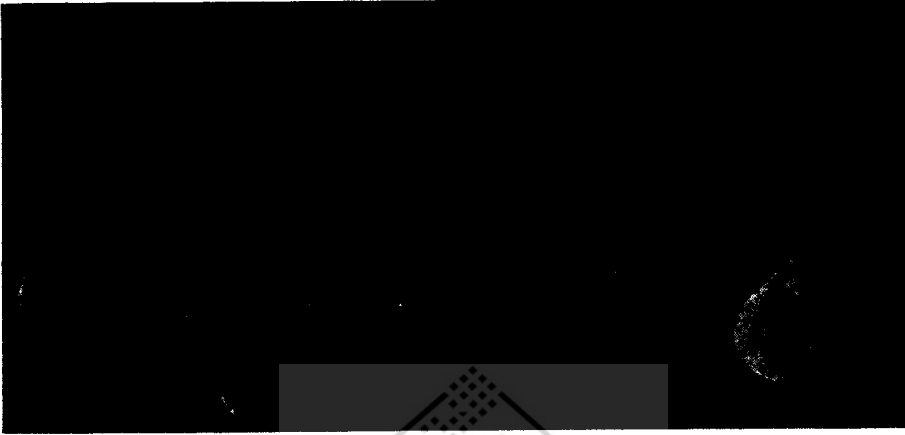
— واستناد ما بين النهرين ووصل حتى المدائن . وبعد هذه الانتصارات الباهرة أعطاه غاليلان لقب « امبراتور » وكان يلقب « مصلح الشرق كله » وكان تحت سلطة كل الشرق الروماني ما عدا مصر وآسيا الوسطى . . ثم قتل في حصن ٢٦٦ - ٢٦٧ م فألت السلطة إلى زوجته الشهيرة زنوبيا التي حكمت باسم ابنها الصغير وهب اللات . ولم يفر غاليلان لهذا الأمير بالألقاب التي كانت لأبيه كما أنه أواد أن يأخذ منه الولايات التي أعاد أبوه احتلالها ولكن القوات التدمرية هزمت فائده . . . ثم مات غاليلان في آذار ٢٨٦ م .

(١) في مدفن يرحاي عثر على رأس دمية مشابهة راجع :

R. Amy et H. Seyrig . Recherches dans la Necropole de palmyre, Syria, 1936, fasc. 3, p. 257

المعزبة ث : في قاع القبر السفلي قبر لطفل مع بقايا عظامه وفي القبرين الخامس والسادس ميكلائن عطيان بالغان .

المعزبة خ : في القبر السفلي ميكلائن عظمي بالغ وبقايا فكل بروتزي (?) وصرآة بروتزة وتلد مؤكل غير واضح .



(الشكل ١٥)

التماثيل النصفية في الجناح الرئيسي (١) :

إن أكثر هذه التماثيل النصفية في حالة سليمة تماماً تحمل أسماء أصحابها بالدمرية أو بالدمرية واليونانية معاً مما مكنتنا من إقامة شجرة النسب بينها (راجع الصفحة التالية واللوحات الأولى والثانية والثالثة) وهذه التماثيل تعتبر من المنجزات الفنية الباهرة لعصر تدمر الذهبي ، تمثل أشخاصاً حقيقيين من سيدات جميلات مثقلات بالحلي والثياب المترفة وشبان في ربيع العمر وشيوخ وكهان الخ في هيئات وحالات نفسية متبايزة وأوضاع لا تخلو من الطرافة والابتكار ، وبعضها ملون بألوان مختلفة تزيد في روعته ، ونعتقد أن هذه التماثيل ستكون من النماذج المثلى التي يستفاد منها في دراسة الفن التدمري ومنجزاته وإننا لعلى يقين من أنها ستساهم

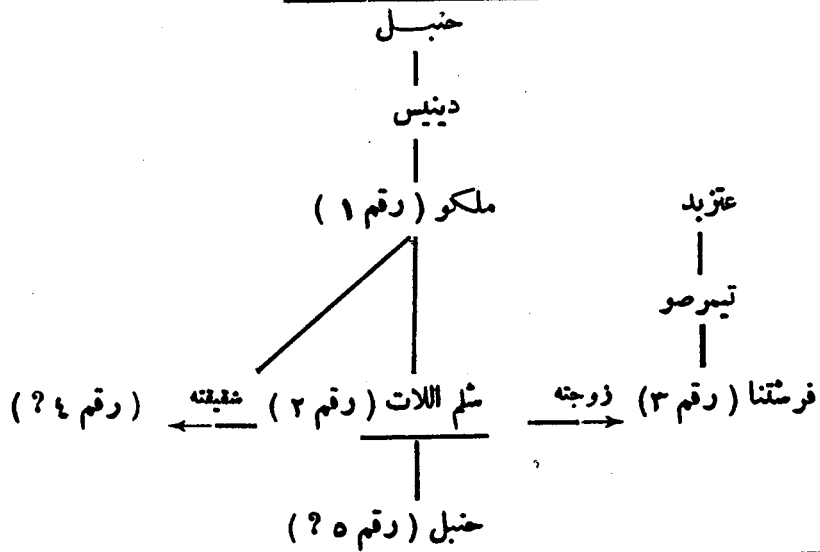


(الشكل ١٦)

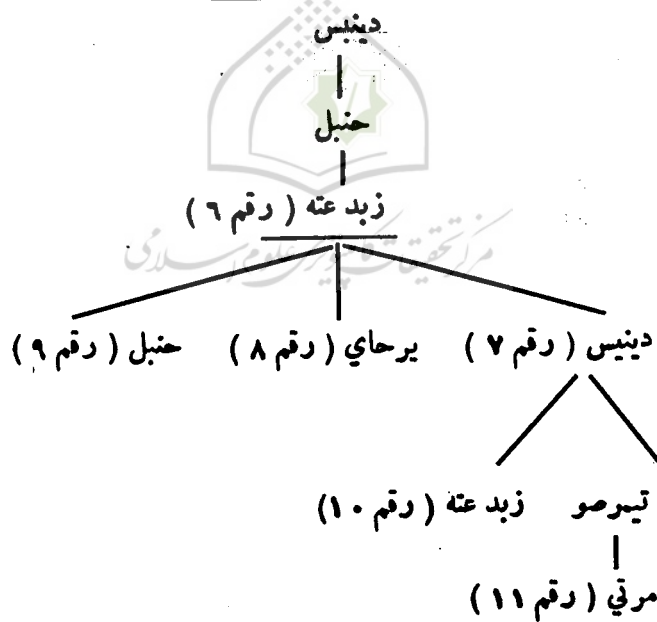
(١) هذه التماثيل النصفية موضوعة الآن في غرفة خاصة في بيت الآثار في تدمر وستكون ولا شك من نفائس المتحف الذي سيقام في تدمر وقد وضع حجره الأساسي منذ وقت قريب .

شجرة نسب للأسماء المذكورة على التماثيل النصفية في مدفن شلم اللات

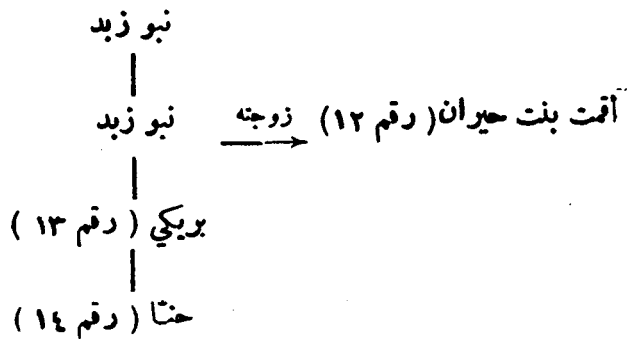
المؤسس ونسبه وسلالته



المشارك ونسبه وسلالته



فرع ثالث



مساهمة قيمة في تعديل بعض النظرات والأفكار حول هذا الفن^(١) .
وإتنا نورد فيما يلي وصفاً موجزاً لهذه الألواح والتماثيل^(٢) :

١ - تمثال نصفي لكاهن تدمري (اللوحة الأولى ١) . الطول ٦٣ سم . العرض ٥٠ سم .
قلنسوته مخروطية لها اثنتان عموديان من الأمام . وجهه عريض حليق . كل من عينيه بمثلة
بدائرة داخل دائرة . معطفه من النوع المسمى « كلاميد Chlamide » معلق على الكتف الأيمن
برصية على شكل زهرة . المعطف مزين بحاشية منزلة بججارة مربعة . كما الثوب قصيران مزينان
بججارة بشكل معين وهو يتنطق بزئار عريض ، في يده اليمنى قارورة للزيت العطري من
الألباتر^(٣) وفي اليسرى إناء للبخور مزين بعناصر نباتية .

هذا التمثال يمثل والد مؤسس المدفن واسمه مكتوب بالتدمرية على اللوح فوق الكتف الأيمن :

وأسفاه ملكو بن دينيس (بن) حنبل .

٢ - تمثال نصفي لكهل تدمري (اللوحة الأولى ٢) . الطول ٥٥ سم . العرض ٤٣ سم .
شعره مجعد بشكل حلزوني . عينه الظاهرة بمثلة بدائرة داخل دائرة . معطفه من النوع المسمى
« كلاميد Chlamide » معلق على الكتف الأيمن برصية مستديرة داخلها شكل نجمي . والمعطف
حاشية مزينة بلآلي وزخارف ملتوية . كما الثوب طويلان ينتهي كل منها بحاشية منزلة بلآلي
كبيرة . اليد اليمنى تمسك بشيء غير واضح واليسرى تمسك بمقبض سيف .
هذا التمثال يمثل مؤسس المدفن فقد كتب بالتدمرية فوق الكتف الأيسر :

(١) الواقع إتنا لا قصد الادعاء في هذه الملاحظة أو الانتقاس من نظريات السالين الاستاذين ميرغ واثولك
في هذا المجال أو انكار تنبها العلمي وأهميتها البالغة ، ولكن علم الآثار تنبها الحفريات كل يوم بشيء جديد .
والنظريات التي نوهنا بها واردة في :

H. Ingholt, Studier over Palmyrensk Skulptur, Copenhagen . 1928 .

H. Seyrig, Sur quelques sculpture palmyreniennes , Syria, Tome XVIII, 1937, Fasc. 1.

(٢) إن الأرقام التي نطليها هنا لتماثيل ليست هي أرقام الحفريات التي وضعت حسب تسلسل العثور ، بل أرقام
قائمة على علاقة النسب بين أصحاب التماثيل ثم تتبع الأهمية في التماثيل غير المعروفة الأسماء .

(٣) في اللاحة الجرسية التدمرية الموجودة في متحف الإرميتاج في لينتيراد ذكر للويت الطري الذي يرد إلى تدمر من
الهند غالباً ، والأنواع الفاخرة كانت توضع في أوان الألباتر الصغيرة الطويلة النقى وتباع في تدمر ، راجع :

J - B. Chabot , Choix d'inscriptions de Palmyre , Paris 1922, P. 27

سُم اللات بن ملكو (بن) دينيس الذي عمل هذا المدفن .

٣ - القسم العلوي من تمثال نصفي لسيدة (اللوحة الأولى ٥) . الطول ٢٤ سم . العرض ٤٦ سم . وجهها جميل بمثلي ، عينان لوزيتان كبيرتان يؤبؤ كل منها بمثل بدائرة داخل دائرة ، العباءة فوق الرأس تحتها عمرة يتقدمها اكليل « Diadème » مزين باللالى والعناصر النباتية . القرطان بشكل عنقودي غب . والشعر مسبل من الجانبين . وهذا التمثال يمثل زوجة مؤسس المدفن ، فوق الكتف الأيسر بقايا اسمها بالتدمرية :

[فرشته]^١ [بنت] يترصو (بن) عته [زبد]

٤ - تمثال نصفي لسيدة (اللوحة الأولى ٣) . الطول ٥٦ سم العرض ٤٥ سم . على رأسها عباءة تحتها عمرة وعصابة مطرزة . الشعر مرفوع فوق الاذنين ثم ينحدر على الكتفين ، القرطان عنقودا غب ، غلاتها معلقة برصية . وثوبها مزين بشرائط عريضة مطرزة . في اليد اليسرى مغزل ودرارة وفي المعصين سواران مضفوران مزينان بلآلي . ونرجح أن هذا التمثال يمثل شقيقة مؤسس المدفن . فوق الكتف الأيسر بقايا اسمها بالتدمرية .

... مل [كو] . . . [د] ينيس .

٥ - تمثال نصفي لكاهن شاب حليق (اللوحة الأولى ٤) . الطول ٥٠ سم . العرض ٤٠ سم . رأسه وجسمه مائلان قليلاً عن المحور . قلنسوته مخروطية مزينة باكليل نباتي في منتصفه صورة نصفية لكاهن . العين ممثلة بدائرة داخلها نقطة . ليرتدي معطفاً من النوع المسمى « كلاميد Chlamide » معلق على الكتف الأيمن برصية مستديرة ضمنها نجم خماسي ، والمعطف له عصابة مزينة بزهرات وحاشية مطرزة بلآلي وكذلك الثوب الذي يليه ، والكاهن قصيران . وهو متنطق بزوار عريض مزين بحبيبات وأوراق نباتية كبيرة يحمل في اليد اليمنى حنجوراً اسطوانياً للزيت وفي اليسرى إناء للبخور . ومن المحتمل أن هذا الكاهن هو حنبل ابن مؤسس المدفن^(١) .

(١) الواقع أننا أوردنا هذا الاحتمال لأسباب عديدة منها أن أسرة المؤسس تقيم كهنه فثلاً والده ملكو كان كاهناً . بينما الأسرة المشاركة كما سيظهر لا تقيم بين أفرادها كهناً ، ومن الأسباب أيضاً أن النحت في هذا التمثال النصفى متطور بما يتناسب مع الجيل الذي عاش فيه في النصف الثاني الميلادي ، هذا بالإضافة إلى بعض التشابه بينه وبين أفراد الأسرة المؤسسة .

٦ - تمثال نصفي لكهل تدمري حليق (اللوحة الثانية ١) . الطول ٥٣ سم . العرض ٤٦ سم . شعره متأوج مسبل إلى الأمام وعلى وجهه أمانر الشدة والقسوة . مقطب الحاجبين وعيناه مائلتان بدون دوائر داخلية . عضلات وجهه واضحة وعنقه قوي . ساعد اليد اليمنى ملف بالعباءة واليسرى تمسك بغصن من النبات وفي خصرها خاتم .
ويمثل هذا التمثال المشارك على المدفن واسمه مكتوب بالتدمرية فوق الكتف الأيسر :

زبدعته بن حنبل (بن) دينيس .

٧ - تمثال نصفي لرجل تدمري حليق (اللوحة الثانية ٢) . الطول ٤٩ سم . العرض ٤٣ سم . شعره متأوج مسبل إلى الأمام . العينان كل منهما ممثلة بدائرة داخل دائرة . اليد اليمنى داخل العباءة في الوضع التقليدي واليسرى تمسك مفتاحاً ^(١) ؟ .
ويمثل هذا التمثال أحد أولاد المشارك على المدفن واسمه مكتوب بالتدمرية واليونانية باللون الأحمر بفرشاة فوق الكتفين :

برحاي بن زبدعته (بن) حنبل .

٨ - تمثال نصفي لرجل تدمري حليق (اللوحة الثانية ٤) . الطول ٥٤ سم . العرض ٤٥ سم . في وضع مشابه للتمثال السابق إلا أن رأسه مائل قليلاً عن المحور وعيناه تنظران إلى الأعلى وفي خصر يده اليسرى خاتم .
يثل هذا التمثال الابن الثاني للمشارك على المدفن واسمه مكتوب بالتدمرية فوق الكتف الأيسر :

حنبل بن زبدعته بن حنبل

٩ - تمثال نصفي لشاب تدمري حليق (اللوحة الثانية ٣) . الطول ٥٦ سم . العرض ٤٦ سم . شعره متأوج مسبل إلى الأمام . اليد اليمنى داخل العباءة في الوضع التقليدي . واليسرى تحمل مفتاحاً وفي خصرها خاتم . وراء الكتف الأيمن اكليل من الغار تتوسطه حلية بيضوية .

(١) إن هذا الشكل مألوف في تماثيل الرجال التدمريين وله تعليلات شتى .

وهذا التمثال يمثل الابن الثالث للمشاركة على المدفن واسمه مكتوب باليونانية والتدمرية فوق الكتف الأيسر .

دينيس بن زبدعته (بن) حنبل .

١٠ - تمثال نصفي لفتى تدمري حليق في ريعان الصبا (اللوحة الثانية ٥) الطول ٥٥ سم العرض ٥٠ سم . شعره المتأوج مسبل إلى الأمام ووجهه مستدير بمثل صاف عليه سباه الحكمة والثقافة . عيناه كل منها بمثلة بدائرة صغيرة . أنفه أغريقي مستقيم صغير وفه صغير مكوز . اليد اليمنى مغنية داخل العباءة واليسرى ذراعها عار تمسك بطرف العباءة وفي خنصرها خاتم . وراء الكتف الأيسر مذبح عليه رق ملفوف بشريط ، وستة ألواح للكتابة ووراء ذلك يظهر غصن النخيل الذي يعلق به ستار الموت الظاهر وراء الكتف الايمن معلقاً بغصن آخر ومزين بزهرة^(١) . وهذا التمثال يمثل حفيد المشارك على المدفن وهو ابن الشخص الممثل في التمثال السابق واسمه مكتوب باليونانية والتدمرية فوق الكتف الأيمن :

وأصفاه . زبدعته بن دينيس (بن) زبدعته^(٢)

١١ - تمثال نصفي لسيدة تدمرية (اللوحة الثالثة ١) . الطول ٥٢ سم . العرض ٤٠ سم . فوق رأسها عباءة تتدلى على الكتفين تحتها حمرة مثناة وعصابة مطرزة فوقها سلسلة مرصعة بحجارة كريمة مستديرة ملونة بالأصفر . الشعر مرفوع إلى الأعلى من الجانبين . القربان كرويان ملونان بالأصفر . كل عين بمثلة بدائرة داخلها نقطة والحاجبان والجفنان ملونان بالأسود والغم ملون بالأحمر . الصدر محلى بخمسة عقود وقلايدات متعاقبة ملونة بالأصفر والقلايدة الأخيرة طويلة يتوسطها حجر كبير ملون بالأحمر . غلالها معلقة على الكتف الأيسر برصيدة كبيرة مضلعة تتدلى منها ثلاث ذوائب مضمفورة في آخر كل منها ورقة لبلاب . اليد اليمنى تمسك بالعباءة معصها محلى بسوار وفي خنصرها وبنصرها خاتمان واليسرى داخل العباءة . معصها مزين بسوار في خنصرها خاتمان وفي بنصرها خاتم والسواران والخواتم ملونة جميعها باللون الأصفر .

(١) هذا الستار الملحق بسف النخل الذي يظهر في بعض التماثيل التدمرية يرمز غالباً إلى الحد الفاصل بين عالم الأحياء وعالم الأموات وسف النخل هو رمز الانتصار ، انتصار الخلود على قوى الشر التي هي سبب الخطيئة والموت راجع عن هذا الناحية :

J. Cantineau , Inventaire des inscriptions de Palmyre, Fasc. VIII, P. 20,21 .

والمراجع التي ذكرت فيه .

(٢) في الحقيقة إن اسمه في اليونانية هو زنبويوس .

يمثل هذا التمثال خفيدة دينيس المشارك على المدفن (راجع رقم ٧) واسمها مكتوب بالتدمرية فوق الكتف الأيمن :

مزني بنت تيموصو (بن) دينيس . وأسفاه .

وكذلك باليونانية فوق الكتف الأيسر .

١٢ - تمثال نصفي لسيدة تدمرية (اللوحة الثالثة ٢) . الطول ٦٠ سم . العرض ٥٣ سم . الجسم والرأس منحرفان نحو اليمين . عباؤها تتحدر من رأسها على كتفيها وتؤلف مع يدها اليمنى خطاً منحنياً ليناً رائعاً . تحت عمرتها عصاية مطرزة . قرطاهما بشكل عنقودي غنب . كل عين ممثلة بدائرة واحدة . الفم منفرج قليلاً عن أسنان صغيرة . اليد اليسرى تحمل مغزلاً ودوارة . خنصرها مزين بخاتمين .

فوق الكتف الأيسر اسمها بالتدمرية :

أفت بنت حيران (بن) بنور ؟ وأسفاه .

وفوق الكتف الأيمن :

أم نبو زبد (بن) بريكى .

١٣ - تمثال نصفي لفتى تدمري (اللوحة الثالثة ٣) . الطول ٦٠ سم . العرض ٥٢ سم . شعره أجمع بشكل حلزوني كل عين ممثلة بدائرة . الفم منفرج قليلاً . اليد اليمنى داخل العباءة واليسرى تمسك بفصين من الثياب وفي خنصرها خاتم .

هذا التمثال يمثل ابن السيدة السابقة واسمه بالتدمرية مكتوب فوق الكتف الأيسر ومغيب المعالم .

تمثال ... بريكى ... نبو زبد

١٤ - تمثال نصفي لفتاة تدمرية (اللوحة الثالثة ٤) . الطول ٥٤ سم . العرض ٤٦ سم . على رأسها عباءة تحنها حمرة كالعقال العريض وعصاية مطرزة فوقها سلسلة مرصعة بمجاراة مستديرة . شعرها يتحدر على الكتفين . قرطاهما كل منها له ذؤابتان تنتهيان بشكلين كرويين كل عين ممثلة بدائرة داخل دائرة . عنقها على بعدين ثانيهما مزين بأشكال كأوراق الغار . غلاتها معلقة بحلية تمثل ابروس عارياً فوق غزال أو تيس بري . في معصم اليد اليمنى سوار

عريض وفي بنصرها خاتم له ذؤابة طويلة . واليد اليسرى المحلاة بسوار وخاتمين تبرز من العباءة .
حاملة مغزلاً ودّارة .

يمثل هذا التمثال ابنه الفتي السابق واسمها مكتوب بالتدمرية فوق الكتف الأيسر :

..... بنت بريكى بن نبوزبد بن نبوزبد

وهو موضح فوق الكتف الأيمن :

حنّا بنت بريكى (بن) نبوزبد . عاشت ٢٣ سنة وأسفاه .

١٥ - تمثال نصفي لرجل تدمري ملتح (اللوحة الرابعة ١) . الطول ٥٧ سم . العرض ٤٩ سم . شعره مجعد بشكل حلزوني لحيته قصيرة مجعدة وشاربه رفيع مجعد . كل عين بمثلة بدائرة ، الفم صغير منفرج قليلاً . اليد اليمنى تكتنفها العباءة واليسرى تحمل مفتاحاً . لم يبق من اسم المتوفى غير حروف لا تفيدنا شيئاً في معرفته .

١٦ - تمثال نصفي لشيخ تدمري ملتح (اللوحة الرابعة ٢) . الطول ٥٢ سم . العرض ٤٥ سم . شعره الأجدع مزين بالكليل مضمور من الغار منتصفه زهرة لحيته قصيرة مجعدة . كل عين بمثلة بدائرة ملونة بالأسود . والشيخ مائل في الوضع التقليدي التدمري ويده اليسرى مفتاح وخنصرها مزين بخاتم كبير . وراء الشيخ ستار الموت مسدل معلق بسعف النخل ومزين بزهرة . ووراء كتفه الأيمن مذبح فوهة قلنسوة الكهان ذات الكليل وصورة نصفية . اسم هذا الشيخ مكتوب بالتدمرية فوق الكتف الأيسر :

وأسفاه . معن بن وهبي^(١)

١٧ - لوح من الحجر الجيري القاسي اللوحة الرابعة ٣ . الطول ٤٨ سم . العرض ٦٤ سم . عليه تمثالان نصفيان لشيخ ملتح شعره خفيف مسبل إلى الأمام . لحيته متهدلة . كل عين بمثلة بدائرة وسطها نقطة . اليد اليسرى تمسك بطرف العباءة واليمنى مكتنفة بها . وراءه سيدة عباةتها كثيفة تحتها عمرة معقودة عصابتها مطرزة . اذناها بدون قرطين ، العينان بمثلة كل منها بدائرة

(١) لا جدال في أن هذا الاسم عربي كما أن ملامح هذا الشيخ عربية واضحة .

ملونة بالاسود . العباءة معقودة عند الكتف الايسر بدبوس كبير . اليد اليمنى بمسكة بطرف العباءة واليمنى تبعد الطرف الآخر .

١٨ - تمثال نصفني لسيدة تدمرية (اللوحة الرابعة ٤) من الحجر الجيري القامي . الطول ٦٠ سم . العرض ٥٠ سم . بتمثلة الوجه تغتر تحت العباءة بعصابتين مطرزتين . الشعر مرفوع بشكل خصل متوازية تتدلى منها على الجبين خصلات صغيرة حلزونية . العصابة السفلى مزينة بسلسلة ذات حجارة مستديرة في وسطها حلقة بشكل قوس في وسطه حجر كبير . القرطان طويلان ينتهي كل منهما بكرة . كل عين بمثابة بدائرة . الغلالة مطرزة بخطوط هندسية على الصدر والكفين ، صدرها مزين بثلاث قلائد وعباءتها معلقة برصيفة مستديرة ، اليد اليسرى التي تبعد العباءة بحلقة بسوارين وخاتمين واليد اليمنى مزينة بسوار . فوق الكتف الايمن بالتدمرية :

تمثال بوعا بنت اتعقب (بن) بنحومل . واأسفاه

١٩ - تمثال نصفني لسيدة (اللوحة الخامسة ١) . الطول ٦٠ سم . العرض ٤٦ سم . العباءة تتعذر من رأسها آخذة بكتفها وذراعها ولها حاشية موشاة بماء الذهب . وتحت العباءة عمرة مطرزة بأشكال هندسية ونباتية وملونة بماء الذهب وفوقها سلسلة مرصعة بالحجارة المستديرة وملونة بماء الذهب ، الشعر مرفوع من الجانبين إلى الاعلى تتدلى منه على الجبين خصلات حلزونية صغيرة وفوق الصدغين خصلتان صغيرتان ، القرطان طويلان ينتهي كل منهما بكرة وهما ملونتان بماء الذهب ، الوجه دقيق الملامح . حدد الحاجبان والجفنان والعينان باللون الاسود ، الاتف صغير ، أفق والفم منفرج رقيق ملون بماء الذهب ، الصدر عالى بقدر من اللؤلؤ الكبير تحت طوق مستدير ملون بماء الذهب في وسطه حلقة أجاسية منزلة بحجر ملون بالأحمر حوله إطار أخضر وتحت الطوق قلادة عريضة ملونة بماء الذهب مؤلفة من تعاقب أشكال مربعة وبيضوية ملونة بماء الذهب ومنزلة بحجارة ملونة خضراء وحمرات . العباءة معلقة برصيفة كبيرة ملونة . الغلالة تحت الثوب مزينة بشريطين عربضين ملونين بماء الذهب وهي تبرز الثديين المكوزين ، اليد اليمنى تستند بأبهامها وسبابتها إلى الوجه في وضع تأمل وتفكير وهي عارية الساعد مزينة بسوار مطلي بماء الذهب ، واليد اليسرى تضم إلى الصدر طرف العباءة الآخر وهي مزينة أيضاً بسوار بمائل وفي خنصرها خاتم (١) .

(١) هذا التمثال من حيث نحته وألوانه ووضعه هو من أنفس الآثار التدمرية .

٢٠ - تمثال نصفي لشابة تدمرية (اللوحة الخامسة ٢) . الطول ٥٧ سم . العرض ٤٧ سم .
عباءتها تتحد من رأسها وتدور بذراعيها العاريين . تحت العباءة عمرة كالعقال وتحتها مباشرة
شعرها المسرخ إلى الجانبين تتدلى منه في منتصف الجبين خصلتان صغيرتان وخصلتان عند الصدغين ،
القرطان طويلان لكل منها رأس كروي . كل عين ممثلة بدائرة داخل دائرة . العنق محلي
بعقد حباته كبيرة تحته قلادة حجارها مستديرة اليد اليمنى المحلاة بسوار تشد العباءة إلى الصدر ،
واليسرى محلاة بسوار أيضاً تمسك بطرف العباءة وفي خنصرها خاتم .

٢١ - تمثال نصفي لسيدة تدمرية (اللوحة الخامسة ٣) . الطول ٤٨ سم . العرض ٤٤ سم .
السيدة لها عباءة وعمرة وعصابة غير مطرزة شعرها مرفوع من الجانبين الأذنان بدون قرطين .
كل عين ممثلة بدائرة . اليد اليمنى تقرب العباءة من الصدر واليسرى تحمل طفلاً ممسكاً بعنقود
عنب^(١) ووراء كل من كتفها طفل .

٢٢ - تمثال نصفي لسيدة كهلة (اللوحة الخامسة ٤) . الطول ٥٢ سم . العرض ٤٤ سم .
فوق رأسها عباءة وتحتها عمرة وعصابة مطرزة يظهر من تحتها شعرها مزين بسلسلة محلاة بحجارة
مستديرة . قرطاهما لكل منها ذؤابتان كرويتان ، العينان بدون دوائر داخلية . عباؤها
معلقة برصعة متعددة الاضلاع عليها بقايا طلاء أحمر وأخضر . على صدرها عقد حباته كبيرة .
يدها اليمنى تمس خدها وهي محلاة بسوار واليد اليسرى عليها طفل جالس .
فوق الكتف الأيسر بالتدمرية :

عتام بنت عوجا (بن) شريكى . واأسفاه .

٢٣ - تمثال نصفي لسيدة (اللوحة الخامسة ٥) . الطول ٥٢ سم ، العرض ٤٤ سم ،
لها عباءة وعمرة وعصابة مطرزة وسلسلة تربد الشعر وقرطان كرويان . يؤبوا العينين ملونتان
بالأسود . على صدرها أربعة عقود وقلائد ملونة بالأزرق والأحمر وكذلك الرصعة المستديرة
التي تعلق العباءة . اليد اليمنى محلاة بسوار تمسك طرف العباءة واليسرى مستندة إلى الوجه في
وضع التأمل ومحلاة بسوارين وخاتم . وراء كتفها الابن طفل واقف يلبس زياً فارسياً يحمل
عنقود عنب وثيابه وعنقوده ملونة بالأزرق والأحمر .
فوق الكتف الأيسر للسيدة بالتدمرية .

(١) الأطفال في التماثيل التدمرية يحملون عادة عنقود عنب أو حمامة . . .

تمثال مزبو بنت بريكى بن مقينا زوجة زبدا بن عزيزو بن زبدا . وأسفاه

ووراء الطفل مكتوب بالتدمرية :

ميرلا ابنها .

٢٤ - تمثال نصفى لسيدة (اللوحة السادسة ١) الطول ٦٥ سم . العرض ٤٦ سم ، عباءتها تتدلى من الرأس على الكتفين ، لها عمرة مزينة بحلية وتحتها عصاية مطرزة فوقها سلسلة ذات حجارة مستديرة ، قرطها كرويان مزدوجان . عيناها بمثة كل منها بدائرة داخل دائرة . على صدرها عقدان وقلادة . غلالتها المطرزة معلقة برصيدة مستديرة داخلها نجم ولها ثلاث ذوائب ، وأكمامها مطرزة ، اليد اليمنى تشد العباءة إلى الصدر واليسرى تشدها إلى الكتف وفيها سواران .

٢٥ - تمثال نصفى لسيدة (اللوحة السادسة ٢) من الحجر الجيري الأصفر الطري ، الطول ٥٥ سم ، العرض ٤٧ سم . شبيهة من حيث الهيئة والوضع والالبسة بشقيقة مؤسس المدفن ، وبنفس الوضع تقريباً (راجع اللوحة الاولى) ، وهي حتماً من أفراد الاسرة المؤسسة .

٢٦ - تمثال نصفى لشاب (اللوحة السادسة ٣) . الطول ٦٤ سم . العرض ٥٠ سم . في الوضع التقليدي التدمري . شعره الكثيف مسدل إلى الامام بخصل ملتوية . كل عين بمثة بدائرة . في اليد اليسرى مفتاح . الزوايا وراء الكتفين مفرغة .

٢٧ - تمثال نصفى لشاب (اللوحة السادسة ٤) . الطول ٦٠ سم . العرض ٥٢ سم . في الوضع التقليدي التدمري . شعره اجعد طويل كثيف بشكل حلزوني ، كل عين بمثة بدائرة داخل دائرة ، في اليد اليسرى غصين من النبات .

٢٨ - تمثال نصفى لشيخ تدمري ملتحم (اللوحة السادسة ٥) الطول ٤٨ سم ، العرض ٣٩ سم . كل عين بمثة بدائرة . في اليد اليمنى إناث ، وفي اليسرى مفتاح . وراء الكتف الأيمن إكليل من الغار تحته رمز لستار الموت ، واسمه فوق الكتف الأيسر مطبوس عمداً^(١) .

٢٩ - تمثال نصفى لرجل تدمري حليق . الطول ٤٦ سم . العرض ٣٨ سم . في الوضع التقليدي . كل عين بمثة بدائرة ، اسمه مطبوس عمداً بأداة معمار مسننة .

(١) هذا الطمس المتعمد لاسم المتوفى شاهدها أيضاً في التمثال التالي . ويجعل إيننا أن في هذا الطمس نوعاً من العقاب أو الانتقام . ولكن لم يتضح لنا بعد تعليل مقنع لهذه العملية .

٣٠ - تمثال نصفي لشيخ ملتج . الطول ٥٣ سم ، العرض ٤٥ سم . في الوضع التقليدي ، شعره مسبل إلى الأمام . كل عين ممثلة بدائرة . فوق كتفه الأيسر كتابة تدمرية مكسورة ناقصة :

وأسفاه [بو] لنا بن . . .

٣١ - تمثال نصفي لسيدة . الطول ٥٧ سم . العرض ٤٨ سم . لها عباءة وعمرة وعصابة مطرزة مزينة بسلسلة . شعرها مسترسل حتى الكتفين ، لها ثلاثة عقود ، وعباءتها معلقة إلى الصدر برصاصة مؤلفة من زهرة يتدلى منها شكل شبه منحرف . العينان كل منهما ممثلة بدائرة داخل دائرة . اليد اليمنى مرفوعة إلى الكتف ومحلاة بسوار ، واليسرى محلاة بسوار وخاتمين وتمسك بكتلة من الصوف غالباً .

٣٢ - تمثال نصفي لسيدة . الطول ٤٣ سم ، العرض ٣٨ سم . في شكل ووضع مماثل للتمثال السابق مع اختلاف طفيف . تحمل مغزلاً ودراة .

٣٣ - تمثال نصفي لشاب ملتفت برأسه إلى اليسار . الطول ٦٠ سم ، العرض ٥٢ سم . في الوضع التقليدي ، الرأس مكسور إلى عدة قطع .

٣٤ - رأس تمثال نصفي لسيدة . الطول ٢٨ سم ، العرض ٢٢ سم ، لها عباءة وعمرة ملفوفة وعصابة غير مطرزة وشعرها مرفوع إلى الجانبين ولها قرط كروي كل عين ممثلة بدائرة داخلها نقطة . هذا ولقد جمعنا من أنقاض المدفن بعض قطع التماثيل المختلفة من أيد وأصابع وزوايا عليها كتابات ، ومنها أيضاً القسم السفلي من تمثال نصفي لسيدة منكثة على وسادة وهو من حجر الجيري الأصفر المستخدم في نحت أكثر تماثيل الأميرة المؤسسة . وبالنسبة جدير بالذكر أن تماثيل المدفن وألواح وسريه منحوتة كلها من الحجر الجيري القاسي إلا تماثيل مؤسس المدفن وزوجته وشقيقته والتمثال رقم ٢٥ فهي من الحجر الجيري الأصفر الطري وقد نوهنا بذلك في حينه .

الوقت

من خلال التاريخ وكتب الرحالة

م . أ . أبو الفرج العسّي



لمحة جغرافية وطبقية : تقع منطقة الرقة على شاطئ الفرات الشمالي في السهل المحصور بين الفرات ورافده نهر البليخ من منطقة الجزيرة الواسعة الغنية . وهي ذات تربة خصبة سهلة الإرواء (كانت تشرب ^(١) من البليخ) لها اقليم ^(٢) مقبول : يهب عليها نسيم النهر فيعدل من حرارتها صيفا . وتستقبل المدينة جهة الجنوب حيث شريان حياتها ومركز اهتمامها ألا وهو الفرات فتعرض لأشعة الشمس الدافئة ويكون لها شتاء لطيف .

تتمتع الرقة بموقع جغرافي ممتاز ، فهي في نقطة متوسطة من الفرات ، وموضع تقاطع ^(٣)

-
- (١) مجسم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٨٠٣ طبعة لندن .
 - (٢) يضمها الجغرافيون العرب في الاقليم الرابع بطول ٥٦٣° أو ٥٦٤° وعرض ٣٦° : (تقويم البلدان لأبي القداء ص ٥١ ، مروج الذهب للمسعودي ج ١ ص ١٩٠ ، أحسن التقاسيم للقدسي ص ٦٠) .
 - (٣) المسالك والممالك لابن خردادبة ص ٨١ - ٨٤ .
تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ١ ص ٣٢٥٩ .
مروج الذهب للمسعودي ص ٣٤٤ .

الطرق المتجهة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب؛ ولقد أهلها هذا الموقع لتكون محطة تجارية هامة . تمتد في أطرافها الاراضي الخصبة والمراعي إلى مسافات شاسعة فكانت الرقة لهذا السبب مركزاً لتجميع الحاصلات وتبادل السلع ومصدر ^(١) المؤن إلى كثير من البلاد . وإذا أضفنا إلى هذه الزايا أهمية الموقع الستراتيجي ، فإننا نستطيع أن نقدّر أهمية هذه المنطقة كمركز لتجمع البشر والثروات وموطن لتقدم الحضارة على مرّ الزمن .

لقد سكن البشر هذه المنطقة منذ العصور الحجرية القديمة ، وتراكت آثار الإنسان بعضها فوق بعض . وقد أعطانا خير مديرية الآثار العامة الأستاذ ^(٢) دونان بجمالاً لهذه الطبقات نذكره فيما يلي :

- ١ - العصر الحجري القديم (يعود إلى ما قبل ٦٠٠٠ سنة ق . م) آثاره موجودة في السهل .
- ٢ - العصر الحجري الحديث (٦٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق . م) آثاره موجودة في تل زيدان ^(٣) على الطرف الأيسر من البلخ .
- ٣ - عصر البرونز (٣٠٠٠ - ٢٠٠٠ ق . م) آثاره موجودة في تل البيعة على بعد ٢ كم من البلخ في الضفة اليمنى قرب مدينة الرشيد .
- ٤ - المدينة الهلنستية (٣٠٠٠ ق . م حتى نهاية القرن الأول ق . م) وقد بناها سلوقس ^(٤) الأول وأسمّاها نيكيفوروم Nikephorium ، وهي تحت انقاض العهدين الروماني والبيزنطي .

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٧٢ : ذكر الخليفة المنصور أهمية الرقة كمصدر للمؤن عندما اتوى بناء بغداد .
- (المصدر نفسه) ج ٣ ص ١٦٠٤ عندما اعتد الضيق على سكان الجنوب أيام المستعين سنة ٦٥١ هـ وافقهم سفن من الرقة فيها دقيق وأطواف فيها زيت وغير ذلك
(٢) للأستاذ دونان في أخابير مديرية الآثار العامة تقرير مؤرخ في ١٩ و ٢٠ كانون الأول ١٩٥٤ .
(٣) يذكر الأستاذ هرتفالد أن في هذا التل المدينة القديمة Zeodotion (L'Encyclopédie de l'Islam V. III)
(٤) ذكر الأستاذ سوفاجه في مجلة Ars Islamica XIII - XIV P. 31 أن بانيها الاسكندر الكبير لكن الأستاذ هوليفمان كاتب بحث الرقة في الموسوعة الاسلامية ح III ص ١١٨٥ يستبعد عجم الاسكندر إلى هذه النقطة .

- ٥ - المدينة الرومانية ^(١) (القرن الأول - الثالث ب . م .) وهي تقع إلى شرقي باب بغداد القائم حالياً في الرقة .
- ٦ - المدينة البزنطية (القرن الثالث - السابع ب . م .) واسمها كاليينكيوم ^(٢) ، ثم أطلق عليها ليونتوبوليس ^(٣) Leontopolis وهي تقع إلى شرقي باب بغداد .
- ٧ - مدينة الرافقة ^(٤) التي بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة ١٥٥ هـ - ٧٧٢ م
- ٨ - مدينة الرشيد ^(٥) : وهي توسع الرافقة نحو الشرق والشمال في القرنين الثاني والثالث الهجريين - الثامن والتاسع الميلاديين .

مدينة الرقة : لقد كان الهلال الحبيب ولا يزال مدى حيويًا لتوسع الاقوام السامية العربية التي تقطن الجزيرة العربية منذ العصور التاريخية السحيقة ، وكانت هذه الاقوام تقوم أحياناً بغارات واسعة مفاجئة نحو الشمال - على أثر كارثة طارئة أو قحط شامل - ، وأحياناً تنساب بهدوء وتستقر على هوامش المناطق الحبيبة ، ثم تغفل بها . ولقد كان من هذه الهجرات الواسعة الأكاديون والآشوريون ثم العوريون والكنعانيون والفينيقيون والأراميون ثم نزح العرب الأنباط الذين استقروا في الجناح الغربي من الهلال الحبيب وذلك في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد ، ثم أشرف التدمريون على بادية الشام واتخذوا لأنفسهم في قلبها تدمر عاصمة لهم ، ووصل نفوذهم إلى الفرات الأوسط مواليين الدولة الرومانية أحياناً ومتمردين عليها أحياناً أخرى

(١) لم يسم الاستاذ دوتان هذه المدينة بينما يعطيها الاستاذ كرزويل الاسم كاليينكيوم التي نسبها إلى الامبراطور غالينوس المتوفى سنة ٢٦٨ ب . م . Early Muslim Architecture III P. 39 . إن الاستاذ دوتان يرجع أن تكون المدينة بيزنطية ؛ بينما الاستاذ هونيمان (كاتب البحث في الموسوعة الاسلامية) يعتبرها هيلينية أيضاً إذ ينسبها إلى سلوقس الثاني كاليينكوس الذي أسس المدينة سنة ٢٤٤ أو ٢٤٢ ق . م . ويأتي الاستاذ هونيمان برأي آخر اعتماداً على الكاتب Libanios بنسبة المدينة إلى صوفي البتراه الوثني المسمى كاليينكوس ثم يستبعد الاستاذ هونيمان هذا الرأي . أما الرأي النهائي فهو متعلق على أعمال الحفر في المستقبل فهو الذي يحدد العصر بدقة [.

(٢) نسبها الاستاذ كرزويل في المرجع المذكور آنفاً إلى الامبراطور ليون الثاني الذي حكم الشرق في ٤٧٣ - ٤٧٤ ب . م . ويبيّن الاستاذ هونيمان السنة التي بنيت بها المدينة وهي سنة ٤٦٦ ب . م .

(٣) كان الأفضل أن يضيف الاستاذ دوتان إلى هذه الطبقة مدينة الرقة التي سبقت الرافقة مدة قرنين تقريباً ثم عاشت معها قرنين أو أكثر .

(٤) هذه التسمية حديثة ، ويمنى بها الحبير توسع الرافقة خارج السور نحو الشرق والشمال أيام الرشيد وخلفائه وهذه هي التي اسماها باقوت الحموي الرقة الوسطى : معجم البلدان ج II ص ٨٠٢ .

لقد استقر العرب العُثمانيون (وأصلهم من الين) في الجناح الشرقي للهِلال الحبيب منذ القرن الثاني بعد الميلاد وسكنوا وادي الفرات الادنى ، وصار لهم دولة تحت إشراف الساسانيين عرفت بدولة اللخيين ثم عرفت بدولة المناذرة . وقد أرادت كل من الدولة الساسانية والرومانية استغلال هاتين الدولتين المواليتين للتحرش والانتقام وأحياناً للاستيلاء على أراض جديدة . وعندما انتهى أمر التدمريين نشأت دولة الغساسنة الينيين وقد لعبوا الدور (الذي كانت تلعبه الدولة التدمرية) في ظل الدولة البيزنطية . وبقيت هذه الدولة حتى الفتح العربي الاسلامي ، لكن دولة المناذرة انتهى أجلها قبل الفتح العربي وحكم الفرس وادي الفرات حكماً مباشراً .

لقد كانت منطقة الرقة ديار مضر وهم من عرب الشمال : وقد انتقل حكم هذه المنطقة من أيدي الفرس لأيدي الروم البيزنطيين عدة مرات ، واستقرت بأيدي الروم بعد انتصارهم على الفرس أخيراً قبيل ظهور الإسلام . وقد كان أهل هذه المنطقة وأكثر مدن الجزيرة من العرب الذين قبل أكثرهم الدين المسيحي ، واستقروا في هذا السهل ، وأطلقوا على مدينتهم اسم (الرقة) وكلمة الرقة (بفتح الراء وتشديد القاف) لفة تعني : كل ^(١) أرض إلى جانب واد ينبسط الماء عليها إيام المد ثم ينضب ، أي أن التسمية كانت مطابقة للمسمى .

لقد اختلف المؤرخون في تعيين تاريخ فتح العرب المسلمين مدينة الرقة بين سنة ١٧ هـ و ١٨ هـ ، وأكثر من مال الى أن الفتح تم في سنة ١٨ هـ اعتمد على الواقدي صاحب فتوح الشام ومنهم البلاذري ومن أخذ عنه ، إلا أن الطبري ^(٢) وياقوت الحموي يؤكدان أن الفتح تم سنة ١٧ هـ وبين الطبري السبب المباشر لفتح الرقة وهو أن أهل الجزيرة المسيحيين استثاروا الروم على أهل حمص بعد أن فتحها أبو عبيدة الجراح ، فتجمع الروم لاستعادتها من المسلمين ونحرج الموقف على ابن الجراح فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب بالأمر . فكتب عمر إلى والي الكوفة سعد بن مالك ^(٣) (كذا) يقول له : « مرّح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند . وليأت .

(١) ألقاموس المحيط للفيروزدبائي ج ٣ ص ٢٣٧ .

معجم البلدان لياقوت ج II ص ٨٠٢ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ج I ص ٢٥٠٠ - ٢٥٠٦ .

ياقوت ج II ص ٨٠٢ .

(٣) هناك رواية ثانية في الطبري تقول إن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص . وهذه الرواية تنطبق مع

ما جاء في معجم البلدان ج II ص ٨٠٢ ومع جميع الكتب التاريخية .

الركة ... « د ... ومرّح عياضاً (يقصد عياض بن غم) ، فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعاً إلى عياض بن غم . وجيز عمر بن الخطاب جيشاً قاده بنفسه واتجه نحو الشام حتى وصل الجابية . وقد أراد الخليفة بهذين العليين أن يقعد أولاً عرب الشمال النصارى عن مؤازرة الروم لاستخلاص حصص ثم أتى بنفسه لنجدة أبي عبيدة . وقد نجحت الحطة .

انتهى سهيل بن عديّ إلى الرقة وقد ارفض أهل الجزيرة عن حصص إلى كورهم حين سمعوا بمقبّل أهل الكوفة فنزل عليهم ، فاقام محاصرم حتى صالحوه ، وذلك أنهم قالوا فيما بينهم : « أنتم بين أهل العراق وأهل الشام ، فما بقاءكم على حرب هؤلاء وهؤلاء » فبعثوا بذلك إلى عياض وهو في منزل واسط من الجزيرة . فرأى أن يقبل منهم فباعوه وقبل منهم . هذه هي الرواية التي يرجعها الطبري ، إلا أنه - كعادته - أورد رواية أخرى فقال : « وزعم^(١) الواقدي أن الرقة والرّثا وحران فتحت في هذه السنة (يعني سنة ٥١٨) على يدي عياض بن غم ... » .

أما البلاذري^(٢) فقد ذكر أخذاً عن الواقدي : « ... سار عياض إلى الجزيرة سنة ٥١٨ ؛ انتهت طليعة عياض إلى الرقة فأغاروا على حاضر كان حولها للعرب وعلى قوم الفلاحين ، فأصابوا مغناً ، وهرب من نجا من أولئك فدخلوا مدينة الرقة . وأقبل عياض في عسكره حتى نزل باب الرّثا (وهو أحد أبوابها) في تعبته . فرمى المسلمون ساعة حتى جرح بعضهم ، ثم إنه تأخر عنهم لثلاث تبليغ حجارتهم وسهامهم . وركب فطاف حول المدينة ، ووضع على أبوابها روابط ، ثم رجع إلى عسكره ، وبث السرايا فجعلوا يأتون بالأسرى من القرى وبالأطعمة الكثيرة . وكانت الزروع مستحصدة . فلما مضت خمسة أيام أو ستة وهم على ذلك أرسل بطريق المدينة إلى عياض يطلب الأمان . فصالحه عياض على أن أمّن جميع أهلها على أنفسهم وذرائعهم وأموالهم ومدينتهم . وقال عياض : الأرض لنا قد وطئناها ، وأحرزناها ، فأقرتها في أيديهم على الحراج ودفع منها ما لم يردّه أهل الذمة ؛ فرفضوه إلى المسلمين على العشر ووضع الجزيرة على رقابهم : فالزم (عياض) كل رجل منهم ديناراً في كل سنة ، وأخرج النساء والصبيان ، ووظّف عليهم مع الدينار أقمرة من قمح وشيئاً من زيت وخل وعسل .

(١) الطبري ج I ص ٢٥٧٨ .

(٢) فتوح البلدان - البلاذري ص ١٧٧ - ١٧٨ المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠ هـ = ١٩٣٢ م .

(فلما ولي معاوية جعل ذلك جزية عليهم) . ثم إنهم فتحوا أبواب المدينة وأقاموا للمسلمين سوقاً على باب الرها .

فكتب لهم عياض عهداً : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عياض بن غنم أهل الرقة يوم دخلها : أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم لا تخرب ولا تسكن ، إذا أعطوا الجزية التي عليهم ، ولم يحدثوا مَغيلة ، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة ولا بيعة ، ولا يظهروا ناقوساً ولا باعوثاً^(١) ولا صليباً . شهد الله - وكفى بالله شهيداً - وختم عياض بخاتمه » . ونستنتج من هذه النصوص أن الرقة العربية القديمة كانت ذات سور وأبواب ، وكانت ذات غلات متنوعة حسنة ، وكان لها سوق هامة ؛ وكان أهلها مسيحيين . ولم يؤذها العرب . عندما فتحوها بل أبقوا أراضيها في أيدي أهلها ورتبوا عليهم فقط تكاليف الأمن والسلام . استمرت الرقة في ظل الحكم الإسلامي تتمتع بحرية الاعتقاد ، وتستفيد من موقعها الجغرافي ومن ثروتها الزراعية ومن أهميتها التجارية كسوق بين الجزيرة والشام . وقد دخل إليها الإصلاح^(٢) العبراني سنة ٢٠ هـ في عهد واليها الثاني وهو سعيد بن عامر بن^(٣) حذيم فبنى بها جامعاً من الآجر واستعمل في بنائه أنقاض الرخام^(٤) القديم : ولا زالت آثار مأذنة المنيطر في خرائب الرقة القديمة شاهداً على المدينة المندثرة الواقعة شرقي الرافقة (ضاعت معالمها الظاهرة منذ عشرين عاماً) والتي نرجح أن تكون الرقة البيضاء المذكورة في الكتب التاريخية والجغرافية القديمة . ويعين المقدسي^(٥) جامعها في محلة البزّازين ويقول إنه كان فيه شجرة عَنَاب وشجرة توت ، وبالقرب مسجد معلق على عمود . لقد انفرد المقدسي بذكر هذا المسجد المعلق ويبدو أنه هو دير العواميد الذي

(١) الباعوث : هو صلاة قالي يوم من عيد الفصح ، والصلاة في طلب المطر وهي كلمة سريانية الأصل (المنجد) . ويقصد بهذه الكلمة في النص الاحتفال الديني الجبهي .

(٢) البلاذري ص ١٨٢ .

(٣) حذيم ذكرها الاستاذ هونيغان خطأً حذيم (بالجيم) .

(٤) لدينا ما يؤيد هذا الخبر فقد حصلنا في المتحف الوطني على تيجان أعمدة نظن أنها من العهد البزنطي . لكن أحدهما لا نشك أنه بزنطي وقد كان على وجبه صليب ، تحت البناء الذي استعمله الدوّابة العليا من الصليب ، ففدا وكأنه وردة تريزية . [اللوح ٩]

(٥) أحسن التقاسيم للمقدسي ص ١٤١ .

ذكره الأستاذ هونيغان نقلاً عن^(١) ميكايل السوري وذكر أنه احترق سنة ١٩٧ هـ أثناء ثورة عمرو ونصر بن شبت أيام الأمون .

لقد ورد ذكر الرقة في السنة ٣٦ هـ^(٢) عندما أراد علي بن أبي طالب أن يمتاز الفرات من الجزيرة إلى ضفاف الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان ، انتهى إلى الرقة ومرّ منها جيشه على جسر نصب على السفن بعد تمتع من أهل الرقة . وورد ذكرها في مناسبات شتى في كتب التاريخ والأدب في العصر الأموي ، وقد كانت دائماً مشهورة كمحطة هامة وسوق غنية تتوّج منها الجيوش : ففي سنة مئة^(٣) هجرية في عهد عمر بن عبد العزيز ، تمّون جيش مسلمة بن عبد الملك من الرقة لمحاربة الخوارج الحورية في العراق . وفي عهد هشام بن عبد الملك كانت له محطة يستريح بها أثناء سفره إلى الرصافة وقد بنى مقابله على الضفة الغربية قصرين نشأت حولهما واسط^(٤) الرقة وكانت تزوي من^(٥) قناتين اسمها المنى والمري حفرهما هشام وهما تسقيان من الفرات ثم تصبان فيه . ويذكر الأستاذ^(٦) هونيغان في الموسوعة أن هشاماً بنى جسراً على الفرات عند واسط الرقة . ومن الغرب حقاً ألاّ يرد ذكر جسر الرقة في المراجع العربية لا من عهد هشام ولا من عهود سواه ، ويبدو أن الأستاذ المذكور اعتمد على ميكايل السوري أو ديونيسوس تل محرى . يبدو أن جسراً على الفرات كان موجوداً شمالي الرقة على بعد نحو ثمانية كيلومترات حيث تظهر في مجرى نهر الفرات ركيزة ضخمة مرصعة ، يظن أنها كانت إحدى ركائز الجسر القديم .

وهنا يجب أن نعلم قبل أن تنتقل إلى العصر العباسي : أكانت الرقة في العصر الأموي بلدة واحدة

(١) Michael, Syr. III, 26

(٢) الطبري ج I ص ٣٢٥٩ : للسعودي ج VII ص ٣٤٤ .

(٣) الطبري ج II ص ١٣٤٨ .

(٤) البلاذري ص ١٤٥ .

(٥) ياقوت ج IV ص ٩٩٤ .

(٦) الموسوعة III ١١٨٦ .

أم كانت عدة بلدان متقاربة : يذكر ياقوت^(١) - بعد الكلام عن درجة طول الرقة وعرضها اعتماداً على بطليموس - الرقة البيضاء (وهي الرقة القديمة تقع شرقي الرافقة على بعد ٢ كم تقريباً) والرقة الوسطى (وهي توسع الرافقة في عهد الرشيد) ثم يذكر رقة واسط (كذا) التي اسمها البلاذري كما شرحنا سابقاً واسط الرقة ويعين مكانها في الضفة المقابلة ، ثم يقول : « وأسفل من الرقة بفرسخ الرقة السوداء وهي قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة وشربها من البليخ ، والجميع متصل . » فإذا استثنينا الرقة الوسطى التي هي من العهد العباسي كان لنا أن نفهم من بيت الشاعر الأموي عبيد الله بن قيس الرقيات المتوفى سنة ٨٥ هـ^(٢) الذي ذكره في قصيدة وجهها إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو :

... ذكرتك إن فاض الفرات بأرضنا وجاش بأعلى الرقتين بحارها ...

نقول : كان لنا أن نفهم أن في الضفة الشرقية رقتين منذ العهد الأموي ويجوز أن تكون الرقة السوداء إحداها أو أن يكون هناك بلدة أخرى إذا رجعنا أن تكون السوداء هي المحترقة كما سيأتي بيانه .

الرافقة :

تنبه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إلى أهمية موقع الرقة من الناحيتين العسكرية والاقتصادية فمن الناحية العسكرية كانت قريبة من التخوم الشمالية حيث يحتم الخطر البزنطي يتربص بالعرب المسلمين . وكان موقعها في الضفة الشرقية وإمكان نصب جسر منها إلى الضفة الغربية يجعل منها مركزاً حصيناً صالحاً للدفاع والهجوم بأن واحد . وأما من الناحية الاقتصادية فلا ريب أن الرقة في العهد العباسي قد تقدمت تقدماً محسوساً من الناحية الزراعية والناحية التجارية بسبب انتقال مركز ثقل الدولة إلى العراق وأصبحت الرقة هي النافذة التي تطل منها خيرات الجزيرة وبلاد الشام على أسواق العراق ، تتجمع الحاصلات المتنوعة فيها وتنساب إلى العراق عن طريقي النهر والبر . ولم تخف هذه الأهمية على الخليفة المنصور حينما أراد أن ينتقي مكان بغداد عاصمة جديدة لدولته فقد قال^(٣) : « هذا موضع معسكر صالح : هذه دجلة ليس بيننا وبين

(١) ياقوت ح II ص ٨٠٢ - ٨٠٣ .

(٢) الأعلام للزركلي .

(٣) الطبري ح III ص ٢٧٢ .

الصين شيء ، يأتينا فيها كل ما في البحر ؛ وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية وما حول ذلك . وهذا الفرات يجيء فيه كل شيء من الشام والركة وما حول ذلك .

عمر المنصور بغداد مدينة السلام ولم يقصر هم على بناء عاصمته فحسب ، بل أراد أن يشل العيران جميع النقط الحساسة فكانت الركة أحد هذه المواضع الهامة وصمم في سنة ١٥٤ هـ على بناء مدينة الرافقة في جوار مدينة الركة القديمة ونفذ تصميمه بيناها سنة ١٥٥ هـ^(١) وأرسل لهذه الغاية ابنه المهدي^(٢) فشنخ إليها فبناها على بناء مدينته ببغداد في أبوابها وفصولها ورحابها وشوارعها ، وخذلها ثم انصرف إلى مدينته .

وقبل أن نبدا بوصف الرافقة نجب أن نذكر السبب الذي اوردته بعض المؤرخين كابن الفقيه^(٣) معالين به إنشاء هذه المدينة وهو أن الجيش الحراساني أصبح خطراً على أبي جعفر المنصور في بغداد لأن الحراسانيين ميالون إلى الاسرة العلوية . وفي الواقع فإن المنصور بعد بناء المدينة أقر فيها الجيش^(٤) الحراساني .

لقد بنيت المدينة الجديدة على بعد ٣٠٠^(٥) ذراع شمالي غربي^(٦) الركة القديمة ، وكان حدتها المستقيم الجنوبي ملامساً للفرات واليوم أصبح على بعد^(٧) الكم تقريباً . لقد كان قصد أبي جعفر أن يبني المدينة على شكل مدينة بغداد أي أن يكون سورها مستديراً لكن طبيعة الموقع

(١) البلاذري ص ١٨٤ .

(٢) الطبري ج III ص ٢٧٣ .

الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٢ .

ياقوت ج II ص ٧٣٤ .

البدء والتاريخ للقدس ج ٦ ص ٩١ .

(٣) ابن الفقيه طبعة بريل تحقيق دوغويه ج ٧ ص ١٣٢ .

(٤) ياقوت الحموي ج II ص ٧٣٤ ؛ البلاذري ص ١٨٤ طبعة الأزهر ١٩٣٢ .

(٥) » » » » »

(٦) حسب ما ذكره هرتولد في تعيين موقع الركة القديمة بالنسبة إلى الرافقة (الموسوعة الاسلامية ج III

ص ١١٨٧) .

(٧) كرزويل ج II ص ٣٩ (بسبب تراكم الطمي وتغيير الفرات مجراه ضمن واديه الضيف التربة) .

فرضت على البنائين ^(١) أن يجعلوا السور على شكل نعل الفرس ، ولكن ضلعه الشرقي أطول من ضلعه الغربي . ولما كان الموضع سهلاً ليس فيه وقاء طبيعي فقد جعل لها سور مضاعف كبغداد أي سوراً داخلي وسور خارجي ، بينهما فصيل ^(٢) وحول السور الخارجي حفر خندق . يقول شمس الدين ^(٣) المقدسي : « ... بحصن عريض يسير على متنه فارسان .. » لقد قدر العالم الاثري هرتفيلد عرض كل من السورين والفصيل والخندق بالخطوات ولقد ذكرها الاستاذ كرزويل في كتابه نقلاً عنه ، إلا أنه استطاع أن يحصل على المقاييس ^(٤) الصحيحة بعد أن اتصل بالسيد سيرينغ مدير مصلحة الآثار الافرنسي في سوريا في سنة ١٩٣٣ بعد زيارته الثانية للرقعة ، فكلف المدير المهندس السيد نودي Naudy الذي قام بعملية سبر وأعطى النتائج ^(٥) التالية : سمك السور الرئيسي ٥٨ م ، عرض الفصيل ٢٠،٨٠ م ، سمك السور الخارجي ٤٥ م ، أما الخندق فإنه عرضه في الأعلى ١٥،٩٠ م وفي الاسفل ٩،٥٠ م . وقد تبين من سبر أسفل السور أن الاساس من الحجر الكلسي (ويظن الاستاذ كرزويل من حجر الجص الطبيعي الموجود في المنطقة بوفرة) ، وتقدر أبعاد الحجر الواحد بـ ٨٥ سم طولاً و ٥٥ عرضاً و ٦٥ سم ارتفاعاً لم يستطع السيد نودي Naudy أن يتأكد من أن هذا الاساس الحجري موجود تحت السور كله أو أنه فقط يحمي واجهة الاساس ، إلا أنه يرجح الفرض الثاني (أي أنه موجود في الطرف الخارجي فقط) . ويقول إن الاساس الحجري متركز على الأرض الحرة وهو مرتبط . معها بمؤونة شبيهة بالأسمنت . جعل للمدينة بابان ^(٦) أحدهما في الزاوية الجنوبية الشرقية والآخر في الزاوية الجنوبية الغربية

(١) كرزويل ج II ص ٣٩ نقلاً عن ديونيسوس تلل عمرى يقول : جلب المنصور البنائين من جميع بلاد الرافدين .

(٢) ياقوت ج II ص ٧٣٤ يستعمل ياقوت هذه الكلمة بمعنى فاصل مع أن معناها القوي حائط تصير دون الحصن (القاموس المحيط للفيروزبادي) .

(٣) أحسن التقاسيم للقدس ص ١٤١ طبعة بريل - ليدن ١٩٠٦ .

(٤) التقارير وتقارير المهندس السيد نودي موجودة في أضاير مديرية الآثار العامة .

(٥) كرزويل ج II ص ٤٠ - ٤١ .

(٦) أ - يذكر ابن حوقل في كتاب المسالك والممالك (طبعة الأكاديمية الايطالية سنة ١٨٢٢) ص ١٢ عندما يصف مدينة المهدية في تونس يقول : « ولها بابان ليس لها نيا رأيت من الأرض شبه ولا نظير غير البابين اللذين على سور الرافقة وعلى مثالها عملاً ... »

ب - أحسن التقاسيم للقدس ص ١٤١ .

ولا يزال الباب الشرقي ماثلاً ويسمى (باب بغداد ^(١)) ، أما الباب الغربي فقد تهدم وقد ذكر ياقوت ^(٢) اسم (باب الجنان) ، لعل هذا الاسم للباب الغربي ، وكلاهما بني من الآجر ، وجعل إلى جانب كل منهما برج مستدير نصف قطره (٧٨٠ م) تقريباً ، لا يزال البرج الشرقي موجوداً بارتفاع ٨-٧ م ، أما البرج الغربي فقد رآه الأستاذ هرتفولد عندما زار الرقة سنة ١٩٠٨ ولم يعد له وجود الآن . يقدر الأستاذ كرزويل أبعاد الرافقة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب بنحو ١٥٠٠ م ويعطي الأستاذ هرتفولد ^(٣) مساحة لها (١٥٩٢ سم ^٢) .

أما داخل السور فإن الأنقاض فيها متراكمة وتشكل تلالاً صغيرة وأرضاً متبوجة . ولم يبق من آثار الأبنية القديمة إلا واجهة الجامع والمأذنة وآثار قصر ^(٤) لا يوجد فيه كتابات تدل عليه . وقد ورد ذكر الجامع في الكتب القديمة : ذكره المقدسي ^(٥) وقال عنه : « ... إنه جامع عجيب ... » وفي موضع آخر عين مكانه في سوق الصاغة . وذكر الاصطخري ^(٦) الجامع فقال : « ... وفي كل واحدة منها (يعني الرقة والرافقة) مسجد جامع » . وقد ذكرنا سابقاً المسجد الذي بناه سعيد بن عامر الوالي الثاني للرقة سنة ٢٠ هـ .

يفهم من كلام ياقوت أن الرقة وجميع الضواحي المحيطة تشرب من نهر البليخ بواسطة قنوات ، لكن الأستاذ ^(٧) هونيغان يقول - اعتماداً على ميكائيل السوري - : « إن قناتين منفصلتين من منطقة مَروج تروي الرافقة من الفرات . » ونقول ربما كانت القنوات تستمد مياهها من البليخ ومن الفرات معاً ، خاصة وأن أكثر الجغرافيين العرب يتحدثون عن وفرة مياهها وكثرة أشجارها .

وفي الفضاء الكائن بين الرقة والرافقة نشأت المزارع وأنشئ فيه السوق ^(٨) الجديد في عهد

(١) لم ترد هذه التسمية في كتب الأقدمين الذين اعتمدوا على أخبارهم .

(٢) ياقوت ح I ص ٤٤٣ : ج II ص ١٢٥ .

(٣) الموسوعة الإسلامية III ١١٨٧ .

(٤) أحسن التقاسيم ص ١٤١ .

(٥) كتاب الاقاليم (طبعة Gotha سنة ١٨٣٩) ص ٤٢ .

(٦) الموسوعة الإسلامية III ١١٨٧ اعتماداً على : Michael, Syr. III, 10 .

(٧) البلاذري ص ١٨٤ : ياقوت II ٧٣٤ .

والي الجزيرة علي بن سليمان بن علي في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، ونقل سوق الرقة الأعظم المعروف بسوق هشام العتيق اليه .

أما الرض خارج الرافقة ، فقد اختلف القدماء على مدلوله : إن ^(١) ياقوت يقول عن الرافقة : « ... ولها رض بينها وبين الرقة وبه أسواقها ... » وبعد هذا القول يتكلم عن إنشاء السوق الجديد في الفضاء - كما ذكرنا في الفقرة السابقة - أي إن الاسواق الموجودة في الرض غير السوق الجديد . ويقول المقدسي ^(٢) : « ... والرافقة هي رض الرقة ... » ويقول أبو الفداء ^(٣) نقلاً عن المشترك : « ... الرقة مدينة على الفرات ، وكانت يقال لريضها الرافقة ... » إذا راجعنا معنى كلمة رض وجدنا أنها (مأوى الغنم والأرض التي تجاوره) وبوسع المنجد المعنى باطلاقة على الضاحية أو المنشآت الإضافية الموجودة قريباً من السور . نمل أن يكون الرض الموجود بين الرقة والرافقة كان بالأصل مأوى الغنم ويجواره سوق الغنم ثم اتسع بطبيعة الأمر ، لكن لم ينشأ فيه السوق الجديد حسب ما فهم الاستاذ هونيغان من البلاذري وياقوت مع أن كليهما قالا إن إنشاء السوق الجديد كان في الفضاء الواقع بين المدينتين أما قول المقدسي وأبي الفداء عن الرض فهو بمعنى الضاحية ، ومن الطبيعي أن الرافقة بعد اتساع المدينة الوسطى أصبحت كضاحية لها .

توسّع الرافقة واتصال الوقتين والضواحي :

إن إنشاء الرافقة قريباً من الرقة أثر على أهميتها وحيوتها حتى أن أهل الرقة لم يهتم هذا الأمر عندما علموا أن المنصور قد صمم على بنائها فقد اعترضوا ^(٤) عليه وقالوا : « تعطل علينا أسواقنا وتذهب بمعاشنا وتضيّق منازلنا ... » حتى هم المنصور بجاربهم لو أنهم تشبثوا برأيهم . لقد عمرت الرافقة واستصلحت الأراضي حولها فأصبحت حدائق ^(٥) وبساتين ترم منها جداول.

(١) ياقوت II ٧٣٤ .

(٢) أحسن التقاسيم ص ١٤١ .

(٣) تقويم البلدان ص ٢٨٦ .

(٤) الطبري ج III ص ٣٧٢ سنة ١٥٤ هـ .

(٥) الاصلطخري ص ٤٢ .

المياه فترويا وأصبحت جنة تستثير وجدان الشعراء^(١) وتحرك خيال الأدباء ، وبدأت الرقعة تمور بالحياة حتى ضاقت أسوارها عن استيعاب مفشاتها ، فبدأ الخليفة الرشيد فعمر قصرًا خارج السور أسماء قصر^(٢) السلام وأخذ الأمراء والوزراء والكبراء يبنون قصورهم شرقي المدينة وشمالها حتى اتصلت الرقعة بالرقعة والضواحي المجاورة . فوشت الرقعة كل مظاهر الحياة من الرقعة حتى اسمها ولم يعد اسم الرقعة مستعملًا في القرن الرابع الهجري وما بعده إلا أن تعتبر الرقعة ملحقة للمدينة التي امتدت خارج السور على نحو ما ذكر المقدسي .

يعتبر العصر الذهبي للرقعة ما بين الربع الأخير من القرن الثاني الهجري حتى أواسط القرن الثالث الهجري وفي هذه الفترة أصبحت تستهوي قلوب الأمراء والوزراء فكانوا يمتلكون الأراضي ويبنون القصور ويعيشون فيها عيش الرفاء والبذخ ويتنعون بالمسرات والذائذ . يذكر المسعودي^(٣) خبر السباق في عهد الرشيد وما ينشأ عنه من السلى ، وخبر الولاية التي أولها الأمير العباسي إبراهيم بن المهدي في قصره للرشيد وكيف تبين للرشيد أن صحناً قدّم على المائدة كان مليئاً بالسنة السمك فقط . يذكر الطبري^(٤) كيف اتخذ الرشيد الرقعة وطناً له ، ويذكر أيضاً بعد أن قتل^(٥) البرامكة وحبس بعضهم كيف وجه من ليته رجاء الخادم إلى الرقعة في قبض أموالهم وما كان لهم ، وأخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشهم ... ويذكر أيضاً بعد أن انتهى الرشيد من محاربة الروم في آسيا الصغرى كيف ولي حميد بن معيوف سواحل^(٦) بحر الشام إلى مصر . فبلغ حميد قبرس (كذا) فهدم وحرق وسبى من أهلها ستة عشر ألفاً فأقدمهم الرقعة ، فتولى بيعهم أبو البخري القاضي فبلغ أسقف قبرس ألفي دينار . ويذكر الطبري^(٧) أيضاً كيف وجهه الواثق إلى بغداد والرقعة في شري من يباع من

(١) الشاعر ربيعة الرقي يصف الرقعة بآيات ذكرها (ياقوت ج II ص ٨٠٠) وكذلك الصنوبري له

آيات جميلة فيها (ياقوت ج IV ص ٩٩٤) .

(٢) ياقوت ج IV ص ١١٢ والبلاذوي يقول من ١٨٤ ٠٠٠ ثم إن الرشيد بنى قصورها ..

(٣) المسعودي ج VI ص ٣٤٨ و ٣٤٩ طبعة باريس ١٨٧٧ (ذكر الخبر الاستاذ فيليب حتي في كتابه تاريخ العرب ج ٢ ص ٤٠٢) .

(٤) الطبري ج III ص ٦٤٥ سنة ١٨٠ هـ .

(٥) » » » ٦٧٩ سنة ١٨٧ هـ .

(٦) الطبري ج III ص ٧٠٩ سنة ١٩٠ هـ .

(٧) الطبري ج III ص ١٣٥٣ .

الريق من بمالك ... كل هذا يدلنا على مدى اتساع الرقة وغنى أسواقها وخاصة أسواق الرقيق ؛ وانا لندهش حقاً من أن تستوعب هذه الأسواق ستة عشر ألفاً من الرقيق يأتون دفعة واحدة فيباعون فيها . ومن هنا نستطيع أن نقدر أهمية هذه المدينة في ذلك العصر .

لم تكن الرقة الكبرى سوقاً هامة فعسب بل يصفها المقدسي ^(١) وصفاً جامعاً فيقول : « ... غير أنها طيبة تَزْهَة ، قديمة الخُطَة ، حسنة الاسواق ، كثيرة القرى والبساتين والخيرات ومعدن الصابون الجيد والزيتون ، ولها جامع عجيب وحمامات طيبة ، قد ظلت أسواقها ، وبرقت ^(٢) (كذا) قصورها ، وانتشر في الإقليمين ذكرها ، فالشام على نخبها ، والفرات إلى جنبها ، والعلم كثير بها . الا أن الأعراب بها محيطة ، والطرق إليها صعبة . » ويذكر المقدسي ^(٣) في مكان آخر شهرة الرقة بتصدير الصابون والزيت والأفلام . ويصفها بإقوت : « ... مدينة كبيرة كثيرة الخير ... » نستنتج من هذه الأوصاف أنها مدينة عامرة تَزْهَة مستطابة العيش فيها هو وفيها حركة تجارية وصناعية وفيها علم . يذكر الاستاذ فيليب ^(٤) حتي أنه ظهر في الرقة بين سنتي ٨٧٧ م = ٨٢٦٤ م و ٩١٨ م = ٣٠٦ هـ أبو عبد الله محمد بن جابر البتاني وأصله من صابئة حرّان وهو أعظم فلكي في قومه . أجرى أرصاده ودراساته في الرقة . لقد أصلح كثيراً بما خلقه بطليموس من الآثار العلمية ، وضبط حساب الافلاك التي يدور فيها القمر وبعض النجوم السيارة . وإذا أردنا أن نستقصي هذه الناحية فإن المجال واسع جداً وحسبنا أن نراجع المخطوط (تاريخ الرقة ومن تزلها من أصحاب رسول الله ﷺ) المودوع في المكتبة الظاهرية في دمشق لتعلم عدد المحدثين وعلماء الدين الذين ظهروا في الرقة أو أقاموا فيها .

في هذه الفترة التي نعتها العصر الذهبي للرقة جرى ثلاثة حوادث مؤسفة في الرقة ، أولها ثورة عمرو ونصر بن شيب على المأمون سنة ١٩٧ هـ = ٨١٢ م احترق ^(٥) من جرائها الربض ودير العواميد الذي يظن أنه المسجد المعلق على عمود الذي ذكره المقدسي . ويبدو أن الرقة السوداء

(١) احسن التقاسيم من ١٤١ .

(٢) لم نجد في المعاجم الكبيرة كلمة (ريق) ونعتقد أن الكلمة في الأصل (برقت) بمعنى تزينت .

(٣) احسن التقاسيم من ١٤٥ .

(٤) تاليف العرب لفيليب حتي ج ٢ من ٤٥٩ نقلاً عن فهرست لابن النديم من ٢٧٩ .

(٥) الموسوعة الاسلامية نقلاً عن Michael, Syr. III, 26 .

والرقعة المحترقة وهذا الرض المحترق كلها واحد . والحادث الثاني جرى أيضاً في عهد المأمون لقد نزل عرب الشام في الرقعة منذ سنة ١٩٦ هـ^(١) واجتمع الأبناء وأهل خراسان بالرقعة وصارت تحدث بين الفريقين (أي الفرس وعرب الشام) مشاكل وحروب أثرت على هدوء الرقعة واستقرارها . حتى اضطر المأمون في سنة ٢٠١ هـ = ٨١٦ م أن يأمر قائده طاهر بن الحسين لبني^(٢) جداراً بين الرقعة والرافقة لئلا يقتل الفريقان . أما الحادث^(٣) الثالث فقد زلزلت الأرض سنة ٢٤٥ هـ وتأثرت بالس والرقعة وحران ورأس عين وحمص ودمشق والرها وطرطوس والمصيصة وأدنة وسواحل الشام ورجفت اللاذقية ، فما بقي منها منزل ولا أفك من أهلها إلا البير ، وذهبت جبله بأهلها . . .

وهنا لا بد لنا من أن نذكر قيمة الرقعة الحربية : هي في موضع قريب من التخوم الشمالية إلا أنها ليست معرضة للهجوم المفاجيء ، لذا كانت مركز تجميع الجيوش وخاصة الصائفة^(٤) لذا كان يقيم بها الرشيد للإشراف على تنظيم هذه الجيوش وسنظل الرقعة ذات أهمية حربية في العهود التالية لتجميع الجيوش من جهة ولتموينها من جهة أخرى . لذا لا نستغرب أن تكون قصورها التي بنيت خارج السور محاطة بأسوار ذات أبراج . [جميع القصور المكتشفة في الرقعة محصنة بأسوار ذات أبراج] بلغت الرقعة في هذه الفترة الأوج في الاتساع فقد ملأت السهل المحصور بين الفرات ومصب البليخ وهي التي يسميها ياقوت^(٥) الرقعة الوسطى التي وصلت ما بين الضواحي وإن نظرة إلى المصور^(٦) ، الملتقط من الجو لمنطقة الرقعة بدلنا على مدى اتساع المدينة القديمة التي ما زالت كامنة تحت التراب . إن السيد نسيب صليبي المساعد الفني الممتاز في مديرية الآثار العامة الذي يتولى أعمال الحفر والتنقيب في المنطقة منذ عام ١٩٥٠ يقدر مساحة الرقعة بـ ٥٠ كم^(٧) وهو تقدير قريب من الحقيقة .

(١) الطبري III ١٤٤ ويسمى عرب الشام (الزواجيل)

(٢) الموسوعة الإسلامية قلاً عن Michael, Syr. III, 26 .

(٣) الطبري ج III ص ١٤٤٠ .

(٤) الطبري ج III ص ٧٠٩ ؛ حتى ج ٢ ص ٣٧٣ .

(٥) ياقوت II ٨٠٢ ؛ الاصطخري ص ٤٢ يقول « والمدينتان متلاصقتان » .

(٦) في مجلة Ars Islamica XIII - XIV ص ٣١ بحث للاستاذ سوطاجه نشر فيه مصوراً جويّاً وقد نشرت

مجلة الحوليات الأثرية هذا المصور في المجلد I - ١ ص ١١١ عام ١٩٥١ .

(٧) انظر مقاله في الحوليات الأثرية ج VI ص ٢٥ عام ١٩٥٦ .

وقبل أن تنتقل إلى موضوع آخر نحب أن نستأنس بما ذكره المقدسي عن أهمية الرقة كمرکز إداري يتبعه مدن وقرى يقول ^(١) : « وأما ديار مضر فقصبها الرقة ومن مدنها المحترقة ، الرافقة خانوقة ، الحريش ، تل محرى ، باجروان ، حصن مسلمة ، ترعوز ، حران ، الرها ، والناحية سروج ، كفر زاب ، كفر سيرين » .

الرقة من أواخر القرون الثالث حتى السابع الهجريين :

لقد أخذت الرقة تفقد منزلتها منذ بنيت مدينة (سر من رأى = سامرا) وقد أخذ الخلفاء يعنون ببناء القصور فيها وأقاموا بها . لقد اختل نظام الأمن في البلاد وضعت سلطة الخليفة وكثرت الحروب بين الطامعين وانفصلت الدويلات واحدة بعد أخرى واستبد الترك أولاً بأمور الدولة وعانى من غلظتهم الشعب كثيراً ثم انتقلت السلطة الفعلية إلى البويهيين فلم يكونوا أفضل من الأتراك ثم انتقلت مرة أخرى إلى أيدي السلاجقة ، وكان هؤلاء أفضل من سبقهم إلا أن الحروب المتصلة أضعفت الكيان العربي الاسلامي . ثم جاء الصليبيون فأحدثوا اضطراباً عظيماً في الشرق العربي وتلامم التتر الذين جروا الحراب على أكثر المدن ومنها الرقة . لقد خربت الرقة القديمة منذ القرن الرابع الهجري ولكن بقيت الرقة الحديثة وأمس الرافقة ضاحية لها كما يذكر المقدسي . دخلت الرقة تحت نفوذ الطولونيين ^(٢) وكان لؤلؤ صاحب ابن طولون مقبلاً في الرقة في جيش عظيم من الفراغة والأتراك والروم والبربر والسودان وغيرهم . ولقد سكن المعتضد ^(٣) الرقة بعد عودته من الشام سنة ٥٢٨٦ هـ . وكذلك كان المكتفي ^(٤) متخذاً الرقة له مقاماً ثم نزل الخليفة المتقي ^(٥) في الرقة وأقام بها ردهاً عندما اختلف مع توزون وكاتب الاخشيد محمد بن طغج صاحب مصر ، فسار إلى الرقة وحمل إليه مالاً كثيراً وأهدى

(١) أحسن التقاسيم ١٣٧ يفصل في موضع آخر فيذكر جميع النواحي والقرى التابعة من ٥٤ . والبلاد عند المقدسي على درجات : فأكبرها شأناً وركزاً وسلطاناً يدعوها مصرأ ثم يليها القصبه ، فالمدينة ، فالقرية ، ويسمي القرية أحياناً ناحية .

(٢) الطبري ج III ٢٠٨٠ .

(٣) » » » ٢٢٠٠ .

(٤) » » » ٢٢٣٦ - ٢٢٤٤ .

(٥) المسعودي (مروج) ج ٨ من ٣٤٨ .

إليه غلماناً وأثناً وضم إليه قائداً من قواده وجمل أمره وزاد في حاله وبر جميع من معه .
وبعني هذا أن الرقعة كانت تابعة لحكومة مصر في عهد الاخشبيين . ثم حكمها السلاجقة
فالأتابكة فالأيوبيون .

لقد كانت الرقعة بمنجاة عن الحروب التي اشتعلت بين المسلمين والصليبيين لأنها واقعة في الضفة
الشرقية للفرات . ولقد تحسن حال الرقعة من جديد في القرن السادس لأنها أصبحت مركز تموين
للجيوش النازية والمدافعة . يحدثنا ابن الأثير^(١) كيف كانت الرقعة تلعب دوراً تموينياً عسكرياً
في عهد الأتابك عماد الدين^(٢) زنكي فبعد أن غلظك حمص سنة ٥٣٢ هـ وبض أعمال دمشق
عاد إلى السلمية ومنها إلى الفرات فعبّر إلى الرقعة وأقام جريدة ليتبع الروم ويقطع عنهم الميرة .
ظلت الرقعة تلعب الدور نفسه في عهد الأتابك نور الدين^(٣) محمود ثم في عهد ابنه الملك الصالح
إسماعيل أتابك حلب .

لقد كان الأتابكة مصلحين من الناحية العمرانية في جميع البلاد التي حكموها وقد نالت
الرقعة شيئاً من هذا الإصلاح خلده لوحه مكتوبة^(٤) وجدت في جامع الرقعة من سنة ٥٦١ هـ
في عهد نور الدين .

لقد كثرت مؤامرات الأتابكة في الشمال بعد موت نور الدين محمود وكان الملك الصالح
ضعيفاً واشتد الخطر الصليبي فرأى صلاح الدين الأيوبي أن يأخذ الأمر بالحزم فاستولى على
دمشق وحمص وحماة وضواحي حلب وتوكل حلب الملك الصالح على أن يكون له مؤازراً
واستولى على الرقعة سنة ٥٧٨ هـ^(٥) وحران والرها ونصيبين وميافارقين وجميع مدن الجزيرة وحاصر

(١) الكامل لابن الأثير - طبعة مصر ج ١١ ص ٢٢ .

(٢) دفن عماد الدين زنكي في الرقعة بعد مقتله بمحاصر قلعة جبر سنة ٥٤١ هـ (ابن الأثير ج ١١ ص ٤٢)

(٣) احتل نور الدين الرقعة سنة ٥٥٤ هـ ثم ترك الحكم فيها لأخيه مودود فعلمها من ٥٦٢ - ٥٦٦ هـ .

(الموسوعة الإسلامية III ١١٨٧) .

(٤) نشرت في Répertoire chronologique d'épigraphie arabe T. 9 No 3269 .

(٥) كتاب الروضتين لشهاب الدين المقدسي ج ٢ ص ٢٩ مطبعة وادي النيل ١٢٨٧ هـ .

سيرة صلاح الدين لابن شداد ص ٤٦ القاهرة (بدون تاريخ)

الموصل إلا أنه تراجع عنها ثم حاصرها مرة أخرى واصطلاح مع أتابكها عز الدين سنة ٥٨١ هـ^(١) وعلى هذا النحو استطاع صلاح الدين أن يفرض نفوذه على سوريا ومصر ، وتوحدت جهود الزعماء المحليين لمحاربة^(٢) الصليبيين .

هدأت الحروب الاهلية في الربع الأخير من القرن السادس ، فأخذت البلاد تنتعش وخاصة الرقة التي تتسع بموقع جيد وموارد طيبة وأخذت تؤدي دورها في إنتاج المصنوعات الراقية كما كانت في القرون السابقة : لقد انتجت الرقة أجمل الطرف من الحلي ، والزجاج الموهب بالذهب والحلي بالمينا الملونة والفخار المزين بزخارف بارزة دقيقة ، والخزف المطلي بالمينا بأنواعه الشهيرة : الخزف المزين بالزخارف السوداء تحت المينا الزجاجية وهو المعروف في العالم باسم (خزف الرقة) ، الخزف ذي البريق المعدني ، الخزف الرقيق المعروف بالقيي وهو ملون بلون واحد أزرق فيروزى أو زبدى مع شيء من الزخارف البارزة ، الخزف المتعدد الألوان ... هذه المدينة تعتبر بحق من أهم مراكز الإنتاج في ظل الحضارة العربية الإسلامية وهي تعدّ مع سامرا ودمشق والقاهرة وحلب وبغداد والموصل أهم المناطق الأثرية العربية الإسلامية .

خواب الرقة :

كان هجوم التتر على بغداد سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م وبالأعلى العالم الاسلامي ، واضطربت أحوال الجزيرة اضطراباً عظيماً لقسوة المغول في معاملة السكان . لقد كانت الرقة بموقعها ومعاملاتها متصلة ببغداد وأهميتها تأتت من هذا الاتصال ، فلما خربت بغداد جفت موارد الحياة بالنسبة إلى الرقة . وما زالت الرقة تدبّل حتى أصبحت خراباً يباباً في القرن الثامن الهجري . وقد ذكر أبو الفداء عندما كتب كتابه الجغرافي تقويم البلدان فقال : « والرقة في زماننا مدينة خراب ليس بها أنيس .. » وكانت هذه الكتابة في سنة ٧٢١ هـ = ١٣٢١ م . لا بدّ أن أيدي الأعراب عاثت بالرقة ومنشأتها الحربة واتلفت كثيراً من محتوياتها ونهبت ما يمكن استعماله في ذلك العصر ، ثم تقوضت أبنيتها لأنها من الآجر والطوب ، ونامت المدينة يوماً عريقاً تحت الركام حتى القرون الأخيرة . بدأت القبائل العربية (وهم العفادلة) تستقر في جوار

(١) سيرة صلاح الدين لابن شداد ص ٥٦ القاهرة .

(٢) » » » ص ٩٨ - ٩٦

منطقة الرقة . أما الرقة نفسها فإنها ظلت خالية حتى نقلت الدولة العثمانية في سنة ١٨٦٥ م القبائل العربية التي كانت قاطنة في أورفه وم الذين كان يطلق عليها باللغة التركية (القول = ومعناها القبائل الموجودة في الخطوط الأمامية) وهم الشعيب والحسون والموالي . . وأسكنتهم الرقة بالرغم من معاكسة العقادلة . وقطن الرقة أيضاً بعض القبائل العربية النازحة من الميادين والعشيرة (قرب الميادين) ، ومن قرية الجرن (التابعة للموصل) وهم العجيلي ، ومن الجزيرة العربية وهم طي ؛ ثم هاجر إليها الشركس الذين فروا من بلادهم على أثر الحروب التركية الروسية سنة ١٨٧٨ م ، فأخذ السكان الجدد يشيدون منازلهم من كميات الآجر واللبن التي سحبوها من سور الرقة وأبراجه . أخذت تنمو الرقة على حساب الحرائب القديمة ، ونستطيع أن نقول أن جميع دورها قبل عشرين عاماً كانت موادها الأولية من الحرائب . حتى أن السور الجنوبي للرقعة والبرج الغربي والباب الغربي ... كل ذلك قد زال تماماً ، وتوضعت الدور المزيطة في مكانه .

لقد بدأ الاجانب يهتمون بالآثار الإسلامية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وكانت الاسعار التي تدفع بهذه الآثار فاحشة جداً ، لذا أقبل أهل الرقة على نبش الأرض كيف ما اتفق ، وأخرجوا قطعاً هامة جداً ، ولكنهم أثلفوا مقابلها قطعاً كثيرة ، وقد وجدت هذه القطع طريقها إلى أوروبا وأمريكا ، ولم يبق في بلادنا منها إلا النذر اليسير .

أرادت فرنسا من الناحية الرسمية أن تحمي آثار الرقة في عهد الانتداب ، وقد بذلت شيئاً من الجهود في ترميم باب بغداد وواجهة المسجد وتقوية المأذنة إلا أنها لم تكن جدية تماماً في مكافحة التنقيب السري ، بل العكس أحياناً يقع : إذ كان بعض المسؤولين يشترون القطع التي تظهر مع الأهلين بأسعار طيبة مما كان يشجع الأهلين على الاستمرار في الحفر .

عنيت الجمهورية السورية بعد الاستقلال بالمؤسسة الأثرية فأنشأت مديرية الآثار العامة ووسعت ملاكها وجعلت لها فروعاً : منها فرع أعمال الحفر والدراسات . لقد بدأت أول أعمال الحفر في منطقة الرقة عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ وقد بدأت اعتماداً على خبرة الاستاذ دونان باكتشاف قصر هام أطلق عليه فيما بعد القصر - أ - . ثم ارسلت بعثة يتولى شؤونها المساعد الفني الممتاز السيد نسيب صليبي فقام بحفائر دورية منذ سنة ١٩٥٠ حتى الآن ، اكتشف على أثرها القصور : ب ، ج ، د في منطقة الرقة الوسطى حسبما يسيها ياقوت والتي يسميها الاستاذ دونان مدينة الرشيد .

لقد كانت القطع الأثرية التي حصلت عليها مديرية الآثار العامة من هذه الحفائر قليلة ، والقطعة الكاملة تعتبر نادرة ، لأن الأرض - كما ذكرنا - منبوشة منذ مدة طويلة ، إلا أن

هذه القطع على قلتها وسوء وضعها مفيدة جداً من الناحية العلمية ، فقد أعطتنا نماذج من الزجاج والفخار والخزف المظلي والبرونز والنحاس . . . تعود إلى القرنين الثالث والرابع المجرين ، وهذه القطع تعتبر من أندر القطع الأثرية في العالم ؛ هذا بالإضافة إلى الأطر الجصية المزخرفة التي تحيط بالأبواب والنوافذ في القصور المكتشفة : فهي بعد إصلاحها وتقويتها تعتبر من أنفس أجزاء الأبنية الموجودة في العالم .

لم تقف عناية المديرية العامة على التقدم في أعمال الحفر والتنقيب وإنما وسعت المتاحف ومنها متحف دمشق فأحدثت فيه فرع الآثار العربية الإسلامية . وقد 'جعل في هذا الفرع قاعة خاصة للرقعة تضم القطع الأثرية المكتشفة من القصرين : ب و هـ ، والأطر واللوحات الجدارية التزيينية وأجزاء الزخارف الجصية وبعض المقتنيات التي اكتشفت قديماً في الرقعة بصورة مؤكدة . وستتم هذه القاعة في المستقبل [انظر الألواح التابعة لهذا المقال] .

لقد عثر بعض المواطنين في الرقعة على كنز^(١) من النقود النحاسية العربية والبرنزية في سبع جرار داخل سور الرافقة فأسلموه إلى محافظة المتحف الوطني ، وكافأهم المديرية العامة على عملهم . وقد عرض هذا الكنز في معرض المكتشفات الأثرية لعامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ مع بعض القطع الأثرية التي وجدت في القصر المكتشف - د - وبعض القطع الخزفية والفخارية المكتشفة في الرقعة . إن منطقة الرقعة بحاجة إلى حملة واسعة من أعمال الحفر والتنقيب والكشف والترميم ، وهذه الأعمال الواسعة تتطلب أموالاً باهظة ؛ لكن الفوائد العلمية والمادية ستكون بالغة الأهمية . نرجو أن تتحقق هذه الأمنية العالية في القريب العاجل .

(١) لقد درس جزء هام من الكنز النحاسي وسنشر هذه الدراسة في عدد آخر إن شاء الله .

دراسة أولية

لثابوت اللاذقية وعمليان اكتشافه

آغوب كريشيان

المساعد الفني الممتاز

هشام الصغري

رئيس الحفريات والدراسات الفنية

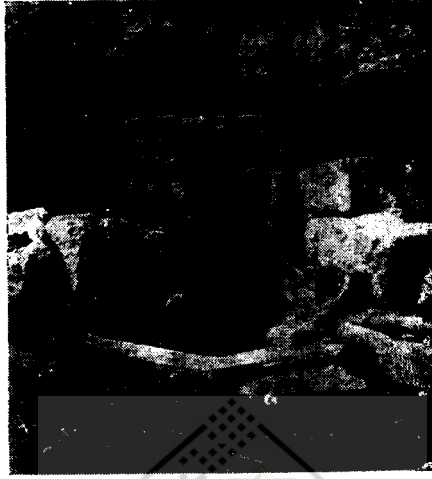


بينما كنا نتابع اعمال الموسم الثاني لحفرياتنا في مينة البيضاء . وردني في اوائل شهر حزيران ١٩٥٧ كتاب من المديرية العامة للآثار ، يشعر بأنه ترامى اليها وجود ثابوت اثري في مدينة اللاذقية - في المكان المسمى « عين سانت الكسي » - وتكلفني فيه مع الزميل المهندس آغوب كريشيان بدراسة الموضوع ، واجراء التنقيب العلمي لاستخراج الثابوت في حالة توفر الأدلة المادية والتاريخية .

تبين بعد قيامنا بالكشف على الموقع ان « سانت - الكسي » تقع في طرف مدينة اللاذقية الى الجنوب الشرقي من المرفأ الحديث (انظر المخطط العام ١ ، اللوح ١) . وتبتعد عن شاطئ البحر الصغري حوالي مئة وخمسة وعشرين متراً فقط . والمكان عبارة عن حوضه فسيحة يحدها من الجهة الشمالية منحدر صخري قائم ، يطوف بها في نصف قوس مفتوح باتجاه البحر . فتتدرج الأرض في انحدارها نحو من ارتفاع قدره خمسة وعشرون متراً حتى تبلغ مستوى سطح البحر . مكوتة في انحدارها مصطبتين واسعتين متميزتين على الرغم مما تخلعه عليها عوامل الطبيعة ، وجرف التربة ، واخاديد المياه من مظهر منسجم .

وفي اسفل المنحدر الصغري ، حيث تبدأ المصطبة الأولى ، لاحظنا وجود بناء مشيد من

حجر دملي جيد النحت على شكل قبر معقود (الشكل ١ المقطع ٥ - و اللوح ٢) . نزلت بنا



الشكل (١)

درجاته الثمانية الى النبع حيث نقر في الصخر الأصم حوض مستطيل لتجمع المياه ، يبلغ عمقه متر ونصف تقريباً (المخطط ٢ اللوح ٢) . واعتباراً من سوية المياه استندت أسس هذا البناء على مصاطب أعدت لها في صخر الحوض الطبيعي (المقطع آ - ب اللوح ٣) . في هذا الموضع استرعى انتباهنا وجود ثغرة مستطيلة عند ارتكاز المدماك الأول للجدار الشرقي على الصخر ، نتجت عن سحب احد احجاره ، فكانت طريق لص الآثار في محاولاته الجشعة للوصول الى حيث نؤم وجود كنز . ولقد تتبعنا نفس الطريق المظلم الخطر ، فعثرنا على كهف حفر في الصخر ، لا تتجاوز ابعاده حجم التابوت المودع فيه . وهو ممتلئ الا قليلاً بالتراب المتسرب والحجارة المتداعية ، ولم يكن يظهر على ضوء المشعل الاجزاء صغير من الواجهة الخلفية لتابوت ضخم من الرخام الأبيض Sarcophage .

بالاستناد الى دراستنا الموضعية لشكل المدفن واتجاهه ، ومن خلال نسبة انخفاضه عن مستوى الأرض فوقه تمكنا من تقدير موقع مدخله الرئيسي . وبالفعل أيدت ذلك التقدير نتائج الحفريات^(١) . فعثرنا إثر تعمق متر ونصف على الجدار الذي يغلق التابوت ضمن الكهف (المقطع ح - د اللوح ٤) .

(١) يظهر موقع الحفريات في الزاوية اليمنى من الشكل (١) حيث أنشأنا اليه علامة X .

اما عن عين (سانت - الكسي) التي وجد التابوت الى جوارها فيذكر العالم سوفاجية^(١) أن الامبراطور الروماني سبتيم سيفر بعد ان انتصر على خصه (بسينوس نيجر عام ١٩٤ م) .^(٢) قام في أواخر القرن الثاني للميلاد باعادة تشيد مدينة اللاذقية وتجميلها حتى اصبحت في مصاف الحواضر الرئيسية Metropolis في الامبراطورية الرومانية . فليعاذ من سيفر اتخذت اللاذقية فجأة هيئة أكثر جمالاً وابداعاً بفضل ادخال نخط الأروقة المعدة على طول الشوارع الرئيسية التي وسعت لهذه الغاية لتلائم مع الموضة الشائعة آنذاك في الأساليب المعمارية الرومانية . كذلك في انشاء الأوابد العامة : كالساحات وحلبات السباق والحمامات . . الخ ، التي يشير اليها الكتاب القدماء . وم يقرون عملية بدء تشيد هذه الحمامات باكتشاف نبع ماء في ضواحي المرفأ . هذا النبع و اوصافه ينطبق الى حد بعيد مع النبع المعروف حالياً باسم « عين سانت - الكسي Saint Alexis^(٣) »

وجدير بالذكر ، ان مظاهر هذا الازدهار العمراني الواسع والتجديد الذي ينسب الى الأمبراطور سيفر لا تزال آثاره ظاهرة في منطقة المرفأ^(٤) والبساتين المجاورة الممتدة نحو الجنوب فتشمل المنطقة موضوع البحث . كما ان عين سانت الكسي لا تبعد عن اطراف الانخفاض dépression الذي تعرفنا فيه على الاحواض القديمة .

كذلك قمنا بدراسة لسطح الأرض في جوار عين « سانت - الكسي » فتبين لنا انه كان يوجد الى غربها ، وعلى مبعده لا تزيد عن عشرة امتار ، بناء لنبع آخر شملته اعمال

(١) Memorial Jean Sauvaget, le Plan de Laodicée snr - Mer, Institut Français de Damas, 1954, P. 140.

(٢) Pescennius Niger حاكم سورية في الربع الاخير من القرن الثاني للميلاد . ثار على روما واحتل اللاذقية ودمرها بعد أن امتنع عليه أهلها . فكافأهم سيفر بعد انتصاره بتجديد المدينة .

(٣) نرجح انه اتخذ هذه التسمية في العهد المسيحية .

(٤) ان النشاط العمراني الحثيث الذي يجري حالياً في مدينة اللاذقية ، وخاصة في ضواحي المرفأ ليكتشف يوماً إثر يوم عن معالم اللاذقية المزدهرة في العهد الروماني والهلنستي ، ولقد لاحظنا في حفرات الشوارع الحديثة وأسن الأبنية الجديدة آثار أبنية للياه وكهاريس ضخمة تشبه الانفاق ، ودارات ضخمة من كتل الحجارة والاعمدة الكبيرة والرخام الجميل وبقايا تماثيل عظيمة كلها تؤكد النجرات الرائعة التي تمت في ذلك العهد . وبالتالي قلح على ضرورة تتبع هذه المكتشفات وتسجيلها على المخططات في سبيل دراسة تاريخ هذه المدينة بصورة وافية .

الردم نظراً لأن هذه المنطقة تدخل ضمن نطاق المخطط التنظيمي لمدينة اللاذقية^(١) والواقع ان مياه النبع الثاني لا تزال تتدفق في أقبية تحت الأرض لتنبثق على مبعده عشرين متراً نحو الغرب من سبيل تهدم بناؤه القديم ولم يبق منه الا جدار منخفض يحمل ميزاب الماء الرخامي . بينما انتثرت على سطح المصطبة الأولى كسر الفخار الأحمر المحرز والأصفر واللامع مع بقايا قطع من القرميد والرخام جمعنا من بينها عدداً كبيراً من قطع « الموزاييك » المختلفة الألوان والاحجام ، التي يتم وجودها على موقع الحمامات الآتفة الذكر . فضلاً عن ان موقع واوصاف هذه الحوض لا يوجد مماثل لها على طول الشاطئ في المنطقة المجاورة للرفأ بما يعزز وجهة النظر هذه . إلا أن قلة الاعتمادات المالية المخصصة وتعدد الاعمال الملقاة على عاتقنا انذاك لم تتح لنا القيام بأسفار واسعة توضح معالم المنطقة .

لقد توخينا منذ صممنا العمل على استخراج التابوت ان نقوم بتعزيز حوض النبع ، نظراً لما قد يقدمه من دلائل أثرية ثمينة تساعدنا في دراسة وتحديد مراحل استعمال النبع المتعاقبة ، اذ لا بد وان بعض الجرار والأواني كانت تحطت أو سقطت فيه . يضاف الى ذلك ضرورة التعرف على المجرى الذي تتصرف فيه مياهه ، والذي لا بد وأن يؤدي تتبعه الى نهاية معينة نرجح كثيراً أن تكون منطقة الحمامات . هنا واجهتنا عقبة افسدت خططنا واعطتنا بالوقت نفسه فكرة جديدة عن النبع . لاحظنا ان الدرج الحجري الأصلي المؤدي الى الحوض قد غطي بدرج حديث من الاسمنت المسلح . وعلمنا من المواطنين الكثيرين ، الذين كانوا يتفقدون مراحل عملنا يوماً اثر يوم باهتمام كبير ، ان مياه عين سانت - الكسي تتمتع منذ القديم بخواص شفاية ، ويقصدها المرضى وطالبوا البركة ، بما دفع احدهم وهو ثري من اللاذقية ان يرسل من يرمم الدرج ، وينظف القاع ليتيسر له شرب الماء صافياً . هذه الصفة تؤكد محاولات قديمة بذلت لترميم بناء العين لا تزال آثارها ظاهرة على البناء ذاته .

★ ★ ★

المرحلة الأولى للحفريات :

ابتدأت الحفريات في السادس من حزيران ١٩٥٧ ، في الجهة الجنوبية من الكهف واستمرت

(١) سيجتازها في المستقبل شارع « الكورنيش » الكبير الذي سيطوف باطراف مدينة اللاذقية (انظر المخطط ١)

حتى الثاني والعشرين منه ، وقد عمدنا الى حفر الأرض عمودياً في رقعة مستطيلة تجاه جدار الكهف يبلغ حجمها (٥ × ٣ × ٥ متراً مكعباً) . دفعت منها كمية كبيرة من التراب والصخور الضخمة المنهارة تريد عن ١٥٠ متراً مكعباً ، تراكت على مر الزمن فأغلقت تماماً مدخل الكهف وموتت معاله .

اما الكهف فقد كان يمثلنا حتى سقفه تقريباً بالتراب المتسرب من صدع كبير في كتلة السقف ، يخالطه حجارة وكسر من جرار فخارية عادية ومخززة من النماذج التي كانت شائعة في سورية في العهد الروماني^(١) . هذا وتدل قطع مميكة من الملاط المزوج بالحصى والرمل انها فرشت امام مدخل الكهف لتشكل سطحاً مستوياً يسهل درج التابوت الثقيل فوقه^(٢) . كانت مرحلة ا فراغ التراب المحيط بالتابوت من جوانبه الاربعة عملية شاقة جداً نظراً لضيق الكهف ، وخطر سقوط الصخور البالية التي فتتها الرطوبة على مر الزمن ، فجعلتها تتساقط اثر كل اهتزاز . مما اضطرنا لاقامة سرير من الاعمدة والدعائم المتينة فوق التابوت (الشكل ٢) لوقيته ، ولم نكد ننتهي من اقامتها حتى انهارت فوقنا كتلة متصدعة من السقف (انظر المقطع



الشكل (٢)

-
- (١) عائلة النماذج الفخارية التي كشفت عنها حفريات مديرية الآثار العامة في مقبرة تل النبي مند الرومانية . راجع التقرير المنشور في مجلة الحوليات الأثرية ، المجلد الأول ، الجزء الاول ، ص ١٦٣ وما بعدها .
- (٢) يقدر وزنه بحوالي الثمانية أطنان .

هـ - (٥ اللوح ٩) . ردمت منطقة الحفريات بكاملها ، ونجونا مع عمالنا من خطرهما باعجوبة .
أما التابوت فكان وضعه في محور جنوبي شرقي إلى شمالي غربي ، وقد وجدناه سليماً بعد رفع
الانقاض . اذحمته شبكة الاعمدة من التهشم ، وظهر لنا برخامه الابيض ، وتماثله النافرة البديعة
ونقوشه الزخرفية آية من آيات الفن . هانت تجاهها كل صعوبات العمل .

صفات التابوت :

يبلغ طول هذا التابوت الكلبي (٢,٨٧ م) وارتفاعه (١,٨٢ م) مع عرض كلي قدره
(١,٣٩ م) . وهو بشكل بيت مستطيل له سقف محدب ذو انحدارين ، وجبهة مثلثة
Fronton من الأمام والحلف . ويتألف من قطعتين ضخمتين من رخام أبيض ذوي حبيبات
متبلورة كبيرة ، هي الغطاء - والصندوق (اللوح رقم ٥ - الشكل ١) .
نحت الغطاء من واجهته الرئيسية على هيئة صفيح من مستطيلات صغيرة مترافقة لها
حدود نافرة ، توحي فيها تقليد نموذج سقف البيت الروماني ، الذي كان يغطي بالواح
من القرميد ^(١) Tuile . أما الواجهة الخلفية فتركت ملساء . وجانبها الغطاء الايمن والايسر
كل منهما بشكل جبهة مثلثة متساوية الاضلاع . في ضمنها سطح مفرغ Tympan تقلد
واجهات المعابد اليونانية . وفي وسط كل مثلث برزت دائرة نافرة bossage tronconique
بينما يتفرع في كل من زوايا الغطاء الاربعة جناح ضخم ربع كروي Acrotère مقطوع
من طرفه الرئيسي والجانبين اللذين اعدا لينحت عليها زخارف تزيينية كانت هنا عروفاً
هندسية Rinceaux ^(٢) .

تعطي هذه الاجنحة الاربعة للتابوت مظهراً معمارياً Architectural متنسقاً وتؤدي وظيفة
تزيينية تزيد في روعة جمال التابوت . وتعطيه طابعاً من الجلال والتوازن . ومبالغة من
صانع التابوت في اتقان تقليد شكل البيت فقد نحت على الغطاء وعند اتصاله بصندوق
التابوت ، أعمدة رمزية مضلعة تمثل الأعمدة الطولانية والعرضانية التي تحمل ثقل السقف
عادة ، وترتكز على جدران المنزل . هذه الاعمدة الاربعة تبرز نهاياتها مع حواف

(١) فاون في Gustave Mendel, catalogue des sculptures gregues, romaines et byzantines, Tome III, P. 399.

غطاء تابوت رخامي مماثل في متحف استامبول ، اكتشف في مدينة طرابلس ، وهو من نماذج التوابت
ذات الاكليل الرومانية في القرن الثاني لليلاد .

(٢) قابل ذلك على تابوت حجري من صيدا في Renan, mission de Phenicie., Planches, Pl. LXI.

- وايضا على تابوت في حديقة المتحف الوطني بدمشق .

الغطاء قرابة (١٥ سم) عن جسم الصندوق مشكلة طناً لطيفاً . يحمي جدران المنزل عادة من المطر والشمس ، ويعطي للبناء صفة هندسية متميزة (اللوح رقم ٥ - الشكل ١) .

الواجهة الرئيسية :

يتخذ صندوق التأبوت منظر « متوازي مستطيلات » يرتكز على قاعدة سمكية ملساء يعلوها إطار عريض محدب bombé زخرف بثلاثة صفوف متداخلة من أوراق الغار ، يجمع بينها في منتصف الواجهة الرئيسية عقدة من خمسة خطوط هندسية تشبه حرف S . وقد نقش على واجهاته الأربعة مشاهد مختلفة نادرة مستمدة مواضيعها عن الميثولوجيا الإغريقية . وتعتبر الواجهة الرئيسية أجمل هذه اللوحات . وإن المصور الهندي الذي قام الرسام الماهر السيد نوبار بارطيان برسمه لمشاهد الواجهة الرئيسية بكل أمانة ودقة ، لينقل إلينا جانباً من روعة هذا الأثر الفريد (انظر المصور ١ اللوح ٦) .

نرى على طول اللوحة الرئيسية المستطيلة ثلاثة انصاف أكاليل Guirlands متسلسلة ضفرت من الورد والأوراق ، واكواز الصنوبر . تتصل ببعضها بانشوطات عريضة من الحرير ، بينما يحمل طرفي الأكليل الأوسط منها تمثالان نافرين لإله الحب إيروس Eros^(١) المجنح بجناحي فراشه (اللوح رقم ٧ الشكل ٢) تتعقد فوق كتفي الإلهين انشوطتا الأكليل ، تعاقه إحدى ذراعيها وترتفع الذراع الأخرى فوق رأس كل منها لتسك بعقدة الانشوطة التي تدلت ذواباتها ، متنتية نحو الأرض ، تحف بجاني الإله ، وتحيط بالوقت ذاته بالمشعلين الخايين^(٢) اللذان وقف عليها الإلهان متقابلان . أما تمثالي إله الحب فكانا على هيئة طفلين عاريين مكتنزي اللحم . وقف كل منهما على مشعل ، وقد تصالبت ساقاه . وهما يحني الرأس ، منكسري النظرات ترسم على وجهيهما الطفولي البريء معالم الحزن والأسى^(٣) ويزيدهما براءة غرة houppette ملتفة فوق جبين الإلهين تتدلى من جانبيها خصلات شعرهما المتزوج محيطة بالوجنتين (الشكل ٣)

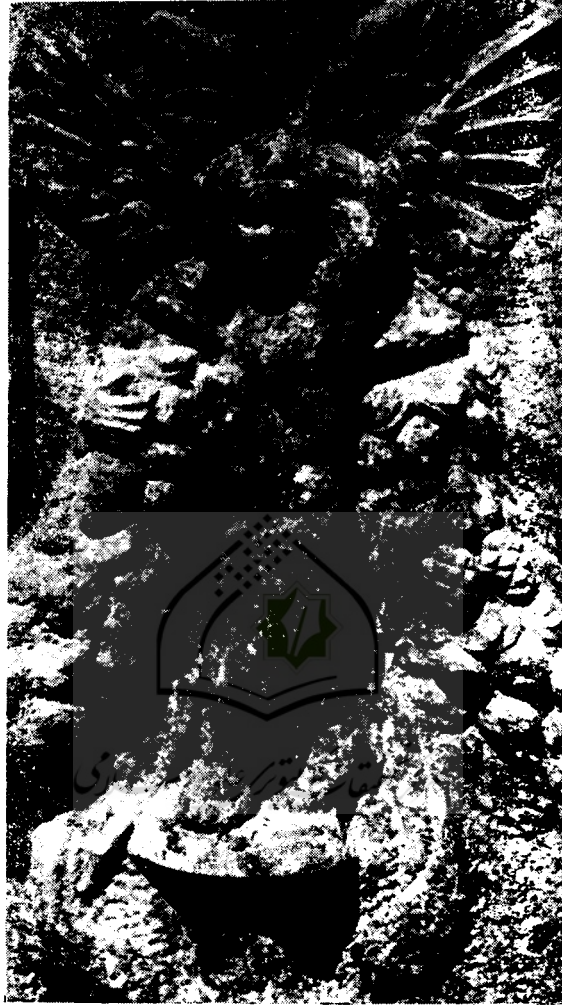
(١) راجع البحث عن إيروس في :

P. Lavedan, dictionnaire de la mythologie et des antiquités grecques et romaines, P. 392.

(٢) المرجع السابق ، راجع مادة Torche ، ص 963 .

Max Collignon, Statues funéraires dans l'art grec, P. 332.

(٣) راجع



الشكل (٣)

في الفراغ الذي يشكله تقعر الأكليل الأوسط ، والذي يحيط به من كلا الجانبين وجها
الاهن متقابلين ، نحتت في الرخام لوحة مستطيلة لها اطار نافر ، أعدت غالباً لينقش عليها
اسم الراحل وتاريخ وفاته^(١) . كذلك يظهر تحت الاكليل الأوسط - محاطاً بين المشعلين -

(١) تكون هذه اللوحة في عدد من التوايت مستديرة بشكل Medaillon تحمل صورة الميت . وفي تابوت
متحف استامبول السابق الذكر ، نحت في اللوحة المستطيلة مشهد وليمة جنازية تمثل المتوفي مع زوجته
في فراغ الاكليل الاوسط .

رسم نافر للنسر مطوي الجناحين ، تلف حول ساقيه ومخلبيه أفعى متلوية ، استدار برأسه نحو اليمين ليسك رأسها بمنقاره ظافراً . وفي محاولة من الفنان صانع التأبوت - ان يعطي للنظر العام انسجاماً وتناظراً هندسياً ، تستريح العين إليه . نجده يكرر مشهد الأفعى المتلوية على أمرها على نحو مختلف ، فيصورها نافرة تحت كل من الاكليين الايمن والأيسر ، متلوية أمام طائر القلق الذي مال بساقيه المرتفعتين ، وعنه الطويل نحو الأفعى ليسكها بمنقاره الطويل أيضاً . أما الفراغ الحادث وسط الاكليين الايمن والأيسر فقد ملأه الفنان بصورتين نصفيتين متناظرتين ، تمثلان الإله الطفل الحزين - الذي يعبر بجناحيه الرمزيين وعيونه الناعسة^(١) عن الفكرة المزدوجة للموت والنوم (الشكل ٤) .

آلهة الظفر المجنحة :

اخيراً نرى على جانبي اللوحة الرئيسية اجمل ما فيها من عناصر النحت والتصوير في هيئة تمثالين فريدين لقناة مثابة بارزة التقاطع هي آلهة الظفر Déesse de la Victoire المجنحة بجناحي



الشكل (٤)

- Gustave mendel, op. cit, Tome III, P. 39.

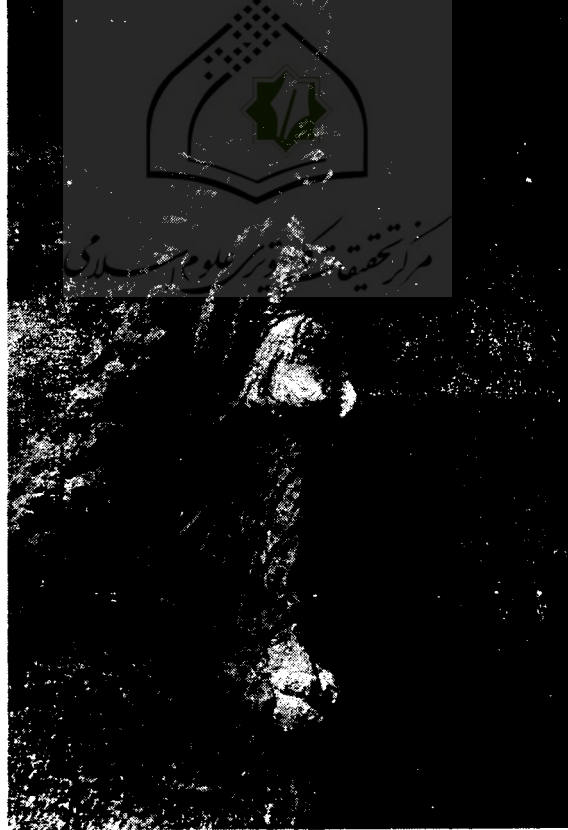
(١) راجع

- Pierre lavedan, dictionnaire de la mythologie et des antiquités grecques et romaines, P. 657.

أيضاً قابل نماذج اهرؤس الوفيرة التي كشف عنها مدائن Myrina في

-E. Pottier, S. Reinach, la nécropole de Myrina Tome, II, Planches .

طائر . تتعقد فوق رأسها ذوآبات اكليلي الواجهة الرئيسية والجانبية ، وتتدلى مثلثية حول جسدها الرشيق (الشكل ٥) . تقف الالهة الظفر الجميلة على ورقة مثنية من اوراق شوك اليهود (Acanthe) منبثقة من قاعدة التابوت ، وقد ارتدت ثوباً شفافاً من اثواب الاغريق الوطنية Tunique ينحصر عن نحرها وساعديها . وشد فوق الحصر بحزام يزيد في ابراز نديها المثلثين ويعطي للثوب عند كشحها طيات منتفخة تضاعف جمال الأنوثة ، لينسكب الثوب بعدها فوق ساقها اليمنى التي تقدمت الإلهة تخطو بها نحو الأمام . هذه الحركة يضاعف جمالها تأثير الهواء حين يدفع اطراف الثوب مثلثية الى الوراء ، فتكشف عن الساق . وكل ذلك يعطي للمشهد حيوية ورساقة توحيان بالاحساس بالحركة مع التوازن . اما وجه الالهة فانه يعبر بصمت مهيب عن امارات الحزن ، اذ عصب شعرها عند منتصف الرأس بعصابة تترك خصلتين من



الشكل (٥)

الشعر المظفور تبرزان فوق جبهتها وكأنها اكليل من الغار معقود عليه . ثم تتدلى من وراء ذؤابة العصابة الحربية مجدولاً عليها شعر الالهة الطويل الذي يغطي اذنيها ، لتبر الجذبة فوق منكبها الأيمن متدلية على خصرها . كل هذه العناصر من الجلال الأخاذ التي تجتمع في وقفة آلهة الظفر^(١) وقد نشرت جناحيها الكبيرين وتقدمت تخطو الى الأمام بشقيها المضمومتين ، تخدم الغاية من تمثيلها على وجهة التأبوت الرئيسية والجانبية . اذ تحمل الالهة على جناحيها وفي راحة ذراعها اليسرى الممتدة الى الاعلى غنية هي درع محارب Trophée حصلت عليه أثر الظفر . بينما تسبل يدها اليمنى الى جانبها . هذه الصورة ترمز للتقاليد المنبئة لدى اليونان والرومان في تقديم درع أو سلاح العدو المدحور الى المهتم التي وقفت الى جانبيهم ونصرتهم^(٢) والموضوع بأكمله تعبير عن الموت البطولي الذي انتهت به حياة صاحب التأبوت ، غير ان هذا الرمز يغدو شائعاً جداً في العهد الامبراطوري الرماني . فيفقد مغزاه الاصلي ويصبح وسيلة تزيينية تتكرر على التوابيت والأنصاب الجنائزية لسائر الموتى .

الواجهة الجانبية اليمنى :

نرى الاكليل يتوسط هذه اللوحة ، ويتدلى من منتصفه زهرة لبلاب هندسية تصل حتى افاريز القاعدة التي تبدو مع الاطار فوقها ملساء لم يسجل عليها ازميل النحات بعد تنم زخارف الواجهة الرئيسية . في حين انه بدأ بنقش تفاصيل الأزهار والفواكه على الاكليل . غير ان سبباً مفاجئاً اجبره ان يترك الموضوع ناقصاً (اللوحة ٧ - الشكل ٣) .

تتعد ذؤابة الاكليل من الزاوية اليمنى فوق رأس فتى عاري الجسم ، حافي القدمين ، مقتول العضلات . تتصالب ساقاه ، يحمل على كتفه اليسرى مقطفاً مترعاً بعناقيد العنب يمسك به باليد اليسرى ، بينما يتناول باليد الاخرى سلة مليئة أيضاً بالعناقيد . هذا الفتى يمثل الاله د ديونيزوس Dyonisos^(٣) اله النباتات والكرمة والخمر لدى الرومان . والذي يقترن

(١) يبلغ طولها من الرأس حتى القدمين ٥٥ سم .

(٢) راجع مقالة (Reinach) مادة (Trophée) في قاموس الآثار اليونانية الرومانية لـ :

Saglio et Daremberg .

The Oxford classical dictionary, PP. 288 - 289.

(٣) طوله على التأبوت ٤٤ سم . راجع .

اسمه في اساطيرهم الشعبية بالعالم الآخر . ولعل تمثل شخصيات ديونيزوس وايروس « قطافي العنب » الذي يتكرر على كثير من التوابيت ^(١) . تعبير عن الحياة الاسعد التي سيلاقها الموتى في العالم الآخر . اما طرف الأكليل الآخر فانه ينمقد كما اسلفنا فوق رأس الهة الظفر التي تشغل زاوية التابوت مشتركة بين الواجهتين الجانبية والرئيسية . وفي الفراغ الذي يتركه تقعر الأكليل نرى رأس رجل غامض يضيوي الوجه ، مفلطح الأنف ، تحيط خصلات شعره الغزير بوجهه كاطار دائري وتنعقد تحت ذقنه في شكل الافعى التقليدية . كما يبرز فوق رأسه جنينان رمزيان . ونرجح ان الرأس البشري المنفرد على اللوحة ، والذي يقترب في غموض معالنه من شكل القناع ما هو الا رمز يشير على كثير من القطع عادة الى روح الميت ساكن التابوت ، اكثر مما يحاول التعبير عن قسما وجهه ^(٢) .

الواجهة الجنوبية اليسرى :

يتكرر على هذه اللوحة نفس المواضيع الآتفة الذكر في الواجهة اليمنى : من آلهة الظفر وغنيتها والاله الشاب ديونيزوس ^(٣) قطاف العنب . أما الاكليل المنفرد فيتوسطه رأس امرأة جميلة نبت لها جنينان وراءه . ويعبر وجهها عن ابلغ آيات الأمل والحزن الوداع . اذ هي بشقتها المنفرجتين قليلا - وكأنه ندت عنها للتوصفة ياس ^(٤) - وبعيونها الباكية ، ووجنتها الشاحبة تعبير بليغ عما يخلفه الموت من حسرة (انظر الشكل ٦) .

يستخدم الفنان صانع التابوت هنا رأس امرأة يشبه رأس ميدوز « Méduse » الشهير في الميثولوجيا الاغريقية والتي كانت ذات شعر حريري ، وجمال نادر ، لينقش عليه بازميله كل الانطباعات التي نراها عادة على الوجه البشري المنفجوع . ولا ينسى ان يضيف اليها صفات ميدوز التقليدية : بشكل اصطلاحي . . . شعرها الذي حولته الالهة الى افاع مخيفة تحيط

(١) احد هذه المشاهد الجميلة نراها على تابوت من طرابلس ، في متحف استامبول ، حيث يمثل على واجهته الرئيسية مشهد قطاف عنب وتضحية لايروس . راجع حول ذلك

Gustave Mendel, Catalogue des sculp. Tome III, PP. 408 et 412.

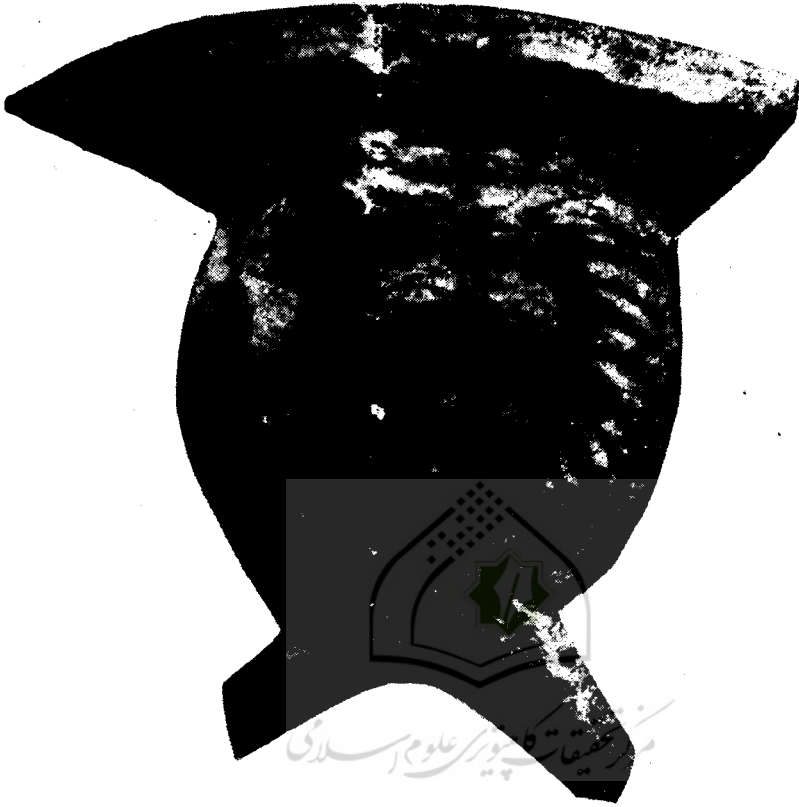
P. Lavedan, op. cit. P. 567.

(٢)

(٣) الذي هتم في هذه اللوحة في محاولة حادثة من لمس الآثار لاقتلاعه . وطوله ٤٩ سم .

Renan, op. cit. P. 380

(٤) قارن صورة Psyché Pensive على تابوت صيدا في



الشكل (٦)

يوجهها ، وتتعمد تحت ذقنها - بعد ان غضبت عليها « أثينا » ^(١) وعيناها اللتان اصبح لهما القدرة على تحويل كل ما تنظر ان اليه الى حجر . وانتهى الأمر « ميدوز » ان قطع Persée رأسها وحمله معه في اسفاره مستعيناً بقوة عينيها على اعدائه . ثم ما لبث هذا الرأس ان اصبح ^٢ تعويذات مخيفة المنظر ، تحولت في العهد الروماني الى تماثيل لامرأة وادعة ، كما نراها بمثلة على عدد وفير من التوابيت ، تتوسط فراغ الأكليل . اللوح ٩ الشكل ٤) .

ولا يفوتنا ان نذكر أخيراً أن جمال اللوحين الجانبيين يكتمل الى حد بعيد بواجهة غطاء التابوت المثلة وجناحيها الكرويين اللذان يتيمان المنظر
الواجهة الخلفية :

يتألف موضوع الواجهة الخلفية من زخارف هندسية نافرة . فهناك ثلاثة انصاف اكاليل Guirlands هندسية مكثفة ببساطة . تتسلسل على طول اللوحة ويتدلى من كل منها ورقة Pandeloques ^(١) هندسية أيضاً تتطاول حتى تصل الى القاعدة . وكلها ملساء لم يسجل عليها عليها الأزميل اي تفاصيل او زخارف . ولقد استعيب هنا عن قنايل ايروس الطفل في حمل اطراف الأكليل الثلاثة بأربعة الراح نافرة ^(٢) وضعت شاقولياً (اللوح ١١ الشكل ٥) .
ووجهة النظر في ذلك ان واجهة التابوت الخلفية تقابل عادة جدار الغرفة الجنائزية . ونرى كثيراً من التوابيت الرومانية يحمل فيها نقش او زخرفة الواجهة الخلفية فيما عدا تشذيب وصقل لسطعها . ويكرس الاهتمام عادة الى الواجهات الجانبية والرئيسية التي يسجل عليها مواضيع متممة لبعضها احياناً ، وفاقة للارتباط احياناً اخرى . ولقد نقتب الواجهة الخلفية في تابوت اللاذقية عند فراغ الأكليل الأوسط ، حيث انتهك لص الآثار حرمة الموت وسرق النذر البشير الذي عثر عليه مع الهيكل العظمي . كذلك الأمر بالنسبة لفراغات تقعر الأكاليل لم ينقش الفنان فيها أي قنايل نصفية bustes ؛ بل اكتفى بنحت دائره نافرة من الرخام bossage tronconique تملأ الفراغ في كل من الأكاليل ^(٣) . وهذا النموذج للواجهة

(١) يذكر رينان انه رأى عدداً وفيراً من التوابيت المزخرفة بالأكاليل والتدليات . Pandeloques . كما لاحظ ان كثيراً منها لم ينجز منه بعد . ففي تابوت من رقبه ، لا تزال التدليات كتلاً معلقة من الحجر فتتظر ان ينقش عليها عنايد النعب . ويعزو عدم الانمام الى جعود تجاه الموت .

راجع ذلك في كتابه « مهمة فينيقية » . Renan, op . cit. , campagne de Tyre, P. 637 .

وفي كتاب Perrot, mission de Galatie, Pl. IV , fig. 5.

ايضا راجع نماذج التوابيت ذات الأكليل المكتشفة في صيدا في :

Perrot, histoire de L'art, Tome III, P P. 193 et 195, fig. 138.

(٢) قارن نفس الاسلوب في تابوت متحف استامبول . ويحسن مراجعة . Mendel, op. cit. , Tome III, P. 399.

(٣) هذا النمط التزييني شائع في توابيت آسيا الصغرى وسورية ، وهو ليس الا الشكل التخطيطي المضحى به للأكاليل التي تحمل عادة على اكتاف الالهة ايروس ، أو على رؤوس ثيران Bucranes . في حين

يتوسط فراغ الأكاليل رأس « ميدوز » التقليدي . قابل . Mendel, op. cit. , Tome I, P. 113 .

الخلفية ياتل الى حد كبير واجهة التابوت المعروف باسم اسطورة Phédre et hippolyte^(١)
المرحلة الثانية :

كانت المرحلة الثانية في عمليات استخراج التابوت أدق واصعب المراحل : نظراً للواقع المنخفض الذي وجدناه فيه (انظر المقطع ٥ - ٥) . فهو ينخفض بانحدار شاقولي مسافة اثني عشر متراً عن مستوى الطريق الترابي الذي يعلوه . وبذلنا جهداً كبيراً للاستعانة برافعة شركة المرفأ الضخمة لتتولى رفع التابوت^(٢) . اذ لم يكن بالاستطاعة زحزحته من مكانه بوسيلة اخرى دون ان يتعرض لاحتمال السقوط والنهشم ، فضلاً عن التكاليف الباهظة .

في المحاولة الأولى تبين ان ذراع الرافعة يقصر عن الوصول الى سوية التابوت (اللوح ١١ الشكل ٦) فكان علينا نهيئة مدرج منخفض في الصخر ابعاده (١٠ × ٣ × ٢ متراً مكعباً) تقف عليه الرافعة السيارة دون ان يؤثر وزنها البالغ ثلاثين طناً على الصخر المتصدع ، فيخسفه فوق التابوت .

استغرقت نهيئة المدرج حوالي اسبوع من العمل المتواصل . تكللت جهودنا في نهايتها بالنجاح ، وقامت الرافعة في يوم ١٨ حزيران بانجاز العملية : فرفعت أولاً القطاء ، ثم الصندوق ووزنها معاً يقارب الثانية اطنان (اللوح ١٢ - الشكل ٧) . وكان لمهارة الميكانيكي وتقاني عمالنا اثر بالغ في رفع التابوت دون ان يصاب بأذى . وتم ابداءه اخيراً في حديقة مبنى محافظة اللاذقية .

* * *

الخصائص الأثرية والفنية للتابوت :

نستدل من البقايا التي عثرنا عليها ضمن التابوت ، ان لص الآثار قد عاث فيها تخريباً .

-
- (١) من نوايت القرن الثاني للميلاد . اكتشف في طرابلس الشام ونقل الى متحف استامبول عام ١٨٨٥ .
 (٢) لا يسنا في هذا الصدد الا ان تشيد بالمساعدة والاهتمام الكبيرين الذين احاطنا بها عطوفة محافظ اللاذقية الاستاذ مصطفي الخوراني ، ومساعدته لاعارتنا الرافعة والشاحنات لنقل التابوت . كذلك تتوجه بالشكر الى مدير شركة المرفأ المهندس السيد نور الدين كعالة واداريها الذين تطفوا بتسليم مهمتنا . والى اخواننا أصدقاء اوغاريت وفي مقدمتهم الاستاذ جبرائيل سمادة الذين بذلوا كل ما في وسعهم لمساعدتنا .

بعد أن خاب أمله في العثور على كنز . فاتفق الهيكل العظمي وأخرج جانباً من عظامه خارج الصندوق . حتى أنه مرق الجحمة وشوه المعالم الأثرية التي كانت ستلقي ضوءاً على ماضي تاريخي بكامله ، وذلك نتيجة لجشع اعمى . والواقع ان الميت بعد ان يتعرض جثته لنوع من التحنيط ، حسب مكانته الاجتماعية ، كان يلف بالمعطف الروماني التقليدي Toge^(١) وتوضع في فيه قطعة او عدة قطع من النقود ليدفنها حسب الاعتقاد الشائع انذاك الى الاله « شارون » . بالإضافة الى حلي الميت الشخصية من خواتم واساور واوسمة واقراط واكليل . . الخ^(٢) . وأشياء اخرى تمت الى مراسيم الدفن بصلة وثيقة : من جرار فخارية لسوائل التقدّمات ، وبقايا ادوات الولية الجنائزية ، الى قوارير الدموع والسرّج الفخارية . . .

ولقد عثرنا فعلاً عند رفع غطاء التابوت على قطع صغيرة جداً « لسراج ، وقارورة دموع زجاجية » مبعثرة بين العظام ، استخلصناها بالمصفاة من الوحل المتجمع في قاع التابوت اثر ثقبه . لكن هذه القطع لم تكف مع الأسف لتحديد عهدها أو نموذجها . ونتج عن تحليل اجزاء العمود الفقري والعظام المتبقية لدى اخصائي في الكيساء ، وجود ماءات الصوديوم وآثار الزرنيخ على نسيج العظام المائل للسواد . وهذا قد يبين ان الجثة مرت في مرحلة التحنيط . كما لاحظنا ان عظام العمود الفقري غليظة الحجم بما يرجح كونها عظام رجل تجاوز سن الشباب بدليل تصلب غضاريفها . أما الفقرات القطنية فقد كانت مضغوطة من الجهة اليمنى بشكل يوحي ان صاحبها كان أعرجاً .

وخلاصة القول ، ان الآثاث الجنائزي الذي يعتمد عليه علماء الآثار - في دراستهم للمدافن خلال محاولاتهم لتحديد مكانها ودورها التاريخي والحضاري - يكاد يكون معدوماً في دراستنا لتابوت اللاذقية . لذلك سنعتمد على المعلومات التي تقدمها عناصر التابوت نفسه وخصائصها بالدرجة الأولى ، وعلى القرائن التاريخية والعمرانية التي يزودنا بها موقعه في محاولة منا لالقاء بعض الضوء على جزء صغير من تاريخ اللاذقية . مستعينين في محاولتنا على ما تهيأ لنا في مكتبة

(١) كان لون الملف ايضاً للاغنياء ، واسوداً للموتى من الفقراء . راجع . Lavedan, op. cit. P. 485 .
(٢) وضعت قوانين اللوائح الإثني عشرية الشهيرة حداً للمبالغة في ترين الموتى بالحلي والاشياء ، الثمينة ، حين منعت وضع الذهب والاشياء الثمينة في القبور ، لا في ذلك من اغراء لموس على انتهاك حرمت المدافن .
راجع مادة funéraires في Lavedan, op. cit. P. 459 .

المديرية من مصادر لم ترو رغبتنا في تحقيق دراسة أوفى . ولعل توفرها في المستقبل يتيح لنا إلقاء نظرة جديدة على نتائج هذا البحث .

★ ★ ★

تبين لنا من الدراسة الأولية للتأبوت أنه مصنوع من رخام ايض ذي بللورات كبيرة تتخله عروق رمادية افقية . هي من صفات الرخام الموجود في مقالع جزيرة Proconése . الذي نرى كثيراً من أوابد آسيا الصغرى مصنوعة منه ، وخاصة في Ephés و Hælicarnasse ^(١) . والواقع ان استعمال التوابيت كمسكن للموتى يعدو « موضة » شائعة الإلتباع في العهد الامبراطوري الروماني ، بعد أن تزول تدريجياً عادة حرق جثث الموتى المتبعة في العهد الجمهوري . لذلك وتلبية للطلبات المتكاثرة أصبحت صناعة التوابيت تتخذ طابع الانتاج الواسع المنظم . فكانت تصنع في المراكز الرئيسية الشهيرة المتوزعة حول شواطئ وجزر بحري ايجه ومرمره ، حيث تكثر مقالع الرخام ^(٢) . ثم تنقل التوابيت بحراً بعد ان تحت هناك نحتاً اولياً يظهر المعالم الرئيسية لاشكالها وتزييناتها النافرة ، وفقاً لنماذج متنوعة وفيرة . هذه النماذج غدت ترمز في دفاتر خاصة . ويلاحظ الاستاذ F. cumont « ان التعبيرات التي كانت تعطى للمواضيع المنحوتة على التوابيت والانصاب الجنائزية في ذلك العهد قد نتجت عن اسلوب في التعبير الرمزي نشأ في مدارس الفلاسفة . وان الكتب الميثولوجية المختصرة manuels قد تغلفت حتى دخلت مشاغل الفنانين ateliers ^(٣) » . وفي بعض الأحيان كان يترك لصناع وفناني البلاد المستوردة اتمام زخرفة التوابيت الجاهزة هذه . واعطاء تماثيلها اللامع المرغوبة كما هو حادث في تأبوت اللاذقية . ظهرت كلمة تأبوت ^(٤) Sarcophagus في القرن الأول من عهد الامبراطورية الرومانية

(١) Lavedan, dictionnaire de la mythologie et des antiquités grecques et romaines P. 617.

(٢) والجدير بالذكر ان الرخام وصناعته كانا خاضعين لاشراف الاباطرة الرومان ، وله مكتب Ratio Mormorum وموظف مسؤول عن أمور قلمه وتوزيعه نظراً للأهمية البالغة التي كان يلعبها في حضارة الرومان الممرانية . Lavedan, op. cit. P. 617.

(٣) يؤكد الاستاذ كومون ان هذه التعبيرات الرمزية الميثولوجية في الفن الجنائزي الروماني هي اغريقية الاصل . راجع Franz Cumont, recherches sur le symbolisme funéraire des romains. Préface. P. II et P. 849.

(٤) راجع مادة Sarcophage في Larousse du XXe. Siècle. Tome XI; P. 140

لتدل على نوع معين من الحجر كانت له خاصة افناء الجثث خلال اربعين يوماً . وما لبثت ان اتخذت المعنى المعروف حالياً كمجمع جنازي^(١) . ولا أدل على شيوع استعمال التوابيت ووفرة صنعها من المجموعات الكبيرة التي ظهرت في مناطق مختلفة من العهدين اليوناني والروماني والتي يلاً ما كشف منها الى الآن اجنحة خاصة في المتاحف الكبرى . ولا تزال تتوقع ان تكشف الحفريات عن اعداد اخرى مماثلة ، تمثل جميعها النماذج المختلفة ، والتطور الطويل الذي عرفته صناعة التوابيت - الرائجة - خلال الحقب المتتالية . وان أشهر ما عرفناه منها هي توابيت العهد الاغريقي الكلاسيكي^(٢) التي تتميز بقرنها من شكل المعبد في سقفها ذي الانحدارين ، وجبهاتها المثثة ، ومواضيعها الاسطورية . . .

اما توابيت العهد الروماني التي نعتبر ثابتة الالاقية احد نماذجها الحسنة ، فانها تنزع في صنعها واسلوبها الى الاهتمام بالمواضيع التزيينية Ornementations Sculpturals على واجهات التوابيت اكثر من محافظتها على الشكل المعماري . ومع ذلك فهي تساهم الى حد ما بكلتا الصفتين التزيينية والمعمارية . ثم ما تلبث ان تميل الى تفضيل الصفة التزيينية نهائياً .

اننا نلاحظ هذا الاتجاه بوضوح خلال دراستنا لتابوت الالاقية . فالشكل المعماري يبدو جلياً في مظهره ، ويتركز بصفة خاصة في الفطاء المنحدر ، والجيئات المثثة ، والطنف ، والاجنحة الكروية . غير انه يقتقد الى الخصائص المميزة للنموذج الاغريقي^(٣) من تخريجات moulures قوية ، واعدة ، وافاريز مزخرفة ، ومواضيع ميثولوجية نافرة تطوف بواجهات

(١) نشأ التابوت عن تقليد للأجاجين Urnes الحجرية والطينية التي كان الكريتيون وقدماء الاغريق يودعون ضمنها رماد مواتهم عقب عملية الحرق . ولدى رجوع عادة الدفن الى الظهور في العهد الاغريقي جنباً الى جنب مع طريقة الدفن فان صندوق الرماد المستطيل - الشبه بصناديق البسة الفلاحين اليوم - يتطور ويكبر حجمه ليصبح ملائماً لغايات استعماله الجديدة الا وهي احتواء جثث المتوفى . وبذلك تكون الاجاجين المختلفة النموذج الأولي الذي انحدرت منه التوابيت في تطورها الطويل .

راجع مقالة Emile Cahen حول موضوع التوابيت في قاموس الآثار اليونانية الرومانية .

Saglio et Daremberg, op. Cit. PP. , 1064 - 1075.

(٢) كشفت عن نماذج واثمة منها حفريات حمدي بك عام ١٨٨٧ في مدفن صيدا واشهرها التابوت المنسوب للاسكندر الكبير ، وقابوت الباكيات ، وقابوت المرزبان الموجودة حالياً في متحف استامبول . ونلاحظ فيها الانسجام بين المظهرين المعماري والتزييني .

راجع Hamday bey et Reinaeh, une necropole royale a sidon, texte et planches. 1892.

(٣) قابل هذه الخصائص على التابوت المنسوب للاسكندر الكبير في :

Mendel, op. cit. , Tome I. , PP. 171 - 200.

الصندوق كلها ، منحوتة على مستوى Plan واحد . كما ان قاعدته بسيطة رمزية في مظهرها اكثر مما هي معمارية في وظيفتها . وتنقصها الزخارف الفنية .

وفي الحقيقة ، تتجلى في تأبوت اللاذقية صفات النزعة المتفرعة عن اسلوب النحت التزييني الآتف الذكر . وهي الاهتمام بالنقوش النافرة الزخرفية relief décoratif التي تعتبر من احدى غايجها زمرة التواييت « ذات الاكليل » a guirlands ^(١) بأشكالها العديدة سواء منها الاكليل الوحيد ، وهو ابسطها ، أو الثنائي ، أو الثلاثي . فعلى الواجهة الرئيسية (المصور ١ اللوح ٦) نشاهد الاكليل ثلاثية ، متسلسلة دوغاتراس في ورودها واوراقها وهذه صفة يميزها الاكليل الروماني عن مثيله في العهد الهلنستي . كما نشاهدها هندسية على الواجهة الخلفية وأحادية على الواجهات الجانبية . ونستطيع القول ان زخارف التأبوت موضوع البحث قد انجزت وفقاً للتيارات الفنية السائدة في القرن الثاني لليلاد . حينما يصبح الاكليل اقل العناصر الفنية اهمية في الزخرفة ^(٢) بعد ان كثر تكرار غايج التواييت ذات الاكليل ، وتعقدت تفصيلاتها . فعوضاً ان تقوم رؤوس الثيران bucranes بمحمل اطراف الاكليل هنا ، حلت محلها تماثيل ايروس اللطيفة تحمل العبء في الوسط ، تشاركها فيه آلهة الظفر على كلا الزاويتين اليسرى واليسرى . وديونيزوس قطاف العنب في الواجهتين الجانبيتين .

نستدل من تأمل التأبوت عن كعب ، ان الفنان صانه قد انصب اهتمامه بالدرجة الأولى على ابراز اشكال figures هذه التماثيل اللطيفة النافرة . مبتدئاً بالواجهة الرئيسية ، واستطاع ان يضع تقاطيع اجسام ايروس وآلهة الظفر في اماكنها . بتفاصيل البستها واجنحتها . كما ملأ فراغات اقواس الاكليل بتماثيل نصفية لاله الحب الثائم ، ورأس ميدوز الباكي ، والوجه المقتنع . بإذلاً جهده فيها اكثر من اهتمامه بالاشكال وتفاصيل الاكليل . وهو يعبر في املاء فراغاتها - بمواضيع وشخصيات رمزية - عن الاتجاه الفني المعاصر ^(٣) الذي تزول فيه النزعة

(١) راجع موضوع تأريخ التواييت ذات الاكليل في :

Carl Robert, journal of hellenic studies, XX, 1900, P. 82.

(٢) يعلق الاسناذ موريس دونان حول قيمة الاكليل في الفن الجائري ، بان الاكليل اصبح عنصراً مبتدئاً في التزيينات الجائرية للعهد اليوناني - الروماني . وغالباً ما يبالغ في قيمته الرمزية .

Maurice Dunand, le musée de Soueida, P. 62, Pl, XXXV, 118.

(٣) راجع تطور الاتجاهات الفنية في صناعة التواييت في قاموس الآثار اليونانية الرومانية .

Saglio et Daremberg, op. cit P. 1073

التزيينية البحتة . فيشكل مرحلة انتقال بين اسلوب التواييت ذات الزخارف التزيينية ، الذي ساد العالم الروماني في فترة القرن الأول للميلاد - والاسلوب الذي يهتم بالزخارف التصويرية في التواييت الوفيرة التي انتجت في عهد الاباطرة الانطونيين (١٣٨ - ١٩٢ م .)
ينتقل الفنان في فحته للتأبوت بازميله ومخززه ، من هذا الجزء من الاكليل الى ذلك الجناح الايمن للنسر ، الى المشعل الايسر ، فالعروق على الجناح الايمن . وكأني به استاذ يرسم لصنّاعه النموذج الذي يقتبسونه في انجاز الاجزاء المماثلة . كذلك يحاول اتمام صقل سطوح الواجهات الأربعة بازميله ليظهر صفاء الرخام .

ويمكننا القول ان « اللسة الاخيرة » مفقودة في كثير من معالها اذ لاتزال اثار ضربات الازميل ظاهرة على بعض السطوح . حتى وعلى قممات شخصيات تماثيله^(١) . بالاضافة الى بعض الاخطاء الهندسية من ناحية تناسب المقاييس على اطراف الصندوق ، وانسجام احجام التماثيل مع بعضها (المصور ١ اللوح ٦) وهذا ناتج الى حد ما عن محاولة تطبيق النموذج المختار على كتلة الرخام الموجودة بين يدي النحات . ولا شك ان تجويف كتلة الصندوق الكثيفة استغرقت منه وقتاً وجهداً كبيرين .



مركز تحقيق كيمياء علوم راسدي

يقول الاستاذ فرانتز كومون « اذا اخذنا الفن الجنازي الروماني بمجموعة فسوف ندهش من الحقيقة بأنه بقي بصورة كلية تقريباً وفقاً للتقاليد الهلينية . »^(٢)
وفي الواقع ان هذا الرأي ليعبر عن نفسه الى حد كبير في دراستنا لموضوع التواييت بصفة عامه ، ولتأبوت اللاذقية على الخصوص . فمن جهة نجد ان الفنانين اليونان مازلوا على رأس النشاط الفني في النحت والبناء في العهد الروماني . يارسون عملهم ، وتتشرب تعاليمهم ومبادئهم الفنية في انحاء الدولة الناشئة . ويستمدون مواضيع فنهم من الميثولوجيا الاغريقية . مترجمين عن عقيدتهم في مواضيع الحياة والموت ، والبطولة والخلود ، بتلك التعبيرات الرمزية الراسخة التي تجلي فيها ابداعهم . وكان الوجود الانساني محوراً رئيسي . ومن جهة اخرى نرى هذه المواضيع المستمدة من الميثولوجيا ، لاتلبث ان تفقد شيئاً فشيئاً المعين الذي انحدرت منه ،

(١) يتراوح بروز هذه التماثيل على واجهات التأبوت بين ٥ - ٧ سم .

F. Cumont, recherches sur le symbolisme funéraire des romains, préface, P. II.

(٢)

فتغدو رغم جلالها ، أداة خصبة طيعة في يد النحاتين التاليين وفناني القرون الأولى للميلاد .
 تزودهم بكل ما يحتاجون اليه لتلبية طلبات الجماهير المتزايدة التي رسخت لديها عادة الدفن .
 لذلك يمكننا القول ان بدعة جديدة نشأت ، عندما يصبح الفن في كثير من اجزائه
 اصطلاحياً Conventiennel ^(١) ، وتصبح التعابير الرمزية الجنازية بصفة خاصة قوالب محدودة
 جاهزة في دفاتر النحاتين ومشاعلمهم . يستعملونها في كل المناسبات ولعظم الموتى . فتغدو شخصيات
 ابروس ^(٢) المجنحة في تكرارها الشديد مظهراً تقليدياً يعبر عن الموت على توابيت العهد
 الامبراطوري . كذلك يصبح غالبية الموتى ابطالاً يمثلون على التوابيت والانصاب الجنازية في
 اوضاع ثابتة . أو يعبرون عن موتهم البطولي héroisé بتثيل الهة الظفر المجنحة أو النسور
 الظافرة ، أو الافاعي ، أو الاكاليل

وفي الحقيقة ، ان هذه النماذج المتكررة ، بعد ان فقدت بالنسبة لمستعملها معاني الأفكار
 التي كانت ترمز لها . لم تعد اكثر من عناصر تزيينية نافرة على واجهات التوابيت . اختيرت لمجرد
 تضمنها ايماءات دينية أو رمزية أحياناً . وأحياناً اخرى كثيرة لم يكن لها أي ارتباط مع
 الموضوع الذي نحت من اجله . وميزاتها بالنسبة لنا انها تحمل في تضاعفها وانماط صنعها ،
 التطور الطويل الذي مرت فيه اساليب صناعة التوابيت . ضمن اطارى المكان والزمان اللذين
 وجدت فيها . لذلك كان اهتمامنا خلال هذه الدراسة متجها نحو خصائص العناصر التي يتألف
 منها التأبوت - اكثر من محاولتنا التعق وراء الدلالات الرمزية التي تطوي عليها -
 لتحديد تاريخه .

أخيراً يمكننا ان نعتبر تأبوت عين « سانت - الكسي » من زمرة التوابيت « ذات الاكليل » ^(٣)
 الشهيرة . وهو اجمل ماظهر في سورية منذ عهد الاستقلال . وننصفه بين نماذج النصف الأول

(١) P. LaVedan, Dict. de la myth. et des antiquités grecques et romaines P. 662

(٢) راجع مقالة Max Collignon مادة (Cupido) في قاموس الآلات اليونانية الرومانية

Saglio et Daremberg, op. cit., PP. 1595 - 1610,

(٣) هنالك مرجع هام باللغة الالمانية يبحث عن تاريخ التوابيت ذات الاكليل . ننصفه اليه في مكتبتنا هو :

W. Altmann, architecture und ornamentik der antiken Sarkophage, 1902, P. 59 sq.

من القرن الثاني للميلاد . الا اننا لانستطيع مقارنته ^(١) بالنماذج التي ظهرت بوفرة في بلادنا ^(٢) ونهب المستعمرون معظمها ، وعلى الاخص تلك التوايت الرائعة التي اخرجها مدفن صيدا ، لانه يختلف عنها من حيث الموضوع ، والعصر ، واسلوب الصناعة .

اما عن علاقة هذا التابوت بعين « سانت الكسي » فنرجح انه وضع في الكهف اثناء تشييد بناء النبع . اذ ان الجدار الذي يفلق مدخل الكهف مترابط بصورة عمودية مع الجدار الشرقي من بناء النبع (المخطط ٢ اللوح ٢) ومنبتق عنه . و لانستبعد ان يكون لصاحب التابوت ، الذي نرجح كونه شخصية من شخصيات اللاذقية في العهد الروماني . علاقة بعمليات تشييد النبع وبالتالي الحمامات المجاورة له . الا اذا اظهرت الحفريات في المستقبل مايدل على ان هذه الحوضه استغلت لتكون منطقة مدافن .

هشام الصفري - أغوب كريشيان



مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

(١) في المتحف الوطني نقش فافر وحيد لجزء من تابوت رخامي عثر عليه في اللاذقية بقمياس (١٠٣٥ x ٠٠٩٥) . تعرض فيه مشاهد من اسطورة ابروس وبشيشه . وهو من النماذج الرائعة الصنع اذ يبلغ بروز نقائله ١٢ سم .

راجع وصفه في دليل الآثار اليونانية - الرومانية في متحف دمشق باللغة الفرنسية ، مؤلفه الدكتور سليم عبد الحق - والدكتور اندره عبد الحق . (صفحة ٧٠ ، اللوح ٣٤ - ٢) .

(٢) يلاحظ السيد Gaillardot زميل العالم رينان في « بشة فينيقيه » انه صادف ، معالم طريق روماني يمكن انه كان يصل بين صور ودمشق وقد لاحظ على طول هذا الطريق مجموعات من الخرائب والمناصر

والتوايت . راجع . Renan, mission de phénicie, P. 645 .

كما يلاحظ رينان في نفس المرجع ، ان نماذج التوايت ذات الاكاليل وفيرة في هذه البلاد .

Renan, op. eit. P. 637.

مدينة افامية الأثرية

وصلتها بسهل الغاب

لأستاذ أحمرو وصفي زكريا

تمهيد -

في المجلدين الرابع والخامس لـ مجلة الحوليات الأثرية السورية مقال قيم للسيد بشير زهدي خريج معهد اللوفر عنوانه (بناء المدن السورية وتنظيمها في العصر الهلنستي) شرح فيه الجهود التي بذلها سلوقس نيكاتور وخلفاؤه اليونان السلوقيون في انشاء المدن الحديثة واعادة بناء المدن القديمة وتنظيمها وترتيبها ضمن شروط كانوا يتقيدون بها اجلها فيما قال انهم يختارون مواقع هذه المدن في جوار حصن يدافع عنها ونهر يدها بجاء السقي للمحصول ومنابت الارزاق وعين تنبض او قناة تحمل ماء للشقة لشرب السكان ويمطونها على قارعة طريق تجارية تسلكها القوافل المحملة للسلع المختلفة .

وقال ان السلوقيين بعد تقديم هذه الشروط كانوا يتخذون في هندسة المدن المذكورة مخطط التنظيم المشابه لـ رقعة الشطرنج ، وان مهندسي هذا المخطط كانوا يعنون ببناء اسوار المدن وابوابها وقلاعها المكلفة بالدفاع عنها وبتمديد شوارعها واقواسها وساحاتها العامة واسواقها ومدارجها ومسارحها وملاعبها ودورها وقصورها ومجاري ماء الشرب فيها . . . الخ .

وفي المجلد السادس من المجلة المشار اليها مقال قيم آخر للسيد زهدي اتم به شرح العوامل التي ساعدت على ازدهار المدن السورية وتنظيمها في العصر الروماني ، وهي كما قال عوامل سياسية وادارية ودفاعية . وقد افاض في ما كان يبذله الرومان من الدقة والعناية في تخطيط

المدن وتحصينها وبناء قلاعها وفي تجميلها بالشوارع واقواس النصر والساحات العامة . . . الخ . وقد طبق السيد زهدي هذه الشروط والافصاف على المدن السورية الاثرية التي بنيت في العهد اليوناني ، ثم توسعت وازدهرت في العهد الروماني كانطاكية وافامية (اللتين على العاصي) ودورا اوروبس (التي على الفرات) وبصري ودمشق وتدمر وغيرها . وكان اكثر بحثه في هذا التطبيق منصبا على انطاكية . ولا غرو ان يفعل ذلك ، لان انطاكية كانت وقتئذ عروس مدن الشرق الادنى دون منازع وعاصمة الدولة اليونانية السلوقية التي ورثت حصّة كبيرة من ممالك اسكندر الكبير المكدوني وامتدت من سواحل البحر المتوسط الى حدود الهند . وقد حفلت انطاكية في عهدهم وعهد قياصرة الرومان الذين خلفوهم بافهم عمران وازدهت بالدور والقصور والمدارج والمسارح والملاعب والشوارع المستقيمة العريضة المرصوفة واماكن القصف واللهو وقنوات الماء وغيرها .

والآن جئت انا اتبسط في ما اوجزه السيد زهدي عن مدينة افامية التي تأتي بعد انطاكية في جمال التخطيط وعظمة البناء وازدهار العمران في عهود اليونان والرومان والبيزنطيين وسأبين اوصاف هذه المدينة قديماً وحديثاً وتأريخها وكيفية خرابها وحالة عمرانها السابق ب سهل الغاب المجاور لها . لاني زرتها ثلاث مرات في سني ١٩٢٥ و ١٩٣٢ و ١٩٥٢ اي قبل ان تجري فيها اعمال الحفر والتنقيب وبعدها . وكنت ابلغها تارة من الشمال عن طريق جسر الشغور فسهل الغاب وتارة من الجنوب عن طريق حماة فشيّور ، وتارة من الشرق عن طريق المعرة فخان شيخون . وكلما بلغتها ونجولت في ارجائها اخذتني الروعة واللوعة من ضخامة اطلالها وفضامة آثارها وفجاعة المذابح والزلازل التي قوضت بنيانها وقرضت سكانها ، وكنت كلما حلقت في سماء التأمل والاعتبار اردد الايات الآتية :

قصور خلت من ساكنها فما بها	سوى الأدم تمشي حول واقفة الدمى
نجيب بها الهام الصدى ولطالما	اجاب القيان الطائر المتوقفا
كان لم يكن فيها انيس ولا التقى	بها الوفد جمعاً والخمس عرمرما

وصف مدينة افامية :

افامية : مدينة يونانية - رومانية في الشمال الغربي من مدينة حماة على بعد واحد وخمسين كيلومتراً ، وفي الشرق من قرية (قلعة المضيق) على بعد كيلومتر واحد وتقع ضمن اراضي هذه القرية وهي مبنية وفق الشروط التي ذكرها السيد زهدي من حيث وجود حصن يحيطها

(قلعة المضيق) ونهر تسقي منه اراضيها (نهر العاصي) الذي يبعد الى الغرب نحو ثلاثة كيلو مترات ويخترق سهل الغاب الفسيح ، وقد كانت اقامية تتعم بفلال هذا السهل المتنوعة الوفيرة على ما سنحدثك عنه . وتأثيرها قناة (ثبت اخيراً انها من سلية) تحمل اليها ماء الشرب وتوزعه على احيائها ومساكنها . هذا الى ان اقامية كانت في العصور القديمة ذات موقع حربي هام وعلى طريق استراتيجية للجيوش والقوافل مدوا لاجلها الرصيف الروماني القادم من القسطنطينية والمتجه الى دمشق وما بعدها والموجودة بقاءه في سهل الغاب حتى الان . اي ان اقامية كانت حاضرة على كل العوامل السياسية والادارية والدفاعية والاقتصادية الموجبة لبناء مدينة مثلها في موقعها الجغرافي الحالي . وفيها احاسن الهندسة اليونانية والرومانية واجل التخطيط والتنظيم الذين كان ملوك اليونان وقباصرة الرومان يعنون بها . كما فيها اقبح مافعله اكاسرة الفرس من تخريب وتقويض وافجع مالت عليه الزلازل من تهديم وتخطيط .

اجل ، ان مدينة اقامية في يومنا هذا خلاه قواء اذا بلغتها وتجوالت بين اطلالها ترى كيفما التفت مباني متهدمة وجدراناً متداعية ورضاماً وحجارة متكلسة وقواعد للاعمدة ضخمة وابدانا وتيجاناً لها متددة او منتصبة نذر السالم منها بينها . وبعض ابدان الاعمدة ذات سطوح ملساء وبعضها بخطوط مستقيمة او حلزونية ، وكل هذه الاطلال من الصخر الطباشيري الرمادي اللون الذي استخرج من مقالع جبل شعشبو القريب من اقامية . وقد فعلت فيها فجائع الزلازل المتكررة وعوامل الطبيعة الهدامة فقلبت عاليها سافلها وجعلت اكثرها تحت التراب وبعضها فوقه ، ونبتت بين هذه الاطلال الانجم والاشواك فصارت في مجموعها مصداقاً لقول الذي اجتاز بابوان كسرى بعد خرابه فكتب :

يا ايها المغرور بالدنيا اعتبر بديار كسرى فهي معتبر الوري

غنيت زماناً بالملوك واصبحت من بعد حادثة الزمان كما ترى

واطلال اقامية هذه تمتد في ساحة كبيرة تقدر بمائتي هكتار ، وهي تتجه من الشمال الى الجنوب فوق هضبة منبسطة شرقي قلعة المضيق الرابضة فوق تلها العالي . وهذه الهضبة تعلو نحو مئة متر عن سهل الغاب الفسيح الذي يجاورها من الغرب ويخترقه نهر العاصي القادم من حماة نحو جسر الشغور وما بعدها . وكان يحيط بمدينة اقامية سور عظيم مبني برضام^(١) ضخمة منحوتة نحتاً جميلاً فيه باب كبير في كل جهاته الاربع . ولم يبق من هذا السور الا بعض

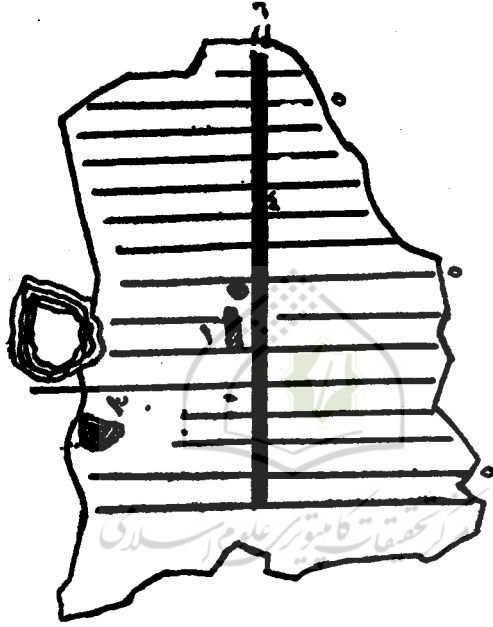
(١) الرضام جمع رضه : هي الحجارة المظلمة يرصم بعضها فوق بعض في الأبنية . وقد اتخذتها مقابل كلمة

القسم الذي فيه الباب الشمالي ، وهذا الباب مازال شبه سالم تظهر منه قنطرتة والبرجان اللذان كانا على جانبيه ويجرسانه .

ويجتزق هذه المدينة شارع عظيم مستقيم ، يمتد من الباب الشمالي الى الباب الجنوبي طوله ١٨٥٠ وعرضه ٢٣ متراً . وقد كان في كل من جانبي هذا الشارع رواق مبلط عرضه سبعة امتار ونصف مخصص لمرور الاهلين المشاة واستظلهم يستند على صف من الاعمدة الجسية التي يبلغ ارتفاعها مع القاعدة نحو عشرة امتار ونصف . اي انه كان على جانبي الشارع صفان متقابلان من الاعمدة . وكانت ارض الرواق مبلطة في معظمها بالفسيفساء التي سيأتيك وصفها . ولا تزال هذه الاعمدة وبعض ابدانها الساقطة ظاهرة للعيان الواحد تلو الآخر وهي على مثال اعمدة تدمر اي ان في اوساط بعضها افاريز كانت تحمل قنايل بعض الشخصيات البارزة في عهود الرومان بما يدل على عناية هؤلاء بصران افامية وازدهارها . وكان هناك خمسة عشر شارعاً ثانوياً تتعامد مع الشارع الاعظم المستقيم ، وتمتد من الشرق الى الغرب (كما ترى في الشكل رقم ١) . وكان كلها أو اكثرها محملاً على اروقة مستندة على صف من الاعمدة ذات النيجان المختلفة كما في الشارع المستقيم المذكور . وقد كانت افامية في العصور المتوسطة على هذا الخراب المحزن ، بدليل ما ذكره الامير اسامة بن مرشد آل منقذ الشيزري^(١) في كتابه الاعتبار وذلك في صدد المعارك التي كانت تجري بين قومه العرب المسلمين المرابطين في قلعة شيزر وبين الافرنج الصليبيين القابعين في قلعة المضيق ، والمسافة بين القلعتين عشرون كيلو متراً ، قال في كتابه المذكور (طبع جامعة برنستون ، ص ٤٧) وصرفنا الى افامية فلقينا فارسهم وراجلهم في

(١) الأمير أبو المظفر أسامة بن مرشد ، كان من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر وعلمائهم وشعراهم وفارسائهم . نشأ في شيزر سنة ٤٨٨ هـ ثم هجرها على أثر نزاع مع أنفاريه ، ونزح إلى دمشق وخدم ملوكها من آل طنتكين ، ثم من آل زنكي وآل أيوب . وعمر وقارب المئة وتوفي سنة ٥٨٤ هـ ودفن في شرقي جبل قاسيون . وهو لا كان في شيزر اتصل بالافرنج فقاتلهم حيناً وهادنهم حيناً . وله عدة مؤلفات قيمة : أحصاها (كتاب الاعتبار) الذي طبع أولاً في ليدن سنة ١٨٨٤ بمثابة الأستاذ (دير نبرغ) وثانياً في برنستون سنة ١٩٣٠ بمثابة الأستاذ (فيليب حتي) . وقد ترجم هذا الكتاب إلى أكثر اللغات الأوروبية لأنه فريد من نوعه في الأدب العربي القديم ، جمع فيه هذا الأمير مذكرات شتى على شكل (ريبورتاج) عن أساليب العيش والصيد والفروسية في عصره وأخبار اقتتاله مع الافرنج الصليبيين بين شيزر وأفاميه . وله أيضاً كتاب المصا وأزهار الأنهار والبديع في علم البديع وأخبار البلدان والمنازل والديار ، ومن هذا نسخة مخطوطة في مكتبة مجلة المقتطف في مصر .

الحراب الذي لها ، وهو مكان لا ينصرف فيه من الحجارة والاعمدة واصول الجيطان الحراب ، انتهى . وقد ظلت أفاعية على مايرام من العمران والازدهار والشعب والري حتى اواخر العهد الروماني الشرقي (البيزنطي) الذي سبق ظهور الاسلام ، تقص بما يقرب من مئة الف من



(الشكل رقم ١) مخطط مدينة أفاعية

- ١ - الساحة الكبرى « الفوروم » ٢ - الاكروبول « القلعة » ٣ - المسرح
٤ - الشارع الاعظم ٥ - شارع فرعي ٦ - الباب الشمالي

سكانها السوريين ونعني بهم (الآراميين) اسلاف الطوائف المسيحية في سورية كلها ويشاركهم في سكانهم جالية غير يسيرة من الاغريق (الروم البيزنطيين) الذين كانوا الفئة الحاكمة (ادارياً) والمهيمنة (اجتماعياً وثقافياً) .

ثم دامت أفاعية التكتبات التي ستحدث عنها في اللغة التاريخية فخرت وهجرت وصارت

حتى يومنا هذا على النحو الذي وصفناه ينق في البوم والغراب وتسرح الضواري والافاعي .
واخذ فلاحو (قلعة المضيق) يرعون انعامهم بين اطلالها ويستغلون الرقاع الصالحة للحرث
والزرع من ساحاتها الطافعة بالحجارة المكسرة والاشواك الواخزة . على حين ان هذه الساحات
في ايام عمرات افامية وازدهارها وفيض النعم السابغة علي سكانها كانت ميادين المواكب
والاستعراضات العسكرية وملقى الاجتماعات والحفلات الشعبية للافراح والاتراح ... كما كانت
القصور والدور المبنية حول تلك الساحات والشوارع المشتقة منها بجمع النوادي والمجالس ومرتع
الغواني والاونس تارة وتارة على ماسوف يأتيك حديثه . وقد ظل التراب طامراً اطلال
افامية والنسيان طاوياً اخبارها طوال القرون الاربعة عشر التي مرت حتى الآن لا يطررها احد
من ذوي المعرفة والتفكير سوى بعض سياح الافرنج الذين يقدرون قدر هذه الاماكن الاثرية .
فقد زارها منهم عدة اشخاص وبعثت طوال القرن التاسع عشر وكتبوا عنها ما استطاعوا ان
يكتبوه . اما السوريون فقد كانوا في غفلة عن افامية وامثال افامية . لم يزرها حتى من مثقي
حماة وحلب القريبتين منها الا ما ندر . ومن زارها لم يكتب عنها كلمة شأن ابناء قومنا في
عدم الاكتراث بما فيه عبرة وذكرى من الاماكن الاثرية القية .

اجل ، ظلت افامية على ما وصفناه الى ان قبض الحظ لها قبل ربع قرن بعثة أثرية
ارسلتها حكومة بلجيكا برئاسة العالم الأثري السيد مايناس الاستاذ في جامعة لوفان . فقامت
هذه البعثة خلال خمس سنوات (١٩٣٠ - ١٩٣٥) تعمل كل سنة مدة شهرين ، تحفر خرائب
افامية وتنش مكنوثاتها الى ان كشفت مباني واشياء عديدة من اجمل الآثار واجلها قدراً ،
نقلت بعضها الى متحف بروكسل وسلمت البعض الى متحف دمشق بمقتضى الاتفاق الذي عقدته
مع ادارة هذا المتحف وقتئذ .

وبما افاد البعثة في توجيه حفرياتهما حارطة جوية اخذت من احدى الطيارات شملت جميع
الاطلال ومكنت المهندسين من القاء نظرة اجمالية على المدينة بكاملها ، فظهرت على شكل
اهليلجي يستطيل من الشمال الى الجنوب (انظر الشكل رقم ١) ويتصل في الغرب بالتل
الذي قامت عليه اليوم (قلعة المضيق) وكشفت الحفريات الاعمدة المنتشرة على جانبي الشارع

الاعظم الذي قدمنا ذكره . ولم يكن يظهر قبل الحفر الا رؤوسها او حلقات منها . قطرو العمود يبلغ ١٢٠ سنتيمتراً وعلوه عشرة أمتار ، وكشفت أيضاً قواعد هذه الاعمدة التي كانت مطبورة على عمق ثلاثة أمتار . فاذا هي مزخرفة بنقوش لطيفة على شكل اوراق البلاب والحشوف . ويبلغ عدد هذه الاعمدة الف ومائتان على صفين متقابلين ، والبعد بين العمود والآخر في طول الشارع ثلاثة أمتار الا عندما تنفرج الاعمدة فتغلي المكاتب لشارع آخر فتتألف ساحة في ملتقى الشارعين . وكشفت أيضاً في إحدى الساحات صرحاً كبيراً قائماً على اعمدة تشبه السابقة . وهذا الصرح من اجل مباني افامية لانه غريب في هندسته اليونانية ولم يعرف هل كان معبداً ام قصراً ام دار حكومة .

وكشفت البعثة أيضاً في غربي المدينة انقاض مسرح روماني عظيم مع ساحته الكبرى الفسيحة ذات الطبقات المتعددة المحاطة بصف من الاعمدة . ومع المدرج العظيم الذي شيدت مقاعده من الاحجار الضخمة المنحوتة ، وقد كان يجلس فيه الالوف من المتفرجين ايام الاعياد والحفلات . وكشفت ركناً مزخرفاً يمثل مشاهد واشخاصاً تتعلق بعبادة الكرم ، منها شخص واقف على إحدى الدوالي المنفرعة اغصانها حول فخذه وصدره ، وقد رفع يده فأساً مزدوجة . وشخص آخر له رجلان بيده ذنب حيوان لم يعرف تماماً . وكلها آثار مهمة تبرز الى عبادة باخوس اله الخمر . ووجدت في الشارع المستقيم ناووساً من الحجر عليه اكليد Guirlande من الازهار الحجرية أيضاً تحملها ملائكة ذوو اجنحة . ووجود هذا الناووس مطروحاً في الشارع المذكور دل على ان مقبرة المدينة قد نهبت من قبل . وان هذا الناووس قد نقل ليستعمل وعاء لجمع ماء المطر .

ومن المعلوم ان الروم البيزنطيين برعوا في صناعة الفسيفساء ، وهي البلاط المؤلف من الحجارة او الفصوص الصغيرة الملونة المنقوشة التي تمثل صوراً جميلة ، منها امثلة عديدة رأيناها في كثير من بلاد الشام ، كما في الاسكندرونة وانطاكية وصيدا (لبنان) وجرش ومأدبا (شرق الاردن) وشباه (حوران) وغيرها . ويحدثنا التاريخ ان الخليفة الاموي الوليد ابن عبد الملك لما اراد بناء الجامع الأموي في دمشق انتدب الى العمل صناعاتاً من الروم بنوه وزينوه بضروب الفسيفساء لا يزال بعضها ظاهراً للبيان على جدار الرواق الغربي اكتشف قبيل الحرب العامة الاولى .

اما وان الامر كذلك لا غرو ان يقوم الروم المذكورون بتزيين اقامية الجميلة بابدع ما صنعه صناعهم من الفسيفساء التي كانت ذات تقاطيع هندسية غاية في الدقة . منها لوحة صوروا فيها صياداً ممسكاً بمقودي كلين يقفزان امامه . والاطار المحيط باللوحة مؤلف من ثلاثة شرائط ذات اشكال هندسية سداسية او مثلثة الاضلاع متبوجة . وفي الوسط صورة نمرة تقبض بمخالبها على وعل وقد تجهمت له تجهماً مربعاً ، وهناك فارسان يدهما رماح ينقضان على النمرة ويطعنانها لاتقاذ الوعل ، وترى ثياب الفارسين تتوج ورائهما بفعل الهواء . والنظر ذو مغزى عميق ورائع ومثله الالوان الجميلة جداً ، وقد وجدت البعثة ايضاً كتابة من الفسيفساء دلت على ان المكان كان ردهة للحفلات بني سنة ٥٤٩ ميلادية . ووجدت ايضاً فسيفساء تؤلف ارض كنيسة ، الا ان هذه لا تحتوي الا على رسوم هندسية تشبه نقوش الطنافس . وهذه القطع النفيسة ذهبت في حصة البعثة البلجيكية . هذا والفسيفساء في اقامية تختلف عما اكتشف في بلاد اخرى ، اي ليس فيها صور تمثل اساطير الميثولوجية اليونانية والرومانية كالتي اكتشفت في شهباء حوران او انطاكية ، بل اختصت بمواضيع تتعلق بالعلوم الطبيعية كرسوم الحيوانات . منها في حديقة متحف دمشق رسوم طيور متنوعة كالبط والحجل وناعورة كبيرة كنواخير حمامة وقافلة جمال محملة اقال على كل حمل حذاجة . وفي الحديقة المذكورة منظر نصفي لفتاة تتطلع الى الامام بعينين شاخصتين . وتتماز مربعات الفسيفساء في هذا المنظر بدقتها وحسن رصفها وجمال الوانها التي هي بلون احمر على ارض بيضاء ومحيط برأس الفتاة مربعات تؤلف ما يشبه الاكليل . اما الكتابات فقد كانت نادرة ، وجل ما عثر عليه مزبوراً على اثنين من الاعمدة كتابات فيها اسماء الابطاطة يوليوس فيروس (١٦١ - ١٦٩) وآنطونين التقي (١٣٨ - ١٦٩) ، وظهر للبعثة ان الساحات العامة التي فيها مفارق الطرق كانت مزينة باعمدة عالية مزخرفة والابواب والنوافذ كانت ذات اوضاع منتظمة . وقد وجدت البعثة مباني عديدة لم تعرف الغاية منها ، بينها بناء مدور الشكل يظن انه قنطرة .

ومن اجل ما افاد البعثة في اعمالها صورة شمسية من الطائفة مكنتها من أن ترى فوق الارض نقاطاً صغيرة ممتدة على خط مستقيم بموازية الشارع الاعظم الذي تقدم وصفه . ولما حفرت البعثة اماكن هذه النقاط تبين انها ذروات ركائز عريضة مربعة كانت تحمل قناطر عليها قناة ماء المدينة . ولما تعمقت في الحفر ما بين الركائز وجدت هذه القناة سالمة وموزعة في المدينة في اتفاق مدت فيها اسطوانات ضخمة حجرية طولها ٧٠ وقطرها الخارجى ٩٠ والداخلي ٥٤ سنتيمتراً ، وهي تشبه الاسطوانات التي تصنع في عهدنا بالاسمنت وتوضع تحت الجسور ، وهي من ابداع ماقرة النافرون ، ويكاد امر خراط في الحطب لا يأتي بمثلها . والعجيب فيها

انها كلها من الحجر الجيري الصلد المحفور حتى منعرجاتها وزواياها ومكان التصاق بعضها في بعض . وكان يتفرع من تلك الاسطوانات قساطل (حلاقيم) فخارية صغيرة قطرها ٢٥ - ٣٠ سنتيمتراً تتوزع في جميع انحاء المدينة على طراز شبكة غاية في الضبط والاتقان . ومن المؤسف ان هذه القساطل الحجرية والفخارية التي رأيتها في زيارتي السابقة لافامية سنة ١٩٢٥ - وسنة ١٩٣٢ قبل عمل البعثة وبعده لم أعد أراها في زيارتي الاخيرة سنة ١٩٥٢ وما علمت كيف تحطمت واختفت .

وقد ظلت هذه القناة محاولة المصدر طوال هذه السنين والظنون تردد كلمة (سلبية) التي تبعد حوالي سبعون كيلو متراً للجنوب الشرقي . الى ان أيد صحة هذه الظنون في السنة الماضية السيد كامل شعادة مراقب الآثار في حماة . فقد ذكر لنا انه تتبع تخطيطها من افامية مشياً على قدميه حتى بلغ سلبية ، فثبت له صحة ما كان يروى عن ان مصدر قناة افامية هو من هذه البلدة المشهورة بقنواتها العديدة الأثرية .

هذا والبعثة البلجيكية المذكورة بعد ان عملت مذكراته حملت الى بروكسل عاصمة بلادها حصتها من الآثار المكتشفة ووضعت ما حملته في جناح خاص داخل (حديقة المتحف الحسيني) Parc de musée cinquantenaire وانشأت في تلك الحديقة ايضاً نموذجاً للشارع المستقيم في افامية بطول خمسة وثلاثون متراً ، وجعلته ذا رواق مزخرف واعمدة حلزونية وجدار طبق الاصل الذي وجدته في مكانه (انظر الشكل رقم ٢) . وهي قد توقفت وقتئذ عن العمل على امل الرجوع واستئناف التنقيب . لكن ظروف الحرب العامة الثانية حالت دون بغيها فظلت خرائب افامية وآثارها الباقية بحاجة الى همم عالية واموال تتفق في ميدان التنقيب الذي لا يزال في انتظار من يحول فيه .

ومن المؤسف ان يتعرض متحف بروكسل المذكور خلال تلك الحرب الى قصف طائرات الالمان وان تتحطم آثار افامية القيية في جملة ما تحطم فيه . فلا يبقى على ما قيل لنا سوى الفسيفساء التي تحدثنا عنها ، فقد نجت بفضل الردم الذي حفظها كما حفظها من قبل في افامية نفسها .
لمحة تاريخية عن مدينة افامية :

افامية مدينة قديمة كانت موجودة قبل الميلاد بعدة قرون . ولا يعرف من بناها ومتى بنيت ولا الشعب الذي قطن فيها بأدى ذي بدء . قيل ان اسمها القديم كان (فارناك) ثم دعاها الاسكندر المقدوني (بلا) باسم البلدة التي كانت عاصمة ابيه فيليب ونشأ هو فيها . وبعد ان مات هذا القائد الكبير تقاسم خلفاؤه بمالكة المترامية الاطراف ، فكان (آنتيغونوس)



(الشكل رقم ٢)

نموذج رواق أفامية ذي الأعمدة الحلزونية الذي أنشئ في بروكسل

في مكدونيا وآسية الصغرى و (بطليموس) في مصر وفلسطين و (سلوقس نيكاتور) في العراق وايران وسورية الشمالية . اما افامية فقد صارت من نصيب سلوقس نيكاتور مؤسس الدولة السلوقية سنة ٣١٢ ق م ، وقد بنى هذا الملك الهام في زمنه في سورية الشمالية عدة مدن منها آنتيوش (انطاكية) تكريماً لاسم ابيه انطيوخس وجعلها عاصمة مملكته كلها كما بنى لاثوديسيا (اللاذقية) لاسم امه وافامية لاسم زوجته الاميرة اباميا الفارسية وسلوقية (السويدية) لاسم هو وشالسيس (قنسرين) لاسم احد اخصائه . وكان همه ان يضي على المدن الآسيوية الصفة الاغريقية وان يكون للاغريق مزبة الطبقة السائدة فيها لا لهم من الحضارة الرفيعة في الجلة . وهو الذي جدد عمران افامية وجعلها موقعا عسكرياً مجهزاً بجميع العدة والعدد ومعامل الصناعات الحربية وشاد فيها مدرسة عسكرية للفرسان . وجمع في سهل الغاب القريب من افامية على ما قاله استرابون الجغرافي اليوناني مئات من الافيال التي كانت تقوم مقام دبابات زماننا والوف من الجياد المستعملة في حروب تلك العهود . وظلت افامية في عهد خلفائه الملوك السلوقيين تزهر بمظمتها ورونقها ووفرة سكانها وبذخهم وترفعهم ونحسب الثانية بين مدن سورية الشمالية بعد العاصمة انطاكية . وكانت تشاطر انطاكية كل بؤسى ونعمى . فكل ما كان يجري في تلك العاصمة من تعبير أو تهديم وافراح أو اتراح كان يجري ايضا في افامية . لاسيا والمسافة بينها لا تزيد عن ١١٤ كيلو متراً عبر جبل القصير وجسر الشفور والرصيف الباقية آثاره حتى الآن شرقي سهل الغاب .

وكانت دولة السلوقيين وقتئذ عظيمة تمتد كما قدمنا من سواحل البحر الابيض المتوسط الى حدود الهند ، لكن تاريخ هذه الدولة طافح باخبار الفتن والحروب والكوارث التي حالت دون بقائها في الحياة اكثر من ٢٣٦ سنة . فمن العوامل التي ادت الى زوالها هو اقتتال الآنتيغونيين حكام مكدونيا والبطالسة حكام مصر والسلوقيين حكام سورية الشمالية وتنازعهم على امتلاك بلاد آسية الصغرى وكاليسيريا (سورية المتوسطة) وتنافس اعضاء الاسرة المالكة على عرش الدولة السلوقية وتناحرهم . ثم بعد عاصمتهم انطاكية عن مكدونيا واثروا هذا البعد في اضعاف قوة العنصر الاغريقي (اليوناني) الذي كان دعامة السلوقيين . هذا الى تنوع العصبية والقوميات في انطاكية وافامية وتنازعها ووجود اليهود وقتئذ بينها يوقظون الفتنة كلما رقدت شأنهم في كل زمان ومكان . ثم دسائس البطالسة اصحاب مصر الذين كانوا يرومون ضم ملك السلوقيين اليهم فيرشون القواد والامراء ويمرضون نساء البلاط اللواتي كان بعضهن من اصل بطليمومي على الدس والشغب وتسيم الملوك ليتسنى لهم التداخل والاصطياد في الماء العكر .

ولم تهدأ انطاكية واقامية كما ينبغي وتسعد الا في زمن انطيوخس الثالث الملقب بالكبير (٢١٣ - ١٨٦ ق.م) . فقد بسط هذا الملك سلطانه على ولاياته الشرقية التي كانت شقت عصا الطاعة ، ثم استعد لاستخلاص مصر من ايدي البطالسة ففتح في طريقه سورية المتوسطة والجنوبية . لكن الرومانيين ظهروا في تلك الحقبة وكان هو قد استنزف غضبهم فشغلوه واضطروه بعد معركة مغنيسا (غربي الاناضول) الى ان يتخلى عن املاكه في آسية الصغرى وان يسلمهم سقته الحرية وافياله التي كانت في افامية (معاهدة افامية سنة ١٨٨ ق.م) .

وبعد انطيوخس الكبير تعاقب على عرش الدولة السلوقية عدة ملوك ضعفاء في فترات قصيرة فابتلع الفرس جزء المملكة الواقع شرقي الفرات وامت الفوضى الجزء الذي بقي بيد السلوقيين ، وكثر القتال بين القواد والملوك رجلاً ونساءً وتوالى الحريق والنهب في انطاكية واقامية وهياكلها .

فمن احداث افامية الخاصة وقتئذ انه في سنة ١٤٠ ق.م لما ساءت سيرة الملك ديمتريوس الثاني وسبب حدوث حرائق ومذابح في انطاكية ثار الشعب عليه بقيادة رجل من اهل افامية اسمه (ديودوتس) استطاع ان يخلع ديمتريوس وينصب مكانه ابناً صغيراً لذلك الاسبق المسمى اسكندر بالاس وعمل له حفلة تنويج فخمة في افامية ولقبه بانطيوخس السادس . وبقي ديودوتس ثلاث سنوات كالوصي على عرش انطيوخس المذكور له الامر والنهي . ولما عظم شأنه عزل سيده ومملك وحده سنة ١٤٣ ق.م ولقب بتريفون ، ولما طغا وبغى هاجمه اخو ديمتريوس المذكور بايعاز من كليو باترا امرأة ديودوتس الاولى التي كانت تتحفظ للثار منه على هجرها وزواجه بغيرها ، وحاصره في افامية وقتله وتولى الملك بعده باسم انطيوخس السابع (١٣٧-١٢٩ ق.م) ورغم الكوارث والفتاقل التي حدثت في عهد السلوقيين كان لهم هممة محدودة في تشييد المدن وتنظيمها . واجمل ما شادوه ورفعوه كان في انطاكية واللاذقية واقامية ، كالمياكل (المعابد) لكواكب السماء التي كانوا يعبدونها امثال جوبيتر (المشتري) ومارس (المريخ) ومثلها الملاعب والمسارح والحدائق والحمامات والمتاحف والدور والقصور والتماثيل الفخمة واماكن انقصف والهبو . وما زال هذا العمران زاهياً تخربه وتشوه محاسنه الحين بعد الآخر المؤامرات والانقلابات التي كانت تتوالى الى ان جاء الرومان بقيادة بومبيوس سنة ٦٤ ق.م وازالوا دولة السلوقيين .

ولما استولى الرومان على سورية جعلوا انطاكية قاعدة ولاية سورية الاولى ، واقامية قاعدة سورية الثانية التي سموها ايضاً سورية الطبية Syria Salutaris ومنبج قاعدة سورية الثالثة

او الفراتية ، وكانت حدود ولاية افامية تتحدد الى جوار حصص فيلحق بها حماة (ابفانيا) وآراتومة (الرستن) ومومين ورفانية وغيرها .

وقد زار هذه الولايات عدد من قياصرة الرومان العظام امثال انطونيوس وزوجته كليوباترة واوكتافيوس واوغسطس وطيباريوس وتراجان وهادريانوس وماركوس اورليوس وبسجينوس نيجر وسبتيوس سيفروس وكراكالا وهيلو كابل الحصين وفيلبوس العربي الحوراني واوردثانوس وديموكلتيانوس . فقد كان من عادة هؤلاء القياصرة ان لا يقبضوا في قصورهم في رومية بل يتجولوا في انحاء بلادهم المترامية الاطراف ومنها انطاكية عروس مدن الشرق وقتئذ ، فاذا انتهت زيارتهم لها كانوا يعمرون بافامية في سيلهم الى دمشق وغيرها من مدن سورية النوسطة والجنوبية . وكان من دأبهم ايضاً ان يحسنوا الى المدن التي يزورونها بمباني ومآثر دينية ومدينة فضة لاتزال ماثلة للعيان تشهد بمقدرةهم وعلو كعبهم في العمران والانشاء .

وفي العهد الروماني كانت انطاكية وافامية معاً قبة انظار العالم القديم ، فقد كانتا قاعدتي حرب للدفاع والتجاوز المكلف بها الفيلق الروماني الرابط فيما تحاه الدول والشعوب الآسيوية كالارمن في الشمال والفرس في الشرق واليهود في الجنوب والأعراب في بادية الشام . لذا كانت المدينتان ملائى بالكنائس والمساح ومعامل للصناعات الحربية . وبعد ان كانتا معقل الوثنية صارتا موئل النصرانية بعد اورشليم ، تناحرت فيها الديانتان مدة مديدة ثم تنازعت من غل النصرانية الآريوسية وغيرها . وكانتا محجة طلاب الثقافة في تلك العصور ، تهافت العلماء والفلاسفة الى نوادي الآداب والفنون فيها كما كان يقصد وقتئذ طلاب علم الحقوق مدينة بيروت التي كانت فيها كلية كبيرة لهذا العلم .

وقياصرة الرومان الذين عددهم عنوا بافامية اي عناية بمحكم وجود سهل الغاب الذي كان يدو محاصيه الوفيرة عليها وترتع فيه الحبول والافعال الخاصة بجيوشهم ، فرموا ما كان انتفض من ممراتها السلوقي وزينوها بكثير من الدور والقصور والمياكل لا كانوا وثنيين وبعدهد من الكنائس لا صاروا نصارى كما زينوها بالشوارع والحمامات والمسارح والحدائق وقنوات الري حتى صارت من اضر المدن وازهاها ، وكانت الايام المشهودة في انطاكية وافامية هي ايام الاحتفال بقدم القياصرة المذكورين الذين كانوا يدخلون بمنتهى الابهة والعلظة ومواكب النصر يعمرون مركباتهم الحربية وافيالهم الضخمة وجنودهم المتنوعة الالوان والقمائم والازياء والاسلحة ، وكثيراً ما سكا قديسو النصارى ما كان عليه سكان انطاكية وافامية في تلك العصور من التعم والفسق وارتياح المسارح والملاعب يسمعون شجي الاطنان ويشهدون تمثيل الروايات والالعب الاولية

وعراك المصارعين وسباق المركبات والخيول واقتتال الوحوش مع الابطال او الاسرى وغير ذلك من اسباب اللهو المعروفة عن الرومانيين .

ومع هذه الافراح كان هذا العهد مشوباً باتراح شتى ، فقد توالى فيه الحروب الخارجية والموآمرات والانقلابات الداخلية ومعاصي الجند ووثباته والمنافسات والمناحرات الدينية بين انصار الوثنية والنصرانية وبين ارباب المذاهب النصرانية نفسها . فاهيك المجاعات والابوثة والحرائق . ذلك لان سكان افامية وغيرها من المدن السورية في العهد الروماني كانوا من عنصر واحد (العنصر الآرامي) ويتكلمون لغة واحدة (الآرامية) التي هي احدى اللغات السامية ويدينون بدين واحد هو (الوثنية) التي تأمر بعبادة القوى الطبيعية والاجرام السماوية المثلة باشخاص جبابرة في اشكالهم واعمالهم ، وقد بنوا لهم هياكل (معابد) ضخمة في اكثر الاماكن . والرومان كانوا يعبدون جوبيتر (كوكب المشتري) الذي هو في زعمهم سيد الآلهة او إله النور والبرق والرعد . وقد اقاموا له المعابد (الهياكل) الفخمة في كثير من المدن ومنها دمشق الذي قلبوا فيها هيكل هدد معبود الآراميين الدمشقيين الى هيكل جوبيتر معبود الرومانيين . ولما تنصروا قلبوه الى كنيسة (بازيليسكا) باسم ماريوحنا المكدان ، ولما جاء المسلمون جعلوه جامعاً باسم (الجامع الاموي) . وقد خلط الرومان وقتئذ ديانتهم بديانة الامم التي اخضعوها لحكمهم ، فصارت المعبودات والمعابد مشتركة بين ارباب الدولة واهل البلاد ، وكان كل فريق يدعو معبوداته كما يشاء فيدعو الروماني مثلاً جوبيتر مايدعوه السوري هدداً او بعلأ ، ويكرم الروماني جونون الهة الزواج التي زعموا انها امرأة جوبيتر في تمثال يعده السوري كتتمثال عشتروت الهة الزنى . ثم انقرضت الوثنية لما تنصر قسطنطين الكبير سنة ١٢٣ م ولا سيما لما قضى عليها تودسيوس الكبير قضاءً مبرماً سنة ٣٩٤ م .

ولكن ما كادت الوثنية تخذ والنصرانية تنتشر حتى تأججت في العالم الروماني مذاهب شتى أورت نار الفتن بين مسيحي تلك العصور وقسمتهم الى طوائف شتى ، اولها الآريوسية المنسوبة الى آريوس الاسكندري الذي انكر الوهية المسيح ، ثم تبعها النسطورية المنسوبة الى يعقوب البرادعي القائل بان للمسيح اقنوماً واحداً وطبيعةً واحدة . وصار لكل من هذه المذاهب اتباع في سورية ولبنان تنازعوا وتعاركوا مئات السنين وقتل كثير من كل فريق . ومن ابرز الامور في تاريخ افامية وقتئذ انه كان في قريها دير عظيم على ضفاف العاصي اندثر بتاتاً ولم يعد بالامكان تحديد موقعه الآن . ويغلب على ظننا انه كان بين قريتي شيزر

والعشارنة ، قيل ان ماريوحنا مازون قديس الطائفة المارونية كان يقيم في هذا الدير في اواخر القرن الرابع لليلاد ، وقد تنسك فيه وجمع حوله مئات من الرهبان الذين تتلمذوا عليه واستمروا بعده ثلاثة قرون . وذكر الجغرافي العربي المسعودي هذا الدير في كتابه (التنبيه والاشراق) فقال في الصيغة ٩٦ انه ذو بنيان عظيم حوله اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها رهبان وكان فيه من آلات الذهب والنفضة والجوهر شيء عظيم ، فخرّب هذا الدير وما حوله من الصوامع بتواتر الفتن ، وهو يقرب نهر الارنط نهر حمص وانطاكية ، آه . وقيل ايضاً ان هذا الدير كان يعرف باسم (دير البلور) لكثرة ما كان في جدرانها من الحجارة المبلورة الناعمة ، وان عدد رهبانه زهاء ثلاثمائة وخمسون ، اشتهروا من اول ظهورهم بالانتصار للمجمع السكوني الرابع الذي انعقد سنة ٤٥٢ في خلقيدونية (بليدة قرب بروسة في تركيا) وافر بان للسبح اقنوماً واحداً وطبيعتين المية وانسانية ، وقد هدم بقراره هذا تعاليم يعقوب البرادعي الذي ينتسب اليه السريان اليعاقبة (السريان الارثوذكس) كما قدمنا .

وعلى اثر هذه الانقسام انشطر سكان البلاد السورية عامة وافامية خاصة الى شطرين متنازعين . واشتد الخصام وهجم اليعاقبة سنة ٥١٧ م على دير مار مارون المذكورة وقتلوا جميع رهبانه ونهبوه وهدموه وغفوا آثاره كما قال المسعودي فاندثر بتاتاً . وعلى اثر هذا الحادث اخذ اتباع مار مارون في افامية يهاجرون منها ومن وادي العاصي كله وبلأوا الى شمالي لبنان وقطنوا جباله المرتفعة . وما عتوا ان كثر سوادهم هناك وقويت شوكتهم الى يومنا هذا . واذن تكون افامية منبع الطائفة المارونية المعروفة في لبنان وغيره .

هذا واللغة الآرامية ظلت من قبل الميلاد بستة قرون الى مابعد بسبعة قرون هي اللغة الوحيدة التي يستعملها الساميون في اقطار الشرق الاوسط باستثناء اللغة العريية . وفي العهد الروماني صارت اللغة اللاتينية وفي العهد البيزنطي الذي خلفه صارت اللغة اليونانية رسمية لدى الحكام وعلى السنة الاشراف والاغنياء من أهل البلاد السورية . حتى ان هؤلاء صاروا يسبون ابناءهم باسماء يونانية ، ويكتبون شواهد قبورهم باللغة اليونانية تبعاً للتقليد الذي هو ديدن الضعيف تجاه القوى . اما العامة فظلوا يتكلمون باللغة الآرامية الى ما بعد القتح الاسلامي الذي اشاع اللغة العربية وجعلها لغة الحاكين والمحكومين في مدة وجيزة ، وتقلص ظل الآرامية حتى لم يبق منها في يومنا الا اثر ضئيل في ثلاث قرى من جبل قلمون الادنى وتدعى اللهجة التي يستعملها هؤلاء (السريانية) ، ولدى الكلدان في قرى الموصل شمالي العراق والملاوثرين الذين

سكنوا منذ ربع قرن على ضفاف الحابور في شمالي سورية ، وتدعى اللهجة التي يستعملوها هؤلاء (الكلدانية) .

هذا وبعد ن قسم قسطنطين دولة الرومان سنة ٣٩٦ م الى دولتين شرقية وغربية واتخذ بيزنطية عاصمة للشرقية مضت سنوات طويلة من السكينة والطأنينة على انطاكية وافامية . وظل سكان المدينتين يتمتعون بالنعم الدارة ويحتفلون بالاعیاد والمواسم السارة على غرار ما كانوا عليه في العهد الروماني ، وانغمسوا في الترف واللهو واستوطأوا مهاد الحمول وعدم الحیطة لضربات الدهر وكواوثة الى ان داهمتهم نكبتان عظیمتان لم يكن لهم قبل في ردهما ؛ الاولى غارات الفرس والثانية الزلازل الارضية .

والفرس كما يعرفه قراء التاريخ كانوا اعداء الداء لليونان ثم لحلفائهم الرومان والروم البيزنطيين . وقد ظل الفريقان يتعاركان خلال عهود الاكاسرة والقياسرة كلها وطوال اثني عشر قرناً (من القرن ٦ ق م الى القرن ٧ ب م) وذلك بسائق التنازع على سيادة العالم في تلك العهود ، وكان شأنهم في هذا الجشع وحس السيطرة شأن كتلتي الشرق والغرب القويتين في زماننا . والتاريخ يعيد نفسه . وكان كل من الخصوم يهاجم الآخر ويتوغل في بلاده ويدمر المدن ويحرقها ويقتل سكانها كلهم او جلهم وينهبها ويعود مثقلاً بالاسلاب والفنائم وسائناً امامه الاسرى والسبايا يسترقهم ويبيعهم بيع البهائم .

ولا يعرف في أي من غارات الفرس العديدة دمرت افامية وقتل سكانها وتشنت من سلم منهم او وقع في الاسر حتى غدت خاوية على عروشها . واذا لم نحسب حساب الغارات القديمة يئلب على ظننا ان هذا الدمار قد حدث اما في سنة ٥٤١ م على يد كسرى الاول المعروف عند العرب باسم نوشروان العادل واما في سنة ٥٧٩ م على يد كسرى الثاني المعروف باسم خسرو برويز . فكلاهما هاجم في دوره سورية ودمر في طريقه مدنها الشرفية كمنبج والاندرين وقنسرین^(١) وغيرها وبلغ انطاكية ودمرها واحرقها . والاول منها نقل أهل انطاكية الى ضفاف الدجلة وحملهم على بناء مدينة بيزنطية التخطيط والبنیان مميت من بعد (مدائن كسرى) واذا كانت افامية جارة انطاكية وشريكها في كل سراء وضراء نعتقد ان هذين الملكين هاجما وقتلوا افامية ايضاً وفعلوا فيها نفس الفظائع التي فعلوها في انطاكية وغيرها من المدن السورية . ومهما افترضنا عدم دمار افامية وعدم خلوها من السكان كلياً بفارتي الفرس المذكورتين

(١) اقرأ وصف هذه المدن في كتابنا (جولة اثرية في بعض البلاد الشامية) المطبوع سنة ١٩٣٤ .

فان الزلازل المائلة التي حدثت بعدما في فترات متلاحقة أي في سني ٥٤٣، و ٥٥١ و ٥٨٩ م لا بد ان تكون قد نالت من اقامية كل النبل . ان هذه الزلازل ولا سيما زلزلة سنة ٥٨٩ م التي كانت اعظم الكل قد دمرت مدن بيروت و بعلبك واللاذقية ومنبج وانطاكية وغيرها في سورية ولبنان ، واهلكت عشرات الالوف من سكانها ، وجرت القافية اقامية ايضاً ، فتقوضت واهقرت ولم يرتفع لها شأن بعد تلك السنين ، ولم يبق الدهر فيها سوى حصنها (الاكروبول) الذي كان مبنياً في غربها على تل صناعي شامق دعي بعد بضعة قرون (قلعة المضيق) ، فصح في اقامية قول الشاعر :

اضحت خلاءً واضى اهلها احتلوا اخنى عليها الذي اخنى على لبد^(١)

هذا ولئن كانت انطاكية والمدن التي ذكرناها استعادت وقتئذ جل او بعض عمرانها بعناية الامبراطور البيزنطي يوستنيانوس ٥٢٧ - ٥٦٥ م صاحب المآثر المشهورة فان اقامية لم تستعد عمرانها لسببين ؛ الاول ازدياد التنازع والتناحر بين سكانها المنقسمين الى طائفتي اليعاقبة والموارنة والثاني تكرور غارات الفرس في قيادة ملكهم خسرو برويز الذي انتصر على الروم البيزنطيين اولاً ثم كر هؤلاء عليه في قيادة الامبراطور هراقليوس (هرقل) وغلبوه اي غلبة . وكان ذلك في السنة الخامسة من الهجرة النبوية ٦٢٥ م . وقد نوه بذلك القرآن الكريم في سورة الروم ، قال - الم غلبت الروم في ادنى الارض وم من بعد غلبهم سيغلبون .. الخ . وظل ؟ البؤس والشقاء في سورية ضارين اطنابها وتذمر السوريين يتعالى من تمادي المنازعات الدينية التي تحدثنا عنها ومن فساد ادارة حكامهم البيزنطيين وتوالي الكر والفر بين هؤلاء والفرس الى ان خفت اعلام المسلمين وقتعوا دمشق ثم بلغوا اقامية وما حولها سنة ١٧ هـ (٦٣٨ م) واستولوا عليها .

وقد وجد المسلمون في سورية حين قدومهم عدة مدن خربة كلياً او جزئياً بفعل الفرس وفوضى عهد البيزنطيين كانطاكية ومنبج وغيرها فعبروها وسكنوها ، الا اقامية التي وجدوها مدمرة خاوية كما قلناه لم يعبروها قط وتركوها كما هي الآن واكتفوا بحصنها (الاكروبول) الذي قدمنا ذكره . وقد فكرنا كثيراً في سبب احجام المسلمين الفاتحين عن تعبير اقامية وسكنائها كما عملوا في المدن الاخرى فلم نجد سبباً سوى ان يكون ذلك من عدم تمكنهم من

(١) احتلوا بجني اوتغلوا ولتبد في الاساطير العربية هو آخر من مات من الدور التي اختارها لغاب بن عاد بد ان عاش كل منها دهرأ طويلاً .

اصلاح جداول سهل الغاب ومصارفه . لاسيما وقد كان انقضى قرابة قرن على اهمال البيزنطيين للغاب من جراء خراب افامية وخلوها من السكان المستعدين لذلك الاصلاح . وكان جغرافيو العرب وادباؤهم يذكرون هذه المدينة تارة باسم افامية وتارة فامية ، وقد ذكرها احد الشعراء في بيت له بدون الف فقال :

ليست العواصم من شرقي فامية . اهدت الي نسيم البان والغرب . . . الخ
وذكرها ياقوت الحموي في كتابه المشترك فقال ؛ يقال افامية بزيادة الهزة في اولها وهي مدينة عظيمة قديمة على نشر من الارض لها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب (نهر العاصي) . وقال ايضاً في معجم البلدان ؛ افامية مدينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص ، وقوله هذا خطأ لانها بعيدة عن الساحل وعن حمص . وذكرها ابن رسته المتوفي سنة ٢٩٠ هـ في كتابه الاعلاق النفيسة (طبعة ليدن ٣٢٤) فقال افامية مدينة رومية قديمة خراب على بحيرة عظيمة .

قلعة افامية - قلعة المضيق -

اما قلعة افامية التي دعت من بعد قلعة المضيق ، فبينة كما قدمنا مكان (الاكروبول) الذي كان لافامية ، وهذه الكلمة تعني الحي المرتفع في كل مدينة يونانية . وهي لا تزال فوق تلها الكبير العالي تشرف في الشمال على جبل الزاوية وفرعه الجنوبي المسمى شعشبو ، وتشرف في الجنوب على سهول ناحية الطار المنتهية عند قلعة شيزر التي كانت مقر الامراء بني منقذ في القرن السادس الهجري ، وفي الشرق على سهول ناحية خان شيخون المعنة في البعد الى طريق حلب - دمشق ، وفي الغرب على جبال النصيرية الشاهقة الارتفاع الدكناء اللون وعلى سهل الغاب الفسيح الذي سيأتي ذكره وفي وسطه ينساب نهر العاصي . وكان يحيط بالتل العالي المذكور خندق عظيم . وقد زال البلاط الذي كان يصفح منحدرات هذا التل على غرار القلاع المرتفعة فوق التلال كالتي في حمص وحماة وحلب وامثالها . وقلعة المضيق جائمة كعش العقاب فوق تلها المذكور . وهي الآن عبارة عن سور عظيم على هيئة مضلع غير منتظم له منظر غاية في الروعة للقادم من بعيد . وعلى هذا السور ركبت أبراج كبيرة مربعة الشكل تتوالى في كل الجهات . لكن اكثرها الآن خراب تحول الى مساكن لفلاحي القرية . ووسط القلعة ارض مستوية مساحتها تقرب من عشرة هكتارات لا بد انها كانت فيما مضى مشغولة ببعض المباني الحربية ومكاتب الفواد والضباط ابان مجد هذه القلعة . اما الآن فهي ملانة بدور الفلاحين

المكتظ بعضها على بعض . ومن الغريب انه لم يكن وسط هذه القلعة قلعة داخلية لحماية خط الدفاع الاخير ، مما كانت لا تخلو منه قلاع تلك العهود وتسمى في اللغة الفرنسية Donjon . وسيل الوصول الى القلعة من عقبة عريضة في الطرف الجنوبي لتلها اذا صعدنا الزائرون يلبقون باب القلعة الوحيد . وكان فوقه قنطرة وحوله برجان متقابلان لحراسته . وكان على القنطرة كتابة تحوي اسم الملك الناصر يوسف من فرع الملوك الايوبيين الذين حكموا حلب تاريخها سنة ٦٥٤ هـ .

واكثر السور سالم ما عدا احجار التضاريس التي كانت عليه ، فقد زالت هذه في ما عدا القسم الغربي منه . وركبت مساكن فلاحي القرية على السور كله كما قدمنا . وفي شمالي القلعة وعلى السور المذكور بقي برج سالم مربع الشكل جميل البناء في جداره القبلي كتابة تحوي اسم الملك الظاهر غازي جد الناصر يوسف الذي تقدم ذكره تاريخها سنة ٦٥٢ هـ . وقد نقشت هذه الكتابة باربعة اسطر على اربعة احجار ضخمة ورسمت على كل من طرفي الاسطر الاربعة وردة من الطراز العربي الاصلي جعلتا على الاحجار المجاورة . والكتابة بالحط النسخي الايوبي ذرعا ١٨٠ في ٧٨ سنتيمتراً ؛ نقلها عن (السجل التاريخي للكتابات العربية) الذي نشره العالمان الفرنسيان سوفاجه وفيت : (١) .

(١) بسملة امر بعمارته مولانا الملك (٢) الظاهر غياث الدنيا والدين سلطان الاسلام و (٣) المسلمين غازي بن يوسف بن ايوب ناصر امير المؤمنين بولاية (٤) العبد الفقير الى رحمة الله اقطغان الظاهري بسنة اثنين وستائة .

قلت ، يبدو من الاسم ان اقطغان هذا كان مملوكاً تركياً منسوباً الى الملك الظاهر غازي المذكور . ومعنى اسمه في التركية الباز الاشهب ، وكان والياً (محافظاً) في القلعة . اما امير المؤمنين المنوء به في الكتابة فهو الخليفة العباسي احمد الناصر لدين الله الذي دامت خلافته ٤٧ سنة (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ) وكان اطول خلفاء بني العباس مدة واقبحهم سيرة بعينه ولهوه وخراب العراق في زمنه وتفاعسه عن مدافعة الصليبيين والتتار الذين انقضوا على بلاد المسلمين وقتلوا من الغرب والشرق (٢) اما كلمة ناصر امير المؤمنين فتدل على تبعية الملوك الايوبيين للخلفاء

العباسيين ؛ وهذه النبعة لم تكن فعلية بل صورية ومقتصرة على تخطبة الجمعة والعيد فقط احتراماً لمقام الخلافة الذي ما كان يتناول اليه غير قرشي . اما الفرع الايوبي في حلب وملحقاتها فأولهم الظاهر غازي المذكور الذي ولاته ابوه يوسف صلاح الدين الايوبي على حلب سنة ٥٨٩ هـ ثم خلفه ابنه العزيز غياث الدين محمد سنة ٦١٣ هـ ، ثم ابن العزيز الناصر يوسف ٦٠٤ هـ . وهذا هو الذي كتب اسمه على باب قلعة المضيق . ولما قتل الناصر يوسف بأمر ملك التتر هولاكو سنة ٦٥٨ هـ انقرض الفرع الايوبي المذكور وانتقلت حلب وملحقاتها الى السلاطين المماليك الترك والتركس الذين حكموا القطرين المصري والشامي من القرن السابع الى القرن العاشر .

وعلى ذكر سور قلعة المضيق وابراجها وأسماء الذين بنوها نستطرد ونقول كلمة عن أن ملوك المسلمين في عهود الدولتين الاتابكية السلجوقية والايوبية الكردية ودولة السلاطين المماليك في القرن السادس والسابع والثامن والتاسع للهجرة قد عنوا كل العناية في تشييد المباني الحربية والدينية والثقافية والصحية ، فانت اينا توجهت في بلاد الشام ومصر تجد آثارهم من القلاع والحصون والايراج والاسوار والجوامع والمدارس والبيمارستانات والحانات والزوايا وأمثالها . ففي بلاد الشام وحدها لكل من نور الدين محمود زنكي السابق بهذه الكومة وغيرها وتلميذه صلاح الدين الايوبي وخاصة لآخيه العادل ابي بكر وولدي العادل المعظم عيسى والصالح اسماعيل ثم لابن صلاح الدين الظاهر غازي صاحب حلب ولابنه العزيز محمد وحفيده الناصر يوسف ولغيرهم من الملوك الايوبيين الفر الميامين حتى لزوجاتهم وبناتهم كضيعة خاتون في حلب ، وزمرد خاتون الملقبة بست الشام في دمشق ولاتباعهم من امراء وقواد وعتقاء ، ثم لحلفائهم السلاطين المماليك الترك ولا سيما المنصور قلاوون وابناؤه والظاهر بيبرس ثم للسلاطين المماليك التركس ولا سيما يرقوق وبرسباي وسيداي وقايتباي وقانصور القوري واتباعهم . . اجل ، كان لكل من هؤلاء بناء أو عدة مباني من اروع غاذج فن الرياضة العربية ومن أجل ما خلده الايام بهندسته وحسن منظره ، أخصها من المصانع الحربية فقط تعدد قلعة النجم وقلعة الرحبة (على الفرات) . وقلاع حلب وحارم والمضيق وبرزويه وشيزر وحماة وحصن الاكراد ودمشق وبلبك وبصرى والصبيبة وعجلون والكرك وغيرها مما يبعدنا وصفه وشرحه عن الصدد . وكل منها غاية في الابداع والانتقان يلا القلب رهبةً والنفس غبطةً واللسان رحمةً . وغايتنا من هذا الاستطراد هو السؤال عن المهندسين والبنائين العرب الذين رفعوا تلك العماثر المتقنة الصابرة على كمر الدهور وبرهنوا على نبوغهم في فن الرياضة العسكرية والمدنية من هم وما هي اسماؤهم

ومن أي كلية هندسة تخرجوا وفي أي المكاتب الفنية تمرنوا حتى بلغوا تلك العبقريّة في جودة التصميم والتخطيط والتنفيذ . وهل يعقل ان لا يكون لهم كتب اخذوها ودروسها عن اساتذتهم واخرى الفوها لتلامذتهم ، ان هذه المؤلفات التي لا نجد لها با للأسف اثرأ بين المخطوطات العربية الموزعة في دور كتب الشرق والغرب . أتراها عثت بها ايدي الجيلة غزيرة أو حرقاً لما رأوها لا تبعت عما يسلي أو يلهي . فلو اتنا عثرتنا على بعض تلك المؤلفات أو على الاقل لو لم يغفل المؤرخون ومؤلفو كتب التراجم العربية عن ذكر هؤلاء المهندسين والبنائين ومثلهم ارباب الصناعات والحرف النافعة لسكنى المجتمع البشري ودفاعه وكسائه وغذائه ودوائه وقد كان عديم موفوراً في تلك العصور الزاهرة بمجد العروبة والاسلام ولو عنوا بهم بعض عنايتهم بتراجم الادباء والشعراء والفقهاء والتصوفين والمتقشفين وامثالهم من ذوي بضاعة الكلام والخيال الذين لم ينسجوا ربطاً ولا بنوا حيطاً . . . اذن لعرفناهم وعرفنا شيئاً من فنونهم ومصطلحاتهم ومسيبتهم وتمكنا من وصف ما بنوه ورفعوه وصفاً هندسياً عربياً على غرار كتاب الافرنج اليوم الذين لديهم معاجم عديدة في لغاتهم تحتوي على المصطلحات والمسيبات المستعملة في فنون الرياضة والآثار ، لا نجد لها ما يقابلها لدينا فتقامي المصاعب حين الاضطرار الى الكتابة والبحث عن المباني التاريخية ، ولا ندري متى تقوم بوضعها مجامعنا اللغوية أو مؤتمرات الآثار التي تتعقد من حين الى آخر في العواصم العربية . ومنها المؤتمر الذي انعقد في ايلول سنة ١٩٤٧ في دمشق الذي قيل في الكتاب الذي صدر عن نتائجه انجائه (ص ٢٥٤) انه قرر تأليف مكتب في القاهرة يعني بنشر معجم عربي للمصطلحات الاثرية . ولم نعرف ما اذا كان هذا المكتب قد تألف وهل عمل شيئاً بما كلفه به المؤتمر خلال السنوات العشر التي مضت . هذا وان الكتابة التي على البرج الشمالي والاخرى التي على باب القلعة وغيرها من الكلمات والنقوش العربية التي يصادفها المدققون على بعض الاحجار والجران هنا وهناك ، ثم فقدان كل اثر للسوقيين والصليبيين وشكل الابراج المربعة واقسامها الداخلية واعدة الروابط التي اقحت في عرض جدرانها وشكل برجى الباب الذين كانا يؤلفان عند باب القلعة بما يسمى في كتب العرب (باشورة) كل ذلك يدل على ان بناء قلعة المضيق عربي صرف بشهادة العالم الاثري فان يرشم^(١) وهي من آثار نور الدين محمود زنكي والملكين الايوبيين أصحاب حلب الذين ذكرناهم . ولا يعرف العهد الذي تبدل فيه اسم حصن اقامية وهو المصطلح عليه في عامة التواريخ

(١) Max Van Berchem : Vayage en Syrie. T. 1

العربية وكيف انقلب الى قلعة المضيق . ولم نعث في كتبنا القديمة على كلمة المضيق الا عرضاً في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي عند ذكره الموقعة التي جرت حول اقامية سنة ٣٨٧ هـ - لما حاصرها الروم وضايقوا اهلها وجاء جيش ابن الصصامة والى دمشق لاستخلاصها وكسر الروم وقتل ملكهم . قال وكانت الوقعة في مرج فسيح بطيف به جبل يعرف بالمضيق لا يسلكه الا رجل في اثر رجل ومن جانبه بحيرة اقامية ونهر المقلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة . قلت يظهر من ذلك ان سهل الغاب كان يدعى (مرج اقامية) وقلعة المضيق (حصن اقامية) والوادي الضيق القصير المحصور بين آخر عضد من جبل شحشبو وبين تل القلعة الذي يتفد منه السائر الى سهل الغاب (المضيق) ونهر العاصي (نهر المقلوب) وهكذا تتبدل الاسماء احياناً بتبدل الازمان . على ان اسم (قلعة المضيق) ذكره السائح التركي اولياجلي سنة ١٠٥٨ هـ في رحلته التي عربناها وشرحناها في كتاب خاص دعيناه « جولة اثرية في بعض البلاد الشامية » طبع سنة ١٩٣٤ ، بما يدل على وجود هذا الاسم في القرن الحادي عشر الهجري .

والقرية التي داخل قلعة المضيق في يومنا كبيرة سكانها بضع مئات ، مسلمون سنية ، وهم محشورون هنا اي حشر لضيق مساحة القرية عن استيعابهم ، تراهم في صعود وهبوط مستعربين الى مزارعهم ومراعيتهم التي في اسفل القلعة وجوارها ويقطنون في الدور المكتظة التي ذكرناها واكثرها لا يختلف عن المغاور لصغرها ورداءة بنائها من انقاض اقامية وحرمانها من منافذ النور والشمس ، كما ان ازقة القرية في غاية التعج والضيقة ووفرة الغبار والاقذار ناهيك برداءة الهواء واعتلال الصحة من جراء وقوعهم في مهب الانجزة الصاعدة من مستنقعات الغاب وناهيك بتقدان الماء الجاري الذي يضطر نساؤهم الى ورود الينابيع البعيدة في اسفل القلعة وحمله والصعود به بشق الانفس . ولهذا السبب يتنقأ اهل هذه القرية المتكوبون بما وصفناه من الاحتشاد والحرمان لو تسمح لهم المديرية العامة للآثار بالنزول وبناء المساكن الصحية في الاراضي التي تحت القلعة وحولها في شرقها وجنوبها . والمديرية المشار اليها تعارض في ذلك حرصاً على سلامة آثار مدينة اقامية المنتشرة والمدفونة هناك .

وفي اسفل القلعة من الجنوب خان عظيم مربع الشكل طول كل من اضلاعه اربعون متراً لا يزال اكثره سالماً . وهو من آثار الوزير العثماني سنان باشا الشهير المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ والذي له خانات كهذا في الرستن والقطيفة وسعسع وجامع حسن البناء في دمشق وغير ذلك من المباني الخيرية . وخان قلعة المضيق ذو باحة واسعة حولها رواق وابهاء كبيرة ذات سقف

معقودة في جدرانها مدائن متقنة على الطراز العثماني . وكانت قوافل التجار والحجاج القادمة من استانبول وبر الاناضول عن طريق انطاكية وجسر الشفور تأوي الى هذا الحان . وقد صار الآن مأوى لرعاة الغنم في الشتاء وصناع الاواني الخزفية في الصيف ، وهناك في اعلى الحان وتحت باب القلعة جامع صغير عثماني الطراز حسن الشكل في وسطه قبة وعلى طرفيه عقدان وفي غربه مأذنة جميلة بيضاء ، وهو قد بني مع الحان لصلاة الحجاج والمسافرين ، لكنه الآن مهجور وخراب لفقدان الحاجة اليه .

تاريخ قلعة افامية (قلعة المضيق)

قدمنا ان المسلمين لما فتحوا بلاد الشام وبلغوا مدينة افامية وجدوها خراباً يباباً كما هي الآن فاكتفوا بقلعتها (قلعة المضيق) ولم يعرفوها قط . وهم اذا ذكروا اسمها عنوا هذه القلعة والقرية المبنية داخلها . كما شهد بذلك العالم الاثري رينه دسو في كتابه (الطبوغرافية التاريخية للبلاد السورية) قال في الصحيفة ١٩٨ ما يلي :

La ville antique disparut de bonneheur et la bourgade qui survecut à l'époque Arabe sous le nom de Famia fut réduite à la citadelle.

ومعناه ان مدينة افامية القديمة اختفت باكراً والقرية التي عاشت في العهد العربي باسم افامية انحصرت في القلعة . قال البلاذري ؛ سار ابو عبيدة في سنة ١٧ هـ (٦٣٨ م) بعد افتتاح شيزر الى افامية فلتقاء اهلها بالصلح فصالحهم على الجزية والحراج . وقال اليعقوبي في كتابه البلدان ؛ وسكنها بعد من المسلمين قوم من عذراء وجرهاء . وفي العهد العباسي ظلت تتعاور قلعة افامية ابدي العباسيين ثارة والإخشيديين والمحمدانيين والفاطيين ثارة . وكان الروم البيزنطيون يهاجمون مدن سورية الشمالية ومنها افامية هذه . وقد جرت حولها معارك شديدة بينهم وبين المسلمين المدافعين عنها . وفي سنة ٤٧٥ هـ دخلت في حوزة السلطان ملكشاه بن آلب أرسلان السلجوقي ، ولما جاء الافرنج الصليبيون سنة ٤٩١ هـ حاصروا افامية وملكوها واستقروا فيها وجعلوها من جملة المعاقل الامامية لعاصمتهم انطاكية يناوشون منها مسلمي شيزر وحماة ويناوشهم هؤلاء . وقد ذكر الامير أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار عدة كوائن جرت له ولأهله حول افامية تثير العجب قدمنا نبذة منها . ودام الحال على هذا المتوال الى أن جاء تور الدين محمود زنكي سنة ٥٤٥ هـ (٢٦ تموز سنة ١١٤٩ م) واستخلصها من الصليبيين . قال ابن الاثير في حوادث هذه السنة : وفيها سار نور الدين محمود زنكي إلى حصن أفامية وهو للفرنج أيضاً بينه

وبين حماة وشيزر مرحلة وهو حصن منيع على تل مرتفع عال من أحسن القلاع وأمنعها . وكان من به من الفرنج يغيرون على أعمال حماة وشيزر وينهبونها . فسار نور الدين إليه وحصره ومملكه وحصنه بالرجال والذخائر . وكان قد اجتمع الفرنج وساروا ليحلوه عنه فملكه قبل وصولهم فلما بلغهم فتحه تفرقوا ، انتهى . وفي الزلزلة الهائلة التي حدثت في سورية سنة ٥٥٢ هـ تهدمت قلعة افامية فبا تهدم من الحصون والمدن فرمها نور الدين وإليه ينتسب سورها وأكثر أبراجها . ولم يبدأ بال المسلمين في قلعة المضيق إلا بعد أن سقطت قلعة برزوية^(١) التي تتأوح قلعة المضيق من جهة الغرب وتربض على أكمة عالية منيعة من أعضاد جبال العلويين في قضاء الحفة . وقد كان الافرنج الصليبيون حكام انطاكية وقتئذ مستولن عليها يتحكمون بسهل الغاب ومسالكه وبحيراته الشمالية والغربية . فجاءها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٤ هـ وحاصرها واستخلصها منهم . فكان عمله هذا داعماً لقلعة المضيق وداعياً لاطشنان حاميتها وسكانها . وبعد وفاة السلطان المشار إليه سنة ٥٨٩ هـ استقرت قلعة المضيق وغيرها في أيدي بعض أمرائه . ثم جاء ابنه الملك الظاهر غازي صاحب حلب سنة ٥٩٧ هـ وامتلكها وبني البرج الشمالي الذي قدمنا أن عليه كتابة باسم هذا الملك . وبعد زوال دولة الأيوبيين انتقلت إلى أيدي السلاطين المماليك . وفي سنة ٦٦٦ هـ جاء الملك الظاهر بيبرس إلى قلعة افامية وجمع جيوشه فيها ثم زحف منها عن طريق الغاب الشرقي إلى انطاكية فحاصرها واستولى عليها .

وبعد خروج الصليبيين من البلاد السورية كلها سنة ٦٨٩ هـ وزوال الحاجة للدفاع لم يبق لقلعة المضيق مكانة حربية بل ظلت كما هي الآن عبارة عن قرية مزدحمة كان يعتصم أهلها فيها من هجمات الأعراب وأتقياء النصيرية أمام فوضى الأحكام في عهود المماليك العثمانيين .

صلة مدينة افامية بسهل الغاب :

ننتقل الآن إلى وصف سهل الغاب الذي كان سبب وجود مدينة افامية والباعث لعرانها وازدهارها يستثمره أهلها ويستغلونه وينعمون بحيراته الوفيرة المتنوعة وتقرر أنه كان جافاً نظيفاً

(١) كتب السيد جبرائيل سعادة مقالاً قيماً عن قلعة برزوية في المجلد السادس من هذه المجلة . وقد سبق لي زيارتها في حزيران سنة ١٩٥٢ فوجدت وصف السيد سعادة مطابقاً لما شاهدته ونحست به في هذه القلعة المنزلة المسيرة البلوغ التي ندر جداً من يعرفها من أهل بلادنا . فكان وصف الموما اليه جذيراً بالقرارة والعمدة .

غير مغرور بالبحيرات والمستنقعات الموجودة في يومنا هذا والتي تحاول الحكومة السورية الحاضرة تجفيفها وتنظيم شبكة الري فيها فنقول :

يقع سهل الغاب في غربي مدينة افامية ويمتد بينها وبين بلدة جسر الشفور . وهو واد عظيم مستطيل الشكل من جملة حفرة الانهدام الكبرى التي تشق سورية وفلسطين وغور الأردن . وعرض الغاب عشرة وطوله ستون كيلومتراً ، فمساحته إذن ٦٠٠ كيلومتر مربع أو ٦٠٠,٠٠٠ هكتار من الاراضي المترسبة السهلية المتازة في خصبها ووفرة مياهها وصلاحها لانبات أكثر أنواع المزروعات والفروسات ولتربية المواشي والاسماك وعمل الصناعات الزراعية المختلفة . ونهر العاصي القادم من حماة يخترق هذا الوادي من الجنوب إلى الشمال . وهناك جداران شائخان من الجبال المتسلسلة تحيط به من الشرق ومن الغرب . ففي الشرق جبل الزاوية التابع إلى قضاء الحرة في محافظة حلب وفي الغرب جبل الشعرا التابع إلى قضاء الحفة في محافظة اللاذقية . وهذا الجبل الغربي أعلى من الشرقي (علوه عن سطح البحر ١٦٠٠ متر) وأشد اخضراراً أو سواداً من وفرة حراجه وأدغاله وأكثر روعة ومهابة من وفرة غيومه وثلوجه أحياناً تراه واقفاً وقفة عمودية كالطود الشامخ فوق الغاب وحائلاً بينه وبين البحر الأبيض المتوسط .

وسبب حدوث البحيرات والمستنقعات في وادي الغاب هو لأن نهر العاصي يكون في فصل الصيف هادئاً سالكاً مجراه الطبيعي وتكون معظم اراضي الوادي جافة مزروعة يسلكها الغادي والرائح كالعادة ، فاذا جاء الشتاء بمطاره الغزيرة تتحدر على العاصي السيول والانهار القادمة من اقضية تل كلخ ومصيف والحفة وحمص وحماة وسلمية وتتضم اليه ايضاً مياه العيون الكثيرة التي تندفق من سفوح الجبال المحيطة بالغاب من شرقه وغربه ، واهما في الشرق نبع الطاقة وعين حواش وعين الباصرة واهما في الغرب نبع الجراص وناعور شطحه ، فاذا كثرت مياه العاصي بتلك السيول والعيون يرتفع منسوبه ويتضخم صيبيه ، فيطغى على الاراضي التي في ضفته اليمنى واليسرى ، لانها تساويه حينئذ في الارتفاع ، ولأن هذا المجري في الشمال عند قرية اسمها قرقور كالبلعوم الضيق بسبب الجدارين الصخريين المرتفعين على جانبيه والعتبة الصخرية البازلتية المرتفعة عن مجرى العاصي عند قرية الكفير . فهذه الاسباب تجعل العاصي يعلو وينكفأ الى الوراء ويتسع ويحدث بحيرات ومستنقعات عظيمة مساحتها مئات الكيلو مترات المربعة وعمقها متران الى ثلاثة وربما امتدت في سني الامطار الغزيرة من الجبل الى الجبل .

لحة تاريخية :

لقد ذكر جغرافيو العرب ومؤرخوهم هذه البحيرات والمستنقعات ووصفوها وسموها (بحيرة افامية) نسبة الى مدينة افامية الاثرية . قال الملك المؤيد ابو الفداء حاكم حماة في كتابه (تقويم البلدان) في وصف بحيرة افامية : يحيط بها القصب والصفصاف من كل جانب وفي وسطها غابة من القصب والبردي وبها انواع الطيور مثل الثمات والغريوات والبجع والاصواغ والاوز والطيور آكلة الاسماك امثال البط والايضايات وغير ذلك . وفي الربيع ينبت فيها التيلوفر الاصفر حتي يغطي مجموعها . وقال القلقشندي في كتابه (صبح الاعشى) بحيرة افامية هي عدة بطائع في الغرب يمتد الى الشمال عن افامية بين غابات من القصب يصب فيها العاصي من جهة الجنوب وبها بحيرتان جنوية وشمالية يصاد فيها السمك . فالجنوية منها بحيرة افامية المذكورة وسعتها بالتقريب نحو نصف فرسخ وقعرها قريب قامه وارضها موحلة لا يقدر الانسان على الوقوف فيها ، وبوسطها جهم قصب وبردي وحوها القصب والصفصاف وبها من انواع الطير ما لا يحصى كثرتة وينبت فيها في زمن الربيع التيلوفر الاصفر حتي يستر الماء عن اخره بورقه وزهره . والبحيرة الشمالية من عمل حصن برزوية بقدر بحيرة افامية باربع مرات . ووسطها مكشوف ينبت التيلوفر بجانبها الجنوبي والشمالي ، وبينها وبين بحيرة افامية المذكورة زقاق تسير فيه المراكب من احدهما الى الاخرى . . . الخ .

قلت ، ليس الآن في الغاب بحيرتان كما قال القلقشندي ، بل هما في عهدنا بحيرة واحدة طويلة من الجنوب الى الشمال . ولعله قصد في عهدنا بالجنوية قسم الغاب المحصور بين نهر الشريعة الذي يحصل من نبع الطاقة ويصل الى جنوبي قرية القريم ، وقصد بالشمال القسم الممتد من قرب قريني القريم والبارد نحو الشمال والمتسع اتساعاً عظيماً حتى قرية قرقور في الشمال وتل كبتري وعوسج الشرقية في الجنوب .

وقال شيخ الربوة شمس الدين الدمشقي في كتابه (نخبه الدهر في عجائب البر والبحر) ما يلي : بحيرة افامية بحيرة كبيرة يدخلها العاصي ويخرج منها ولها سكر يصاد فيه نوع من السمك شبه بالحيات يسمى انكليس لونه شبيه بالالوة المشوية وللناصري (لعله عنى الملك الناصر محمد بن قلاوون) فيه رغبة عظيمة يحمل بالمراكب اليه داخل البحر ضمائه في السنة نحو ثلاثين الف درهم . وقال في موضع آخر : بحيرة افامية يشقها العاصي ولا يلتقي احدهما بالآخر وفيها من السمك الانكليس والسلور مالا يوجد بغيرها آه .

قلت ، ومن الغريب ان جغرافي العرب ومؤرخيهم المذكورين آنفاً اكتفوا بوصف بحيرة افامية واسماكها وطيورها ونباتاتها ولم يذكروا اسم سهل الغاب ولا وصفوه حتى انه لم يرد في كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ الشيزري الا مرة في حكاية جاءت فيها هذه الجملة (انهم فيها السبع الى الغاب) ولم افهم اي غاب كان يعني ، لانه ذكر هذا الوادي في موضع آخر باسم مرج افامية وانه استاق منه غنية كبيرة من الجواميس والبقر والغنم . فمن اين جاءت كلمة الغاب ومن وضعها ومتى وضعت ؟ هذا استفهام لا يقتصر على كلمة الغاب فعسب ، بل على قلعة المضيق التي ماذكروها بهذا الاسم ، بل باسم قلعة افامية وعلى جبل الشيخ الذي ذكروه باسم جبل الثلج وعلى جبل الزاوية الذي ذكروه باسم جبل بني عليم وغير ذلك مما يضيق ببحثنا عنه .

اما مؤرخو الافرنج فقد قالوا ان سهل الغاب كان في زمن اليونان والرومان مجففاً يزرع ويستثمر ، وان الجغرافي اليوناني استرابون الذي عاش في القرن الاول الميلادي اطنب بخصبه ووفرة غلاله وبما كان يرى فيه من الافيال والجواميس والحيل العائدة لجيش الفرسان الرابط في افامية . وان القدماء اقاموا فيه سدوداً وحفروا خنادق لمنع طغيان العاصي .

قلت ، هناك ادلة بارزة للعيان على صدق ما قاله استرابون المذكور ؛ الاول هو وجود مدينة افامية التي وصفنا اطلالها وآثارها وانها كانت تضم ما لا يقل عن ثمانين الى تسعين الف نسمة ، يسرحون ويمرحون في شبع وري ونعيم وتترف كما في ارقى المدن وازاهها حضارة وعمراناً . فمن اين كان يأتيهم هذا الرزق المبسوط والعيش الممدود ، اليس من الغاب ؟ وهل هناك كنز دفين وينبوع دافق للشعب والترف وبناء الدور والقصور والمسارح والمدارج وليس الحرير وغيره ، انسب من سهل الغاب وتربته الحصة ومياهه الفزيرة .

اذن ، من المحقق ان سهل الغاب كان مجففاً ومجاريه وسدوده كانت مهندمة ومهندسة ونهر الاوردتوس (العاصي) ماكان عاصياً ولا طاعياً في تلك العصور بل كان وديعاً ملتزماً حدوده المرسومة له ، وكانت ارض الغاب الحصبة تحرث وتزرع كلها من قرب افامية في الجنوب الى بعد قار قارون (قرقور الحالية) وقستيون (قسطون الحالية) وغيرها من القرى ذات التلال الاثرية البارزة في الشمال وسط الغاب الشاهدة بما كان ثمة من محاصيل زراعية وارزاق عارمة . وكانت مراعي الغاب مرتعاً جيداً لمواشي اهل افامية ولالوف القيلة والخيول الخاصة بالجيش الرابط في افامية . وقد قدمنا ان الصراع كان شديداً بين ملوك اليونان وخلفائهم

قيصرة الرومان من جهة وبين اكاسرة الفرس الشرقيين من جهة اخرى على ما قدمنا .
وظل اهل افامية ينعمون بمحاصيلهم الزراعية والحيوانية الناجمة في الغاب وظل مهندسو
(مصلحة الري) في زمنهم وعمالها يراقبون مجرى الاورنتوس (العاصي) والقنوات المشتقة منه
والسدود القائمة عليه لمنع الفيضان ، يكرونها وينظفونها كل عام من الرواسب والوحول
ويريمونها كلما احتاجت حتى جاء الفرس سنة ٥٤١ او سنة ٧٩ م اي قبل الفتح الاسلامي بسبع
وتسعين او بخمس وستين سنة وخربوا وقتلوا افامية فيها خربوه من المدن السورية البنيان
كانطاكية ومنبج وقنسرين والاندرين ونهبوها وقتلوا واسروا من سلم من اهلها وغادروها خاوية
على عروشها ، فلم يبق في افامية احد يعني بقنوات الغاب وسدوده ، واجهزت على افامية من
بعد الزلازل الهائلة التي كانت تراوح المدن السورية وتغاديا كل ربع قرن او اقل واوصلتها
الى الحالة المحزنة التي يراها الزائر في يومنا .

ولما جاء المسلمون بقيادة ابي عبيدة بن الجراح سنة ٦١٧ (٦١٨) م وجدوا افامية قاعاً
صفصفاً على الحالة التي هي عليه الآن ، ولم يروا امامهم سوى الآكروبول أي حصن افامية
الذي كان على غير هذا الشكل والبناء ثم اصاب بزلزلة سنة (٨٥٥٢) فرمه نور الدين محمود
زنكي وزاد فيه الظاهر غازي وحفيده الناصر يوسف الايوبيان ما ذكرناه آنفاً .

والمسلمون لما فتحوا هذه البلاد وحكموها في عهود الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين
والسلطين المماليك شغلوا بالفتوح والمشاكل التي نجمت بينهم ، فلم يجدوا وقتاً لترميم خرائب
افامية وأعمارها ، فظل الغاب بدون (مصلحة ري) تعني بقنواته وسدوده فامتلات هذه
بالوحول والرواسب على كر السنين والعصور واندثرت ، وتعذر على العاصي ان يجد مجاري
نظيفة مستقيمة تسيل فيها مياهه بسهولة فراح يطغو على جانبيه ويحدث المستنقعات والبحيرات
الحاضرة التي شهدا جغرافيو العرب ومؤرخوهم .

والدليل الثاني المحسوس على جفاف الغاب واستناره قديماً هو اطلال الدور ورسوم المزارع
التي كانت فيه واصبحت تحت سطح الماء في قاع البحيرات والمستنقعات الحاضرة ، صبر ما كان
مؤلفاً من الحجارة على كر الدهور واندثر ما كان مبنياً من الطين والحشب . وهي موجودة
في عدة اماكن من الغاب بذلك عليها اهله ويعدون اسماءها ، منها رسم التوتة ورسم التينة
والمعزادة وطنجرة وروما واوبو حجر وغيرها ، وقد كنت ذات مرة مع رفيق لي راكباً
زورقاً اقلع بنا من ميناء قرية الشريعة التي في ضفة الغاب الشرقية شمالي قلعة المضيق ، وكنا

نقصد قرية الرصيف التي كأنها جزيرة وسط مياه الغاب . ولما كان زورقنا يختر عباب البحيرات المترامية الاطراف بين القريتين المذكورتين واذا بالملتح يصيح انظروا ما تحتكم في القاع فنظرنا واذا بنا نمر من فوق كومة عظيمة من انقاض الحجارة البيض المنحوتة نحتاً جميلاً تكاد تنطق بانها احجار بناء كان مشيداً او عامراً وآهلاً في هذا المكان الذي اصبح تحت الماء على عمق مترين وبعيد حوالي ثلاثة كيلو مترات عن الشاطيء ، فلو لم تكن بحيرات الغاب ومستنقعاته طارئة على هذا الوادي ، وقد طغت عليه المياه وغمرته بعد ان كان في عهد اليونان والرومان حافلاً بالضياء والمزارع والدور المنتشرة في طوله وعرضه لما رأينا تلك الاكوام والانقاض التي لم يحملها الى ذلك المكان البعيد عن الشاطيء غفريت بل حملها بشر مثلي ومثلك وبنوها وسكنوا فيها وحرثوا وزرعوا وسرحوا ومرحوا حولها ثم اخنى عليهم الذي اخنى على لبد ففرقت اماكنهم وتواتر مساكنهم وصارت الزوارق نمر من فوقها ، فسبحان الحي الدائم .

والدليل الثالث على جفاف الغاب واستناره منذ اقدم العصور هو وجود تلال أثرية ترابية مازالت شاحخة الذري تمتد من شمالي الغاب الى جنوبه ، وتدل على انها من صنع البشر لا من صنع الطبيعة وانه كان في مكانها او جوارها قرى او بليدات عامرة مزدهرة يرتق سكانها من نواتج الغاب وخيراته ونخص بالذكر منها التلال الصناعية التي ضمن اراضي قرى قرقور وقسطون والزبارة وقليدن وتل كميتري وتل سلحج وغيرها ، وكنت انا كلها علوت ذري هذه التلال ومرحت نظري في سهول الغاب المترامية الاطراف حولها امتلىء بالاعجاب والاكبار لمقدرة الامم التي كانت هنا وطوتها العصور في زوايا النسيان كيف استطاعت ان تجمع تراب هذه التلال وتكلمته وترفعه وتبني فوقه مساكنها او حصونها أو مراقبها ، حرصاً منها على سهل الغاب الحصب الذي كانت تردأ عنه فيضان العاصي وتبقيه جافاً صالحاً للاستغلال .

هذا الى وجود طريق اثري قديم يدعونه (الرصيف) يمتد وسط الغاب من الجنوب الى الشمال لاتزال خطوطه وكسور حجارتها الصغيرة ماثلة للعيان سواء في الاراضي الجافة أو في الاراضي المغورة بالمياه وهو يمر من قريتي الجيد والرصيف وبحيراتها ، ومنه اشتق اسم القرية الثانية وهذا غير الرصيف الروماني الممتد في طرف الغاب الشرقي والقادم من افامية بل جنوب بلاد الشام الى القسطنطينية وقد نحدثنا عنه .

والآن اذا تمت اعمال التجفيف التي بدأ بها وازيلت المستنقعات وبنيت سدود لحزن المياه

الضائعة وتنظيم جريان نهر العاصي قبل دخوله سهل الغاب ومددت قنوات فنية في الاراضي الجافة والتي سوف تجف وعملت طرق وبنيت قرى ومزارع نموذجية وزرع الغاب زراعة حديثة وفتحت المدارس وبنيت المستوصفات وعنى بالارشاد العلمي والروحي والصحي بين اهله الحاضرين ، قلت اذا تمت هذه الاعمال على الوجه المطلوب سيكون الغاب وقتئذ بهجة النظر وحديث السفار وجنات تجري من تحتها الانهار ، وسيعيد التاريخ سيرته ويطل من حجب القرون الاربعة عشر الماضية ليشهد رجوع الغاب الى احسن مما كان عليه من العمران والازدهار امام سكان افامية الاقدمين الذين يصدق فيهم قوله تعالى : كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم . ولعل فسحة الاجل تسعنا فنشهد نحن ايضاً هذا الرجوع السعيد بعضه ان لم يكن كله ان شاء الله .

احمد وصفي زكريا



مركز تحقيقات كافيور علوم إسلامي

الأبنية الأثرية في دمشق دراسة وتحقيق

التكية والمدرسة السليمانيتان بدمشق

للمؤلف: الأستاذ عبد القادر الرمحادي

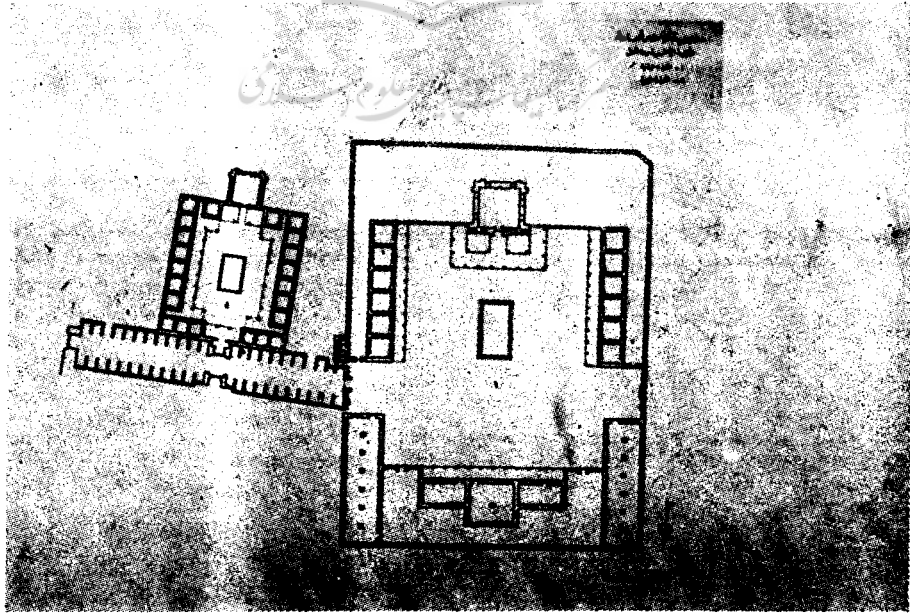
مفتش الآثار

في قلب دمشق وعلى ضفاف بردى نجم مجموعة عمرانية فنية تتميز ببقايا الكثيرة المنتظمة كالعقد حول قبة رئيسية كبيرة متوجة بأذنين بمشوقتين ترتفعان في السماء . وقد امتزج في هذه البقعة من دمشق جمال العمارة القديمة بجمال الطبيعة الحية فعدت أجمل بقاع دمشق . وكانت تسمى قبل ذلك بالمرج أو المرجة وكان فيها قصر السلطان المملوكي الظاهر بيبرس المعروف بالقصر الأبلق . ذكر الغزي في الكواكب السائرة أن السلطان سليم نزل في هذا القصر خلال إقامته في دمشق عام ٩٣٢ هـ (١٥١٧ م) .

ثم هدم القصر المملوكي بعد ذلك لتقوم في مكانه عمارتان عثمانيتان ، الأولى غربية سنويز إليها بالحرف (غ) والثانية شرقية سنويز إليها بالحرف (ش) .

والعمارة (غ) بنيت وفق فن العمارة العثماني الاستامبولي وتشتمل على تكية فيها جامع ، محاطة بسور مزود بثلاثة أبواب رئيسية أحدها في الشمال تتقدمه قبة صغيرة على أعمدة والثاني في الشرق والثالث في الغرب . وتتألف من صحن سماوي محاط بأروقة مسقوفة بالقباب ، يقسمها المحور الممتد بين البابين الشرقي والغربي إلى قسمين ، جنوبي ويحتوي على جامع يتوسط الجبهة القبلية مع مأذنتيه ، وبجدة مستطيلة أمامه ، وفي كل من الجناحين الشرقي والغربي ست غرف متساوية الحجم مربعة الشكل يتقدمها رواق على أعمدة ليفصل بينها وبين الصحن ، أعدت لسكن نزلاء التكية . وقسم شمالي يحتوي على مطبخ ومستودعات في الوسط وقاعتين كبيرتين على الطرفين الشرقي والغربي . ويترك السور بينه وبين الأبنية حدائق تتوزع في سائر أطراف العمارة (انظر المخطط) .

ورغم طابع البساطة المسيطر على هذه العمارة وفقرها بالزخارف فإن المتأمل لها يحس بانسراح وممتعة مبعتها ما تنحلي به من أناقة وانسجام في الخطوط ونعومة ، وكذلك تتأوب اللونين الاسود



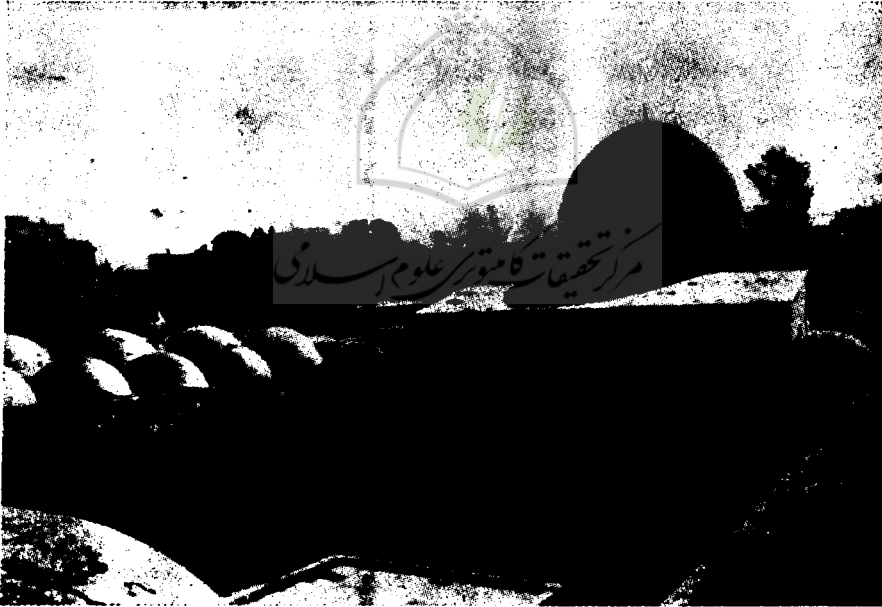
مخطط عام للتكية والمدرسة (العمارتين ش و غ)

والابيض في مداميك جامعا وقناطر أروقتها ذات الاقواس المدبة ، وانتشار ألواح الخزف الملون

(القيشاني) فوق عتبات قاعاتها . وتكاد العناية بالزخرفة تنحصر في الجامع الذي يضم عناصر زخرفية هامة . فعدا القيشاني والرخام ، فإن في قبته مجموعة من النوافذ الجصية المطعمة بفصوص الزجاج الملون ، وكذلك المقرنصات الرائعة التي تشاهد في الباب الفخيم والمحراب ثم فسيفساء الرخام الملون المحيطة بها .

بدأت بعمارتهما عام ٩٦٢ هـ (١٥٥٤ م) بأمر السلطان سليمان^(١) وانتهت عام ٩٦٧ هـ . وغلب عليها اسم التكية وهذه كلمة تركية يصح أن نبدلها بكلمة الرباط العربية ، والغاية من التكية تشبه الغاية من الخانقاه الذي انتشر في أيام الأيوبيين والمماليك .

أما العمارة (ش) فعباره عن مدرسة بنيت حسب مخطط شبيه بمخطط العمارة (غ) ومنسجم معه في الخطوط العامة . تتألف من مجموعة من الغرف الصغيرة تتوزع على جبهاتها



منظر عام للمدرسة السلجانية (العمارة ش)

الأربع وتفصل بينها وبين الصحن أروقة مسقوفة بالقباب محمولة على أعمدة قصيرة . وفي

(١) سليمان القانوني بن سليم الأول حكم بين عامي (٩٢٦ - ٩٧٤ هـ) (١٥١٩ - ١٥٦٦ م) .

وسط الصحن بحجرة مستطيلة ، وفي الجبهة الجنوبية بناء مربع تعلوه قبة كبيرة بني ليكون
مصلّى للمدرسة ، وليس لها سوى باب رئيسي واحد في منتصف واجهتها الشمالية ، وأربعة
أبواب ثانوية في جهات أخرى . وهذه العمارة مستقلة عن الأولى وتبعد عنها مسافة خمسة عشر متراً
تقريباً وليس لها سور ، إلا أنه ألصق بواجهتها الشمالية الخارجية دكاكين تؤلف الجناح
الجنوبي للسوق الممتد من الشرق الى الغرب بطول خمسة وعشرين متراً ، ويقال انه عمر لتزويد
الحجاج الغرباء الذين كانوا يعسكرون بالمرج . ولهذا السوق جناح آخر من الدكاكين
يقابل الأول بتوسطه باب واسع يواجه باب المدرسة الرئيسي . وهناك باب في الجهة
الشرقية يؤدي إلى السوق فالمدرسة ، وقد تهدم وأعيد بناؤه في أيام السلطان مصطفى الثالث
بدليل كتابة سنأتي على ذكرها ، كما تهدم جانب من الجناح الشمالي للسوق وقامت مكانه
بناية حديثة لوزارة التربية والتعليم .

وهذه العمارة يغلب عليها طابع التقشف والبساطة وهي فقيرة بالزخارف إذا ما قيست بما
تقدمها من مدارس العهدين الأيوبي والملوكي . ومع ذلك فلا يخلو مصلّاها من ألواح القيشاني
الجميلة والنوافذ الجصية المطعمة بفصوص الزجاج الملون .

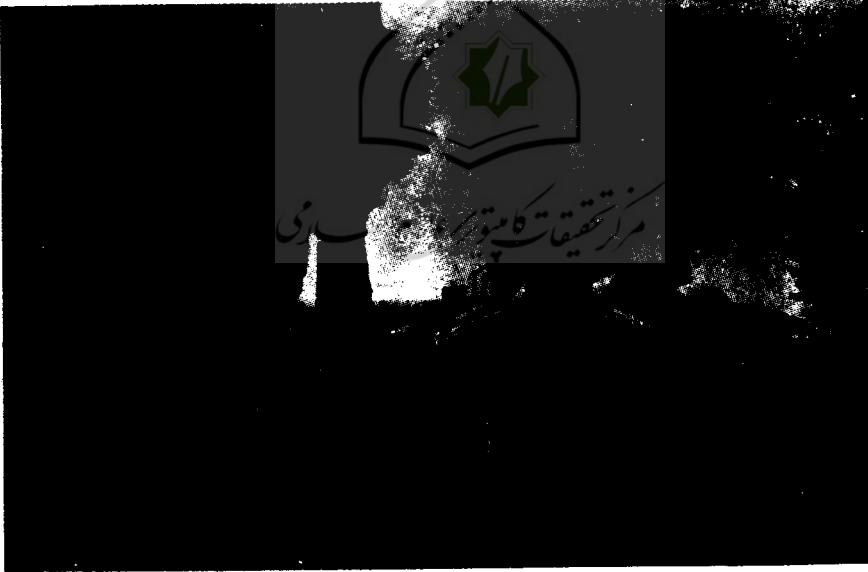


منظر عام للتكية السليمانية (العمارة غ)

وقد اختلف الناس حول تسمية هذه العارة وتاريخ بنائها ، فمنها أهل دمشق التكية السليبية وكذلك فعلت مديرية الآثار العامة في وثائقها ومنشوراتها ، ومنها سوفاجه (١) المدرسة السليبية وسبقه إلى ذلك مؤرخ دمشقي يدعى محمد أديب الحصري (٢) . أما بدران (٣) فنسبها إلى سليمان القانوني .

ونحن أمام هذا الاختلاف لا يمكننا كثيراً التأكد من كونها مدرسة أم تكية ، ولكن المهم هو معرفة عصرها وتاريخ بنائها ، ففي التاريخ العثماني اثنان من السلاطين باسم سليم ، سليم الأول ابن بيازيد (أبو سليمان) الذي استولى على بلاد الشام وضمها إلى الامبراطورية العثمانية عام ٩٢٢ هـ (١٥١٥ م) وسليم الثاني (ابن سليمان) الذي تولى السلطنة بين عامي ٩٧٤ - ٩٨٢ هـ (١٥٦٦ - ١٥٧٤ م) .

ونحن إزاء هذه الأقوال المتناقضة لا يمكننا الاعتماد على واحد منها قبل أن نقوم بتحقيق



الجامع والرواق ذي الاعمدة امام غرف الجناح الشرقي للتكية

Woument de Damas 1932

- (١) منتخبات التواريخ لدمشق ١٩٢٧ .
- (٢) مناداة الاطلال . مخطوطة ، صورة فوتوغرافية في المجمع العلمي العربي بدمشق ، تأليف عبد اللادر بدران الدمشقي عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) .
- (٣)

علمي يعتمد على مراجعة المصادر القديمة والمعاصرة ومناقشتها وتقديم الأدلة والبراهين على الرأي الذي وصلنا إليه .

١- الروايات التاريخية الحديثة وحدها تسميها بالسليمية مع اختلاف بينها على أي السليمين .
فقد نسبها صاحب المنتخبات إلى سليم الأول حيث قال : « المدرسة السليمية أنشأها السلطان
سليم خان فاتح البلاد العربية حين قدم دمشق ، واقعة في جانب الجامع والتكية السليمانية في
المرج الأخضر »^(١) .

أما (سوفاجه) فقد نسبها إلى سليم الثاني « المدرسة السليمية بناها السلطان سلطان سليم
عام ١٥٦٦ بإشراف مهندس فارسي »^(٢) .

وجاء في مشاهد دمشق الاثرية صفحة ٦٥ : « التكية السليمية بناها السلطان سليم الاول
شرقي المرج الاخضر ، والتكية السليمانية التي شيدها ابنه سليمان القانوني غربي التكية الاولى . »



المدرسة السليمانية (الهامة غ)

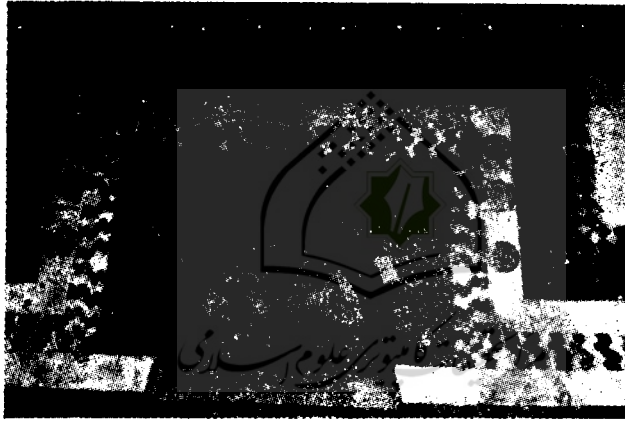
(١) منتخبات ص : ٩٦٧ .

(٢) ترجمة ما جاء في الصفحة ١٦١ من كتابه ابنه دمشق الاثرية .

٢ - ان المصادر التاريخية القديمة التي تتحدث عن السلطان سليم الاول وكذلك كتب التراجم تشير الى انه بنى الجامع المعروف حالياً بجامع الشيخ محيي الدين في الصالحية وبنى مقابله تكية سنقدم دراسة خاصة عنها ، ولا تذكر غير ذلك .

٣ - لم تذكر هذه المصادر شيئاً عن قيام السلطان سليم الثاني بأي من الاعمال العمرانية في دمشق بالرغم من انها تتحدث بالتفصيل عن حياته وتذكر أعماله وتاريخ ولادته ويوم جلوسه واخلاقه وصفاته وفتوحاته . ومن هذه المصادر :

١ (اخبار الدول وآثار الاول لابي العباس القرواني الدمشقي المتوفي عام ١٠١٩ هـ ^(١) .



بعض الزخارف في الواجهة الخارجية لمصلى المدرسة (العمارة ش)

ب (الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي المتوفي عام ١٠٦١ هـ ^(٢) .
ج (سذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي المتوفي عام ١٠٨٩ هـ ^(٣) .
هذا مع العلم بأن أكثر هؤلاء المؤرخين دمشقيون ومعاصرون ، وانهم اهتموا كثيراً في تراجمهم بالمنشآت العمرانية والمدارس التي شيدها السلاطين والولاة ، ونأتي بمثل على ذلك ما جاء في ترجمة درويش باشا والي دمشق ايام السلطان سليم الثاني نفسه ، من انه عمر خلال سني

(١) اخبار الدول ص : ٣٩٦ .

(٢) مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق ص ١٥٢ .

(٣) السذرات ص : ٣٩٦ .

ولايته (٩٧٩ - ٩٨٢) جامعه المشهور في باب الجابية والتربة والسيل بالقرب منه وكذلك سوق الجوخ والقهوة وعمر جسراً على نهر بردى وسيلاً بالقرب من دار السعادة .

٤ - اشارت كثير من الروايات التاريخية الى ان السلطان سليمان شيد في دمشق تكية ومدرسة .
(آ) قال الغزي في الكواكب : « ... » وامر بتعمير التكية السليمانية بدمشق فعمرت في موضع القصر الابلق بالوادي الاخضر وعمر اليها مسجداً جامعاً ومدرسة عظيمة شرطها للمقي بدمشق وكان ابتداء عمارة التكية والمسجد عام ٩٦٢ هـ وكملت هذه العمارة في اوائل عام ٩٦٨ هـ^(١) .
(ب) وذكر صاحب الشذرات في وفيات عام ٩٧٤ هـ وفيها توفي السلطان سليمان ... ومن

مآثره تكيته ومدرسته العظيمة الشأن الكائنة بمرج دمشق «^(٢) .

(ج) وقال بدران في المناداة تحت عنوان التكية السليمانية : في سنة ٩٦٢ بنى السلطان سليمان خان جامعاً وتكية بالميدان الاخضر المسمى اليوم بالمرجة مكان قصر الملك الظاهر بيبرس فأخذت الات القصر وجعلت فيه ... قال الشيخ محمود العدوي في ذيله على مختصر العلوي : ثم تجددت مدرسة الى جانب التكية السليمانية برسم التدريس عام ٩٧٤ من زوائد التكية المشهورة المذكورة فجاءت محكمة البناء حلوة الشرائط انتهى . وهذا كله من آثار السلطان سليمان خان بن سليم خان المتوفى عام ٩٧٤ هـ .

٥ - اذا تصفنا كتب التراجم لانجد ذكراً للمدرسة السليمية بينما ترد كثيراً المدرسة السليمانية لدى ترجمة العلماء والمدرسين الذين اشتهروا في دمشق ودرسوا فيها بعد بنائها . مثال ذلك ما جاء في الشذرات : في وفيات عام ٩٧٤ هـ وفيها توفي تاج الدين المناوي ... تولى مدرسة السلطان سليمان بدمشق والافتاء بها «^(٣) .

وفي عام ٩٧٨ توفي المولى احمد بن عبد الله ... ولي تدريس السليمانية بدمشق والافتاء بها «^(٤) وفي عام ٩٨٣ توفي محمد بن عبد العزيز ... كان فقيهاً بدمشق ومدرساً بالسليمانية^(٥) .
وما جاء في الكواكب ايضاً :

(١) مخطوطة الظاهرية ص : ١٥٤ .

(٢) الشذرات ص : ٣٧٦ - ٨ .

(٣) الشذرات ص : ٤٠٨ .

(٤) » ص : ٣٨٣ .

(٥) » ص : ٤٠١ .

لدى ترجمة محمد المرعشي « العالم الفاضل مدرس السليمانية بدمشق توفي سنة ٩٨٣ »^(١) وفي ترجمة عبد الفتاح افندي « ورد دمشق فقيهاً ومدرس السليمانية بها »^(٢) .

٦ - هناك كتابة صغيرة على عتبة الباب الشرقي الخارجي للسوق الملاصق للمدرسة (العمارة ش) قرأنا فيها ما يلي : « جدد هذا الباب السلطاني السلياني في زمان السلطان بن السلطان مصطفى خان^(٣) بن السلطان احمد خان بنظارة الرحموم موسى بك » .

بما تقدم في هذه الفقرات الست ومن مراجعة الروايات الواردة فيها وتحليلها ومناقشتها امكننا الوصول الى الحقائق الثابتة الآتية :

الحقيقة الاولى : تؤيد الروايات القديمة جميعها ان السلطان سليمان بنى في دمشق تكية وجامعاً ومدرسة . ولكن قد يقال ان هذا لا يتعارض مع اعتبار المدرسة والتكية والجامع بناء واحداً هو العمارة (غ) . وهذا متفق مع مارآه (سوفاجه) حينما سمى التكية بالمدرسة السليمانية ، ليطلق على جارتها (ش) اسم المدرسة السليبية . الا انا نرفض هذا الرأي اعتماداً على ما سيأتي من الحقائق والادلة . الحقيقة الثانية : المدرسة السليمانية بناء مستقل عن التكية .

وهذا مستنتج من رواية الغزي التي اوردها في الفقرة (٤) حيث ذكر ان سليمان بنى تكية وجامعاً ومدرسة ، ثم عاد الى القول « وكان ابتداء عمارة التكية والمسجد عام ٩٦٢ » ، وكملت هذه العمارة في اوائل ٩٦٧ » . وهذا يعني ان المدرسة لم تكن ضمن عمارة التكية ، فالعمارة التي بديء بنائها عام ٩٦٢ وانتهت عام ٩٦٧ هي التكية والجامع فحسب دون المدرسة ، ثم يأتي المدوي الذي اوردها قوله في رواية بدران في الفقرة (٤) ، ليؤكد هذه النتيجة بقوله « ثم تجددت مدرسة الى جانب التكية السليمانية بوسم التدريس عام ٩٧٤ من زوائد التكية » . الحقيقة الثالثة : المدرسة السليمانية هي ذلك البناء المستقل الواقع الى الشرق من التكية السليمانية والذي رمزنا اليه بالحرف (ش) يؤيد هذه الحقيقة الادلة الآتية :

- ١) ورود اسم المدرسة السليمانية كثيراً في كتب التراجم والمصادر القديمة .
- ٢) عدم ذكر المدرسة السليبية مرة واحدة في هذه الكتب .
- ٣) قول بدران : « وهذا كله من آثار السلطان سليمان يعني البنائين (غ) و (ش) معاً » .

(١) غزوة الظاهرية ص : ١٤٥ .

(٢) » » ص : ١٥٤ .

(٣) السلطان مصطفى الثالث . تولى السلطنة بين عامي ١١٧١ - ١١٨٧ هـ (١٧٥٧ - ١٧٧٣ م) .

٤) وجود الكتابة التي اشرنا اليها في الفقرة (٦) التي تسمى باب المدرسة «السلطاني السلياني» فمن البديهي ان تكون المدرسة سليمانية ايضاً .

ونختتم بحثنا هذا بقولنا ان السلطان سليمان امر ببناء التكية عام ٩٦٣ فتم بناؤها عام ٩٦٧ هـ ثم امر ببناء مدرسة إلى جوارها للاستفادة بما فضل من أحجار التكية فتم بناؤها عام ٩٧٤ هـ وهي السنة التي توفي فيها سليمان وتولى ابنه سليم الثاني ، واتخذت اسم المدرسة السليانية ودرس فيها العلماء والفقهاء . ولما ابتعد بها العهد عن تاريخ بنائها نسي الناس اسمها الحقيقي ، وشاهدوا بناءين متجاورين متشابهين فاعتبروهما تكييتين وسموا احدهما السليانية وسموا الآخر خطأ السليية ، وشاعت هذه التسمية الخاطئة وتأثر بها المحدثون من الباحثين والمختصين فنسبها بعضهم دون تدقيق إلى سليم الاول ونسبها البعض الآخر إلى سليم الثاني .

ونرى من الضروري ان يعاد النظر في هذه التسمية بعد ان وقفنا على جلية الأمر . وارىد ان اشير الى ان دمشق لا تخلو من تكية سليبية موجودة فعلاً ، ولكن ليس هنا على ضفاف بردى بل هناك في الصالحية ، وسنتحدث عنها في بحث قادم .



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

تاريخ فن الحفر على الاختام

بقلم الأستاذ محمد الجندري

حافظ فرع الآثار السورية القديمة



يعود استعمال الأختام الى عهود بعيدة في التاريخ الحضاري للانسان ، فقد وجد الحتم منذ أقدم العصور ومن العسير علينا تحديد بدء ظهوره واستعماله بالضبط فلندرسه اذاً مع وجود التاريخ .

انتشر الحتم المسطح في أواخر الألف الخامس وبدء الألف الرابع ، ومن الطبيعي أن يكون له تاريخ امتد الى زمن بعيد قبل هذا العهد حتى أخذ شكله النهائي في حلقة التطور العام للأشياء . لقد كان استعماله بادىء بدء كنيشة (رقيه) تحفظ صاحبها من الأرواح الشريرة التي هي أساس كل سوء يصيب الانسان وتجلب له الحظ والبركة والسعادة . وقد تطور الحتم ونحوه الى شكل جديد يشبه الاسطوانة فسمي بالحتم الاسطواني . وقد ساد استعمال هذا النوع عند منتصف الألف الرابع . على أن الحتم المسطح لم يغب نهائياً عن حلبة الاستعمال وانما أصبح في المرتبة الثانية لشيوع الحتم الاسطواني الذي أصبح له استعمالات عديدة في الحياة اليومية الدينية والاقتصادية وقد نشاهد مرة ثانية بعض آثار الازدهار للحتم المسطح كما يلاحظ ذلك

في آثار الحوريين الذين سكنوا منطقة الحابور من شمالى سوريا وفي آثار الدولة الكلدانية (الدولة البابلية الثانية) .

أما في مصر فقد عُرف استعمال الاختام المسطحة والاسطوانية وذلك في العصور القديمة من التاريخ المصري حيث كان يستعمل الطين كمادة أساسية في تسجيل تاريخ الأقوام آنذاك . ولكن عدم استعمال الطين في مصر كمادة في الكتابة فيما بعد أفقد الحتم أهميته فزال استعماله منذ بدء السجلات لأن المصريين بدؤوا بسجلون تاريخهم على الحجر ثم البردي ، ولكن بقي الحتم المسطح بصورة خاصة في مصر يستعمل كتأتم وكزينة على شكل جعرات تحمل بعض الرموز الميروغليفية أو بعض التزيينات الهندسية وهذه الجعرات شخصية بحتة تلازم صاحبها .

وصف الحتم :

مادة الاختام المسطحة غالباً الحجر بأنواعه وكذلك عمل بعضها من المعدن وهذا كان نادراً ؛ وبمختلف شكل الحتم فهو إما يضيوي أو مضلع منتظم أو غير منتظم ، فالوجه المسطح ، المستوي تحفر عليه الرموز أما الوجه الثاني فغالباً ما يكون محدباً بتوسطه ثقب نافذ ، وهذا السطح الثاني غالباً ما يكون بسيطاً لا يحمل أي ميزة ، والحتم المسطح كان في جميع ادواره يحمل معنى البساطة في فن الحفر .

أما الحتم الاسطواني فهو شبيه بالاسطوانة المنتظمة وقد صنع من مواد مختلفة ، فقد صنع من الحجر وغالباً كانت تستعمل من اجله الأحجار الثينة الصلدة مثل الهباتيت والسباتيت والديوريت والبلور والرخام وقد عملت بعض الاختام من مادة تركيبية غير قاسية تشبه مادة القاساني الاسلامي الى حد بعيد ، وقد وجد بعضها معمولاً من الطين المشوي . ويتوسط الحتم الاسطواني بصورة عامة . ثقب نافذ كان يستخدم إما في تعليق الحتم بخيط أو كان يعلق فيه من الطرفين حلقة نصف دائرية من المعدن تساعد الحتم على الانزلاق أثناء طبعه على الفخار . ويحيط بالحتم الاسطواني المحذب مشاهد ورسوم مختلفة محفورة حفرأ عميقاً قليلاً أو كثيراً حسب أهمية ومكانة الحتم .

ولقد تطور استعمال الحتم المسطح من نيمه بقي صاحبها من الشر وتجلب له الحظ الى ختم شرعي يستعمل في وشم فتحات ومغالق الجرار ليصون مافي داخلها من البعث به وليثبت الصفة الشرعية لصاحب البضاعة والمالك للختم معاً . وهكذا فقد اكتسب الحتم المسطح وظيفة ثانية

له عدى وظيفته الدينية هي الوظيفة التجارية . وقد فقد هذا النوع أهميته عند اختراع الكتابه وبدء تسجيلها على الطين المشوي بحيث استبدل بالنوع الثاني الاسطواناني الشكل انما كما قلنا سابقاً لم يختلف نهائياً بل ظل موجوداً في كل العصور .

فبظهور الكتابة على الفخار اذاً برز وجود النوع الثاني ، فتاريخ وجوده يرافق تاريخ تسجيل الكتابة ؛ فعندما كان الأمر يتعلق بوثيقة يجب حفظها كانت تكتب اللوحة ثم يدرج الحتم فيبرز شكله نائراً على الطين فيؤكد الصفة الشرعية للمالك . وكان كثيراً من اللوحات الفخارية بعد جفافها تغلف بغلاف خاص رقيق من الطين وتغمر بشي الانجهاات بالحتم وغالباً ما كان يكتب عليها العنوان أو ملخص الوثيقة ، وبذلك تحصل الطائفة لمحتويات الرسالة التي لم يعد بداخل صاحبها أو مستلمها الشك في تحويرها أو في فضا خلسة ؛ وقد استغني فها بعد عن الغلاف الخارجي وأصبحت اللوحة ترسل بدون طالا عليها طبعة الحتم الشرعي وطالا الكتابة التي عليها لا يمكن العبث بها بعد الشوي .

وتاريخ الحتم الاسطواناني وتطوره أمر يجب العناية والاهتمام به الى حد بعيد ، لأنه يعطي العالم الأثري وثائق مملوسة يمكن الاعتماد عليها في تحديد ومعرفة العصر وملابساته وكذلك يقدم للباحث التاريخي مواد ووثائق تساعده على معرفة الحضارة بصورة عامة من حيث الآلهة وتعددتها ومكانتها ومراتبها ، ونماذج الأشخاص وانواع الحيوانات ، ومن حيث طراز اللباس الجسيمي والرأسي ومن حيث انواع الأسلحة والأدوات المنزلية وطقوس العبادة والعادات والتقاليد الى غير ذلك من الأمور .

ثم إن طريقة صغر الحتم يبين لنا من الناحية الفنية مدى ما وصل اليه فن النحت في ذلك العصر وذلك بدراسة الناحية الفنية النحتية للحتم ، ومنها يمكن لنا المقارنة بين فن عصر وعصر آخر وما طرأ على الفن من تقدم أو تأخر .

والى جانب القية العلمية للحتم هناك القية «الدينية - الصعية» . فقد لعب الحتم الاسطواناني والمسطح معاً كما اسلفنا سابقاً دوراً مهماً في تاريخ الطلاسم ، فالحتم كان يحمل دائماً من قبل مالكة اعتقاداً منه بأنه يجلب له الحظ والبركة ويقربه من الاله الحامي ويبعده عن الأرواح الشريرة - مصدر الألام والأوجاع والأمراض - . وبهذا فإن موضوع الحتم الاسطواناني كان

يختلف بسبب استعمالاته الكثيرة في حياة الشعوب القديمة ؛ فحفر الحتم كان يتناسب والغاية التي يقصد منها تمثيلها على الحتم ؛ ولا ننس أن الدين في القديم كان يسيطر على جميع أمور الناس ، في المفاهيم الفكرية والسياسية والاقتصادية ولهذا فقد بلغ الاهتمام بفن حفر الأختام مبلغاً عظيماً وذلك لأهميته البالغة في دراسة تاريخ الشعوب والأقوام فهو يحمل بين طياته كثيراً من الحقائق التي تمكس لنا أموراً كثيرة لم نكن على علم بها وهي تتعلق فعلاً في حياة وتقاليد وعادات واخلق شعب من الشعوب ...

وإن التاريخ الطويل لفن حفر الأختام ليؤلف وحدة ملحوظة من حيث المواضيع التي تنتقل من عصر الى عصر مع قليل أو كثير في التحوير ؛ ومع هذا فقد كان هناك بعض العوامل والميزات الخاصة في كل عصر نحاول ما أمكن أن نثبتها في بحثنا .

مميزات ختم الألف الرابع :

لقد ثبت بدون شك أن استعمال الحتم يعود الى ما قبل هذا الألف وأن أمراً كثيرة استعملته بشكله البدائي البسيط ونقوشه الطليقة من كل قيد ؛ فهي لا تتبع نظاماً كما سنشاهده فيما بعد .

أما أختام الألف الرابع فقد أصبحت على مستوى رفيع من الاتقان وذلك لكثرة شيوعها واستعمالها ؛ وتتصف نقوش هذا الألف باتقان الحفر ورقي الفن وهذا ما يميزه عما سبقه ، وتمتاز نقوش هذا الدور أيضاً بتثيل مشاهد الطبيعة دون أن يكون هناك تناظر في الأشكال أو انسجام في الخطوط الهندسية ؛ أما تمثيل الأشخاص والحيوانات فهو تمثيل بدائي وغلظ يغلب عليه الامتلاء والضخامة وهي موزعة في حقل الحتم بصورة حرة طليقة من كل قيد .

مميزات ختم الألف الثالث :

في مستهل العصر التاريخي وهو بدء الألف الثالث أصبحت الأختام متنوعة وكثيرة متعددة المشاهد والمواضيع ؛ وقد حافظ هذا العهد على بقاء المواضيع السابقة له وحسن بها ، اذ بقيت التزيينات الهندسية كما بقيت مشاهد الحيوانات المتصالبة المتعاركة والمتداخلة إنما سذبت وأصبحت أكثر واقعية من حيث الفن والموضوع ؛ وفي هذا الدور ظهر « البطل » وهو بصارع الحيوان

المتوحش؛ أي أن البطل يحمي الحيوانات الأهلية « التي تظهر دائماً خلفه في الرسم » من الحيوانات الكاسرة المتوحشة الواقعة أمامه وأصبح هذا يعرف باسم « جلجيش » وهو نوع من « هر كول السومري - الأكادي » وكان يقف بجانبه غالباً صديقه الحميم « انكيدو » الذي يرافقه في رحلاته ومعاركه وهي قصة مشهورة في تاريخ ما بين النهرين عامة . وكذلك ظهر مشهد « التقدمة » الدينية أمام الآلهة المتعددة وأصبح هذا المشهد أكثر شيوعاً وطفحاً على كل ماعداء من المشاهد الأخرى وبذلك أصبح أكثر اتقاناً وواقعية في التعبير عن الحياة السائدة في ذلك العصر والتي تركز على الدين والعبادات والطقوس . ومع السلالة الأكادية أصبحت المشاهد أقل تشابهاً وتجانساً . في النقش ، فالبطل يؤلف مع الحيوانات مجموعة متوازنة متناظرة وأصبحت الأختام الاسطوانية أكثر دقة وأصغر حجماً من العصر السابق .

وفي زمن سومر الجديدة ، أي منذ زمن سلالة غوديا حتى سلالة بابل الأولى ساد الحتم الصغير وأصبحت المواضيع المفضلة مشهد « التقدمة » يمثل فيها شخص مؤمن مقاد بواسطة إله ثانوي ليقف معاً أمام الإله الأكبر الذي يتربع غالباً فوق مكان مرتفع « كرسي ، قاعدة ، جبل ، حيوان ... » ، وأصبحت الآلهة الكبرى مميزة فكل منها صفاتها الخاصة التي ترافقها دائماً فتحدد الإله وعمله ومكانته الدينية ؛ وبالأقسام الحتم الفارغة بعض النجوم أو الأشخاص الأقزام أو الحيوانات الصغيرة أو الطيور أو بعض الأواني المنزلية . . . وكان أشهر آلهة هذا الدور « شمس » إله الشمس والنور الذي يمثل غالباً جالساً فوق العرش أو واقفاً ورجله على جبل أو خارجاً من بين الجبال أما البطل جلجيش . فبعد أن كان يحمي الحيوانات في مشاهد ما قبل العصر الأكادي فقد أصبح الآن يصارع الثور الذي يقف منتصباً بضخامة قامت على قوائمه الخلفية ، وفي هذا العصر نجد مشهد « إيا » إله الماء يخرج من جسده جبال ترمز إلى المياه أو يقبض يديه على إماء ينتثر من أطرافه الماء على شكل أحزمة تحيط به . وفي آخر العهد الأكادي تحول الفن وأخذ يعود إلى الفن والصناعة السومرية وذلك بتأثير السلالة القوتية التي تعد امتداداً للعصر السومري القديم .

مميزات ختم الألف الثاني :

استمر تأثير الألف الثالث وبدأ واضحاً في فن حفر أختام الألف الثاني حيث بقيت مشاهد

دوام التقدّمات في زمن سلالة بابل الأولى ، وقد أُرهِق حقل الحتم في النقوش الجزئية كما كان في العصر السومري القديم وبالرموز والصفات الإلهية ، ويعتبر فن الحفر على الحتم في عصر بابل امتداداً طبيعياً للعصر الأكادي ، حيث استمر مشهد التعريف بالشخص بواسطة إله ثانوي يقف بين الإله الأكبر والملك أو الشخص المتعبد ؛ وهناك تشابه تام في وقفة الأشخاص للدور الأكادي والبابلي مثال على ذلك وقفة « نارام سن » وهو يحمل القوس والرمح مقدماً إحدى رجليه وواضعاً قدمه فوق أكمه أو على عدو مصروع ويعلو رأسه قبعة صغيرة ويلبس ثوباً قصيراً . وكذلك نرى تشابه منظر الاستبّاك والبطل وهو راكع على رجل واحدة يصارع أسداً مجنحاً ، وهناك منظر الثور المعتمد على عجزه و « شمش » ، « واستنارات » المحاربة ؛ وفي هذا الدور يطفئ الإله « حدد » على الآلهة الأخرى حاملاً بيده رمز البرق وواقفاً فوق ثور ؛ وتظهر في هذا العصر « استنارات العارية » التي ينذر أن يخلو منها ختم من أختام هذه الفترة . وفي هذا العصر أيضاً تظهر شخصية « مردوخ » سيد بابل الأكبر ويأخذ مكان شمش فترة من الزمن ويعتبر سيد السموات وسيد الآلهة جميعاً

وقد ظل مشهد الأشياء الثانوية التي تكلمنا عنها قبل هذا العصر من شمس وقمر وحيوانات صغيرة وأشخاص أقزام وأواني وجرار . . . يحتل بقية الحقل في الحتم حتى يملأ فراغه فلا يضيع سدى . ويجدر الإشارة في هذا العصر إلى الاختتام الآشورية التي لا تختلف في فنّها عن مجموعة أختام دور أسرة بابل الأولى إلا اختلافاً موضعياً وجزئياً ، وهذا ناتج عن اهتمام الآشوريين بالحرب أكثر من اهتمامهم بالمسائل الحضارية ولذلك فقد كان من السهل عليهم أن يأخذوا معالم حضارة جيرانهم في بابل ويتبنوها كلياً وخاصة فيما يتعلق بالاختتام الاسطوانية .

وهناك مجموعة الاختتام المتأثرة تأثيراً مباشراً بالفن البابلي وهي خارج منطقة بابل ونقص بها أختام رأس شمرا (أوغاريت) في سوريا . ففن هذه المنطقة وما يجاورها وليد حضارات مختلفة متأثرة من الفن الحثي والهوري والميتاني والايحيي والمصري يختلف هذا التأثير قلة أو كثرة بالنسبة لاتصال المنطقة المذكورة قليلاً أو كثيراً في إحدى الحضارات التي عدناها . ولذلك فقد أتى فن الحفر بعيداً عن التأثير البابلي ولكن لم يتخلص منه نهائياً . وقد أضيف في العهود المتأخرة لرأس شمرا تأثيرات أخرى هما التأثير الآشوري ثم الفارسي .

ومن أهم ميزات الأختام السورية استعمالها الشمس المذيلة والمجنحة المرتكزة على شجرة الحياة ورسمها الانسان العاري الراكع وهو صغير الحجم . ثم ظهور أبو الهول ثم نشاهد رسم البحر معبراً عنه بسككات متتاليات في المشهد؛ أما بقية الحقل فهو محشو بالمشاهد الثانوية كراس الانسان والعنزة والجرمة والسكة والادوات والملال والقمر والنجعة ذات الاضلاع . . .

وهناك أختام منطقة كبدوسيا من آسيا الوسطى وهي المعتبرة كمستعمرة بابلية آشورية ، إذ أن أختامها تعكس تماماً تأثيرات الأختام البابلية المار ذكرها مع إتقان زائد للتفاصيل والرموز .

ميزات ختم الألف الأول

أختام الدور الآشوري كثيرة ومتنوعة وذلك لطول العهد الآشوري ، وقد قلنا سابقاً بأن الآشوريين لم يهتموا كثيراً بمظاهر الحضارة فقد تبنوا غالباً حضارات الشعوب المغلوبة والواقعة تحت نفوذهم السياسي وداوموا على أحيائها وإبقائها دون أن يغنوها بميزات حضارتهم الخاصة . ولذلك نرى أن الأختام الآشورية العائدة إلى الألف الثاني هي ذات اتصال وثيق بفن الحفر البابلي وقد تكللنا عنها ضمن ميزات الألف الثاني .

أما الأختام العائدة إلى الألف الأول وهي من الدور الآشوري الامبراطوري أي في القرن التاسع والثامن والسابع قبل الميلاد فهي حتى الآن لم تدرس الدراسة الكافية ولكن باستطاعتنا أن تثبت بعض خواصها ؛ لقد أصبح نقش الأختام أي « الحفر » عميقاً وظاهراً للعيان فكان المشهد يتألف من مجموعة من الكرات المتصلة مع بعضها وهي عميقة الحفر وهذا النوع من الحفر يذكرنا بالأختام العائدة للعهد القديم كجدة نصر . وقد استعمل الآشوريون كمادة للأختام الأحجار الثينة الغالية وكذلك البلور ، وكانت صناعتهم في الحفر متقنة ودقيقة وواضحة الرسم بحيث تظهر دقائق اللباس وعضلات الشخص وشعر الحيوان .

ويختص العصر الآشوري الامبراطوري ببعض الصفات كالإله المجنح أو الملك المجنح ورامي القوس الراكع وهو يصوب نشاباً نحو حيوان ومنظر الصيد المألوف لديهم ومثلوا الكاهن بحضرة الملك أو الإله ويده مروحة وكذلك مثلوا الأشخاص المجنحين والراكعين بجانب شجرة فوقها رسم الشمس المجنحة .

أما أختام الدور البابلي الثاني (العصر الكلدوني) فهي متأثرة تماماً بالأختام الآشورية للقرن

الثامن والسابع ، حيث نشاهد الانسان المجنح بين حيوانين مجنحين أو غير مجنحين وهو ممسك بأرجلها أو برؤوسها كما ظهر ذلك في أختام بابل الأولى . وفي هذا الدور سادت الأختام المسطحة ولكن الأختام الاسطوانية لم تختف أبداً .

أما أختام الدور الفارسي فهي شبيهة بسابقتها مع وجود بعض الملاحظات كاستعمال الشمس المجنحة وفيها رسم رأس إله هو إله الخير والنور « امرورازدا » ، ونشاهد على أختامهم رسوم الصيد لأشخاص على عربات أو راجلين أو على حصان ، ونشاهد بعض الاختلافات في اللباس الفارسي ، وفي هذا العصر أيضاً أصبح للحيوانات الحرافية حلقة مستقلة عما سبقها ومن نوع جديد .



مركز تحقيقات كميّات علوم إسلاميّة

ملوك حلب من سلالة العمورية في ابتداء الالف الثاني ق.م.

لأستاذ صحي الصراف



منذ ثلاثين سنة تقريباً تمكن العلامة المؤرخ ادوارد ورم E. Dhorma من كتابة مقال مطول عن تاريخ حلب القديم في مجلة سوريا Syrie استقاء من الرقم المسماة المكتشفة في حاتوشاه (بوغاز كوي) عاصمة الامبراطورية الحثية في منحنى نهر قيزيل ارماق في الاناضول^(١) وكان لمقاله أهمية كبرى لما كشف به عن خفايا تاريخ مجيد يعود الى ما يقارب القرن السابع عشر ق. م . ولكنه رغم الحوادث الكثيرة التي سردها عن حلب لم يتمكن من معرفة اسماء ملوكها .

وما كادت حفريات ماري (تل حري) التي قام بها البروفسور بارو تبتديء في سنة ١٩٣٣ حتى نالت الاكتشافات الرائعة فيها ومنها الرقم المسماة الجديدة التي وجدت في قصر

E. Dhorme : Syria 1927. La plus ancienne hisroire d'Alep.

ماري والتي أصبحت مستنداً عرفنا بواسطته المعلومات الكثيرة عن تاريخ الشرق القديم لاسيما منطقة الهلال الخصيب . أما حلب فكان نصيبها كبيراً اذ ذكرت مراراً .

ولقد أخذ الاستاذ جورج دوسان البلجيكي بحل القسم الاكبر من هذه الرقم وتمكن من كتابة مقال هام في المجلة الآشورية تحت عنوان يحاض وقطنوم^(١) عرفنا به أن حلب كانت عاصمة لملكة قوية ممتدة الأطراف مجاورة لملكة كاركيش (جرابلس) من الشرق وملكة قطنه (المشرقة : بين حصص والسليمة) من الجنوب . كما أننا عرفنا أيضاً أسماء ملكين من ملوك حلب وهما ياريم ليم وخلفه حمورايي .

وقد أتبع مقاله بمقال آخر أكبر من الأول وأكثر أهمية ، إذ به يسرد لنا تاريخ حلب في القرن الثامن عشر ق . م^(٢)

و كنت بدوري قد نشرت كتاباً في سنة ١٩٥٢ أسميته أقدم ما عرف عن تاريخ حلب ، كما أن الأستاذ جان سوفاجه كان قد أصدر كتابه القيم عن حلب في سنة ١٩٤١^(٣) . غير أن كل ذلك لم يتعد المصادر التي وجدت في حاتوش وماري واور .

رغم ما ظهر لنا من كل ذلك لتاريخ مجيد لحلب وملكة يحاض لم نكن نتمكن من معرفة الكثير عن سلالة حلب العمورية حيث - كما ذكرت - لم نثر في رقم ماري إلا على اسمين هما ياريم ليم وحمورايي ، فلا بد لنا أن نعرف أسماء الآخرين من هذه السلالة

أتبع لنا معرفة ذلك في رقم الالاخ (تل عطشانة قرب انطاكية) عاصمة الموكنش حيث نقب السير ليونارووله ووجد قصراً فحماً كان قد بناه ياريم ليم أحد ملوك حلب من السلالة العمورية وقد وجد فيه رأس تمثال جميل من الديوريت يظن أنه رأس الملك ياريم ليم نفسه^(٤) .

(١) G. Dossin : Revue d'Assyriologie XXXVIe vol. I. Iamhad et Qatanum.

(٢) G. Dossin : Bulletin de la classe des lettres et des sciences morales et politiques. Tome XXXVIII, « Le royaume d'Alepau XVIII siècle avant notre ère, d'après les archives de Mari.

(٣) J. Sauvaget : Alep, essai sur le développement d'une grande ville syrienne des origines au milieu du XIXe siècle. Paris 1941.

(٤) Sir Leonard Woolley : A Forgotten Kingdom - London 1953.

ووجد في الألاخ كثير من الرقم المسارية الهامة التي تمكتنا بواسطتها اكمال ماينقصنا لمعرفة تدوين الشيء الكثير من تاريخ حلب وخاصة اكمال السلسلة الناقصة للسلالة العمورية للملك حلب .

نشر السيد ويزمان D.J. Wiseman في سنة ١٩٥٣ في لندن حل الرقم والكتابات المسارية التي وجدت في الألاخ^(١) فكان منها ما هو خاص بالمبادلات التجارية والاخرى الدبلوماسية وأهمها ما يتعلق بالتاريخ لمدينة الألاخ وعلاقتها مع جيرانها لاسيا مملكة يمحاض .

وظهر من جميع هذه الرقم بأن حلب كانت كما ذكرنا ، عاصمة لمملكة يمحاض القوية وكانت سلالة عمورية مكنت بها وتمكنت من تستم عرشها في ابتداء الألف الثاني ق . م . فلا يعرف إذا كانت هذه السلالة هي التي تمكنت من تستم عرش حلب منذ أن احتل حلب الملك نارام سين الاكدي وأسر ملكها ريد عدد وأجبره على تدوير الدولاب^(٢) .

وعلى كل كان ملوك حلب من السلالة العمورية ملوكا عظماء ضربوا الجزية على الملوك المجاورين وكانوا يخضعون وينصبونهم حسب إرادتهم ، كما جرى لمملكة ماري إذ أخذوا يخضع يهدينليم ملك ماري وحضوا ابنه زمريليم عندهم ثم أعادوه إلى مملكته ونصبوه مجدداً على عرش آباؤه .

وتمكنوا بمخبتهم من اكتساح مملكة بكاملها وهي مملكة الموكيش وضما لمملكته . كما كانوا يرسلون التجدات لأصدقائهم ويفرضون إرادتهم على غيرهم .

وقد عرفنا من أحد رقم ماري بأن ملوك حلب كانوا من أعظم ملوك الهلال الخصيب وهو رقم كان قد وجهه ايتيرأسدو أحد سفراء زمريليم في حلب لسيده وهو يقول بشأن ماكتبه سيدي إلى الملوك بهذا التعبير الموعد جميعاً أمام التقدمة للآلهة عشتار فجمعت الملوك في شرماته . وتكلمت معهم عن القضية وقلت لهم لا يوجد ملك وحده عظيم حقاً . ان ١٥ أو ملكا يقبعون حمورابي ملك بابل ، والعدد نفسه يتبع ريم سين ملك لارسا ومثل

D. J. Wiseman : The Alalakh Tablets - London 1953.

(١)

Gadd and Legrain : Royal inscriptions from Ur - Naram - Sin

(٢) ص ٢٧٤

وصحي صواف : اقدم ما عرف عن تاريخ حلب من ١٥ و ١٦

ذلك يتبع ابال - بي - آل ملك اشنونه (تل أسمر) ومثلهم يتبعون آموت - بي - آل ملك قطنه وعشرون ملكا يتبعون ياريمليم ملك يحاض ...^(١)

فترى من هذا الرقيم بأن ١٠ أو ١٥ ملكا يتبعون ملوك بابل واشنونه ولارسا وقطنه الخ . بينما عشرون ملكا يتبعون ملك حلب .

وأثناء الحصار بين مملكة حلب ومملكة قطنه تداخل حمورابي البابلي وزمريليم الماري لاصلاح ذات البين^(٢) فيفرض ملك حلب إرادته على ملك قطنه ويطلب إليه المثل أمامه بحلب لكي يوقع معاهدة ود بينها^(٣)

وكان هذا الملك ~~الذي~~ قد أرسل إلى حمورابي البابلي ١٠٠٠٠ جندي لتجديته على أعدائه^(٤) كما أن ممثلي ملك حلب كانوا دائماً مكرمين ومعزيزين ومفضلين على غيرهم في البلاطات الاجنبية^(٥) .

وكان ملوك حلب يستعملون الخنكة والدبلوماسية لنيل غرضهم ، فتراهم قد استولوا على مملكة الموكيش بأمرها لكي يكون لهم منفذ على البحر .

وكانت مملكة يحاض ممتدة الأطراف تتصل من الأناضول شمالاً ، ولها منفذ على البحر الأبيض المتوسط غرباً - ثم انها متصلة بمملكة قطنه جنوباً - وتتعدى الفرات شرقاً حيث تضم

(١) ص ١١٧ و ١١٨ G. Dossin : Syria 1933. Fasc. 2. Les archives épistolaires de Mari

واقدم ما عرف عن تاريخ حلب ص ٢٨ .

(٢) ص ٥٠ G. Dossin : Revue d'Assyriologie XXXVIe Vol. I. Iamhad et Qatanum

واقدم ما عرف عن تاريخ حلب ص ٣٩ .

(٣) مثل السابقة ص ٥١ G. Dossin :

واقدم ما عرف ... ص ٢٩

(٤) C. F. Jean : Revue d'Assyriologie XXXV, vol. II. Hammorabi d'après les lettres inédites de Mari ص ١١٣

واقدم ما عرف عن تاريخ حلب ص ٣١

(٥) مثل السابقة ص ١١٠ C. F. Jean :

واقدم ما عرف ... ص ٣١

مدينة ايمار^(١) وهي مدينة مسكنة الحالية ميناء حلب القديم على الفرات ، كما وضعه لنا الاستاذ جورج دوسان .

ومملكة يمحاض كانت غنية جداً^(٢) والى الشمال من حلب^(٣) وربما كانت أيضاً تصدر النحاس .

ولقد عرفتنا رقم ماري على ملكين من ملوك حلب وهما ياريمليم وخلفه امانيمليم^(٤) من السلالة العمورية الذي نعرفه وهو الذي قبل زمريليم بن يدينليم ملك ماري عنده مجلب وآواه وزوجه عندما كبر بابنته شبتو وأعاده إلى عرشه له كمرشد وكمحام . وأما ياريمليم^(٥) مثل ياريمليم معاصراً لحامورابي البابلي صاحب الشريعة المشهورة باسمه وهو الذي أرسل له عدداً غفيراً من جنوده لمساعدته وذلك دون مقابل^(٦) . وكانت علاقاته مع زمريليم الذي اعتلى عرش آبائه في ماري حسنة جداً فهو الذي كان يرسل له الهبات من الثياب الحلبية وبستريه مراراً عنده مجلب^(٧) وهو الذي أرسل إليه رسول ملك أوغاريت متوسطاً له وطالباً منه أن يسبل له رغبته بمشاهدة القصر الشهير للملك ماري^(٨) وهو القصر الذي أخرجه إلى الوجود الاستاذ بارو .

عرفنا اذا من رقم ماري اثنين من ملوك حلب من السلالة العمورية وبعض اعمالهم وهما ياريمليم وحمورابي .

(١) س ١٢٠ Soubhi Saouaj : Sites et monuments antiques aux alentours d'Alep.

(٢) س ٢٣٥ G. Dossu ; Bulletin de la classe des lettres et des sciences morales et politiques. Tome XXXVIIIe - Le royaume d'Alep au XVIIIe s. avant notre ère. d'après les archives de Mari

(٣) س ٤٧ G. Dossin : Revue d'Assyriologie XXXVIe, Vol. I. Iamhad et Qatanum

واقدم ما عرف عن تاريخ حلب س ٢٤

(٤) س ٥٨ و ٥٩ C. F. Jean : Revue d'Assyriologie vol, XLII - 1948 - Lettres de Mari IV. transerites et traduites.

واقدم ما عرف س ٣٦ و ٣٧

(٥) س ٤٨ و ٤٩ G. Dossin : Revue d'Assyriologie XXXVIe Facs. I. Iamhad et Qatanum.

(٦) س ١٦ و ١٧ C. F. A. Schaeffer. Ugaritica I.

واقدم ما عرف س ٢٧

اما الاالاخ فهي التي اعطتنا اسماء عدة مكملة للسلاطة العبودية ومن تتبع تاريخ الاالاخ يمكننا معرفة الكثير عن تاريخ حلب .

كانت الموكيش وعاصمتها الاالاخ مملكة تحكمها سلاطة محلية غير ان جيرانها اليباحاضيين كانوا يعملون ما بوسعهم للاستيلاء عليها ، لان وجودها مستقلة تعيق وصول اليباحاضيين الى البحر ولذا حدث في ايام احد ملوك الموكيش ، واسمه ابان ، ان استقاد ملوك يحاض من ثورة قام بها اتباع ملك الموكيش في عاصمته نفسها حتى اضطر ان يسير نحوهم بجيوشه . ويعلمنا الرقم الهام الذي يسرد لنا ذلك بان الثوار استولوا على مدينة ايريدي Irridu . يعتقد السيد ويزمان Wiseman ناشر رقم تل عطشانه بان ايريدي هذه تقع فيما وراء الفرات من الشرق وانها مدينة اريته Irrité التي ذكرها مرارا الحثيون في نصوصهم ^(٣) . ولكني لا اظن ذلك لانها لو كانت شرقي الفرات لكان يفضلها مملكة يحاض عن الموكيش ويصعب على ملوك الاالاخ الاهتمام جديا بها . والتي اعتقد انها في بلاد الموكيش نفسها قريبة من انطاكية الحالية وكانت بالقرب من العاصمة الاالاخ .

اضطر اذا ابان Abban ملك الموكيش على السير بجيوشه نحو الثوار في مدينة ايريدي مدعيا ان جيوشه استولت على المدينة بمساعدة الاله ايم (حدد) والاله هبت . ويعلمنا الرقم بعده بان ابان اضطر لمبادلة مدينة ايريدي مقابل عاصمته الاالاخ وانه قد اعطاها من تلقاء نفسه الى ملك يحاض ياريم ليم الذي يسميه خادمه .

وقد اصعده الى المكان المرتفع حيث معبد الالهة المكرمة للمدينة وهي الالهة عشتار وهناك توجه ملكا على الموكيش وهدد من يخالف عمله هذا بغضب الالهة . وهاكم ترجمة الرقم :

عندما اخوته (حلفاؤه) ثاروا ضد ابان سيدهم . ابان الملك ؟ بمعونة ايم وهيبت والسلاح الالهي ، سار نحو ايريدي ، على مدينة ايريدي ابان (و) جيوشه استولوا . وبهذا اليوم ابان عوضا عن ايريدي اعطى مدينة (ة) (و) من تلقاء نفسه الاالاخ اعطاها (؟) . في ذلك اليوم ياريم ليم ابن حمورابي ، خادم ابان ، الى معبد عشتار اصعده (.) ابان الذي ياريم ليم

(.) مدينة بمدينة اعطى . الذي يعرقل عمل ابان هذا ويضر الى ياريم لم ومن يخلفه ، الاله ايم يذقه اربا بالسلاح الذي بيده ، وهيب وعشتار تكسران سلاحه ، وعشتار تسله الى ايدي المنتصرين عليه ، وعشتار التي تصنع الطواشي (ت) اخذ ؟ له قوته التناسلية ^(١) .

فترى بذلك كيف تمكن ياريم لم ابن حمورابي البعاضي من الاستيلاء سلما على الموكيش وعاصمتها الاالاخ . غير اتنا نرى ابان بسبي ياريم لم خادمه ، فهل يا ترى لانه استاجر معونة ملك يمحاض ؟ . او ليس ذلك الا بنجح من قبل ابان الذي وغم كل ما يقوله يضطر اعطاء ملكه الى ياريم لم ملك يمحاض .

وبالحقيقة يظهر بان ابان غلبَ واوشك الثائرون على الاستيلاء على مملكته بكاملها . غير ان حاكم مدينة الاالاخ المسمى نوراري وكان والد زوجة ياريم لم لعب دوره هنا اذ اقنع ابان بان يستغيث بياريم لم ملك حلب ضد الثوار . فطلب ابان الثوث منى البعاضي الذي اغتم هذه الفرصة العظيمة ليضع سلطته ، بعد دحره الثوار ، على بلاد الموكيش فقد استولى على مدينة اريدي بدوره واوشك ان يستولي على الاالاخ القريبة منها . فهنا لعب دوره ايضاً عمه نوراري اذ اقنع ابان بان يعطي الاالاخ الى ياريم لم البعاضي شريطة ان يترك اولاده يحكمون الاالاخ باسم ملوك يمحاض . وكان ذلك .

وما ياريم لم هذا الا الثاني المعروف في السلالة العمورية لحلب اذ كما ذكرنا عرف من رقم ماري ملك آخر مسمى بهذا الاسم وقد خلفه حمورابي فيأتينا ياريم لم الثاني وهو ابن حمورابي وخلفه فيكون لدينا اذاً

ياريم لم الاالاخ

حمورابي الاالاخ

حمورابي ياريم لم الثاني

وما كادت تنتهي السنة على اعتلاء ياريم لم عرش الموكيش حتى ضغط على اموتاكى ابن ابان الذي كان ممي حاكماً على الاالاخ وارغمه على اعطاء جميع ما يملكه الى ابنه حمورابي .

اذ نرى رقيم تاريخي آخر يرب به اموتاي جميع ما يملكه من اراضيه واملاكه وبيته الخ الى حمورابي ابن ياريم ليم . وهاكم ترجمة الرقيم .

« اموتاي حاكم الالاه . اثناء حياته وامام ياريم ليم الملك ، سيده وهب امواله ، وبيته ، وارضيه في المدينة واملاكه وكل ما يملكه كما فعل ذلك ابوه وامه عندما وضعوه ملكا (يعني بذلك ياريم ليم) الى حمورابي ابنه ، التي انجبت ابنة ناواراري حاكم المدينة . هكذا يقول ... حمورابي هو ابني (ينقص سطرين و) لبس لي وارث غيره ، حمورابي هو سيد بيتي والمدينة وهو خادم الملك ياريم ليم سيدي (يتبع اسماء عشرة شهود وتنتهي) مؤرخة في ١٧ حيارى ، من السنة التي اصبح ياريم ليم ملكا ، عندما تغلب على الرئيس والحاكم لاشنونا (١) .

نرى في هذا الرقيم اسم ناواراري حاكم الالاه في عهد ابان ووالد زوجة ياريم ليم والدة حمورابي . وينتهي هذا الرقيم بإعطاء أسماء عشرة شهود وبتاريخ السنة التي صار ياريم ليم ملكا عندما دحر رئيس اشنونه وحاكمها .

ليس من شك بأن هذا التاريخ هو عندما صار ياريم ليم ملكا على بلاد الموكيش . أما ذكر اشنونه فلا بد أن هذه المملكة كانت قد ساعدت حلفاء ابان على الثورة ضده وقد يمكن أن يكون حاكم ورئيس مدينة اشنونه قد أتى على رأس عدد غير يسير من الجنود وحارب فعلاً بانضمامه إلى الثور ، ملك الالاه ابان . وعلى كل يظهر من ذلك بأن ياريم ليم دحر جنود اشنونه حينما سار لنجدة ابان . واعتلى بعده عرش الموكيش مكافأة لمساعدته ابان .

فلدينا إذا اسم آخر من ملوك يحاض وهو حمورابي بن ياريم ليم . فيكون تسلسل الأسماء

ياريم ليم الأول

حمورابي الأول

ياريم ليم الثاني

حمورابي الثاني

على الوجه التالي :

وإذا تابعنا حل الكتابات المسبارية التي وجدت في تل عطشانه نرى اسماً آخر للملك يحاض

وهو ابان بن حمورابي وربما أعطي اسم ابان لابن حمورابي اكراماً لابان ملك الموكيش وذلك استعطافاً لهذه السلالة التي أظهرت اخلاصاً بخضوعها للملك يمحاض فنرى كتابة على اسطوانة ختم مكسورة ومهشة ، تمكن السيد ويزمان قراءة مانصه « ابان بن حمورابي ، ملك يمحاض ، خادم أدو (الإله حدد) »^(١) .

فإذا أضقنا اسم أبان الى الأسماء المعروضة من السلالة العمورية اليمحاضية فيكون لدينا :

ياريم ليم الأول
حمورابي الأول
ياريم ليم الثاني
حمورابي الثاني

وقد وجدت كتابة تؤكد لنا اسم ابان وتعطينا اسماً آخر للملك حلب وهو ياريم ليم بن ابان ، وهي كتابة على اسطوانة ختم أيضاً محفوظة بصورة حسنة تقول :
« ياريم ليم بن ابان ، ملك يمحاض ، خادم أدو »^(٢) .
إذن خلف ابان على عرش يمحاض ابنه ياريم ليم فنسبته الثالث بهذا الاسم فيكون لدينا :

ياريم ليم الأول
حمورابي الأول
ياريم ليم الثاني
حمورابي الثاني
ابان

ياريم ليم الثالث

وهنا يأتينا نور آخر يدلنا على مايكمل لنا السلالة العمورية للملك حلب إذ وجدت اسطوانة ختم أخرى تعطينا اسم خلف ياريم ليم الثالث وهو « نكمة ايوه » والكتابة التي تذكر

(١) مثل السابقة من ١١٣

(٢) مثل السابقة من ١١٣

اسمه تقول « نكهه ايوبه بن باريم ليم ، ملك يحاض ، خادم ادو »^(١) ، وقد وجدت عدة كتابات في رقم الاالاخ تذكر نكهه ايوبه خاصة في الأعمال التي أتى بها وقد عدّها ذات أهمية حتى أنه أعطاها كتاريخ لبعض سنوات ملكه . فمنها السنة التي قدم تمّاله إلى الإله ايم^(٢) ومن أعماله الكبيرة استيلاؤه على مدينة أزاريك فنعرف ذلك من تعاقد ينتهي بتاريخ السنة التي استولى بها نكهه ايوبه على أزاريك^(٣) وكتابة ثالثة تعطينا إيضاح على أحد أعماله وهو عودته إلى مدينة ايزين ونعرف ذلك من تاريخ على أحد النصوص يقول : « السنة التي رجع نكهه ايوبه الملك إلى مدينة ايزين »^(٤)

فإذن السلالة تكتمل باسم نكهه ايوبه فيكون لدينا :

باريم ليم الاول

حمورابي الاول

باريم ليم الثاني

حمورابي الثاني

ابان

مركز تحقيق نكهه ايوبه خادم ادو

وهنا لدينا الامم الاخير للملك يحاض أو الآخر من الذين ذكروا بنصوص الاالاخ وهو اركابتم إذ وجد أيضاً اسطوانة ختم تذكر اسمه ولقبه وهذا هو نصها : « اركابتم بن نكهه ايوبه ملك يحاض ، خادم ادو »^(٥) .

وقد أتى ذكر اركابتم هذا مراراً في أواخر الرقم المسارية وهو تواريخ لاعمال هامة أتى بها فمنه الذي يقول : « السنة التي صار بها اركابتم ملكاً »^(٦) .

(١) مثل السابقة ص ٣٦

(٢) مثل السابقة ص ٥٠

(٣) « « ص ٣٥ و ٥٥

(٤) « « ص ٣٨

(٥) « « ص ١١٣

(٦) « « ص ٤٤ و ٥٠

وكتابة أخرى تذكر : السنة التي رجع بها اركابتم إلى ناستري^(١) . وكتابة ثالثة تذكر :
السنة التي صالح الملك اركابتم بين سمونة والمحاربين الحابوري^(٢)
فإذا أضفنا اسمه إلى السلالة العمورية البعاضية فيكون لدينا الاسماء الآتية :

ياريم ليم الاول

حمورابي الاول

ياريم ليم الثاني

حمورابي الثاني

ابان

ياريم ليم الثالث

سكة ايبوره

اركابتم

بعد اركابتم لم يظهر اسم خلفه ، فهل با توى كان هذا الملك آخر ملوك السلالة العمورية ؟
فهل هو الذي قابل حاتوسيل الاول الملك الحثي عندما هاجم مملكة بيماض ؟ وعرف بان الملك
حاتوسيل قد دحر وجرح ولربما مات متأثرا من جراحه^(٣) وقد لحقت الجيوش الحثية بجيوش
الحثية حتى قلب البلاد الحثية حيث وجد رقيم مسماري في الطبقة القديمة لمدينة حاتوشاه عاصمة
الحثيين ، وهي كتابة مهشة وناقصة كثيرا خاصة من اولها ، وما كان باقيا فيها يدلنا بعباراته
القليل بوضوح بان ملك حلب سار مع جيوشه وعجلاته الحربية من حلب الى بلاد الحثي
وماكم ما كتب في الرقيم ورجال حلب اتوا مع جيوشهم وعجلاتهم من مدينة
حلب^(٤) كما انه عرف بان الثورة قامت في بلاد الحثي ضد ملوكها وحكامهم من سكان
الاناضول الخاضعين لهم . وبما لا شك فيه بان هذه الثورة كانت قد غزيت واشعلت من قبل
البعاضيين .

وبما يؤكد بان حاتوسيل الاول قد جرح ومات عندما هاجم حلب هو ما قاله خلفه

(١) مثل السابقة ص ٤٣

(٢) مثل السابقة ص ٤٨

(٣) ص ٦٣

واندم ما عرف ص ٤٤

(٤) ص ٥٦ و ٦٤

مورسيل الاول ، أكبر الفاتحين الحثيين ، عندما يقول بعد استيلائه على حلب وتدميره المدينة بأنه انتقم لدم ابيه (١) .
فيمكننا ان نقارن السلالة اليمحاضية مع السلالة البابلية الاولى على الوجه التالي :

بابل

يمحاض

سن موبلط	ياريم ليم الاول
حمورابي	حمورابي الاول
شمشو ايلونا	ياريم ليم الثاني
ابي ايشو	حمورابي الثاني
امي دتانا	ابان
امي صادق	يارليم ليم الثالث
شمشو دتانا	نكمه ايبوه
	اركابتم

الملحق الفني
صبي صراف

مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

قناة سلمية- افامية وقناة العاشق

للسير طامل سماره
مراقب آثار حماة

المناهج :

- ١ - ما تناقل على السنة المستنير وما تلوكه من خرافة عن سبب انشاء القناة وتسميتها بـ (قناة العاشق) . ٢ - جولة استكشافية . ٣ - مرد سيرها بالتفصيل . ٤ - وصف القناة . ٥ - انواع الجسور وكيفية بنائها ٦ - ذكر استفادة الاهلين من القناة فيما مضى من منبعها الى مصبها . ٧ - تاريخ مدها وامامها وانقطاعها . ٨ - لمحة تاريخية موجزة عن افامية وسلمية . ٩ - تعليق ورأي .

**

- ١ - كثيراً ما ترددت الأحاديث وروى الاساطير ، ان مدينة افاميا التاريخية ، كانت تروى من عيون مدينة سلمية ، بواسطة قناة عرفت باسم (قناة العاشق) ، واكثر هذه الاساطير شيوعا الاسطورة الآتية ، التي هي أشبه بخرافة وهي :
انه كان لملك افاميا ابنة رائعة الجمال ، تراحم على خطبتها ، اميرا سلمية وجليدون^(١) وكان هواها مع الثاني ، ولا تستطيع رفض الأول وحسباً لذلك ، اشتطت ، ان من يأتيها بالماء من بلدته لعاصمتها قبل الآخر يكون صاحب الحظ بالزواج منها ، فقبلا هذا الشرط ،

(١) جليدون من قضاء مصياف - حماة تقع بالقرب من حماة / ٤٥ / كم .

وباشر كل منها العمل فعلاً بأدلا كل جهده ، لا يصل الماء قبل منافسه ، على ان المسافة الشاسعة بين سلمية وأفاميا لم تمنع امير سلمية من التغلب على كل صعب ، فقد سبق مزاحمه واوشك على النهاية . بينما لاقى امير جلميدون صعوبات أخرته رغم قرب المسافة بين مدينته وأفاميا . وشعرت الاميرة بتقصيره ، فاوفدت من يقول له (عليك بالحام والقيرد القار « ياقليل التدبير) وعشاً باءت جميع محاولاته بالفشل . ونجح امير سلمية بإيصال الماء ، وراح يفخر امام الاميرة قائلاً (هأنا اوصلت الماء لمدينتك بقوة معبودي وعطفه) . فاجابته (انك اوصلتها بفضل « هي » لا ...) فمسخت الاميرة ، واصبحت حجراً .

٢ - لقد تركت تلك الاقاويل ، وهذه الاسطورة ، أثراً في نفسي ، وفكرت في استقصائها والبحث والتحقيق حولها مهما اعترضني صعاب ، وزادني رغبة في ذلك ، ما كنت اعثر عليه من آثارها في نواح مختلفة في اراضي قرى كفر نبوده ، وكفر زيتا وغيرها ، فعدت الى كتب التاريخ واكثر المراجع العربية ، فلم اتوصل الى ما يشفي الغليل ، او ما يبيل الصدى ، ولم يبق امامي الا متابعة آثارها من سلمية الى أفاميا ، مهما كلفني ذلك من صعوبات ونصب ، ورغم وعودة المسالك ، واضطراري الى السير على الاقدام ، لاجتياز المرتفعات والوديان ، والمزارع والحقول ؛ لكونها لا تلازم الطرق ، تبياناً لهذه القضية التاريخية الهامة ، التي اهملها التاريخ .

فقصدت مدينة سلمية التي ترتفع عن سطح البحر / ٤٧٥ / متراً ، بينما ارتفأع مدينة أفاميا / ٣٠٨ / م فاستبشرت خيراً ، وبادرت الى متابعي اثرها ، وجعلته على مرحلتين ، كانت الاولى من سلمية الى جبرين ، قرب حماد ، والثانية من جبرين الى أفاميا ، واستغرق استكشافها اسبوعاً كاملاً وحسن الحظ ؛ صدف جال تجوالي اسبوع الحر الشديد ، ولكن والحمد لله ، تحقق نجاحي في الكشف عن هذا الحدث التاريخي الذي يضيف الى مدينة أفاميا واهميتها التاريخية والأثرية ، ناحية اخرى ، تزيد في عظمتها ، زد على ذلك انها تعد اضخم مشروع اروائي في العصور الغابرة .

٣ - وبعد الاستدلال من المسنين وذوي الخبرة عن اقية سلمية واتجاهاتها ، وعما اذا كان هناك قناة تدعى باسم (قناة العاشق) . فاردنا الى الناحية الغربية من مدينة سلمية بالمكان المعروف بـ (عين الزرقاء) وهناك رأيت ساقيتين لقناة ممتدة نحو الغرب بشكل ظاهر ، فرافقت سير هاتين الساقيتين الى مسافة / ١,٥ / كم غربي سلمية ، هناك انحدتا ، معاً ، وشكلتا ساقية واحدة ، شق طريقها في الاراضي لمسافة / ٥ / كيلو متراً الى المكان المعروف بـ (الوشاشة)

وهنا رأيت آثار طاحونة مائية قديمة متهدمة لم يبق منها الا واجهتها ، انظر الصورة رقم (١) وقد اقيم الى جانبها طاحونة اخرى ، تسمى طاحونة المعبد (نسبة لمعبد وثني كانت مقاماً الى جانبها وقد اندثر) وبقي استعمال الطاحونة هذه الى ما قبل اربعين سنة ، كما فهم من اقوال المسنين .

وهكذا تابعت سيرها مارة بجانب تل عقيرب ، ثم بجانب مزرعة احمد شاهين ، وحول هذه المزرعة شاهدت آثار سدود قديمة ، تفصل عندها القناة المذكورة ، آخذة طريقها نحو الغرب ، وعلى مسافة ٢٠٠ / متر شق لها طريق في الصخر بعرض ٦٠ / سانتيمتراً وعمق متر . انظر الصورة رقم ٢ / . وباتصال هذه الساقية آثار بناء لطاحونة مائية لا زال بعض اركانها قائماً . انظر الصورة رقم (٣) . ومن ثم اتجهت للغرب وهي مسقوفة ، فمرت بجانب قصر مرزا من الشرق ، وتعدوه نحو الغرب الشمالي ، وقد اعترضها طريق (سلمية - حماة) في الكيلو متر (٩) . فمرت باراضي تل الدره ، وقد شكلت فيها عدة التفافات حول اخاديد ، حتى غدت للجنوب من قرية الشحلة ، ومن شمالي هذه القرية اتخذت طريقها الى سفح جبل كاسون مارة باراضي القرى . ابو طويقية ، سفينة ، العوجة ، كاسون ، حتى اراضي جبرين فشمالى قرية الهاشمية (١) ، وعادت باتجاهها نحو الجنوب ، مارة بطرفها الشرقي ، ويرى قسم منها في الصورة رقم (٤) والتفت حول جبل زين العابدين (٢) . وبالسفح الشمالي منه ، تنتهي نحو الشمال مارة فوق جسر اقيم لها على ثلاث قناطر ، كما يرى في الصورتين رقم (٥) يشار اليه في الخارطة برقم (١) . ثم تمر بقرية الحوبة متجهة نحو الشمال الشرقي قليلاً الى تل العبادي ، باراضي معردس ، ثم يفصلها الحط الحديدي (حماة - حلب) شمالي معردس ، في جسر الكيلو متر (٨) . ثم تدخل قرية صوران بين البيوت من حيها الغربي ، وتعدوها للشمال مارة بظهرة الشيخ مسعود ، ثم تنتهي نحو الغرب الشمالي مجتازة وادي الدورات على جسر كبير ، نسف بفتح الطريق العام (حماة - حلب) عام ١٩٢٨ م . وشوهدت آثارها ممتدة بمحاذاة هذا الوادي الواصل الى قرية اللطامنة ، وعلى مسافة كيلو متر واحد من هذا الوادي ، اقيم لها باراضي قرية مورك الجسر برقم (٢) . انظر الصورة رقم (٧) . ومن ثم تتابع سيرها للغرب ، فتمر بقرية لحاية ، على الجسر المحد لها رقم (٣) . وفي الصورة رقم (٨) . ومنه تمتد للغرب

(١) من قرى حماة واقعة لثمال الشرقي قليلا منها بمسافة (٥) كيلوم .

(٢) جبل شمالي حماة بمسافة (٥) كيلوم . وقرية الحوبة بجانبه الشمالي .

فكتلف حول تل قبيلون^(١) . وتثنى بعده للشمال الى مسافة ٢/٥٥ كم فتعود باتجاه الغرب ،
 مارة حول تل فاس التابع لقرية لطمين^(٢) . وتدخل اراضي كفر زيتا على الجسر الطويل
 المتهدم حالياً رقم (٤) . انظر الصورة رقم (٩) ثم تصلها وتلتف حولها . وفي جهتها الشمالية
 على مسافة ثلاثة كيلو مترات ، يعترضها طريق (كفر زيتا معر نحرمة) . وهناك اقيم لها
 فوق واد جسر رقم (٥) . ومن ثم تتجه للغرب الشمالي فتمر بخربة (كسفيا) ، ومن شرقي
 خربة (ابو مرته) . وفي شرقي الهيظ اقيم لها جسر برقم (٦) . وفي الصورتين رقم (١٠)
 وتلتف حول الهيظ ، فالشمال منها على مسافة ثلاثة كيلو متر حيث رأيتها محفورة في الصخر
 مسقوفة على عمق كبير ، انظر الصورة رقم (١١) وتجتاز وادي الطويلة على جسر عال ، وكان
 هذا اكبر جسورها ، يشار اليه برقم (٧) . ويرى في الصورة رقم (١٢) . ثم تلتف بسفح
 جبل الطويلة الغربي ، وتنعطف للغرب على جسر زال اثره . ذي الرقم (٨) . وبعد انحناءات
 تعود باتجاه الغرب حتى قرية كفر نبودة^(٣) . فكتلف حولها ، وفي الشمال منها ، اعد لها جسر
 طويل برقم (٩) وفي الصورة رقم (١٣) . وتمتد للشمال الى الجانب الشرقي من قرية القروطة
 والجانب الجنوبي من قريتي قراته وسحاب ، حيث تتجه للغرب مارة باراضي قرية القهوية ،
 بنقطة متوسطة بينها وبين قرية تل هواس ، وهنا اعد لها جسران ذوا رقم (١٠ و ١١) انظر
 الصورتين (١٤ و ١٥) . وما ان وصلت طريق (الصهرية - قلعة المضيق) حتى رأيتها
 تثنى نحو الجنوب ، محتازة اواسط اراضي مقسم الباب ، وكروم اهالي قلعة المضيق ، حتى
 تغدو امام القنطرة الشمالية لمدينة افاميا ، فتدخلها من جانبها الشرقي وسط المدينة ، واضحة على
 قناطر ، بمتدة للجنوب . انظر الصورة رقم (١٦) .

وفي قلب افاميا اقيم لها مخازنات ، وتتفرع منها فروع ، احدها يصل الى خزان كبير ، مبني من
 الآجر ذي ابعاد (١٥×٢٥) م . واقع خلف البناء المعروف بـ (دار السعادة) امام القلعة

(١) تل قبيلون ، اصطناعي عائد لقرية الاطامنة من قرى حمه الشمالية بمسافة (٣٠) كيلو متر .

(٢) لطمين من قرى حمه الشمالية عنها مسافة (٣٢) كم ذكرها ياقوت في معجمه ، وآخرون غيره وهي
 قرية من كفر طالب ، اما تل فاس الاثري فقد ذكرته بعض التواريخ العربية والآن خراب عائد
 لقرية لطمين .

(٣) كفر بنوده من قرى حمه الجنوبية بحد عنها ٤/٥ كم ذكرها اسامة بن منقذ باسم كفر بنودا
 ودوسوباسم كفر بنودي .

من الشرق ، ولا يبعد وصول ماثا لما تحت القلعة ليرتوي السكان منه قديماً ، اذ يرى داخل القلعة صهريجاً عميقاً جداً ، بدار نجيب عقيل ، قدرنا عمقه مساوياً سطح القناة الممتدة لاول القلعة ، وانصابها في الخزان القريب من الخندق ، ولا يعسر اسالة الماء من هذا الخزان الى مجرى آخر يتصل بهذا البئر .

وبعد ان انتهينا من تتبع آثار القناة من منبعها في سلمية الى مصبها في مدينة افاميا لابد لنا من اعطاء وصف لطراز بنائها وطولها والجسور التي اقيمت لها .

أن المسافة بين مدينتي سلمية وافاميا تبلغ (٨٥) كيلومتراً ، واذا اضفنا التعاريج والتلافيف التي سارت فيها القناة ، حسب طبيعة الاراضي ، والمرتفعات التي تقتضي ضرورة هذا المشروع العظيم ، السير فيها ، لابد من اضافة (٦٥) كيلومتر ، فيكون طول هذه القناة من مصدرها الى انتهائها (١٥٠) كيلو متر .

اما عرض مجراها في الداخل ، الذي لم يتغير فهو (٦٠) ساتيمتر ، والعمق يختلف فيها بين المتر والثلاثة امتار واما طراز بنائها فقد بنيت في السهول من القرميد ورقيق الحجارة المدعومة بالملاط القوي ، وفي المرتفعات الصخرية شقت فيها تقرا بصورة منتظمة ، وسقت بنفس الطريقة التي انشئت عليها . وفي الاودية اقيمت لها جسور بلغ عددها اثني عشر جسراً .

٥ - وبما يجدر ذكره أن طراز جسور هذه القناة ، بالرغم مما اصابها من عوادي الزمن وعبت العابثين ، فانها تبدو مختلفة الشكل ، متعددة النوع ، حسب طبيعة الأرض المقاومة فيها ، حتى ليكننا تقسيمها الى اربع فئات .

فنجده مثلاً ان الجسور ذوات الارقام (١،٦،٧) المشار اليها بالخارطة المرفقة ، قد بنيت بالحجارة الكلسية الضخمة ، على شكل قناطر كبيرة ، يتراوح طولها بين (٢٠ و ١٠٠) متر . وعرضها ما يقرب من مترين ، وارتفاع من (٤ الى ١٢) متر . بعض منها ذو أربعة قناطر ، وآخر باثنتين والجميع قد احكم بناؤها احكاماً تاماً .

والجسور المشار اليها بالارقام (٣،٥،١١) . اقل أهمية من الجسور الاولى ، من حيث الضخامة والارتفاع ، فقد اقيم بناؤها فوق الاخاديد الصغيرة من الحجر والقرميد معاً ، وجعل فيها منافذ الماء صغيرة ومربعة .

اما بناء الجسرين رقم (٤ و ١٠) فيختلف نموذجها عددها من جسور ، فقد شيدها من الحجر الكلسي الثقيل بالوسط ، وادعمت الجوانب على شكل تصوينه لها مائلة ، بالحجر الدبش ،

المزوج بالكس ، بعرض يزيد عن القسم الوسطي ، كيلا يتأثر الجسر بأي ضغط مائي تحدّثه سيول الأمطار الجارفة ، وبهذا كان عرض الجسر والتصوينة ثمانية أو ستة أمتار .

وأما طراز الجسرين المشار إليهما برقم ٨ و ٩ / فمختلف كل الاختلاف عما سلف ، بحيث جعلت القناة على شكل (سيفون) تحت الأرض ، واحكمت بالجنايين بناء ، ومدت على ظهرهما الاحجار المستطيلة الكبيرة ، بشكل أصبح ما فوقها طريقاً مرصوفاً ، مساوياً سطح الأرض حوله ، لكي تمر السيول فوقه بسهولة ، وبهذا لا يمكن لماء القناة ان ينفذ منها ، أو يؤثر على السقف فوقها ، مهما نتج من ضغط حالة صبه في السيفون ، وخروجه منه .

ولقد مدت القناة على ظهر الجسور المار ذكرها بقياس حسب مجراها السابق ، الا ان بناؤها اختلف عن شكل بناء الجسور من تحتها ، اذ ان بناء الجسور ، كان من الحجر الكبير ، وبناء القناة فوقها من القرميد ورقيق الاحجار المدعومة بالملاط ، ذلك لان القرميد مع صفائر الاحجار المزوجين بالملاط اضمن لحفظ الماء في جريانه ، مما لو كان بناؤها من الحجر وحده ، وحتى انها تخدم كثيراً ، وقليلة التصدع ، حيث تبقى كتلة واحدة ، بينما الحجر ينفصل عن بعضه بأقل تأثير .

أما مجرى القناة بالداخل ، فقد بدا مطلباً بمادة الكس والقصرمل^(١) وشوهدت آثار سبع طبقات ، يمكن القول انها نشأت عن اصلاحات متعددة لهذا المجرى .

٦ - الملاحظ أن القناة لم تكن لتقتصر على ارواء مدينة افاميا فقط ، وإنما كانت تتعداها لاكثر من ذلك ، فلقد اقيم عليها اكثر من طاحونة مر ذكرها آنفاً وذلك قبل أن تنفصل عن المجموعة الكبيرة من المياه المتجهة نحو الغرب ، بعد سلمية . كما أنها من حيث الارواء . فاننا نرى فرعاً منها في قرية (الشعله) ينفصل منها لارواء السكان . وفي قرية كفر زيتا ، يتفرع منها قسم قليل ، أخذ بانابيب فخارية تذهب الى خربة (يرعون) ، العائدة للقرية المذكورة ، مما يدل على أنه كان لهذه الخربة شأن فيما مضى ، كما اقيم بطريقها خزانات كبيرة تملأ وتوزع حين الحاجة لارواء الاراضي المتصلة بها ولا تزال آثار بعض هذه الخزانات باقية في

(١) القصرمل في اصطلاح العامة الرماد المستخرج من موقد الحمام (الدمين) متحجراً وناعماً ، ويخلط بالكس والغب ، ويبيض به الحيطان ، ويمد فوق ظهور البيوت حفاظاً لها من الوكف (الدلف) وفي ارض البيوت ، وناية لها من التراب ، وهذا ما يسمى بـ (المدسة) في لغتها .

كفر زيتا نفسها، وهناك صهاريج كبيرة تمر بجانبها، ولعلها قد استخدمت لحفظ المياه وقت فيضانها . هذا ما يمكن ارجاعه لعهد انشائها ، أما ما كان من استفادة بعد ، فتأبت نصاً وتاريخاً . انها كانت تأتي الى حماة للارواء وسقي الاراضي معاً ، وهذا ما كان حتماً بعد خراب افاميا ، وانقطاعها عنها ؛ فقد جرى تحويلها الى حماة في القرن السادس الهجري أو ما قبله ، وذلك عن طريق قرية الماشية رأساً الى حماة ، ومن هنا امكن وصولها اليها مارة باراضي حاضرها وما يسمى باراضي الجروف ^(١) . وقد وجدت حلاقيم فيها . كما لمح الى ذلك المؤرخ الحموي الكبير أبو الفداء في تاريخه حيث ذكر انه :

« في سنة ستة وعشرين وسبعمائة في منتصف ربيع الآخر الموافق للعادي والعشرين من آذار خرجت بعسكر حماة ، ووصلت الى القناة الواصلة من سلمية الى حماة وقسمتها على الأمراء والعسكر لينظفوها ، فانها كانت آلت الى التلف بسبب ما اجتمع فيها من الطين فعرووها في نحو أسبوع ثم عدت الى حماة » .

وساقية سلمية هذه ، التي سماها أبو الفداء ، هي ذات الساقية الواصلة الى افاميا نفسها ، اذ لا يوجد سواها بتاتاً ولا يمكن أن تصل من سلمية الى حماة ، الا عن هذا الطريق للمارة فيه القناة .

كما وجد مرسوم منقوش على أحد اعمدة قبة الخزانة في صحن جامع حماة الكبير يتضمن ما نصه :

١ - لما كان بتاريخ الخامس عشر شهر جماد الأول من شهر سنة واحد وتسعمائة برز المرسوم .

٢ - الكريم العالي المولوي الكبير الملكي المخدم الكافلي السيفي .

٣ - الاشرفي قانصوه الشريفي الشامي كافل المملكة الحموية اعز الله أنصاره بإبطال .

٤ - ما كان يؤخذ للديوان السعيد وغيره من ساقية سلمية ولم يؤخذ منها سوى اجرة الفعالة .

٥ - العالين بها ومن جدد ذلك كان ملعون بن ملعون وكان نبيه خصه .

هذا فضلاً عن وجود ذكر لها في كثير من الوقفيات التي كان لاصحابها بساكنين تشرب من مائها ، منها وقفية عفيف الدين آل الكيلاني مؤرخة في ربيع الآخر سنة تسعمائة وستة وسبعون هجرية . واخرى الى الامير عبد الوهاب المعروف بابن شيخ الاكراد مؤرخة في شوال ٩٨١ هـ .

(١) هذه الاراضي لم تزل موروثة بهذا الاسم وقد امتد بها البناء .

فيتضح مما تبين ان الاستفادة الكبرى من القناة كانت لبعض اهالي حماة ، وحتى كانت الحكومة آنذاك تستوفي عليها ضريبة نجى من يستفيد من مائها .^(١)
أما ما يتعلق بتاريخ انشاء هذه القناة ، فالتنا لم نتوصل لنصوص تاريخية تشير الى ذلك بصورة خاصة ، إلا أننا نعتقد من القرائن أن عهدها يعود للقرن الثاني الميلادي ، حينما كانت افاميا قد بلغت ذروة مجدها ، في عهد الأباطرة (آنتونان ، ولوسيسوس فيروس) . وقد اصلحت مراراً في عهد (يوستينانوس) . وخلفائه من بعده ، لما يستفاد من طراز بعض اجزائها المبني من الحجر والآجر المشوي . وأما بعض اجزائها الأخرى ، فقد ذكرنا آنفاً ان القناة قد اصلحت سبع مرات لما هو ظاهر في طبقات تليس (طلاء) سابقتها .

تعذر علينا معرفة تاريخ انقطاع ماء هذه القناة عن مدينة افاميا بالضبط . ولما يرجح انه وقع منذ خراب المدينة بالزلازل سنة (٥٥١ م و ١١٥٧ م) الا هذا الانقطاع لم يقع عليها باجمها ، بل كان مقتصرأ على ما بعد حماة الى افاميا . لأنها لم تقطع عن حماة بعد ان حولت اليها الا بمنتصف القرن الحادي عشر الهجري . ويعزى ذلك للاهمال الناتج عن هجرة الكثيرين من سكان حماة الى دمشق وغيرها ، فراراً بانفسهم ، من اضطهاد وعسف المتسلمين والحكام حيث كانوا يفعلون بهم وبأموالهم وأملاكهم ما يشاؤون ، والى فقد الامن بسبب عبث اعراب البادية في الصحراء ، وتخريبهم قرى حماة وبساتينها ، من جراء ضعف الحكومة آنذاك وكثيراً ما كانوا يحاصرون المدينة نفسها أحياناً وينهبون ما استطاعوا ولا رادع أو زاجر .
٨ - وبعد أن وقفنا للكشف عن هذا الأثر العظيم ، أصبح لا بد لنا والحالة هذه ، من كتابة نبذة موجزة ، عن ماضي افاميا وسلمية ، ليدرك القاري مدى ما كانت عليه هاتان المدينتان من رقي وازدهار فاقول .

لقد روت المصادر التاريخية ان مدينة افاميا دعت باسم (فرنك) وفي عهد المكدونيين سميت (بيلا) . باسم مدينة في مقدونيا .
وسماها (سلوقس نيكاتور) مؤسس الدولة السلوقية سنة ٣٢٢ ق . م (اباميا) بالبلاء ، باسم زوجته الفارسية الحاصل عليها في عرس (سوزا) .
واجمعت المصادر العربية على تسميتها (افاميا) أو (فاميا) .

(١) من مقال للؤرخ الصديق الاستاذ قدري الكيلاني عن (جامع حماة الكبير في التاريخ الاسلامي والتعليق عليه) المنشور في مجلة الرائد العربي الحموية - العدد السادس - السنة الثانية .

وقد كانت احدى المدن الأربعة الكبرى ، التي ابتناها سلوقس ، بعد موت الاسكندر وحوزته على سوريا الشمالية وهي (سلوقية ، وانطاكية ، واللاذقية ، وافاميا) هذه ، الذي اتخذ منها عاصمة للملكة بعد انطاكية ، فجعلها معسكراً لجيوشه الجرارة ، وشاد فيها مدرسة حربية للفرسان . واقام فيها مستودعاً للمؤن والذخائر ، وكانت اراضيها مرعى دسماً لخيوله وفيلته . وقد ذكر المؤرخ اليوناني الشهير (استرابون) . أن عدد الخيل فيها بلغ (٣٠) ألفاً والفيلة (٥٠٠) .

وفي سنة (٦٤) ق . م . دخلها (بومبايوس) الروماني ، وخرب قلعتها ، إلا أنها استعادت مجدها وازدهرت في منتصف القرن الثاني ب . م . ، حيث عظمت ونالت عمراناً كبيراً ، وأصبحت قاعدة أبرشية كبرى في العهد البيزنطي ، تتبعها (حمص ، والرستن ، اوسوزبا ، ومريمين ^(١) ورفنية ^(٢) وحماة) .

وظلت افاميا زاهية زاهرة الى ان غزاها (كسرى انوشروان) عام ٥٤٠ م . فدخلها ناهباً مدمراً سايباً أهلها . وتناوبتها بعد احداث ، اهمها زلزال عام ٥٥١ م . الحقى بخرابها ما بقي منها قائماً .

وبدخول المسلمين اليها كانت خراباً بيباباً ، فاعتوا بمحصنها . وسكنه اقوام ، الى أن فتحت في العهد الصليبي من قبل (تانكريد) . أمير انطاكية ، الذي اتخذ منها قاعدة امام حصن (شيزر العربي) .

واسترجعها نور الدين عام ١١٣٩ م . وزاد في تحصين قلعتها ، كما اعقبه في ذلك الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين ، وهذا ما تشير اليه كتاباتها المتقومة على جدرانها . وبما يذكر أن تحصين قلعتها كان من احجار المدينة ، كما بني بمجارتها (الحان الكبير) في سفح القلعة في العهد العثماني .

وبقيت المدينة على ما كانت عليه من تدمير وأعمال ، غابت معالمها تحت الثرى ، وانطس ذكرها ، الى أن كتبت لها الحياة بالحفريات ، التي قامت بها بعثة أثرية بلجيكية سنة ١٩٣٢ م وما بعدها . فاعيدت الى نور التاريخ ذكرى هذه المدينة العظيمة ، التي تفخر بها سوريا .

(١) مريمين قرية مشهورة من قرى حماة واقعة لجنوب الغربي منها بمسافة (٤٠) كم ذكرها ياقوت وغيره

(٢) رفنية واقعة غربي حماة ، وقد كانت فيما مضى قصبة مشهورة . ذكرها معظم المؤرخين العرب واطلق

عليها الاثرنج باسم

أما ما كشفته الحفريات ، فأثار عديدة ، أمكن مجموعها من تخطيط المدينة ، ورسم شارعها الرئيسي على طول (١٦٠٠) متر ، معترضاً بشوارع عديدة مستقيمة ، والشارع هذا يشطر المدينة من الشمال الى الجنوب برواقين جانبيين قائمين على أعمدة متسلسلة ، بين العمود والآخر ثلاثة أمتار ، وتزيد بالصفين المتقابلين على الاف عمود ذات فطر متراوح بين (١٠٠ = ١٢٠) س . م . متوجة بتيجان مزخرفة بنقوش على شكل اوراق اللبلاب ، والخرشف ، والكنكر . ولا تنفرج الا في ملتقى الطرق ، حيث اقيمت أنصاب وتماثيل تتعلق باغصان الكرمة دالة على عبادة الآله (باخوس) اله الكرم الشرقي ، كما تنفرج امام صرح كبير من اكبر ابنيها ، وقد وصفت أرض الرواقين بالفسفاء ، منها ما مثل منظراً لنواعير الماء ، المشابهة لمناظر النواعير في حماة حالياً . وبلي الصرح من الغرب بقايا معبد وثني كبير من العهد الروماني .

وبما يعترض الشارع هذا بالوسط ، شارع آخر ، ينتهي بغريبه مقابل القلعة ، يملعب روماني من اكبر الملاعب في العالم ، هذا فضلاً عن وجود ملعب آخر بالوسط ، وأبنية كبيرة وخسة كنانس ، وسور يحيط معظم اجزائه قائمة . أما طراز البناء فيها ، فعلى الرغم من أنه متأثر بالفن الاغريقي والروماني ، الا أنه بطابع شرقي ، وعلى طراز سوري بتخطيط وضع أيد سورية ، ولما يلائم ما في جميع البلاد السورية .

ومن أهم المكتشفات في المدينة كلها ، والدالة على مقدرة اهلها في الهندسة والصناعة ، هي شبكة الاقنية الموزعة لكافة انحاء المدينة ، بشكل فني رائع ، متصلة بقناتنا هذه كما اكتشفت الخزانات العظيمة المقامة لهذه القناة ، في الغرب ، منها خزان كبير . بني على طراز بناء القناطر .

اما سلمية فواقعة للشرق من حماة على مسافة ٢٣ / كيلو متر ، وعريقة في القدم كباقي المدن ، بدليل ما فيها من عاديات الامم الغابرة ، واحتواء بعضها على مخطوطات باليونانية واللاتينية ، معروفة لدينا ، وبإشارة بعض المصادر التاريخية الى ذلك .

عرفت باسم (سلياس) في العهدين اليوناني والروماني ، حينما ضمت لافاميا ، ولخص بعدها في عهد امارة (آل شمسفرام) . وكانت لها اهمية في العصر البيزنطي ، اذ أصبحت مقر أبرشية مسيحية . وبما ساعد على تقدمها وازدهارها ، مركزها الجغرافي ، بحيث انما تقع بملتقى الطرق الآتية من تدمر - والعراق كما هي وسط مروج واسعة حولها قد وجهت انظار الغابرين والحاضرين نحوها ، فعدت نقطة لتجمع الجيوش الزاحفة في مختلف العصور ، لتوفر المياه بالاقنية القديمة التي لا تحصى او تعد ، متغلقة في اراضيها ، متشابكة مع ، بعضها الى جانب المراعي الحصبة .

على أن وفرة الماء في تلك الاقنية التي تزيدها شأناً ، والتي كانت تشكل شبه بحيرة لتقاربها من بعضها ، بما لا يساعد ابنيها على التعبير طويلاً ، إلا أن المدينة كانت لا تخلو فترة من السكن ، خاصة من قبل دعاة الاسماعيلية لكونها مركز نشوتها .
وقد فتكت القرامطة بسلمية وأهلها في سنة ٢٩٠/هـ . وغزاها سيف الدولة الحمداني في منتصف القرن الثالث الهجري .

وفي القرن الخامس كانت في عهده خلف بن ملاعب الكلابي . وفي آخر القرن الخامس دخلت في حوزة رضوان السلجوقي صاحب حلب . وفي سنة ٥٣٢/هـ خضعت لامرة الزنكيين وفي أواخر القرن السادس منحت من قبل (صلاح الدين الايوبي) ، الى اخيه الملك الكامل ، وبقيت تتوارثها الامرة الايوبية ملوك حماة الى أن انتزعت منهم إلى شيوكوه صاحب حمص . ابن عمهم ، فكانت سبب الشقاء فيما بينهم .

ومن آثار شيوكوه ، قلعتها (شيميس) الذي بناها عام ٦٢٧هـ .

وكانت بحر جيوش التتر في الذهاب والاياب ، ولم تسلم من تخريبهم وتدميرهم . وسلمت للامير منها لاستراكه في معركة ، كسر فيها التتر ، وبقيت له ولاحقاده ، ومن بعدهم لآل عيسى بن منها ، حتى مر عهد المماليك ، وتلاه الحكم العثماني ، فكانت اقطاعاً للاعراب الموالي النازلين بها لقاء ما كانوا يؤدونه للحكومة من خدمات ، الى أن كان عهد السلطان عبد المجيد بين سني (١٢٦٠ - ١٢٧٠)هـ . وفيه اضطهد الاسماعيلية في الجبل غربي حماة من قبل النصيرية فيه ، حيث سمح لهم بأن يعبروا سلمية ، بعد أن أصبحت خربة ، على أن يسوها (مجيد آباد) باسمه .

ويستفاد من الآثار الموجودة فيها ، أن بعضها يرجع للعهد الروماني ، وفي ذلك بقايا ابنية كثيرة وانصاب عديدة ، واحجار منقوشة ، ومكتوبة ، وأعمدة ، وتيجان كثيرة ، منتشرة فيها ، اذ لا يخلو بيت فيها من احجار أثرية وكلها بازلتية . على أنه لم يبق من الأبنية الأثرية سوى حمام عربي قديم ، وجد تحت الأنقاض ، وهو يستعمل الآن ، وطرازه ايوبي .

وهناك جامع خرب ، يعرف بـ (مقام الأمام اسماعيل) . قد اقيم الى جانب مسجد متهدم ، دلت آثاره على أنه كان كنيسة على ساكن مدخل المقام ، كتب سطران بالكوفي المزهر مانصبها :
١ - بسم الله الرحمن الرحيم عمر هذا المشهد وهو على التربة المباركة القائد الأجل أبي الحسن علي بن جرير .

٢ - رحمه الله صانعه الأمير الأجل المنتخب نصير الملك سيف الدولة خلف بن ملاعب
ادام الله علوه في سنة احدى وثمانين وأربعمائة .

وهذا الجامع اقيم في عهد خلف بن ملاعب عليها . وبلصق واجهته من الغرب يوجد حجر
بازلتي يتضمن خمسة اسطر باليونانية لايزال بمكانه .

١٠ - أما وقد انتهينا من تحقيق أمر هذه القناة التي كانت في عرف المتقولين خرافة ،
ولكن الواقع اثبت أنها حقيقة تشير الى اضخم مشروع اروائي عظيم ، بذلت فيه الأمم
المسؤولة وقتئذ العالي والنفيس ، حتى أمنت الرفاه والسعادة لشعوبها بهذه القناة الضخمة ، فأرى
واجبي القومي يدعوني لابداء رأي شخصي لسته في حال تجوالي في المناطق التي تجتازها القناة وهو .
أن تلك المناطق كانت اسعد حالاً ، وأكثر ازدهاراً ، بدليل الآثار والاطلال والسدود
والأحواض والمزارع والحقول ، وما ذلك الا لتوفر المياه فيها ، ولو اقتصر على الارواء
الصحيح وحده ، لتأمين ذلك في وقت كانت فيه الوسائل المسهلة جلب المياه مفقودة .

فما بالناس ونحن في عصر أصبحت فيه الآليات تجعل المستحيل جائزاً ، لاتعيد الى القناة سيرتها
الأولى ، فلقد شاهدت تلك المناطق أشبه بالصحاري المقفرة لا ماء ولا شجر ، وما هذا الا
لندرة المياه فيها ، حتى ولو للشرب .

فاينني أن حكومتنا الرشيدة ، اذا ايعارت اهتمامها بهذه القناة باصلاح بعض اجزاها وتنظيف
مجراها ، فلا يحتاج ارجاع عمرائها القديم واسالة الماء فيها الى كبير مجهود أو نفقات باهظة .
وعلى اني قمت بدراسات شخصية واسعة لتلك المناطق للوصول الى طريقة ممكنة لايصال
الماء اليها ، واستمزجت آراء القنيتين ، وذوي الخبرة في الري ، فوصلت الى طريقتين .

الاولى عندما يتم مشروع بانشاء سد الرستن ، يكون بالامكان أخذ فرع منه للارواء
سعته دون المتر المكعب ، وذلك من مدخل السيغون باراضي قرية الزعفرانة مقابل غور العاصي
عسيلة ، تقيس ، قبة الكردي ، وتل الدرة التي تمر القناة بها ، ومسافة هذا الطريق (٢٠) كم تقريباً .
والثانية لما كانت ساقية مشروع الري راصلة جبل معين الواقع على بعد ٧ / كم جنوبي
حماة ، وكان يمر القناة من جبل زين العابدين ، الواقع على بعد ٧ / كم . شمالي حماة ، فتكون
مجموعة المسافة من ساقية الري الى مجرى القناة ١٤ / كيلو متر .

فاذا تم ايصال الماء الى هذه القناة باحدى هاتين الطريقتين ، تأمنت الحياة لتلك المناطق .
فالى تحقيق هذه الأمنية والحلم - وكم من أحلام تحققت - الفت نظر أولياء الأمر ، وهم ،
الذين لا يألون جهداً في اعلاء مجد الوطن ، ورفع مستوى معيشة ابنائه في رفاهية وسعادة .

زاوية المكتشفات الأثرية

نشرة إحصائية سنوية

لأستاذ عبد القادر الربحاري

مفكش الآثار



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إرسلدي

تقدم لنا الارض السورية الفنية بمخلفات الماضي كل يوم جديداً من المكتشفات والكنوز الأثرية ، يعثر عليها بطريق الصدفة أحياناً خلال الأعمال الزراعية أو أعمال البناء وغير ذلك ، وأحياناً بإجراء حفريات غير مشروعة بحثاً عن الآثار ، وتتمكن مديرية الآثار العامة بمساعدة السلطات الأخرى من وضع يدها على هذه المكتشفات جميعها وتدخل المتاحف السورية ، ويكون لبعض هذه الآثار أهمية عظيمة فتعرض في واجهات المتاحف ويطلع عليها الجمهور ويبقى البعض الآخر محفوظاً في المستودعات لكونه لا يستحق العرض من الوجهة الفنية أو البديعية أو ليصار إلى عرضه في المستقبل عندما تنبأ له أماكن العرض .

وقد رأيت من المفيد اطلاع قراء مجلة الحوليات السورية ومتبعي الانباء الأثرية من علماء وهواة ومختصين على حصيلة كل عام من هذه المكتشفات بنشرة سنوية عن الآثار المتقولة وأخرى عن الآثار غير المتقولة كالآبنية والمقابر والمنشآت الأخرى . وسيكون البحث مختصراً غايته

تزويد القراء بمعلومات أولية سريعة ويفتح المجال للباحث أو المختص للاطلاع على ما يهه من هذه المكتشفات والانصراف الى دراستها دراسة دقيقة .

واود ان الفت انتباه القراء الى ان هذا البحث لا يمرض الى المكتشفات الناتجة عن اعمال التنقيب الرسمية التي تقوم بها البعثات العلمية التابعة لمديرية الآثار أو البعثات الاجنبية ، كما انه سيكون قاصراً على المكتشفات التي تقع تحت علمنا في منطقة عملنا وخاصة في محافظات المنطقة الجنوبية الخاضعة لاشرفنا . وسأبدأ هذه الزاوية بذكر أهم مكتشفات الاعوام الثلاثة الأخيرة ١٩٥٤ و ١٩٥٥ و ١٩٥٦ .

الآثار المتقوة

١ - رأس نثال من الرخام لامرأة من العهد الروماني عثر عليه في مدينة بصرى وحفظ في المتحف الوطني بدمشق .

٢ - لوحة تدمرية من الحجر نحتت عليها صور لاربعة آلهة بيد كل منهم حرب ، وإلى جانبهم شخص في الجهة اليسرى يقف الى جانب مذبح . ويوجد في اسفل اللوحة كتابة تدمرية مؤلفة من اربعة اسطر . عثر عليها لدى تعزيل صهريج في جبل المراء الواقع الى الشمال الغربي من تدمر على مسافة ٧٥ كم . وقد حفظت في متحف تدمر تحت رقم ١٢٣٣ آ .

٣ - لوحة تدمرية من الحجر الجيري قياس (٥٨ × ٢٨ سم) نحت عليها ثمانية صور لآلهة تدمرية يمسك كل منهم بومع وشخص خامس يقف الى جانب المذبح ويده اثناء للبخور وامرأتان ورجل وحيوان . ويوجد في اسفل اللوحة كتابة تدمرية مؤلفة من ثلاثة اسطر مؤرخة في عام ٤٦٩ سلوقي (١٥٧ م) . عثر عليها عند تعزيل صهريج ماء في منطقة وادي العرق في الجبل الابيض الواقع على مسافة ٥٠ كم الى الشمال الغربي من تدمر . وقد حفظت في متحف تدمر تحت رقم ١٢٣٤ .

٤ - مجموعة من الاواني القيشانية تتألف من جرة بطول (١٣ سم) وخمسة صحون وثلاث زبادي . عثر عليها في مغارة في المنطقة الشرقية من جبل الدروز وحفظت في المتحف الوطني .

٥ - خوذة نحاسية عثر عليها في موقع كوع الحوري الكائن بين قريتي قرقور والكفير التابعتين لقضاء جسر الشغور ، وذلك اثناء عملية تعميق وتوسيع [بحري العاصي التي تقوم بها ادارة مشروع الغاب ، وقد حفظت في المتحف الوطني .

٦ - مجموعة من النقود البرونزية من العهد الروماني بينها نقد فضي [عثر عليها في قرية السهوة الواقعة على الطريق بين درعا وبصرى . حفظت في المتحف الوطني بدمشق .

٧ - دينار ذهبي من العصر الاموي ضرب سنة ١٠٢ هـ . عثر عليه في قرية المزريب التابعة لمحافظة درعا .

٨ - دنانير ذهبية ثلاثة من العهد الفاطمي احدهما ضرب في عهد الخليفة المعز لدين الله والثاني في عهد المستنصر بالله والثالث في عهد العزيز بالله . عثر عليها في مقبرة قديمة بمدينة درعا وحفظت في المتحف الوطني .

٩ - دينار عباسي ضرب عام ١٥١ هـ في عهد الخليفة ابو جعفر المنصور وجد في دمشق وحفظ في المتحف الوطني .

١٠ - اناه فخاري فيه ٩٩ نقداً فضياً بلجيكياً ضربت بتاريخ ١٦١٥ عثر عليها في قرية من قرى قضاء جبلة .

١١ - ثابت من الرصاص محاط باطار يتألف من الحرفين (X ٧) . وجد في قبر في تل ام حوران القريب من قرية نوى .

١٢ - زئار السيدة العذراء منسوج بخيوط الصوف والحريز وموشى بالذهب . وجد ضمن علبة اسطوانية من الفضة المتأكسدة كانت في جرن غباً ضمن مذبح كنيسة السريان الارثوذكس في حص تدعى كنيسة ام الزئار . وقد حدث هذا الاكتشاف من قبل البطركية اعتماداً على وثائق خطية عثرت عليها ، وقد قامت لجنة من موظفي مديرية الآثار العامة بدراسة هذه المكتشفات ووضعت تقريراً عنها . كما اصدرت البطركية نشرة ايدت فيها نسبة الزئار الى السيدة العذراء . هذا وقد حفظ الزئار والآثار الاخرى المكتشفة معه في الكنيسة نفسها في حص .

١٣ - ظهرت في تل أم حوران القريب من بلدة نوى مجموعة ثمينة من الآثار تتألف من خوذتين حريبتين وقناع من البرونز ومجموعة من الاوسمة والاسلحة والتأثيل . وقد نشرت مديرية الآثار العامة مقالاً مفصلاً عن هذه الآثار في مجلتها (المجلد ٤ - ٥) وقد عرضت الآثار في المتحف الوطني .

١٤ - كنز ذهبي يتألف من ٥٤٦ ديناراً اموياً كانت في اثناء من الفخار عثر عليه عند حفر أساس بناء في محلة الحريقة قرب البيارستان النوري بدمشق . وقد نشر الاستاذ ابو الفرج العش محافظ المتحف الوطني مقالاً قياً في هذه المجلة (المجلد ٤ - ٥) وقد صنف النقود وعرضت في جناح الآثار الاسلامية .

١٥ - ظهرت في بلدة فيق في حوران عدة قبور على شكل تواييت حجرية من العهد الروماني . وجدت فيها مجموعة من الاواني والكؤوس الزجاجية والطاسات البرونزية واشياء اخرى نقلت الى المتحف الوطني .

١٦ - عثر على مجموعة هامة من التأثيل الحجرية في قرية حران العواميد التي تبعد ٣٠ كم تقريباً الى الشرق من دمشق . وذلك عند فلاة ارض زراعية غربي القرية . وتتألف هذه المجموعة من الاشياء الآتية :

أ (تمثال ربة النصر (ارتفاع ١٣٥ سم) . وهو بحالة جيدة وقد عرض في احدى قاعات الآثار الرومانية بمتحف دمشق .

ب (تمثال الاله ذو الشرى على رأسه التاج ويده اليمنى شيء يشبه الشعلة ويده اليسرى عصا طويلة وقد وقف الى يمينه طفل صغير (ارتفاع ١٢٠ سم) . وقد عرض في احد اروقة المتحف الوطني بدمشق .

ج (تمثال نسر مقتوح الجناحين مقطوع الرأس .

د (تمثال الربة مينيرفا مقطوع الرأس .

١٧ - شاهدة من الحجر البركاني نحت على كل من وجهيها صورة رجل واقف ويده اليسرى ملف من الورق ويده اليمنى مرفوعة الى الاعلى (مقياس : ٩٥ × ٣٨ سم) . عثر

عليها في قرية الطيبة الواقعة على مسافة ٢٥ كم الى الجنوب من دمشق . ونقلت الى المتحف الوطني .

١٨ - شاهدة من الحجر البركاني (مقياس ١١٧ × ٦٤ سم) من العهد الروماني فُحِت عليها ثلاثة صور تمثل رجلاً وامرأتان وفي زاوية الحجر كتابة يونانية كما هو مبين في الشكل التالي :

CAXAH
HAOC
OB
BH

عثر على هذه الشاهدة في قرية المسية التي تبعد عن دمشق مسافة ٢٥ كم الى الجنوب .

١٩ - ثلاثة اوراق من الذهب الخالص على شكل معين وجدت في قبر من العهد الروماني في الرستن . وحفظت في المتحف الوطني .

٢٠ - تمثال كبش من الفخار من العهد الروماني (طول : ١٣٦ مم ارتفاع ١٤٣ مم) رجله اليني مكسورة ومربعة ترميماً قديماً أثرياً . اكتشف في مقبرة في قرية داعل (حوران) وحفظ في المتحف الوطني .

٢١ - دينار ذهبي من عصر المالك من الحجم الصغير (قطر : مم) كتب على احد وجهيه : « لا اله الا الله » وعلى الوجه الآخر : « السلطان الملك الاشرف ايتال » . عثر عليه في قرية جيروود شمال شرقي دمشق . حفظ في المتحف الوطني .

٢٢ - ثلاثة دنانير ذهب بيزنطية من عهد الامبراطورين هيراقليوس وقسطنطين عثر عليها في قرية روبسة البساتنة التابعة لقضاء جبلة وحفظت في المتحف الوطني .

٢٣ - لوحة من الحجر البركاني (٨٣ × ٤٣ سم) فُحِت على احد وجهيها امرأة ورجلان وكتابة يونانية غير واضحة ، عثر عليها في حي ابي رمانة بدمشق .

٣١ - رأس فتاة من الحجر البركاني (ارتفاع ٢٣٨ مم) . وجد عند فتح طريق في قرية حمورة الواقعة في غوطة دمشق الشرقية ، وحفظ في المتحف الوطني .

٣٢ - مجموعة من الاختام الاسطوانية ترجع الى الالف الثاني قبل الميلاد عليها مشاهد مختلفة صودرت من سوق الصاغة بدمشق . وحفظت في المتحف الوطني .

٣٣ - واحد وعشرون ديناراً ذهبياً من العهد البيزنطي عثر عليها بالقرب من مدينة بانياس (منطقة خزانات البترول) ومعها قرط من الذهب واللؤلؤ . حفظت في المتحف الوطني .

- ٣٤ - قطعة من الحجر الكلسي ربما كانت جزءاً من ناووس نحت عليها مشهد جنائزي مؤلف من مركب وقف فوقه عدة اشخاص ويبدو على الصور طابع الاسلوب المصري . وقد وجدت في اللاذقية اثناء فتح شارع بوقا - الصهاريج . وحفظت في الحديقة العامة في اللاذقية
- ٣٥ - مذبح من الحجر الابيض (طوله : ٧٩ قطر : ٤٦ سم) عثر عليه في قرية مسرابا في غوطة دمشق . وحفظ في حديقة المتحف الوطني .
- ٣٦ - شاهدة مدفن من الحجر الابيض (ارتفاع ٨٠ سم) عليها كتابة يونانية واضحة تذكر اسماء اشخاص سوريين معاصرين للقرنين الاول والثاني الميلاديين . عثر عليها في تل ام حوران القريب من نوى ، وحفظت في المتحف الوطني .
- ٣٧ - شاهدة قبر من الحجر البركاني عليها صور اشخاص وكتابة يونانية عثر عليها في قرية الزاما التابعة لقضاء جبلة .
- ٣٨ - ثلاثة تماثيل من الحجر البركاني ناقصة الرؤوس والارجل أو الايدي عثر عليها في قرية ذكير الواقعة على بعد ٣٠ كم الى الشمال من مدينة شبعا ، وحفظت في متحف السويداء .
- الاول تمثال محارب ببذته العسكرية (طول ١٢.٨ سم) وهو عارٍ إلا من رداء نحت السرة وشال ملفوف حول العنق وزنار معقود حول الصدر .
- الثاني تمثال رجل (٨٨ سم) يلبس ثوباً ورداء .
- الثالث تمثال الربة ميزرفا تتدلى على صدرها صفائر شعرها وبين تديها رأس (الفورغون) (مقياس ١٣٠) .

الآثار غير المنقولة

- ١ - مسرح درعا : ظهر في عام ٩٥٦ بطريق الصدفة عدة درجات في البلدة القديمة بدرعا ، وقد أجرت مديرية الآثار العامة سبراً في مكان الدرجات فوجدت بأنها تخص سلم مسرح من العصر الروماني . ولدى البحث في البيوت المجاورة للمكان عثر على عدة أوراق مسقوفة بحالة جيدة موزعة بين عدة بيوت يبدو من الجلي بأنها تخص مسرحاً رومانياً مردوماً وضائعاً بين البيوت الحديثة ، وسوف تعمل مديرية الآثار العامة على استملاك البيوت القائمة في مكان هذا المسرح وإجراء التنقيبات لظهار مسرح جديد من المسارح الرومانية التي كانت منتشرة في سوريا .

٢ - مغارة أثرية في درعا .

ظهر في عام ١٩٥٦ في البلدة القديمة بدرعا مغارة أثرية جرى تعزيلها من قبل دائرة الأشغال العامة لاستخدامها كملجأ من الغارات الجوية ، وهي عبارة عن كهف واسع محفور بالصخر ربما كان مدفنًا قديماً يدخل اليه من ممر على شكل قنطرة بطول ثلاثة أمتار وارتفاع ١٦٠ سم وينزل إلى هذا الممر بدرج كان مقوفاً في القديم يتقدمه باب ذو أطار من الزخارف الرومانية الجميلة . ولا يوجد أثر للقبور داخل الكهف وإنما يلاحظ وجود مرداب ما يزال مردوماً يتحدث السكان عنه بأنه يؤدي إلى مسافات بعيدة تحت البلد . وفي الكهف عمودان يدعمان سقف المغارة .

٣ - قلعة صلخد .

ظهر لدى تعييد طريق صلخد بعض الأحجار الضخمة المتساقطة من قلعة صلخد العربية حفرت عليها صور عدة أسود ذات طابع ملوكي وكتابة فافرة بحرف كبير تتألف من (الملك الظاهر) ، ولعلها تشير إلى ما قام به الملك الظاهر بيبرس من عمارة في القلعة .

٤ - برج صافيتا .

اكتشف مرداب من مراديب الحصن الصليبي في صافيتا لم يكن معروفاً من قبل ولا تزال جدرانها وعقوده وأقواسه قائمة وظهر منه ثلاثة بوابات تؤدي آخرها إلى جدار السور الشرقي المدوم وهو جدار عظيم مبني بأحجار ضخمة إرتفاعه ثلاثة عشر متراً ، وقد حدث هذا الاكتشاف بطريق الصدفة عندما انهار قسم من الأرض وراء الباب الشرقي للحصن وأحدث حفرة عميقة .

٥ - فاخورة في دمشق .

اكتشفت فاخورة قديمة ترجع إلى عصر المماليك في منطقة المهاجرين إلى جوار المدرسة العادلية البرانية الأثرية ، وقد وجد بين أنقاضها فرن لشوى الفخار وكية كبيرة من الانية المكسرة ذات لون روماني عليها زخارف وكتابات عربية ، وقد قامت الآن من مكانها بناية حديثة كان يجري حفر أساساتها وذلك بعد أن جرى دراسة منشآت الفاخورة وترميم قسم من أنيتها لعرضه في المتحف الوطني .

٦ - مدفن معرة دبسي .

عثر على مدفن أرضي من العهد الروماني في قرية معرة دبسي الواقعة على بعد ١٥ كم شمالي

معرة النعمان . والمدفن محفور في الصخر وضمنه تابوت من الحجر نقشته حوله رؤوس ثيران وأكاليل وصورة المتوفي وكتابة يونانية وما زال التابوت في مكانه لصعوبة نقله .

٧ - حمام روماني في غلينة .

اكتشف حمام قديم من العصر الروماني في قرية غلينة الواقعة إلى الشمال الشرقي من جبلة ، وقد عثر في أرضه على عدة لوحات من النيسفساء ، نقل بعضها إلى المتحف الوطني ، ووضعت له دراسة كاملة من قبل الفنيين .

٨ - حمام عربي في دمشق .

اكتشف حمام من العصر المملوكي في منطقة بستان الباشا في القصاع ، وقد كان مردوماً تحت الأنقاض وقد أمكن دراسة مخططة ومعرفة تفاصيل أجزائه ووضعت له دراسة كاملة من قبل الفنيين في مديرية الآثار العامة .

عبد القادر الرب محايي



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

وحدة الفن بين مصر وسورية

لأستاذ منير سليمان



الفن العربي في سورية
مرحلة ما قبل التاريخ:

تتميز مرحلة ما قبل التاريخ في سورية من الناحية الفنية بصناعة الادوات التي كانت تستخدم في قضاء حاجات الإنسان المختلفة مثل الفؤوس والدبابيس والنصلات ورؤوس السهام وغير ذلك . وقد اكتشف في سورية بعض من هذه الادوات التي ترجع إلى العصر الحجري والتي تدل على المستوى الفني الذي بلغته سورية في تلك الحقبة البعيدة من تاريخ الإنسان .

في الالف الخامسة قبل الميلاد كان يصنع في سورية أوان من الفخار مؤلفة من عجينة مميكة مزوجة بأعشاب مقصوفة ومصنوعة باليد ومجففة بحرارة الشمس مما أكسبها شكلًا مستديرًا منتظمًا ولونًا صافيًا جميلًا . والآثار التي ظهرت في رأس شمرا (اوغرايت) تدل دلالة واضحة عما بلغه الفن السوري في أواخر الألف الثالث قبل المسيح من رقي وتقدم .

من بين هذه الآثار القصر الملكي إذ ترى الدقة في بنائه والفن الرائع في هندسته ومن بينها مسكن الحاكم العسكري ومسكن الملكة والمعابد والمكتبة والقبور وكل ذلك يدل على فن رفيع وذوق سليم .

ومن بينها أيضاً الجرار والصعاف والأواني والحناجير والأدوات الأخرى وكلها مصنوعة من الفخار السوري الأبيجي المكتشف في رأس شمرا .

زد على ذلك الحروف الأبجدية التي اكتشفت أيضاً في رأس شمرا وهي محفورة على رقيم متطاوّل من الفخار لا يزيد طوله على طول الأصبع . وهذه الأبجدية هي أول أبجدية قدمها الشعب السوري إلى العالم كي يقيم عليها أسس الحضارات والعلوم . وهناك أيضاً التحف الفنية مثل القطع الذهبية التي كانت تستعمل للزينة والتحف العاجية المختلفة التي تدل على مهارة فائقة في الصناعة الدقيقة وعلى ذوق فني رفيع .

والآثار التي ظهرت في تل الحريري (ماري) وهي من أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وما قبله تدل على فن سوري رفيع في مختلف الصناعات مثل الصدف المنحوت وصناعة اللوحات التي تلتصق على الجدران وقماثيل الجنود والمحاربين وصور الموسيقيين والأشخاص العاديين والتماثيل الفخارية والصفائح الذهبية التي كانت تستعمل للترزين .

هذه الحضارات المختلفة التي تعاقبت على سورية خلفت فنّاً عربياً راقياً له طابعه الخاص الذي يتميز به وقد ظل هذا الطابع سائداً حتى غزوة الاسكندر للشرق إذ انتشر على أثرها الفن المليفني - الروماني وبدأ أثره يظهر في آثار الفنانين السوريين وأعقبه عصر الفن المسيحي الذي دام من القرن الرابع الميلادي حتى الفتح الإسلامي وقد ترك الفن المسيحي آثاراً فنية رائعة كانت نواة لفن عربي جديد .

الفن الإسلامي :

قام الفن الإسلامي في سورية على أسس من الفنون المسيحية فيها ، وهذا لا يفض من قيمة العرب الفنية لأن الأمم كالأفراد لا تستطيع أن تحيط بكل شيء . وبدأوة العرب وطبيعة بلادهم لم يكن من شأنها أن يشجعاً ازدهار العمارة والفنون الزخرفية بينهم ولكن قامت بينهم فنون أخرى كالشعر والخطابة والأدب ، والفن بطبيعته ينتقل من أمة إلى أمة ومن جيل إلى جيل ، وهذا لا يمنع أن تكون له ذاتية وأن يكون له طابع خاص وهذا ما نراه حقاً في الفن الإسلامي الذي ازدهر في سورية رغم أنه قام على أسس من الفنون المسيحية .

أطلق العلماء على الفن الإسلامي في سورية اسم الفن الشرقي تمييزاً له عن الفن الإسلامي الذي انتشر في باقي الأقطار الإسلامية وهذا دليل على تميزه بطابع خاص دون هذه الفنون . نشأ الفن الإسلامي في دمشق في عصر بني أمية وكان الطراز الأموي هو الذي يجتدي في

سائر الأقطار الإسلامية وهو أول طراز فني عربي ظهر في العالم الإسلامي ، واول مدرسة فنية عربية امتد أثرها إلى أنحاء العالم الإسلامي . وبنو أمية اتخذوا مدينة دمشق عاصمة للعالم الاسلامي فباتت هذه المدينة مورداً فنياً ينهل منه العالم الإسلامي بأسره وتبعاً لذلك باتت السيادة الفنية للفنانين العرب في سورية دون غيرهم وهم الذين قام على سواعدهم هذا الطراز الفني الأموي الذي نقل الفن في سورية والعالم الاسلامي بأسره إلى مرحلة جديدة هي مرحلة الانتقال من الفن المسيحي في الشرق الأدنى إلى الطراز الأموي الجديد . وهذا الطراز قد انتشر في أنحاء البلدان الاسلامية على يد الصانع الدين كان الولاة يستقدمونهم من دمشق إلى مختلف الأقاليم . ثم انتقلت هذه الأساليب الفنية الأموية الدمشقية إلى الأندلس وثبتت فيها وأستمرت حتى بعد زوال ملك بني أمية في الشرق . وبزوال ملك بني أمية زالت سيادة الفن الأموي الدمشقي وساد الفن العباسي الذي تغلب عليه الصفة الفارسية وازدهر هذا الفن في بغداد كما ظلت دمشق محافظة على تراثها الفني الأموي حتى نهاية سلطان الدولة العباسية

وحدة الفن بين مصر وسورية

ترجع هذه الوحدة إلى ماضٍ سحيق أي إلى ما قبل التاريخ وتتجلى في العلاقات التي كانت قائمة بين القطر المصري والشاطيء السوري وفي الهدايا التي كان يتادها الفراغة مع الأمرات الحاكمة من الفينيقيين . ثم تتجلى هذه الوحدة بأجلى مظاهرها أبان الفتح الإسلامي حيث ساد الفن الأموي بدمشق وانتقل إلى مصر وسائر الأقطار الاسلامية ثم تتجلى حين بسطت الدولة الفاطمية سلطانها على سورية إذ انتشر في ذلك العهد في كلا القطرين المصري والسوري الطراز الفاطمي ثم أعقبه الطراز الأيوبي وهو عصر انتقال من الطراز الفاطمي الى المملوكي وجميع هذه الأساليب المختلفة في الفن قد وحدت الفن بين مصر وسورية وجعلتها يستقيان من نبع واحد ويبدلان نشاطها الفني في ظل قواعد فنية واحدة .

ولما فرقت الدولة العثمانية بين مصر وسورية أثر انتصارها على المماليك وبسط سلطانها على سورية تأثر الفن بذلك وخيم على سورية ركود شمل جميع نواحي نشاطها الفني إذ فقدت استقلالها وباتت تابعة للعثمانيين فنقل منها أو رحل عنها عدد كبير من مهرة الصانع وقل من ظل منهم مقيماً فيها واتسم العصر التركي في سورية بطابع ركود فني كما اتسم بطابع ركود سياسي . وهكذا مر على سورية عصور فنية مختلفة ولكن الفنانين العرب في سورية كانوا دوماً يقتبسون من شتى الحضارات ويصبون ما يقتبسون في قالب عربي فتغلب على آثارها الفنية السمة

العربية مثل نبات شوكة اليهود وورقة الغنبد وهما من أكثر الزخارف شيوعاً في الفن المسيحي في سورية والقنانون العرب في سورية قد حرروا هذا النبات وهذه الورقة وجعلوا لها طابعاً عربياً ثم انتقلنا عنهم إلى الأقباط وفيما بعد اقتبسها المسلمون في مصر وفي سائر الأقطار الإسلامية . كذلك الزخارف المحفورة على العاج واسلوب الزخارف المحفورة في صناعة المجوهرات والمنسوجات الحريرية ومناظر الصيد المرسومة على الجدران . كل ذلك كان القنانون العرب في سورية اقتبسوه عن غيرهم من الأمم ولكنهم طبعوه بطابع عربي فريد .

لقد استمر الركود الذي خيم على سورية منذ تغلب العثمانيون على المماليك حتى القرن الثامن عشر إذ بدأت تلوح في الافق طلائع نهضة فنية متأثرة بطراز الباروك الاوربي ثم بطراز (الركوكو) .

ومن جميع الطرز الفنية التي شهدتها البلاد الإسلامية خلال فترة طويلة من تاريخها فأن أبسطها وأقلها تعقيداً وأعظمها فناً وأرفعها ذوقاً وأبعدها عن الافراط في التعقيد إنما هي تلك التي ازدهرت في سورية ومصر وهذه الأشياء جميعاً ميزت الفن العربي منذ مرحلة ما قبل التاريخ وما زالت تميزه في جميع مراحل التاريخ حتى العصر الحاضر .

وفي الحق أن الصانع العرب في سورية ومصر قد بذلوا جهداً كبيراً في خدمة الفنون وأبدوا مهارة فائقة في ممارسة مختلف الصناعات واتسعت فنونهم بميسم البساطة وعدم التعقيد حتى تبدو شيئاً طبعياً لا يسترعي اهتماماً كبيراً إلا من الفنانين الذين يعملون قيمة هذه البساطة الفنية ويعرفون أنها السهل المستمتع الذي لا يوفق فيه إلا فنان موهوب . وكل الأشياء التي صنعها القنانون العرب في سورية ومصر قد جعلوها في متناول الناس كافة فمن أشياء تستعمل في الحاجات اليومية إلى أشياء يختص بها الملوك والأمراء ولا فرق بين هذه وتلك من الناحية الفنية إذ أمروا في جعلها جميعاً حية بما كانوا يخلعون عليها من زخارف تبدو موضوعاتها طبيعية نامية تحاكي تماماً الأشكال التي تسبغها الطبيعة نفسها على المخلوقات الحية .

وأشكال هذه الزخارف جذابة لبساطتها فهي تبعث على الخيال واجزاؤها مرسومة بمهارة فائقة حتى لينخدع النظر بها ويزعن أن وراء تكوينها المادي حيوية كامنة يصعب عليه ادراكها على أن هذا الحُصْب الزخرفي ليس مجرد وسيلة للملء فراغ أو لتغطية أشكال إنما هو أصل جوهري متصل اتصالاً وثيقاً بدقة الصناعة وبدونه لا يعد الأثر الفني أثراً فنياً .

وهكذا جهد القنانون العرب في سورية ومصر في خدمة الفنون عامة ووضعوا لها أصولاً

ثبتت على غابر الدهر وأكسبت الفن العربي ميزاته الخاصة التي ما زالت إلى اليوم تطبع الفن العربي بطابعها الفريد الخاص .

طراز العمار الأموي

عاش الأميون في الشام واتخذوا دمشق عاصمة ملكهم وقد ازدهرت من قبلهم في هذه البلاد مدارس من الفنون الهلنستية والمسيحية الشرقية وقد تأثر المسلمون بالعمائر المسيحية ولاسيما أن اعتمادهم في البداية كان على الصناع والفنيين من المسيحيين السوريين . ومن تعاون المسلمين مع هؤلاء الصناع نشأ طراز جديد من الفنون الإسلامية هو الطراز الأموي وقد نقل القواد والولاة وأتباعهم أصول هذا الطراز من الشام إلى سائر الأقاليم الإسلامية فتأثرت به الأساليب الفنية القديمة في تلك الأقاليم وقد رافق هذا الطراز الجديد ، فن جديد للزخرفة بلغت أساليبه في الشرق الأدنى درجة رفيعة من الفن على يد الصناع العرب في سورية في العصر الإسلامي ، وهو ما يسمى أيضاً بطراز الزخرفة الأموي وتجلت براءة هذا الطراز فيما شيد الأميون من مساجد مثل الجامع الأموي بدمشق والمسجد الأقصى وقبة الصخرة في بيت المقدس وجامع الزيتونة في تونس وجامع سيدي عقبة في القيروان وجامع عمرو في القسطنطينية ، ثم فن التصوير الذي تجلّى فيما كانوا يرسمون من صور يكون بها الجدران مثل قصر عمرة في بادية شرقي الأردن وهو قصر صيد صغير شيد في العصر الأموي وزينت جدرانه وسقفه بنقوش ورسوم واقصات ونساء شبه عاريات ورسوم رمزية لآلهة الشعر والفلسفة والنصر والتاريخ عند الإغريق ورسوم أخرى لبعض مراحل العمر المختلفة مثل الفتوة والرجولة والكهولة ثم رسوم أخرى لقبة السماء وبعض النجوم فضلاً عن البروج المختلفة ورسوم طيور وحيوانات وزخارف نباتية وأهم نقوش هذا القصر نقشان :

الأول - رسم الخليفة على عرشه وجول رأسه هالة وفوقه مظلة يحملها عمودان حازونيان ويحف به شخصان وعلى عقد المظلة عصاة من الكتابة الكوفية .

والثاني - صورة مشهورة باسم صورة أعداء الإسلام . وهي تمثل ملوك امبراطوريات كبيرة ودول صغيرة قد اشتهروا بعدائهم للإسلام وهم يظهرون في هذه اللوحة خاضعين مستسلمين . والتصوير على الجدران نجده شائعاً في الشام في العصر الأموي ولا سيما في قصور الخلفاء التي كانوا يشيدونها في البراري للصيد مثل قصر عمرة وحمام الصرخ وقصر المشتى وقصر الخير الشرقي في البادية وقصر الخير الغربي بين تدمر وحوارين وقصر هشام في شمالي أريحا . في هذه القصور كان يتجلى فن التصوير على الجدران فمن صور لكائنات حية إلى فرش الأرض بالفسيفساء

وتصوير رسوم بها على الأرض مثل أرض الحمام الملحقة بقصر هشام حيث تمثل جزءاً من صورة شجرة رمان تحتها غزالان وأسد ينقض على فريسته .

الزخارف الهندسية والنباتية

برع العرب في سورية ومصر في هذه الصور بنقشونها على الجدران وعلى الأرض وقد برعوا أكثر في الزخارف الهندسية والزخارف النباتية وتجلت براعتهم هذه بأجلى مظاهرها في العصر المملوكي إذ باتت هذه الرسوم الهندسية في الفن الاسلامي عنصراً هاماً أساسياً من عناصر الزخرفة وليس المقصود هنا بالرسوم الهندسية المثلثات والمربعات والمعينات ولا الأشكال الخماسية والسداسية ولا الأشكال الهندسية التي كانت شائعة في الزخارف الساسانية والبيزنطية مثل الدوائر والعصائب والجدائل المزدوجة والخطوط المنكسرة والخطوط المتشابكة إنما المقصود بوجه خاص الرسوم الهندسية التي امتازت بها الفنون الاسلامية عامة ودمشق والقاهرة خاصة وهي تلك التراكيب الهندسية ذات الأشكال التجبئية المتعددة الأضلاع وهذه الأشكال هي ذاتها التي استخدمت في زخارف التحف الخشبية والنحاسية وفي الصفات المذهبة من المصاحف والكتب وفي زخارف السقوف وخزائن الجدران وغير ذلك وقد أتقن الفنانون العرب في مصر وسورية هذا النوع وانصرفوا إلى الابتكار والابداع فيه .

وقد أعجب الغربيون بهذه الرسوم الهندسية وقلدها بعضهم مثل الفنان الايطالي الشهير ليونارد دي فينشي إذ كان يقضي ساعات طويلة يرسم فيها الزخارف الهندسية الاسلامية السورية وفي العصر الحديث اتخذها الفنان بيكاسو أساساً لمدرسته الحديثة في الرسم كما اتخذها أيضاً الفنان هنري ماتيس أساساً لطريقته الفنية . وتمتاز هذه الزخارف الاسلامية العربية من بقية الزخارف التي كان يستخدمها البيزنطيون بوفرتها وتعقيدها وهذا مما يكسب بعض أجزائها شيئاً من الحركة والحياة .

أما العنصر النباتي في هذه الزخارف ، فقد تأثر كثيراً بانصراف المسلمين عن النقل عن الطبيعة وبدعم عن تقليدها تقليداً صادقاً أميناً . وإذا بحثنا عن أصل نشأة الفروع النباتية الاسلامية وجدنا أصلها يرجع إلى الفن الاغريقي ، والطاراز الأموي لم يكن سوى حلقة الاتصال بين الزخارف النباتية في العالم الكلاسيكي وبين ما تطور عنها في الفنون الاسلامية .

وأكثر الزخارف النباتية ذيوغاً في الفنون الاسلامية إنما هي ما تسمى (بالارابسك) وقد شاعت كثيراً هذه النسيبة حتي كادت تطلق على كل الزخارف النباتية المكونة من فروع نباتية وجذوع مثنية ومتشابكة ومتتابعة فيها رسوم محورة عن الطبيعة ترمز إلى الوردية والزهور ومن أبدع الزخارف النباتية ما رسم على حوض من الرخام صنعه فنانون عرب من سورية

في القرن الرابع عشر ميلادي لسلطان حمزة محمد الثاني وهو الآن محفوظ في متحف فيكتوريا والبرت . فالرسوم النباتية كانت وما تزال عنصراً هاماً من عناصر الزخرفة في الفنون الاسلامية وقد برع فيها القنانون العرب في مصر وسورية براعة كبرى وتقتنوا في تعقيدها وتركيبها وزينوا بها العمايز والتحف مثل الفروع النباتية وعناقيد العنب وأوراقه المرسومة على قبة الصخرة وقصر المشتى وقصر الحير وجدران الجامع الأموي بدمشق أو المنقوشة على التحف الحشوية والمنسوجات وعلى الخزف .

صناعة الخزف

تعد صناعة الخزف في العالم الاسلامي من أوسع الصناعات انتشاراً وقد امتازت بتنوع المنتجات في الأشكال وفي طرق الزخرفة وأساليبها ولا سيما في طلاء الخزف بالمينا ذات الألوان المختلفة وفي لوحات القاشاني ذات السطح البراق التي تسمى بها الجدران . وقد تنوعت هذه الصناعة كثيراً وتنوع مصدرها فمنها ما نشأ من أصل ساساني ومنها عن أصل صيني ومنها عن أصل موغولي وغير ذلك أما المسلمون فقد استعملوا الخزف في صنع بلاطات وفجومات لكسوة الجدران واستعملوه في صنع شتى الأواني والتحف من أكواب وسلطانيات وأباريق وفناجين وبرنيات وقواقع ومسارج وأقداح وكؤوس وصحون مختلفة الأشكال والاحجار والاعمق واستعملوه أيضاً في صنع مباخر ، وشماعد وبيوت للطيور ومساند للأقلام وغير ذلك من التحف والاولاني فضلاً عن التماثيل الصغيرة . وقد أصاب الخزفيون توفيقاً عظيماً في اتقان الطلاء وابداع الالوان الفاخرة وتنويعها والالوان الرئيسية التي ذاع استعمالها في الخزف الاسلامي هي لون ابيض زبدي ولون أزرق زرينخي أي بين الازرق والاخضر ولون أخضر فيروزى ولون أحمر بنفسجي وأهم ما امتازت به هذه الالوان الخزفية الاسلامية بريق معدني وهو الذي أضفاه الخزفيون عليها فاكسها بريقاً معدنياً يختلف لونه بين الأحمر والنحاسي والاصفر المائل إلى الخضرة . وسوريا قد ساهمت في صناعة الخزف مساهمة كبرى وما خلقت من الآثار يدل مجلاء على تقدمها في هذه الصناعة فقد أثبتت مكتشفات مدينة الرقة أن القنانيين السوريين قد أتوا بانواع جديدة من الخزف كما دلت أيضاً على أن مدينة الرقة وبلاد الجزيرة كانتا في العصر السلجوقي مركزين هامين من مراكز انتاج الخزف إذ ازدهرت هذه الصناعة بوجه خاص في بلاط الاتابكة السلجقة والامراء الايوبيين في بلاد الجزيرة . وخزف الرقة بتماز بطلانه ذي اللون القصديري ويتماز بأنه طلاء شفاف ثم يصيبه الكمخ فيتلون بالوان قوس قزح بسبب التفاعل الكيماوي وبقائه مدفوناً في الأرض مدة من الزمن . وعرفتنا هذه المكتشفات على خزف ذي بريق معدني

تصنع منه صحنون وسلطانيات وأباريق وقوام زخرفته فروع نباتية عربية (ارابسك) وكتابات كوفية ونسخية ورسوم طيور وحيوانات محورة عن الطبيعة ومرسومة ببريق معدني ذي لون بني فوق طلاء شفاف مائل إلى الخضرة . ومن المنتجات النادرة من هذا الخزف بلاطات مربعة من الفاشاني في وسطها رسوم حيوانات محورة عن الطبيعة .

وعرفتنا مكتشفات الرقة بنوع آخر من الخزف ، زخارفه سوداء منقوشة تحت دهان أزرق فيروزى وقوام زخرفته في معظم الاحيان فروع نباتية ونقط وخطوط لولبية وكتابات كوفية ورسوم على هيئة حرف الواو فضلاً عن رسوم بعض الطيور والخطوط المتشابكة .

ومن خزف الرقة نوع ثالث وهو قدور كبيرة ذات زخارف بارزة من الحروف الكوفية والفروع النباتية ثم هناك نوع رابع ذو زخارف متعددة الالوان تشبه بعض الخزف الايراني قوام زخرفته رسوم آدمية ورسوم حيوانات وفروع نباتية منقوشة بالاسود والاخضر والازرق والبني تحت طلاء شفاف مائل الى الخضرة . وينسب إلى دمشق نوع من الخزف ذي البريق المعدني معظمه على هيئة الارعية الاسطوانية المعدة لحفظ الادوية وتعرف باسم (البارلو) وزخارفها اشربة أفقية أو حلزونية قوامها رسوم فروع نباتية وزهور ونباتات منقوشة بالبريق المعدني ذي اللون الاخضر الزيتوني ولكن من هذا الخزف أيضاً قدور عليها كتابات دعائية ورسوم طيور فضلاً عن الفروع النباتية ومن أمثلة ذلك قدوران كبيران في المتحف البريطاني وقدر في مجموعة الكونتس دي بهاغ في باريس وعلى التحفة الاخيرة كتابة تشير إلى أنها صنعت في دمشق على يد فنان اسمه يوسف لهاو اسمه أسد بمدينة الاسكندرية . وأهم أنواع الخزف في عصري الايوبيين والمماليك إنما هو من صناعة دمشق والرقة والجزيرة في سورية وزخارفها منقوشة تحت دهان شفاف باللون الازرق أو الاخضر وهي قريبة من خزف الرقة ورسوم الحيوان فيها محورة عن الطبيعة تحويراً يجعلها في بعض الاحيان ذات طابع زخرفي أنيق بينما تبدو في أحيان أخرى متأثرة أشد التأثير برسوم الحيوان في الطراز السلجوقي . أما الخزف في العصر المملوكي فانه يمتاز برسوم الطيور والحيوانات القريبة من الطبيعة فضلاً عن الرسوم النباتية الجميلة . وقد تقدمت صناعة الخزف في ذلك العصر تقدماً كبيراً حتى غدت دمشق مركزاً هاماً لإنتاجه في العالم الاسلامي والعالم بأسره وكان أسم مدينة دمشق ينقش على التحف الخزفية شرفاً لها وشهادة بأنه من صنع هذه المدينة التي اشتهرت بمهارة الصناع وبراعتهم .

ومن الاشكال التي وجدت في هذه الصناعة ضربان يقترون كل منهما بالآخر أشد الاقتران نشأ كل منهما في سورية ونما حتى وصل إلى درجة كبيرة من الروعة والابداع وكان هذان

الضربان يصنعان من خزف مغطى بقشرة بيضاء عليها طلاء أبيض شفاف يراق تحته رسوم حدودها سوداء واما ألوانها فاما خضراء براءة أو زرقاء أو حمراء قائمة . ولعل أهم ما استخدم فيه هذا النوع من الخزف هو تغطية الجدران . إذ كان يتخذ على شكل بلاط مربع تنقش على كل واحدة منه زخارف متكررة أو تنقش عليها أجزاء مقطعة يكون مجموعها موضوعاً زخرفياً كبيراً متناسقاً .

وقد استعمل الفنانون العرب في صناعة الآنية الخزفية نفس الأساليب الفنية التي استعملوها في صناعة القاشاني لتغطية الجدران واستعملوا زخارف مماثلة في تزيين الصحن الجنية والطاسات وغيرها من الآنية المختلفة الأشكال وقد اشتهرت صناعة الخزف الدمشقية حتى تمت العالم وباتت تصدر إلى أوربا يقتنيها الملوك والأمراء في قصورهم تدل على ذلك قائمة الكنوز التي كانت ملكاً لشارل الخامس في سنة ١٣٩٧ وهي تحوي فقرتين تصفان هذا النوع من الزجاج وصفاً مفصلاً . ففي الأولى وصف ثلاث آنية من الزجاج نقشت عليها صور على الطريقة الدمشقية وفي الثانية وصف لطست واسع من الزجاج نقش أيضاً على الطريقة نفسها . ومن أبدع ما أخرجه الصانع العرب مصابيح أو مشكاوات أو على الأصح أغطية مصابيح كانت توضع بداخلها مسارج زيتية مثبتة بسلك على حافة الغطاء ، وهذه المصابيح كانت تعلق بثلاث سلاسل أو أكثر من الفضة أو النحاس تتصل بمقابض بارزة معلقة في زجاجاتها وهي مزخرفة في أغلب الأحيان بأشرطة عليها كتابات أو جامات وفروع نباتية تقليدية تكسبها بهجة وبهاء وبعضها يغطي سطحها بأكمله رسوم ، زهور ونباتات شبيهة بما يرى في زخارف الديباج .

صناعة النسيج

اشتهرت دمشق من قبل الفتح الإسلامي بالنسيج الفاخر وبعد الفتح الإسلامي زادت هذه الصناعة تقدماً ورقياً حتى باتت دمشق إحدى الركائز القوية التي قامت عليها هذه الصناعة . وقد ساعد دمشق على القيام بهذه المهمة الخطيرة ان كان لديها تقاليد فنية خلفها البيزنطيون . فكان الصانع العرب في سورية في بادئ الأمر يخضعون لتأثير من الأساليب الفنية . تيار بيزنطي وآخر ساساني ثم نشأ من هذين التيارين تيار عربي يختلف عن البيزنطي والساساني وهكذا استقل النسيج في سوريا وتقدم تقدماً كبيراً وباتت دمشق مركزاً هاماً لهذه الصناعة تصدر إلى الغرب المنسوجات الحريرية الفاخرة التي كانت تعرف باسمها فيقال عنها (دامسكو) وقد بلغت هذه الصناعة درجة رفيعة في عصري الأيوبيين والمماليك وتفنن النساجون في تطوير المنسوجات الحريرية وتزيينها بالزخارف التي نراها على التحف الخزفية والمعدنية في العصر نفسه . من هذه

المسوجات الحريرية المصنوعة في دمشق قطعة من الحرير الاصفر محفوظة في دار الآثار العربية بالقاهرة وقوام زخرفتها أشرطة متعرجة تضم بينها حمامات أو مناطق بيضية الشكل فيها رسوم أزواج من طيور بعضها عقبان رؤوسها متقابلة ولكن يولي كل منها الآخر ظهره .

وقد عرفت دمشق في العصور الوسطى نظاماً خاصاً في مصانع النسيج إذ كانت هذه المصانع حكومية بحتة أو تحت رقابة حكومية شديدة وكانت تسمى المناسج الحكومية (الطراز) وكان هناك نوعان من مصانع النسيج أو الطراز ، الاول (طراز الخاصة) وكان لا يشتغل الا للخليفة ورجال بلاطه وحاشيته والثاني (طراز العامة) وكان أيضاً تحت رقابة حكومية ولكنه يشتغل لافراد الشعب فضلا عن بلاط الخليفة اذا دعت الحال . وقد انتقلت هذه الصناعة الى صقلية على أيدي حكامها المسلمين ثم الى بالرمو والى بقية المدن الإيطالية في الجنوب .

النقش في الخشب

منذ القديم كانت صناعة التعف الخشبية منتشرة في سورية ومصر وقد ازدهرت هذه الصناعة كثيراً في العصور الإسلامية . وبديهي أن الزخارف التي حفرها الصناع العرب في مصر وسورية في فجر الاسلام في الخشب انما كانت متأثرة إلى حد كبير بالزخارف الساسانية والمهلنسية ولكنها فيما بعد تطورت تطوراً تدريجياً بطيئاً حتى بات للفن الاسلامي أساليبه الخاصة في هذا الميدان .

الحفر في الخشب في العصر الاموي

يتماز الحفر في الخشب في العصر الاموي بأنه كان يضم موضوعات زخرفية شبيهة بزخارف العماثر إذ كانت هذه الزخارف تحوي على أوراق (الا كانت) شوكة اليهود وعلى فروع العنب والوريدات والسلات وغير ذلك من الموضوعات التي نعرفها في فسيفساء قبة الصخرة ببيت المقدس والمسجد الاموي بدمشق . وقد تنوع الحفر في الخشب تنوعاً كثيراً وزادت غنابة الصناع به حتى بات يتناول كثيراً من الموضوعات الزخرفية مثل شجرة ذات فروع كثيرة وأوراق كثيفة وفاكهة . والرسوم النباتية ووربقات العنب وعناقيده وكيزان الصنوبر والزخارف الهندسية المتداخلة المتشابكة والخطوط المنحنية وأشرطة الكتابات الكوفية المورقة ثم صور آدمية أو رسوم حيوانات مثل فارس يصطاد بالباز وفوق رأسه عمامة وعلى قبضة يده طائر جارح على أهبة الانطلاق هذا في ركن من أركان باب او غيره ، بينما في الحشوات رسوم صيادين آخرين ومع كل منها الباز الذي يصطادان به والطائر الذي اصطاده الباز ثم في الجزء السفلي من كل

حشوة رسم اثناء تتفرع منه الفروع النباتية الملتوية ويحف به من الجانبين رسم وعلة أو رسم صراع بين أسد وانسان ورسم سلطانية تخرج منها فروع نباتية فوقها لبوتان تولى كل منها الاخرى ظهرها وفوق اللبوتين طاووسان متواجهان . وفي حشوات أخرى رسم أسد ينقض على وعلة لافتراسها أو رسم موسيقيين يعزفان على العود وحولهما أشخاص يرقصون رقصاً توقيعياً أو رسم قتال بين فارس ورجلين يهجم أحدهما على الرجل الفارس من خلفه والآخر من أمامه وهي كل هذه الرسوم قد روعيت الدقة والنسبة بين الأشخاص كما روعي صدق التصوير عن الطبيعة . وقد ظلت صناعة الحفر تنمو وتتقدم في سورية ومصر حتى العصر الايوبي إذ بلغت درجة رفيعة من الفن والزخارف النباتية زادت دقة وجمالاً وابداعاً .

ومن أبدع المنتجات الحشوية في العصر الايوبي في سورية منبر الجامع الاقصى الذي صنع في حلب بأمر نور الدين محمود الزنكي سنة ٥٦٤ هـ وصنعه نجار اسمه (سليمان بن معالي) ويبدو أن امرة معالي كانت شهيرة في صناعة الحفر في الحشب اذ وجد اسم معالي ايضاً مكتوباً على تابوت الامام الشافعي في القاهرة وهو من أعظم المنتجات الحشوية في العصر الايوبي .

أما في العصر المملوكي فقد تميز الحفر في الحشب بأن التجار بن كانوا يتقنون في زخرفة الحشوات بالرسوم الدقيقة وبأن يجعلوا العنصر الزخرفي السائد في ترتيب الحشوات هو تجميع هذه الحشوات بحيث تؤلف أطباقاً نجيحة وأجزاء من أطباق . أما رسوم الحشوات فكانت تمتاز بأنواع المراوح النخيلية والفروع النباتية والورديات وما إلى ذلك مما تبدو فيه الثروة الزخرفية جلية واضحة . وهذا مما جعل زخارف الحشب المملوكي خالية من أي موضوع زخرفي رئيسي يظهر ويبدو بين تفاصيل زخرفية ثانوية تحف به . وقد أنتج الفنانون أنواعاً كثيرة من التنحف الحشوية مثل المناير والخزانات والابواب والكراسي والدكك وقد ازدهرت أساليب أخرى في زخرفة الحشب كتطعيم الحشوات بخيوط أو أشرطة رفيعة من نوع آخر من الحشب أعلى نمماً وجوداً أو تطعيمه بالعاج والعظم .

وبرع ايضاً التجارون العرب بإنشاء السقوف الحشوية وعرفوا أساليب مختلفة من هذه السقوف ثم كانوا يزخرفونها بالرسوم المنقوشة والمحفورة كما برعوا في صناعة الشبكيات الحشوية المؤلفة من خشب مخروط وهي التي تعرف باسم الاخصاص وهي تحتوي على خارجيات صغيرة مستديرة أو مثمنة تركب ضمن اطارات مربعة أو مستطيلة أو مستديرة وتستعمل هذه الاخصاص كهواجز تحجب ما في ابهاء البيوت من أن يرى من الخارج . وعرف التجارون ايضاً أنواعاً

أخرى من صناعة الحشب مثل الدكك الحشبية والصناديق المكسوة في بعض الاحيان بطبقة دقيقة من الفسيفساء تتألف في الغالب من قطع صغيرة من الابنوس والسن وهو ما يسمى بالترصيع والتكفيت .

العاج والعظم

منذ فجر الاسلام اهتم القنانون العرب في سورية ومصر بصناعة العاج والعظم التي تعني الحشب المرصع بهاتين المادتين وقوام هذه الزخرفة رسوم عقود تضم أشكالاً هندسية من معينات ومربعات ودوائر وبين العقود اشباه أعمدة ولها تيجان رمانية الشكل وفوق تيجانها رسوم آدمية ورسوم طيور وحيوانات داخل مناطق مستديرة تماماً أو لها محيط ذو فصوص . وتتألف الزخرفة النباتية من فروع نباتية تتجمع حول سيقان فتبدو السيقان كأنها المحور الذي تحف به تلك الفروع . ورسوم حيوانات وطيور تارة متواجهة أو متداورة داخل مناطق وأخرى حره تتطلق بين الفروع النباتية مثل أن ترى رسم طاووسين يلتف عنق كل منهما حول عنق الآخر . وهناك مناظر الطرب والصيد والشراب ومناظر الحيوانات والطيور مثل الاسد والغزال والفهد والفيل والطاووس . أما الرسوم النباتية فانها تمتاز بالحركة والحياة فتري مشتقات ورقة العنب (الا كانت) (شوكة اليهود) الى جانب السعف المختلف الشكل والفروع ، ثم الفروع النباتية المتنوعة . وهذه العروق الكثيرة تكسب الوريقات قسماً وافرأ من الحركة والحياة . الى جانب الحفر في الحشب كان القنانون العرب في دمشق والقاهرة يزاولون فناً آخر لا يقل أهمية عن رخارف الحشب وهو تزيين المعادن وتطعيمها بالبرنز والنحاس والذهب والفضة والعاج والصدف وخلق رسوم عليها وزخارف مختلفة شبيهة بالزخارف الحشبية . وهذه الطريقة كانت تعرف باسم الصناعة الدمشقية نسبة الى مدينة دمشق التي كانت تصنع فيها .

التحف المعدنية

كان صناع التحف المعدنية في فجر الاسلام في سورية ومصر يبارون زملائهم من صناع التحف الاخرى ويبدعون في هذه الصناعة كما يبدع الصناع الآخرون في صناعتهم المختلفة فيصنعون صحنوناً ذهبية وفضية وأباريق وصواني من البرونز على هيئة حيوان أو طائر وقد زادت الزخرفة في العصور الاسلامية المنقوشة على التحف المعدنية رونقاً وبهاء ولطف حجماً فأصبحت أرق وأصغر حجماً وأظرف منظراً .

وفي دار الآثار العربية في القاهرة تحفة جميلة من البرونز ترجع إلى عهد الخليفة الاموي.

مروان الثاني وهذه التحفة هي ابريق ارتفاعه (٤١) سنميتراً وقطره (٢٨) وله قاعدة مستديرة ومنخفضة دقيقة الشكل فوقها بدن كروي الشكل تتصل به كتف مدرجة ينتهي برقبة اسطوانية جزؤها العلوي مخرم وباقيها مزخرف برسوم محفورة قوامها دوائر ووريدات صغيرة متماسة . وفي هذا الابريق عصابة مستديرة ذات زخارف بارزة وللابريق مقبض يخرج من منتصف البدن ويرتفع موازياً الرقبة ثم يلتوي في أعلاه ويتوج برسم من ورق شوكه اليهود . وهذا المقبض مزين في جانبيه بصفين من حلقات تشبه الأحجار الثمينة ويرسم فرع نباتي بينها . أما الصنوبرة فتناء تخرج من بدن الابريق تحت الكتف وتصب في ثمال ديك كبير مبسوط الجناحين ومشدود الجسم ، لا يقل جمالاً في ذاته عن أبدع التماثيل .

وأبدع زخارف هذا الابريق الرسوم المحفورة على بدنه وقوامها ستة عقود متصلة تحت كل منها عمودان وفوقه شبه هلال فيه دوائر صغيرة وتحت العقود وربدات زخرفية تعلوها رسوم طيور وحيوانات وأشجار وبعض أجزاء الرسوم في الابريق كانت مطعمة بالأحجار النفيسة أو الميناء . وصناعة التحف المعدنية ازدهرت في بلاد الجزيرة في عصر السلاجقة وبرع الصناع في سورية ومصر في تطبيق البرونز والنحاس الأصفر بالفضة والذهب والنحاس الأحمر والتطبيق أو التكفيت طريقة في الزخرفة قوامها حفر رسوم على سطح معدن ثم ملء الشقوق التي تؤلف هذه الرسوم بقطع اخرى من مادة أغلى ثمناً . وقد ساعد ازدهار هذه الصناعة في بلاد الجزيرة انها كانت غنية بمناجم النحاس الأحمر كما كانت بلاد الشام غنية بالحامات اللازمة لصناعة التحف من البرونز والنحاس الأصفر .

وازدهر فن التكفيت في الجزيرة وأصبح الصناع يكفتون بالفضة بدلاً من النحاس الاحمر وتعد التحف المعدنية المصنوعة في سورية من آيات الفن الاسلامي في هذه الصناعة وأهم هذه التحف صينية في متحف ميونيخ قوام زخرفتها المكففة بالفضة اشربة دائرية حول دائرة وسطى تضم رسوم عقبان وحيوانات لها رؤوس آدمية وفي الشريط الاول حول الدائرة الوسطى اثنتا عشرة منطقة تضم رسوم صيادين وفرسان وأربعة رسوم اخرى ترمز إلى الشمس والقمر والمشتري والزهرة . وفي الاشرطة الاخرى كتابات ورسوم طرب وصيد وحيوانات . وعلى هذه التحفة كتابة بخط النسخ . وفي المتحف البريطاني تحف عليها رسوم سمك وصور أشخاص جالسين وحول رؤوسهم هالة وفي أيديهم كؤوس . وفي متحف فيكتوريا والبرت صينية من هذا الطراز وفي متاحف العالم كثير من هذه التحف البديعة التي تدل على براعة الفنانين العرب في سورية ومصر

مثل إناء كبير من البرونز صنع في دمشق في نهاية النصف الاول من القرن السابع الهجري وقوام الزخرفة في هذا الاناء المكفت بالفضة رسوم حيوانات ورسوم أشخاص ذوي حالات على رؤوسهم ، ومناطق تضم مناظر دينية مسيحية كرمس البشارة والمسيح والعذراء والعشاء الاخير فضلاً عن رسوم صيد ولعب بالصوالة وعلى هذه التحفة كتابة باسم الصالح أيوب سلطان مصر والشام .

وفي متحف اللوفر ابريق من النحاس المكفت بالفضة قوام زخرفته أشرطة فيها رسوم حيوانات واخرى فيها رسوم نباتية فضلاً عن شريطين عليها كتابة تشير إلى صانعه وهو حسين ابن محمد الموصلية بدمشق . وفي اللوفر أيضاً إناء من صناعة دمشق قوام زخرفته رسوم آدمية ورسوم حيوانات وصور منطقة البروج فضلاً عن الرسوم النباتية وعليه اسم السلطان الملك الناصر يوسف . أما في العصر المملوكي فكان الاقبال على صناعة التحف المعدنية عظيماً جداً في سورية ومصر وقد تجلت براعة الفنانين العرب بما استعملوه من مختلف الاساليب الفنية في صناعة المعادن من حفر وتكفيت وتخريم ثم تنوع الاشياء التي استخدموا هذه الصناعة لتزيينها مثل الابواب الجميلة المصنعة بالنحاس وزخارفها التي تؤلف الاطباق النجمية وهي ما امتاز بها هذا العصر ثم التحف المعدنية المكففة بالمعادن الثينة مثل التناوير والتريات ثم الصناديق الخشبية لحفظ المصحف الشريف وتصفيتها بالنحاس وتزيينها بالكتابات والنقوش والفروع النباتية المكففة بالذهب والفضة وطاسات للطعام ترتب بعضها فوق بعض وتزيينها برسوم هندسية ونباتية .

الزجاج والبلور

اشتهرت دمشق بصناعة البلور والزجاج منذ العصر الروماني وفي فجر الاسلام اشتهرت به القاهرة وكان الاقبال على استعمال الزجاج عظيماً بما أدى إلى رقي هذه الصناعة وتقدمها وقد كانت الزعامة في صناعة الزجاج معقودة لدمشق في جميع أنحاء العالم الاسلامي إذ كان صانعو الزجاج في العراق وغيرها من الممالك الاسلامية يقلدون الآنية والاساليب الزخرفية في التحف الزجاجية التي كانت تنتجها المدن السورية مثل انطاكية وحلب ودمشق وصور وعكا والخليل . قال الثعالبي المتوفي في القرن الخامس الهجري إن المثل يضرب بركة الزجاج السوري وتقافته . ومن النصوص التاريخية التي تشهد بتقدم مدينة حلب في صناعة الزجاج حكاية من كتاب (كلستان) للشاعر الايراني سعدي تحدث فيها عن تاجر ثرثار أخبره أنه يستعد لرحلة جديدة . فسأله سعدي أين تكون تلك السفرة فأجاب التاجر (إني أريد أن أحمل الكبريت من ايران إلى الصين فقد سمعت أن له قيمة فيها ومن هناك أخذ الحزف الصيني إلى بلاد الروم ثم أحمل الديباغ الرومي

إلى الهند والفولاذ الهندي إلى حلب وأخذ الزجاج الحلي إلى بلاد الروم وأتمشة بنية إلى إيران .
والزجاج أنواع مختلفة بحسب الأساليب المتعلقة في رسم زخارفه . فنه نوع ذو ثنايا وضلوع
ونوع ذو رسوم منفوخة في قالب وقوام الزخرفة في التحف الزجاجية ذوات الرسوم المنفوخة
في القالب كانت في فجر الاسلام في سورية عبارة عن دائرة ذات مركز واحد وكتابات
ورسوم هندسية وزخارف أخرى تشبه اقراص العسل . ومن الزجاج ذي الزخارف نوع ذو
رسوم مختومة وآخر ذو رسوم مصنوعة بالة كاللقط أو النقاش وثالث ذو زخارف محفورة
أو مقطوعة على الدولاب ورابع ذو خيوط زجاجية وأقراص مضافة .

وقد يركب الاثاء فوق تمثال حيوان أو طائر ومن هذا الزجاج ذي الزخارف نوع ذو
خيوط مضافة ومضغوطة في سطح الاثاء في رسوم متعرجة وملونة تكسب التحفة نوعاً من
زخارف المرمر . ومنه نوع آخر ذو زخارف منقوشة في الزجاج (على البارد) وأخرى
مذهبة أو مطلية بالبريق المعدني .

وفي العصر الفاطمي تقدمت صناعة الزجاج في مصر وسورية وبلغت أوجها في العصر المملوكي
الذي يمتاز بصناعة المشكيات الموهبة بالمينا وهي فخر صناعة الزجاج عند المسلمين على الاطلاق .
أما البلور فقد لاقى اقبالاً كبيراً من قبل الفنانين لأنه أصلب من الزجاج العادي والطف
منظراً وقد تفتن الصناع في صناعته فصنعوا منه آنية للشرب واقداحاً وأباريق وكؤوساً وتقنوا
في الحفر في البلور الصخري فتقشوا عليه زخرفة تضم عدة أشكال من شجرة فيها مراوح
نخيلية يحف بها من الجانبين رسم بيفاء أو رسم مجموعتين من الحيوان تتألف كل منها من رسم
صقر يتنقض على غزال ليفترسه أو رسم يجمتين بينهما فرع نباتي متقن وفوقها كتابة بالخط
الكوفي ونحو ذلك .

الزجاج المذهب والموهب بالمينا في عصري الايوبيين والمماليك .

بلغت صناعة التحف الزجاجية الاسلامية أوج عزها في مصر وسورية فيما بين القرنين السادس
والثامن الهجري (١٢ - ١٥) ميلادي برعاية السلاطين الايوبيين والمماليك . وكان فخر هذه
الصناعة تزيين التحف بالزخارف المذهبة والموهبة بالمينا . وكانت الزعامة في انتاج الزجاج ذي
الزخارف الموهبة للشام وقد عثر في مدينة الرقة على قطع مكسورة من هذا الزجاج الموهبة
بالمينا ومعظمها كؤوس مفرطحة من أعلاها وأشهرها الكأس المنسوبة إلى شارلمان والمحفوظة في
متحف شارتر وارتفاعها أربعة عشر سنتيمتراً وقوام زخرفها شريطة من عبارة دعائية

واخرى من فروع نباتية بينها منطقة من أشكال هندسية مختلفة ومتشابكة وملوذة بجيبات بيضاء وزرقاء .

وقد أقبل صناع الزجاج الفاخر في القرن السابع الهجري على استعمال الرسوم الآدمية في زخارفهم وكانوا يضعونها في أشرطة مختلفة العرض وفي مناطق مستطيلة أو دائرية .

وفي متحف برلين قنينة من الزجاج الموهء بالمينا من صناعة دمشق إرتفاعها ثمانية وعشرون سنتيمتراً ومحيطها تسعة وخمسون وعليها تذهيب كبير لا يزال حافظاً لبهائه ورونقه . والمينا متعددة الألوان ففيها الأحمر والأبيض والأخضر والبني والأصفر أما قوام الزخرفة فعصابة من الكتابة بخط الثلث على رقبة القنينة لونها أزرق وتقوم على فروع نباتية متعددة الألوان وتحت هذه العصابة شريط من الزخارف المجدولة وفي بدن القنينة منطقة عربية فيها رسم اثني عشر فارساً من لاعبي الصوالة وحول رؤوسهم هالات وفوق هذه المنطقة افريز من رسوم حيوانات تجري وأرانب وغزلان ودب ويفصل بعضها عن بعض ثلاث وريدات ذوات خمس فصوص . وفوق هذا الافريز رسوم فروع نباتية محرفة عن الطبيعة تعلوها رسوم ثلاث بطات وفي الجزء السفلي من القنينة عصابة من زخرفة مجدولة . وزجاج هذه النعفة دقيق الصنعة وبه تضييع بسيط أما المينا فقد أصاب الفنان في استعمالها توفيق كبير وأمثال هذه القنينة كثير في متاحف العالم وهي تدل على براعة صناع الزجاج في دمشق وحلب .

ولا ريب أن أبداع ما وصل اليه صناع الزجاج في مصر وسورية يتجلى في المشكايات الموهءة بالمينا . وهذه المشكايات أغطية مصاييح لم تكن تضاء بوضع الزيت والقتيل فيها مباشرة بل كانا يوضعان في مسرجة (تلبت بسلوك في حافة المشكاة) وكان لكل مشكاة مقابض بارزة أو اذان تشبك فيها ثلاث سلاسل أو أكثر من الفضة أو النحاس الأصفر تجمع كلها عند كرة مستديرة أو بيضية وتبدأ عند هذه الكرة السلسلة التي تعلق بها المشكاة في السقف .

وزجاج المشكايات أبيض مائل الى الصفرة والخضرة وبه فقاعات هواء صغيرة أما المينا التي يدهن بها زجاج المشكايات فحمر وزرقاء وخضراء وبيضاء ووردية اللون وقوام الزخرفة فيها أشرطة بها كتابات ومناطق أو جامات فيها رنوك الامراء وامراتهم وأسماءهم وأسماء بعضهم والقاهم وأحياناً فيها رسوم موضوعات نباتية وهندسية وفي بعض الاحيان رسوم طيور .

والمشكايات على اختلاف أنواعها كانت تصنع في القاهرة وفي حلب ودمشق وانطاكية وصور وقد كان لهذه المدن في العصور الوسطى مكانة سامية في صناعة الزجاج ولم تقتصر عناية الفنانين العرب على المشكايات فحسب بل تناولت براعتهم الكؤوس أيضاً والقنينات والآنية الجميلة ذات

الزخرفة البديعة مثل زهرية كبيرة لها اذنان وعليها رسوم دقيقة بالمينا الحمراء وكتابة بحروف زرقاء على ارضية من فروع نباتية بيضاء أو قنبلة على بدنها ثلاث وريعات تضم كل منها زهرة بالمينا الزرقاء والبيضاء والحمراء والصفراء والخضراء مرسومة على ارضية من سيقان وفروع نباتية ملونة بصور الحيوانات .

واستعمل الفنانون أيضاً الزجاج فيما يسونه القاري والشمسيات وهي نافذة صغيرة من الجص المفرغ تسد فتحاته بزجاج ملون وتؤلف هذه الفتحات زخارف اسلامية والمقصود بهذه النوافذ تخفيف حدة الضوء .

الفسيفساء

الفسيفساء كلمة مشتقة من اللغة اليونانية المقصود بها الموضوعات الزخرفية المؤلفة بواسطة جمع أجزاء صغيرة متعددة الالوان من الزجاج أو الحجر وتثبت ، بعضها إلى جانب بعض فوق الجص والاسمنت وقد تكون هذه الموضوعات الزخرفية هندسية أو نباتية أو رسوم كائنات حية . والاعلم أن تكون تلك الاجزاء الصغيرة مكعبات دقيقة .

والفن الاغريقي المتأخر والفن الروماني قد امتازا بالفسيفساء الحجرية ذات الموضوعات التصويرية وأكثر ما استخدمت في الرسوم على الارض . والفن البيزنطي قد امتاز بالفسيفساء الزجاجية التي استعملت في رسوم الجدران والقبوات أما في العصور الاسلامية فقد ضرب الفنانون العرب بسهم وافر في هذه الصناعة واستعملوا المكعبات الزجاجية الصغيرة وجمعوا معها في بعض الاحيان المكعبات الحجرية والصدفية . أما صنعة الفسيفساء في هذه العصور الاسلامية فلا ريب أن أبدع ما صنعه الفنانون انما يتجلى في صناعة الفنانين العرب سواء أكان في قبة الصخرة أم في فسيفساء المسجد الجامع في دمشق . وفسيفساء قبة الصخرة كانت تغطي الجدران الخارجية وآثارها ما تزال واضحة الى اليوم وهي فسيفساء مذهبة على ارضية زرقاء تضم كتابة آيات قرآنية وتتألف الفسيفساء من مكعبات صغيرة مختلفة الحجم من الزجاج الملون وغير الملون والشفاف وغير الشفاف ومن مكعبات الحجر الابيض والوردي ومن صفائح صغيرة من الصدف . وكلها مثبتة على طبقة من الاسمنت في وضع افقي تام الا المكعبات ذات اللون الذهبي أو الفضي فانها موضوعة بميل قليل لتعكس الضوء . أما سائر الألوان الغالبة على هذه الفسيفساء فالأخضر بدرجاته المختلفة والأزرق والبنفسجي والأبيض والأسود .

وموضوعات قبة الصخرة الزخرفية كثيرة جداً . من بينها فروع نباتية متصلة وحلزونية

تخرج من آنية، ويقع بين كل فرعين خارجين من اثناء، موضوع زخرفي يشبه الشمعدان وفوقه زخرفة ساسانية مجنحة كما يوجد بينها أشجار نخيل وأشجار أخرى. وبينها أيضاً رسوم فاكهة ولاسيا العنب والرمان ورسوم أوراق الشجر المختلفة وأوراق شوكه اليهود (الا كانت) وباقات الزهور وقرون الرخاء ورسوم الجواهر والحلي المختلطة بالرسوم النباتية فضلاً عن رسوم الالهة والنجوم.

وفي العصر الاموي جاءت صناعة الفسيفساء بشيء جديد لا هو بالساساني ولا بالهلنستي هو طراز جديد تميز من سائر الفسيفساء الاغريقية والرومانية المسيحية.

وفسيفساء الجامع الاموي بدمشق قوامه رسم نهر في مقدمة المنظر وعلى ضفته الداخلية أشجار ضخمة تطل على منظر طبيعي فيه رسوم عمائر بين أشجار وغابات ومن هذه العمائر رسم ملعب للنخيل ورسم قصور ذات طابقين وأعمدة جميلة ورسم بناء مربع الشكل وله سقف صيني الطراز وهناك عمائر صغيرة تبدو كأنها موضوعة واحدة فوق واحدة. وفوق النهر قنطرة وهذه الرسوم تشبه مناظر مدينة دمشق.

وفي عصر المماليك ازدهر نوع آخر من الفسيفساء في سورية ومصر هو الفسيفساء المصنوعة من المكعبات الصغيرة من الرخام وأكثر استعمال هذه الفسيفساء كان في المحاريب في المساجد وفي زخرفة الجدران كما كانت تصنع منه أيضاً الفسقيات والأحواض فضلاً عن استعماله في زخرفة الأرض وغيرها.

وهكذا يبدو جلياً أن الفن في مصر وسورية قد نشأ واستقى مادته على غابر الزمان من ينبوع واحد فارقتى وتقدم وتكامل في اتجاه واحد هو السهولة والمرونة والاستجابة لرغبات الشعب العربي في جميع نواحي الحياة.

منير سلمان

مختصرات عن المقالات المنشورة في القسم الغربي
من المجلة

مركز تحقيقات كاتوليكية علوم إسلامية

البحث عن سيميرا

مقال لأستاذين موريس دونان ونسبب صليبي

ملخص وتعريب مجلة الحوليات الأثرية السورية

لقد ورد ذكر مدينة سيميرا في التوراة وفي كتب المؤرخين القدماء كـ (بلين) و (سترابون) و (بطليموس) بما يشعر أن هذه المدينة كانت قائمة في الأراضي الواقعة حول حمريت ، في منطقة النهر الكبير الجنوبي (الاولوتير) ، وشمالى منحدرات جبال لبنان . وتذكر حوليات نحموش الثالث خلال التحدث عن حملته السادسة أنه بلغ قادش ثم وصل إلى بلاد (س . ي . و ت) ولا يدري ماذا يقصد بهذا التعبير ، ثم إلى مدينة سيميرا فأرواد . ويستدل من ذلك بعد الاطلاع على جغرافية هذه المنطقة أن نحموش المذكور فارق قادش واجتاز وهدد حمص بين منحدرات لبنان الشمالية ومنحدر جبل النصيرية الجنوبي ، فوصل إلى منعرج نهر الوادي الكبير الذي يجري في بادىء الأمر متعامداً مع محور الوهدة المذكورة . ولا بلغ مع النهر سهل عكار انجبه ميلاً نحو الشمال الغربي متبعاً خطاً مستقيماً ليبلغ أرواد . وأخيراً فإن نصاً آشورياً أخرج خلال حفريات آشور من معبد (انو وحدث) يتحدث عن حملة قام بها تغلات فالازار الأول (آخر القرن الثاني عشر وأول القرن الحادي عشر) في

بلاد لبنان وعمورو ، ويقول ان هذا الملك سافر على مراكب أرواد مدة ثلاث ساعات مزدوجة إلى سيرا واصطاد في عرض البحر حصاناً بحرياً .

ويستنتج من ذلك أن المسافة بين أرواد وسيرا هي ست ساعات ، إلا أنه يصعب قبول أن الملك المذكور قد نقل جنوده بواسطة المراكب . إذ لا يعقل أن يطلب من جنود جيش كبير أن ينزلوا إلى المراكب ثم يفارقونها بعد ست ساعات ، بدلاً من أن يجتازوا مباشرة سهلاً ساحلياً ليست فيه أية عقبة . والأولى أن يفسر النص المذكور أن الملك قام بنزهة بحرية على حين أن جيشه كان يتجه على اليابسة في نفس الطريق التي اجتازها في اتجاه معاكس جيش تحوتمس الثالث قبل ثلاثة قرون . ويقابل مدة ست ساعات مسافة (٢٥ - ٣٠ ك . م) يصل المرء بعدها إلى أرض يقال لها حالياً أرض سيرا ، وفيها قرية صغيرة على بعد خمسة كيلو مترات في الساحل . ويخترق هذه المنطقة جدول ماء اسمه نهر سيرا أيضاً . وتقوم الأكثبة الرملية في غرب هذه المنطقة . والسهل خصيب تسقيه أنهار صغيرة أخرى منها نهر البارد ، ونهر عرقا ، والنهر الكبير (الأولوتير) والنهر الأبرش وغيرها . وقد تحدث المؤرخون القدماء عن خصب هذا السهل الذي يؤلف فاتحة الوهدة التي تصل الساحل بسورية الداخلية . ولا شك أن تحوتمس الثالث ورعسيس الثاني قد اجتازاه ، وأنه كان الطريق الرئيسية في زمن الحروب الصليبية التي هاجم منها الصليبيون الأراضي الإسلامية . وتسد قلعة الحصن منفذه الداخلي . وهو الذي كان يغذي بمحاصلاته مدن عرقا وارتوزيا في الجنوب ، وارواد وماراتوس في الشمال . وتقوم فيه ثلاثة تلال هي : تبة الحمام على الشاطئ وتل ثان أبي علي بالقرب من قرية سيرا ، وتل ثالث إلى الجنوب متصل بنهر الأبرش واسمه تل الكزل .

ويتابع العالم دونان حديثه فيقول إنه طلب من المعهد الشرقي في شيكاغو أن يقوم بسور لفحص هذه التلال . فحفر هذا المعهد اثنين وعشرين سبواً في تبة الحمام حيث ما زال المرء يشاهد مكسراً بحرياً على الساحل ، وظهر بنتيجة ذلك مساكن يعود عهدها إلى العصور الممتدة بين أزمنة العصر الحجري الحديث ، وفاتحة عصر البرونز المتوسط ، وبين أول عصر الحديد والعصر البيزنطي . ولم يعثر على أي شيء يعود إلى عهد البرونز المتوسط ، وعهد البرونز الحديث ،

وهما العبدان اللذان اشتهرت سبيرا خلالهما . وقامت البعثة نفسها بسبرين في تل أبي علي الصغير فظهرت فيه بعض الخلفات الفخارية من عصور البرونز القديم ، والمتوسط والحديث . كما شقت مديرية الآثار العامة سبراً في نفس المكان في شهر آذار من سنة ١٩٥٥ ، فبين فيه بعض الآثار العائدة إلى كل عهود البرونز التي ذكرناها . إلا أن بعض الاعتبارات الأخرى دعت لأن يأس المكتشفون من وجود مدينة سبيرا في هذا المكان ، وذلك لأن تل أبي علي صغير ، ولا يتجاوز طوله (١٥٠ م) ، ولأن منحدراته منتظمة بما يدل على أنه لم يكن له سور كما كان الأمر في سبيرا ، ولأن الجدران المكتشفة فيه تدل على أنها كانت لأبنية هزيلة لا تخص مدينة شهيرة كسبيرا ، ولأن (التبن) المحروق والأفران التي وجدت فيه كانت لقرية لا لمدينة .

وذكرنا أن التل الثالث الذي يمكن أن تكون فيه سبيرا هو تل الكزل الواقع على الشاطئ الأيمن للنهر الأبرش على بعد (٣٥٠ ك . م) من مصبه . ويمتاز هذا التل بكونه يخلو من جميع الاسواء التي ذكرناها لدى بحثنا في تل أبي علي . فطوله (٣٢٥ - ٣٥٠ م) ، وعرضه نحو (٢٠٠ م) . فهو والحالة هذه أكبر من التلال التي وجدت فيها مدن حماة وصيدا ، وجبيل القديمة . ثم إن اطرافه قائمة وشديدة الانحدار بما يدل على أنه كان يحيط بها سور قديم . ويوجد له ثلاثة منحدرات في الشمال والغرب والجنوب الغربي . وهذه المنحدرات قديمة وما زالت واضحة . والخلاصة إن هذا التل أكبر تل في المنطقة ويتوسطها ويمين عليها ولا يبتعد كثيراً عن الساحل ، ويحيطه النهر الأبرش من الجنوب ، ويسهل اتصالاته مع الساحل ، حيث يمكن أن تصعد فيه زوارق صغيرة . كما أنه يؤلف نقطة استراتيجية تراقب منه الطريق الساحلية ، ومنتهى هذه حصص . ثم إنه يبعد عن طرطوس (٢٨ ك . م) ، وكما يقول في سبيرا استرايون إنه آخر ممتلكات أرواد إلى الجنوب ، وقريب من نهر (الأولوتير) الذي يبعد عنه خمسة كيلو مترات ، وضواحيه أراض زراعية خصبة كما كانت أراضي سبيرا حسب ما تحدثت لوحات تل العمارنة .

وبين ما ذكر أن تل الكزل يمكن أن يكون هو موقع مدينة سبيرا . وقد وافقت مديرية الآثار العامة على إجراء سبور فيه للتأكد من وجود مخلفات أثرية فيه تقابل عهود سبيرا الرومانية والهلنستية ، وعصر الحديد ، والبرونز الحديث . وكان أن عملنا خلال شهر ربيع سنة ١٩٥٦ ، وأجرينا ثلاثة أسبار قررنا أن نوقف كلاً منها متى مابلغنا طبقة البرونز الحديث من

تعاقب الطبقات الاثرية . وأجري السبر الأول في شمال التل ، والثاني في شماله الشرقي ، والثالث في شماله الغربي .

أما السبر الشمالي الشرقي فقد شق في بقعة طولها عشرة أمتار وعرضها خمسة أمتار . وقد ظهرت رأساً معنا الطبقة المملوكية مع تخصص به من كسر فخارية متنوعة ، ثم طبقة عصر الحديد بأوان فخارية ورأس تمثال فخاري صغير . وظللنا نثر على المخلفات المملوكية حتى عمق (٢٥٠ م) من السطح . وبلغنا بعد ذلك منطقة ليس فيها شيئاً إلا كسر فخارية مبعثرة . وعلى عمق (٣٩٠ م) بلغنا طبقة البرونز الحديث . والتقطنا منها كسراً فخارية مزينة بزخارف خطية حمراء وسوداء ، وعدداً من القطع الأخرى التي كانت لطاسات فخارية قبرصية ذات زخارف سلمية حمراء على أساس أزرق ، وقطعاً أخرى ذات مناطق حمراء أو بورتقالية أو سوداء . وقد أوقفنا الحفر على عمق (٢٠٠ م) .

وحفرنا السبر الثاني الشمالي في بقعة طولها عشرة أمتار وعرضها ستة أمتار . فصادفنا في بادئ الأمر الطبقة المملوكية ، والتقطنا منها قطعاً فخارية متنوعة ، ثم طبقة من القرنين السادس والسابع قبل الميلاد تحتها ، فيها كسر فخارية من النوع القبرصي - الفينيقي . ولاحظنا أن أسفل هذه الطبقة قد بعثر كثيراً . وبلغنا بعد ذلك طبقة البرونز الحديث ، ووجدنا فيها فخاراً يشبه ما وجدناه في نفس الطبقة خلال السبر السابق . ثم وجدنا قصعة ذات قعر مستدير ، وكنف مدبب محزز ، وشفة مفتوحة ، وإفناءً ذا عنق عريض مفتوح وجدران رقيقة ومهوهة بالمينا ، وطاسات قبرصية ، وآنية ذات زخارف ملونة بيضاء . وتحت هذه الطبقة وجدنا طبقة البرونز المتوسط ، وفيها أوان وكسرات مزينة بخطوط حلزونية محفورة أو محفورة من الخارج ومهوهة بالمينا من الداخل . وهذه الخصائص تميز فخار زمن الانتقال بين البرونز الحديث والبرونز المتوسط ، وطاسات مدببة محززة مهوهة ، وكسر ذات خطوط دائرية محفورة وغير ذلك .

وكان السبر الثالث في سطح طولها عشرة أمتار وعرضها خمسة أمتار . وقد أظهر لنا مباشرة بعد عمق أربعين سنتيمتراً جداراً من الآجر المحروق من الطوب الأحمر الغامق ،

ورأينا في هذا الجدار نحو ستة مداميك ، على أرض تقع على عمق (٢٢٠م) وفيها فخار من العهد الهلنستي ومن العهد الفارسي . وبعد ذلك شاهدنا قطعاً فخارية تميز عصر الحديد الأول والثاني ، ثم قطعاً أخرى من عهد البرونز الأخير ، وأخرى من عهد البرونز المتوسط . فأوقفنا عندئذ الحفر . ثم عاودنا العمل في القسم الشمالي . فالتقطنا كمية كبرى من نفس كسر الفخار وعدداً من الآنية . اثنان منها كرويان بقمرين ضيقين ، ورقبتين مستقيمتين ، وواحد عدي الشكل بعروبتين ، وصحنان كبيران مستويان جداً ، وأجزاء إناء كبير جميل له ساق مرتفعة ، وبطن ضخم محرز ومزين بزخارف مستطيلة . وجمعت قطع وكسر أخرى يجري تصليحها حالياً في العمل الفني من متحف دمشق ، كي تتضح أشكالها ، وتتوفر لنا بنتيجة ذلك مجموعة فخارية هامة من عصر البرونز الحديث . كما عثرنا على جدران وزوايا جدران أخرى مبنية بأحجار منحوتة . وكذلك شاهدنا إلى القرب من هذا السبر الأخير جزءاً من جدار آخر نظنه سور المدينة القديم . وتأكد لنا هذا الظن عندما شاهدنا ثلاثة مداميك من جدار آخر مميك يقع عند بدء المنحدر الجنوبي من التل ، ويعود عهد هذا القسم من السور إلى العهد الروماني .

تلك هي نتائج أسبارنا الثلاثة في تل الكزل . وإذا أردنا أن نفسر ما توفر لدينا من معلومات أثرية حسب تسلسلها التاريخي ، لأمكننا أن نقول إنه لم يكن في العهد الروماني ولا في العهود التي أتت بعده ، أية منشآت هامة على التل ، وإن السور الذي شاهدناه كان جزءاً من محطة عسكرية رومانية للمراقبة . وهذا يذكرنا بما تحدث المؤرخ بطليوس عن سبيرا قائلاً : إنها حصن (سبيرا Simyra castellum) . وتأكد أن المدينة كانت مزدهرة في العصرين الهلنستي والفارسي . لأن الطبقتين اللتين تقابلان هذين العصرين مميكتان ومزدحمتان . والظاهر أن العصر الروماني قضى على سبيرا كما قضى على كثير من المرافق الموزعة على الشاطئ الفينيقي كأرواد ، وكارثة وانهدار ، ومارتوس ، وأزال البلديات الصغيرة لمصلحة المدن الكبيرة .

وكذلك فإن مخلفات العهد الآشوري ملاحظة في تل الكزل شأن مخلفات عصر الحديد . مما يدل على أن سبيرا كان لها بعض الأهمية خلال العهد المذكور ، أما الطبقة المقابلة لعهد البرونز الحديث ، فهي عميقة جداً ، ويبلغ سمكها في السبر الأول (٢٩٠م) ، و (٣٥٠م) في

السبر الثاني ، و (٣٩٠ م) في السبر الثالث . ووجد في هذه الطبقة قطع فخارية لأوان صنعت باتقان ، وجدران مبنية بناءً جيداً من الحجر والآجر . مما يجعل المرء يعتقد أن هذه الجدران كانت لمنشآت خاصة وعامة . والخلاصة إن كل ما تقدم ينسجم تماماً مع ما نعرفه عن تاريخ سبيرا ، ويجعلنا نعتقد أن تل الكزل يحوي أنقاض وأطلال هذه المدينة التي يبحث عنها علماء الآثار منذ مدة طويلة .



تنقيبات أثرية لمؤسسة (فون اوبنهايم) في شمالى بلاد الرافدين

(سنة ١٩٥٦)

بقلم : انطون مورقعات

مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

كل تقرير عن نتائج حفريات مؤسسة (فون اوبنهايم) في منطقة الحابور يجب أن يستهل بتقديم آيات الشكر الى جميع اولئك في ألمانيا وسوريا الذين لم يكن من الممكن اجراء الحفريات دون مساعدتهم .

فانه في سوريا يرجع الفضل الى مدير الآثار العام الدكتور سليم عبد الحق في تذليل العقبات الناجمة عن وقوع مكان الحفريات في منطقة عسكرية .

وقد لقينا مساعدة كبيرة لدى مدير متحف حلب الأستاذ فيصل الصيرفي الذي انتدب معاونه السيد صبحي الصواف لمرافقتنا كممثل لمصلحة الآثار . وخلال أعمالنا كان السيد الصواف يسرع دوماً ، مهما كانت الظروف صعبة ، الى نجدة .

كذلك نشكر جميع السلطات في منطقة الحابور التي استقبلتنا بحفاوة بالغة . كما أننا كنا ، بعد أسفارنا الشاقة في الصحراء ، نجد مأوى كريماً في بيت السيد يعقوب التجار والسيدة عقيلته . كان هدفنا الأساسي في هذه السنة أن نقوم بأعمال السبر على التلال الصغيرة والكبيرة في

منطقة الحابور التي يبلغ عددها حوالي (٥٠٠) لتكتشف بينها واحداً يصلح ، بوجه خاص ، لاغناء المصادر عن تاريخ الشعب الحوري في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد . وأثناء المفاوضات التي قمنا بها لهذه الغاية مع مصلحة الآثار في دمشق تبين لنا أن الحصول على امتياز عام يشمل مثلث الحابور كله لا يكفي وحده لاعطائنا الحق في مباشرة الحفريات بالحال على أي تل نريده . ولعل السبب في ذلك يرجع الى حراجه الظروف السياسية في هذه السنة . وهكذا اضطررنا أثناء اقامتنا في دمشق الى تسمية مكانين معينين لنقوم فيها بالتنقيب السطحي . وفي الوقت نفسه كانت حربتنا في التنقل ضمن المنطقة العسكرية بالحابور منحصرة في بادئ الأمر على رأس العين وضواحيها . ولم يسمح لنا الا بعد عدة أسابيع بالانتقال الى الجهات الشرقية من الحابور وإجراء الحفريات مدة شهر واحد على كل من (تل ايلون) عند الدرباسية و (تل قبر الكبير) . ثم أصيب مشروعنا بضرر كبير عندما نشبت الحرب واضطررنا تلبية لتوصية المحافظ الى وقف الحفريات في أول تشرين الثاني ومغادرة البلاد بسرعة . فقد خسرنا بذلك ثلاثة أسابيع للعمل ثمينة إذ من المعروف أن الجزء الأخير من الحفريات هو الذي يؤدي في المعتاد الى أهم النتائج . ولكن رغم كل العراقيل والصعوبات استطعنا في أعمالنا هذه السنة أن نتوصل الى أمرين هامين : فمن جهة أمكننا اصدار حكم ختامي على نشأة وتطور (تل الفخيرية) الذي سققنا فيه عدة مقاطع في السنة الماضية ومن جهة ثانية القينا نظرة على (تل ايلون) وعرفنا بعض الشيء عن أهميته ومقامه التاريخي . وهذا التل يعتبر بعد (تل براق) عند الجرجار أضخم التلال في منطقة الحابور . وقد سبق (مالوان) حوالي سنة ١٩٣٠ الى التنقيب فيه وعلق عليه آمالاً كبيرة . عدا ذلك استطعنا القيام برحلتين استكشافيتين نحو الغرب الى (تل أبيض) ونحو الشرق الى (تل براق) ، مما ساعدنا كثيراً على توسيع معلوماتنا عن التلال .

كان قصدنا منذ بادئ الأمر أن نعيد نصب مخيما على (تل الفخيرية) لنقوم بشق مقطع اضافي ولنحصل على نقطة ارتكاز نستند اليها أثناء تنقيباتنا التالية في منطقة الحابور . ولكن بسبب اتساع زراعة القطن على التل في هذه السنة لم نجد سوى مكان ضيق جداً . وهنا الى الجنوب مباشرة من حفرة السبر الاميركية رقم (IA) I حفرتنا مقطعاً بعرض (١٥) متراً في الاتجاه الشرقي - الغربي ويبلغ طوله (١٠) أمتار في الاتجاه الشمالي - الجنوبي . وقد أردنا أن تكون هذه الحفرة التي أسميناها (المقطع الشرقي) مقابلة للمقطع الذي حفرتاه في السنة الماضية عند الضريح . وكنا نرمي من وراء ذلك الى معرفة مدى امتداد مكان السكن الحوري - المبتاني على (تل الفخيرية) .

إن انحدار التل هنا ، في الجهة الشرقية ، أقل شدة مما هو في الجهة الغربية . ولا يزيد ارتفاع أعلى نقطة على ٢,٧٥ متر فوق نقطة الصفر في حين أن هذا الارتفاع عند الضريح يبلغ (٧) أمتار . وهكذا فإن طبقة الركام هنا كانت تنقص أكثر من (٤) أمتار عما هي عليه هناك . ورغم ذلك فقد كان علينا أن نحفر في الأرض عدة أمتار قبل بلوغ الطبقة الحورية - الميتانية التي لم تبرز إلا في عمق ٥ الى ٦ أمتار تحت نقطة الصفر أي في عمق حوالي (٩) أمتار تحت سطح التل . (انظر الصورة رقم ١)

إن الطبقات المتأخرة ، أي الهلنستية - الرومانية والبيزنطية قد لحقها هنا كثير من التخریب بسبب ما حدث من تجديد للأبنية ووضع للأسس وردم للركام ، كما سيتبين ذلك بوضوح عند نشر النتائج النهائية مع رسوم المقاطع . أما العهد الاسلامي فيكاد أن لا يكون له أثر بالمرة . لقد عرفنا الطبقات البيزنطية من البقايا الكثيرة عن الابنية المصنوعة من الحجارة الكلسية المربعة . وهناك حفر للركام تبلغ عمق مترين تحتوي على قطع من الخزف ترجع الى العهد الهلنستي - الروماني .

وترتفع طبقات السكن الهلنستية - الرومانية تدريجياً من الغرب الى الشرق بحيث نجد في الجهة الشرقية الطبقة الآشورية المتأخرة على ارتفاع حوالي المترين . ونستطيع أن نتبين مقدار تداخل الطبقات في هذه الناحية بالرجوع الى اثنين من أحسن اللقى الصغيرة هنا وهما : قنديل جميل وقالب للصب من الحجر .

إن القنديل قطعة جيدة من البرونز في شكل البجع برأس يمتد الى الوراء ويبلغ طوله حوالي (١٥) سانتيمتراً ، عثر عليه في القسم الجنوبي - الغربي من المقطع على ارتفاع يقارب نصف المتر تحت نقطة الصفر أي بين الطبقات المتأخرة من العهد الآشوري . (انظر الصورة رقم ٢) .

أما القطعة الثانية فقد عثر عليها بالقرب من القنديل ولكن على ارتفاع أكثر من متر أي في طبقات أقرب عهداً ، وهي عبارة عن قالب للصب لأجل مادة معدنية في صورة أسد قابع يمسك بفزال بين مخليه . ولا يمكن الحكم فيما إذا كان القسم الخلفي من القالب قد انكسر أم أنه استخدم لصنع شيء آخر . وحسب الأسلوب فإن هذا الأسد لا يتفق مع العهد الروماني أو العهود التالية ، إنما ، على العكس ، يذكرنا الموضوع وتفاصيل التمثيل بالحيوات الاسطوانية المعروفة باسم (منحوتات كركوك) التي كانت في منتصف الألف الثاني

منتشرة في آسيا الصغرى كلها من غربي ايران الى فلسطين والتي كانت دوماً تربط بالشعب الحوري - الميتاني . والصراع بين الأسد وذوات الاربع الوديعه ليس سوى جزء من موضوع تصويري مركب شائع في فنون آسيا الصغرى منذ العهد السومري المتقدم . وكل الدلائل تشير الى التشابه بين هذا القالب و (منحوتات كركوك) مما يدفعنا الى القول بالتقارب في الزمن والأصل . وحينئذ لا يمكن تعليل وجود القالب في الطبقات المرتفعة الا بالمصادفة .

إن الأسس الحجرية للجدران من الطوب التي كشفنا عنها في ارتفاع يتراوح بين ١,٣٠ - ٢,٥٠ متراً كانت ناقصة ومحدودة ولذلك تعذر علينا تصور الأبنية التي كانت تقوم عليها .

والمحل الوحيد الذي تأكدنا من وجود بناء فيه يقع في الزاوية الغربية من حفرة التنقيب . فإن هناك بقايا لثلاثة من جدران البناء لا تزال عليها آثار الطلاء بالجلص الأبيض . ويبدو أن هذا البناء يرجع الى العهد الآشوري المتأخر .

بسبب حرصنا على إنهاء التنقيب على (تل الفخيرية) قبل انقضاء الاسابيع الثلاثة المقررة اضطررنا الى الاقتصار على الحفر العميق في بقعة محدودة بلغنا فيها الى عمق ٦,٨٠ أمتار تحت نقطة الصفر . وبينما عثرنا في مستوى - ٣ و - ٤ أمتار على قطع من النوع الآشوري الحديث وكشفنا في عمق - ٣,٧٠ أمتار على مدفن اطفال من العهد الآشوري الحديث اذا بنا نعاثر اعتباراً من عمق - ٤,٧٥ أمتار على خزف من النوع الخاص بالعهد الميتاني وهو الخزف الذي يزين بلون فاتح فوق خطوط عريضة غامقة ، والى جانب ذلك القواعد المدورة المميزة للكؤوس الآشورية المتوسطة - الميتانية .

وفي عمق أكبر أي تحت - ٦ أمتار عثرنا ضمن بقايا أبنية من الطوب على ثلاث (خواوي) كبيرة من الطين يبلغ ارتفاعها وسطياً (٧٠) سانتيمتراً وهي قائمة ومصفوفة جنباً الى جنب (انظر الصورة رقم ٤) وكانت (الخواوي) لا تزال سليمة عند الكشف عنها رغم أنها لم تقتليء بالركام ، الا أن احداها قد انكسرت أثناء النقل رغم كل الحذر . وهذه الخواوي متقنة الصنع ومزينة بخط عند العنق وغازج حبال بارزة على الكتف . وكانت واحدة منها مستورة بغطاء . وتدل الظواهر على أن هذه الأواني ظلت في أمكنتها الأصلية المنخفضة عن الأرض والخاصة بها أي في مخزن للوثنة . أما فيما يتعلق بتاريخها فلا سبيل الى الشك إذ وجدت الى جانبها قطع عديدة من مصنوعات (نوزي) التي ترجع الى القرنين ١٥ - ١٤ قبل الميلاد أي الى العهد الميتاني .

إن ما عثرنا عليه هنا يمكن توضيحه بمقارنته مع جزء من مجموعة أبنية ترجع بالتأكيد إلى العهد الميتاني في زمن الملك (شوشاتار) ، استناداً إلى النقوش الكتابية . فإنه بالقرب مباشرة من قصر مدينة (نوزي) الميتانية الواقعة إلى الشرق من الدجلة وجد بيت قائم على أسس خاصة يميل الباحثون إلى اعتباره معبداً أو داراً للكهنة . وقد كانت في إحدى غرفه ست (خواحي) من النوع والحجم ذاته مصفوفة أمام الجدار كالتى عثرنا عليها في (الضخيرة) وهكذا نذهب بعيداً إذا اعتقدنا بأن (الخواحي) الثلاث كانت قائمة في مكان يماثل المكان في (نوزي) وبالتالي إذا استنتجنا وجود بناء قصر هنا من العهد الميتاني كما هو الأمر في (نوزي) . فهذه الأواني تبرهن إذن على أن مكان السكنى في (الضخيرة) بالعهد الميتاني كان يمتد حتى الطرف الشرقي من التل كما تدلنا على أن المكان كان في ذلك العهد يشتمل على أبنية هامة . ولكن من المؤسف أننا لن نستطيع الكشف عن هذه الأبنية بسبب الظروف الصعبة .

قبل الانتقال إلى القسم الشرقي من منطقة الخابور قمنا في أواخر أيلول ١٩٥٦ برحلة استكشافية في الاتجاه الغربي ، داخل المنطقة بين بليخ والخابور ، إلى (تل خوية) . وهذا المكان الواقع على بعد حوالي (٦٠) كيلومتراً إلى الغرب من رأس العين له أهمية خاصة . وذلك ليس فقط لأن الحكومة السورية قامت ، قبل ثلاث سنوات ، بإجراء حفريات قصيرة فيه بإدارة (لوفري) على اعتقاد أنه يتضمن مدينة (واسوقاني) ، عاصمة الميتانيين ؛ بل إنه مهم قبل كل شيء لأن أطلاله من النوع الخاص الذي اكتشفه المهندس الهوللاندي (فان ليرو) بالاستناد إلى التصوير الجوي . وهذا النوع عبارة عن مدن تتألف من طابقين أي مدينة داخلية محصنة بسور وحولها مدينة تابعة يحيط بها سور آخر . وقد تبين من الصور الجوية أن الأمكنة من هذا النوع توجد قبل كل شيء إلى الغرب من الخابور وفي منطقة جبل عبد العزيز وسنجان ، في حين أننا لا نجد لها أثراً في مثلث الخابور نفسه . ومن صفات هذه الأمكنة التي يعتبر (تل الخوية) أكثرها ضخامة ، أنه كانت تستخدم في بناء أسوارها وأبوابها قطع كبيرة من الحجارة المطروقة . وهناك خارج سور مدينة (الخوية) عدد من المسلات أو أعمدة النصر التي لم يكتشف عليها حتى الآن آثار للكتابة أو الصور . وربما كان في الامكان مقارنتها بالمسلات التي عثر عليها (فون اوبنهايم) في (جيلة البيضاء) ، كما أنها من جهة ثانية تذكرنا بمسلات الملوك والموظفين في آشور . على

أن المسلات الآشورية متأخرة في الزمن ولذلك يصعب استخدامها للمقارنة ، لأن اللقى الصغيرة ولا سيما مصنوعات الخزف ، التي لم تنتشر بعد ، تشير الى أن (تل خويرة) يرجع الى الألف الثالث . وهناك مصنوعات من نوع خاص ذات لون أسود - رمادي وقاسية ، وفاتة تدل على أنها من العهد الآكادي . وسوف نصادف هذا النوع في (تل ايلون) .
(انظر الصورة رقم ٩) .

وعلى كل حال فمن الصعب أن لا نربط بين مجموعة التلال من نوع (تل خويرة) وبين شعب معين وسلطة سياسية محكمة التنظيم . الا اننا لا نستطيع منذ اليوم أن نجزم فيما اذا كانت الآثار تعود الى سكان البلاد الحوريين أم الى الآكاديين الفاتحين .
ومهما كان الأمر فإن الاطلال من نوع (تل خويرة) تختلف في الأساس عن (تل براق) أعظم التلال في مثلث الخابور ، الذي قمنا بزيارته والذي لا نجد فيه السور المزدوج أو طريقة البناء بالحجارة . وقد أقام الملك الآكادي الكبير (نارام سين) قصراً واسعاً على التل وبذلك جعله قاعدة قوية للسياسة الآكادية كما تبين من حفريات (مالوان) خلال سنوات عديدة . وقبل العهد الآكادي أيضاً كان (تل براق) خاضعاً لتأثير حضارة القسم الجنوبي من بلاد الرافدين . وليس من السهل تمييز الملامح المحلية في حضارة هذا المكان وإن كان السكان قد أصبحوا اذ ذاك من الحوريين .

بعد انتهاء أعمالنا على (تل الفخيرية) يوم (٩) تشرين الأول سنة ١٩٥٦ انتقلنا الى (تل ايلون) عند (الدرباسية) الواقع على بعد (٦٠) كيلو متراً تقريباً الى الشرق . وقد انضم الينا هناك ، قادماً من (بوغازكوي) ، الاستاذ (هاينريخ اوتن) ، الذي اشترك في أعمال التنقيب .

يحتل أن يتضمن (تل ايلون) مدينة كانت في القديم تلعب دور (الدرباسية) في الوقت الحاضر أي تؤلف مركزاً لمنطقة زراعية غنية . على أن المنطقة ليس فيها أنهار أو ينابيع وإنما تعتمد على مياه الأمطار والآبار .

الى الجنوب من التل تشاهد مدينة (الدرباسية) ببيوتها النظيفة وعنابر الجبوب الضخمة والكنائس المسيحية . ان أكثرية السكان من الأكراد . وقد ازدادت العناصر المسيحية بسبب تعاقب هجرة اللاجئين من تركيا .

يتألف (تل ايلون) من هضبة أطلال عريضة يرتفع ظهرها حوالي ٣٥ متراً فوق السهل

(انظر الصورة ٦) وهناك وديان عميقة تسيل فيها الأمطار قد أحدثت شقوقاً في التل ، احدها من الجهة الشمالية وعدة أخر من الجهة الجنوبية . وعلى الظهر الشمالي مقبرة اسلامية واسعة يمكن أن تنشأ عنها مصاعب كبيرة دون القيام بحفريات شاملة في المستقبل . وفي أعلى بقعة من التل توجد نقطة للقياس تقع على ارتفاع (٥٠٨) أمتار فوق سطح البحر . والقسم الجنوبي - الغربي من التل الذي ينحدر منبسطة الى السهل قد زال جزء منه لأن تربته تستخدم لصنع الآجر . وقد تقدم مفوض الحفريات بالاحتجاج لدى الحكومة على استخدام المضبة سواء كمقبرة أو كمصدر للطين .

كانت حفرياتنا تستهدف شق ثلاثة مقاطع للتنقيب هي ذات الأرقام (I) و (II) و (III) تقع في الجهة الشمالية والجنوبية والجنوبية - الشرقية من المضبة وتبلغ مساحة كل منها حالياً ٤ × ١٠ أمتار . وأثناء السبر قمنا بتوسيع المقطعين رقم (I) و (III) وذلك بإضافة مقطعين آخرين هما : (I-A) و (III-A) . وفي جميع هذه الحفريات كان هدفنا أن نتوصل إلى فكرة دقيقة ، واضحة عن تعاقب الطبقات التي تراكت خلال نشأة المضبة وأن نجمع ، في كل طبقة ، من اللقى الصغيرة ما يكفي لمساعدتنا على تحديد التسلسل التاريخي للطبقات .

ولما كنا قد اضطررنا إلى التوقف عن أعمال الحفر على (تل ايلون) قبل انقضاء الوقت المحدد فإننا لم نتوصل حتى الآن إلى نقاط ارتكاز الا بالنسبة إلى النصف العلوي من المضبة في حين أننا لا نستطيع أن نقول شيئاً عن النصف السفلي من المضبة (أي في مستوى ١٥ متراً فوق سطح السهل) ، اللهم الا الافتراض بأن هذه المضبة تشتمل في ناحية ما أطلال مكان للسكن من نوع (تل حلف) أي من عصور ما قبل التاريخ حوالي الألف الرابع قبل الميلاد . فقد عثر على نماذج عديدة من الحرف الملون المنسوب إلى (تل حلف) .

أن المقاطع (I) و (I-A) و (II) تقع تقريباً في منتصف ارتفاع المضبة في حين أن المقطع (III) وامتداده (III-A) يقعان في قمة المضبة . وقد ظهرت في المقطع (I) وفي امتداده أجزاء من جدران تدل اتجاهاتها المختلفة وأوصافها الطبقة بوضوح على أنها ترجع إلى عهود بناء مختلفة (انظر الصورة ٧) . وأكبر جدار يقع في الجهة الشرقية من المقطع (I) ويبلغ ثخنه عدة أمتار وهو مصنوع من الطوب الأحمر ذي الأبعاد ٥٤,٥ × ٣٥,٥ × ٦ سانتيمتر . وتحت هذا الجدار كشف عن جدار آخر أقل ثخناً صنع من طوب حجه ٥٤ × ٣٥ × ٧ سانتيمتر . كذلك كشف في المقطع (I-A) عن عدة جدران مختلفة الارتفاع يجب أن تكون أقرب عهداً من أمثالها في المقطع (I) . على أن هذه المنشآت ترجع جميعها ، كما يبدو ، إلى مرحلة

تاريخية طويلة بين منتصف الألف الثالث والمنتصف الثاني منه ، لأنها تشتمل ، في الدرجة الأولى ، على قطع من الخزف والأواني المعروفة باسم (نينوى - ٥) . وهذه الأواني عبارة عن أقداح وصحون مصنوعة من الطين الأصفر الفاتح والأحمر ومزينة بنقوش بارزة أو محفورة من النوع الهندسي (أنظر الصورة ٨) وهناك نماذج كثيرة عن هذه المصنوعات عثر عليها في (نينوى) و (تل حميدية) عند عامودا ، وهي ترجع إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد . وهكذا فإننا بالمقطع (I) وامتداده (I-A) توصلنا في (تل ايلون) إلى آثار باقية من عهد السلالة الأولى في (أور) ومن الزمن الآكادي .

أما القطع القليلة من الخزف المعروفة بمصنوعات الحابور التي وجدت في الطبقة السطحية من هذا المقطع فلا يمكن الاعتماد عليها لتحديد زمن الطبقة ، لأنها إنما أنحدرت الى الأسفل من مكانه أعلى بتأثير السيول في الوادي .

وإلى جانب خزف (نينوى) ظهرت في المقطع (I) وامتداده (I-A) قطع كثيرة من نوع آخر ليس معروفاً الا قليلاً . (أنظر الصورة ٩) فإن الطين التي صنعت منها هذه القطع قد اتقن جبلها ثم شويت حتى أصبحت قاسية ، رنانة . أما لونها في المكسر فرمادي ضارب إلى السواد . وعلى السطح الخارجي نرى في الغالب خطوطاً سوداء وحمراء يبدو أنها قد قصد أحداثها عن طريق الحرق . وبعض الأواني قد حفر ظاهرها . وأبرز الأشكال هي الأقداح الاسطوانية والصحون الصغيرة والكبيرة . وتنصف الأواني أحياناً بكثير من الثخانة . وتدل الظواهر على أن هذا الخزف من العهد الآكادي . ولذلك نعثر عليه مع مصنوعات (نينوى - ٥) . إذا صحت هذه الافتراضات وجب أن نرجع الطبقات الواقعة في منتصف ارتفاع (تل ايلون) إلى زمن سلالة (أور) الأولى وإلى عهد الملوك الآكاديين العظام من صارغون حتى (نارام سين) . كذلك يمكن أن تقابل هذه الطبقات عهد الملكة الحورية في الألف الثالث أي بملكة (اوركيش) و (نوار) . فإن مصنوعات (نينوى - ٥) قد عثر عليها في (تل براق) أيضاً ، كما أن المصنوعات الخزفية الرمادية - السوداء ، القاسية تظهر بكثرة في (تل خويوة) ، وهو أعظم التلال إلى الغرب من (الحابور) .

أما المقطع رقم (II) الذي شق خلال يومين في السفح الجنوبي من الهضبة وعلى ارتفاع مساو للمقطع (I) وبالانتساع ذاته ، فإنه يؤيد النتائج السابقة . وقد كانت اللقى الخزفية خاصة غنية في هذا المقطع . ومنذ الكشف عن الطبقة الاولى برزت حالاً المصنوعات المعروفة بالآكادية وهي الرمادية - السوداء المشوبة . وعدا ذلك وجدت قطع كبيرة من مصنوعات

(نينوى - ٥) ، جملة النقوش . وهذا يدل على أن الطبقة التي ترجع إلى الألف الثالث تمتد على هضبة (تل ايلون) كلها ويجب أن تكون مشتملة على مكان للسكن ذي أهمية . ولمعرفة تاريخ الهضبة الأقرب عهداً قمنا بشق المقطع رقم (III) على السفح الجنوبي - الشرقي ، تحت ظهر الهضبة مباشرة وعلى مساحة ١٠×٤ أمتار . ثم أقدمنا على توسيعه نحو السفح الجنوبي حتى بلغت مساحته ١٠×٢٠ متراً . ولكننا لم نستطع ، مع الأسف ، أن نحفر المقطع (III-A) إلى عمق يزيد على ١,٥٠ متراً من أعلى نقطة على سطح الهضبة بسبب اضطرابنا إلى توقيف الحفريات قبل الأوان .

يمتاز المكان الذي يقع فيه المقطع (III) بأنه قد تراكت على سطحه كمية كبيرة من قطع الخزف من النوع المعروف باسم مصنوعات الخابور التي ترجع ، كما نعلم من أماكن حفريات كثيرة أخرى ، إلى النصف الأول من الألف الثاني والتي لا بد أن تكون لها ، على وجه من الوجوه ، علاقة بالشعب الحوري سواء في هذا العهد أو ربما في زمن سيطرة الميتانيين . وقد تبين أننا كنا على حق في افتراضنا بأن طبقة الألف الثاني موجودة هنا في أعلى مكان من الهضبة وذلك بالاستناد إلى اللقى الصغيرة في أول المقطع . فأننا لم نكد نجناز في الحفريات الطبقة السطحية الرخوة حتى أخذت تظهر كميات كبيرة من قطع الأواني الملوثة في أحجام مختلفة وأجناس شتى ، وهي بالتأكيد من النوع المعروف بمصنوعات الخابور . وعلى الرغم من أنه استخدمت في ترين هذه الأواني الخزفية النماذج المألوفة فإن بينها بعض الأمثلة الجديدة التي من شأنها إغناء تصوراتنا عن هذه المصنوعات . وهناك قطعة فريدة هي بقية تمثال لرأس امرأة في نصف الحجم الطبيعي (انظر الصورة ١٢) . إننا ينقص التمثال ، مع الأسف ، الفك السفلي . وهذا الرأس بالحدين البارزين والأنف النحيف الطويل والعينين الشبيهتين بالطيور وتاج الزينة المسطح يذكرنا بأصنام الألف الثاني التي لها صلة بالحوريين ..

ومن الضروري أن يزداد التنقيب في هذه الطبقة بتوسيع المقطع (III-A) ، إذ إن توقيف حفرياتنا المفاجيء قد حال دون ذلك . فإنه لو استطعنا إتمام الحفريات في المقطع (III) وفي امتداده (III-A) لكان من المحتمل أن نتوصل سريعاً إلى الطبقات القديمة من الألف الثالث . ذلك لأننا لم نكد نبلغ في الحفر إلى عمق يزيد على المتر قليلاً حتى برزت معالم الطبقة واضحة بظهور قطع خزف سميكه لونها أصفر - أخضر وأخرى سوداء ، مشوية من النوع الأكادي . في المدة القصيرة التي استغرقتها أعمالنا لم تسنح لنا الفرصة للبحث عن آثار السكني القديمة في جوار (تل ايلون) مباشرة . وقد عرض علينا كوز جميل ملوث من طراز مصنوعات

الخابور وذلك من قبل أحد سكان (الدرباسية) الذي زعم أنه قام بالحفريات في الهضبة لاستخراج حجارة للبناء . ويدعي الرجل أن هذا الكوز الذي له أشباهه في تل (خاكار بازار) لم يعثر عليه في الهضبة وإنما في مكان بالسهل إلى الشرق من الهضبة ، حيث توجد قبور أيضاً . وباختصار نستطيع أن نقول ما يلي :

(تل ايلون) هو إحدى هضبات الاطلال المتوسطة الحجم في منطقة مثلث الخابور . فهو أصغر من (تل براق) ولكنه أضخم من معظم التلال الأخرى في هذه المنطقة . إن القسم الأسفل من التل ، وهو الأكثر اتساعاً ، يشتمل على آثار ترجع إلى النصف الأول من الألف الثالث وإلى أدوار أقدم من ذلك . وتدل جميع الظواهر على أن الطبقات المتوسطة ترجع إلى منتصف الألف الثالث والنصف الثاني منه . ومن المحتمل جداً أن تؤدي نتائج التنقيب هنا إلى الكشف عن تاريخ الشعب الحوري خلال هذه المرحلة . أما الطبقات الخاصة بالعهود المتأخرة فإنها تقع في القسم الأعلى من التل ، وهو الأقل اتساعاً . ولم تكشف الحفريات عن آثار مبنية مثل مصنوعات (نوزي) الأصلية .

وللقيام بحفريات على مقياس واسع لابد من إزالة المقبرة على قمة التل ... في اليوم الاول من تشرين الثاني ١٩٥٦ أبلغني مدير الدرباسية نصيحة محافظ الحسكة بتوقيف أعمالنا بسبب اعلان حالة الطوارئ في البلاد . وبعد ثلاثة أيام غادرنا الخيم ونقلنا اللقى إلى متحف حلب برفقة مفوض الحفريات السيد صبحي الصواف ...

فهریب و تلخیصی طامل عباد

ملاحظة

حول الكتابة التذكارية المكتشفة في نوى

نمريب وثلنجيس هشام الصفري

بقلم الأدب رنية مورد

كانت هذه الكتابة منقوشة على قبر لاحدى العائلات . وفي الحقيقة فان الاهداء « إلى الأجداد » الذي نقرأه بعد قائمة بأسماء الموتي ، لا يدع لنا مجالاً للشك في هذا الأمر . كما أنه يشير الى أن النص غير تام من الجانبين الأيسر والأيمن ، بالنظر الى المكان الذي يشغله في المحور الأوسط للنص .

نجد أن السطر الأول في مطلع النص يتضمن بلا وبب عنواناً ، يعلن شجرة النسب لهذه العائلة . وقد نقش الى الأسفل منه اسم رئيس العائلة بحروف كبيرة جداً ، يتلوها سلسلة أحفاده . ثم الاهداء الآتف الذكر . وأخيراً تاريخ وفقاً لتاريخ مدينة طفس .

« الجد (؟) . . . فيليبوس ، ابن د عاش ٧٣ عاماً . تيبريوس كلوديوس من عشيرة كيورنا الرومانية وخاض الحرب الى جانب ضد (؟) « الفارين » (؟) وأصبح وكيلاً للملك ، عاش ٥٣ سنة . جوليوس (بالتبني) (؟) ، بالولادة (؟) تيبريوس كلوديوس فيليبوس ، ابن (؟) (السابق) (؟) ول برنيس ، عاش من السنين له من العمر ٤ سنة ، غايوس جوليوس ايليانوس إلى الأجداد ، العام وفقاً لتاريخ المدينة » .

ويجدر القول أن إعادة تركيب هذا النص وترجمته التي أوردناها آنفاً هي من قبيل التخمين في أجزاء منها وتترك أماننا كثيراً من الأمور غير المحققة . إلا أنه يوجد أمران بارزان ينجليان في تاريخ هذه الاسرة .

أولاً : الدور الذي لعبه أحد الأشخاص ، في الجبل الثاني ، الذي حصل على حقوق المواطن الروماني . وكان الأسم واللقب الروماني الذين اكتسبها هما تيرتوس كلوديوس وهما - لقب الامبراطور الذي منحه هذا الاسم ، ونعرف ان حكم الامبراطور كلود (كان بين ٤١ - ٥٤ ب . م ، أو نيرون بين ٥٣ - ٦٨ ب . م) . في حين ظل الروماني الجديد خاضعاً ومواطناً لإحدى الممالك الصغيرة التي نشأت عن تجزئة مملكة هيروود الأول . والواقع اننا نصادف منذ عام ٤٧ ق . م مثل هذا الجمع بين حقوق المواطن الروماني والوظائف المحلية لدى « الوكيل القوي جداً » انتيباتر وكيل هيركان الثاني ، ووالد هيروود .

أما الأمر الثاني : فهو دخول مواطن روماني آخر الى الاسرة ، في العهد التالي ، اسمه جيوليوس الذي يلوح أنه اكتسب هذا الاسم عن طريق التبني . اذ أنه ولد باسم تيرتوس كلوديوس فيليبوس ، وهو ابن لتيرتوس كلوديوس الأول وامرأة نييلة اسمها برنيس . التي ينطوي اسمها على نوع من صلة الرحم أو الولاء باحدى ثلاث فتيات اسمهن برنيس ، هن « حفيدات هيروود . وجوليوس هذا هو بلاريب والد غايوس جوليوس ايليانوس صاحب الاهداء (الذي يحتمل أن يكون الشخص الحي البالغ ٤٢ سنة من العمر ، والذي يرد ذكره في السطر التاسع من النص) . كذلك لربما عاش صاحب الاهداء حوالي ثلاثين سنة بعد وفاة تيرتوس كلوديوس الاول (الذي سمي مواطناً رومانياً بين فترة ٤١ و ٦٧ بعد الميلاد وتوفي عن عمر يناهز ٥٣ عاماً) . وهذا يعني بأن شجرة النسب المكتشفة في نوى قد نقشت خلال الربع الأخير من القرن الأول لميلاد المسيح .

وتتفق هيئة الحروف في النص مع تقديرنا هذا ، وهي على ما يظهر تنفي تحديد تاريخ أدنى من التاريخ الذي قدرناه . ولا تسمع لنا الثغرات الفادحة التي توجد في النص أن نستخلص منه معلومات أخرى مؤكدة .

كذلك يضيع منا اسم الملك الذي خدمه تيرتوس كلوديوس الأول (الوارد في السطر الخامس) اذ أن حوران ومنطقة البشة المتاخمة لـ Neué (الاسم القديم لنوى) وللمدينة طفس الاغريقية ، كانت قد تداولتها الأيدي مراراً . زد على ذلك أننا لانعرف ابداً الى جانب أي زعيم (روماني بلا شك) قد خاض تيرتوس كلوديوس الحرب . الا اذا توقعنا من عبارة « الفارين » (؟) الواردة في السطر الخامس ، أنهم أبناء انطيوخوس الرابع ملك كوماجين ، الذين حاربوا في سنة ٧٢ ضد كازيميون بانتوس ، والتجأوا الى الملك الفرثي فولجيز .

خلاصة

عن نتائج موسم الحفريات التاسع عشر في رأس الشمر

بفلم الدكتور كلود شيفر تمريب وتقيص هشام الصغري

مركز تحقيقات كميوتور علوم إرسدي

جرت حفريات بعثة رأس شمر للموسم التاسع عشر بين تشرين الأول وكانون الأول من عام ١٩٥٥ ، وكانت مكرسة للكشف عن الجناح الجنوبي من القصر الملكي والمنطقة المجاورة له . وقد أدت الى اكتشاف بناء رسمي جديد نشير له حالياً باسم القصر الصغير .
إكتشاف مركز المحفوظات الجنوبي - القوي :

كان إكتشاف فرن لشوي اللوحات الفخارية في القناء الخامس عام ١٩٥٤ ، دافعا لنا للبحث عن أمانة السر حيث كان يستقر الكتاب الذين حرروا مايقارب المئة وثيقة ، التي عثرنا عليها في مكانها بين رماد الدفعة الأخيرة من إنتاج هذا القرن . هذه اللوحات لا علاقة لها بالمحفوظات الجنوبية المجاورة التي كانت نصوص وثائقها مدونة بالسمارية البابلية ، ومصادرة عن ديوان الملوك الحثيين في قصر بوزازكوي . إذ كانت لوحات الوجبة الأخيرة من فرننا ، على العكس ، مدونة جميعها بالآرامية السامرية ، بيد كتاب القصر في اوغاريت . ولقد تمكنا من التعرف على أمكنة عملهم في البناية التي تمأذي القناء الخامس . والتي حطت جدران الطابق

الأول منها القرن أثناء إنهارها . وأطلقنا على هذه الأمكنة إسم المحفوظات الجنوبية الغربية أما اللوحات فوجدناها متشققة منتفخة ، أو متكلسة تماماً بتأثير جمر الحريق الذي شب في القصر ، واستخرجناها من طبقة الرماد الكثيفة محطمة إلى كسر . مما جعل قراءتها صعبة إن لم تكن مستحيلة . كذلك كنا نلاحظ في التراب وجود جيوب من مسحوق ناعم ، نتجت عن لوحات لم تسنوف الشوي ، أو لم تشو بعد ، فنداعت وتحلت تماماً . ولكم كان هذا قابساً على المنقب الذي أمضى الأسابيع تحت حرارة الشمس والغبار ، منعنياً فوق ركام من الرماد فلا تعثر أبصاره ضمنه الا على معالم وبقايا لوحات خسرها العلم نهائياً . إلا أنه لحسن الحظ لم تكن غالبية لوحات هذه المحفوظات على تلك الحالة المفقطة . بل استطاع السيد رثيف الحافظ ، رئيس المعمل الفني في مديرية الآثار العامة ، أن يقوي بمهارته بعض اللوحات البالغة الضرر . وبذلك تم لنا انقاذ ما يقارب المئة لوحة أو كسرة كبيرة .

إذا قارنا لوحات المحفوظات الجنوبية ، مع تلك التي عثرنا عليها في المحفوظات الجنوبية الغربية لوجدنا ان هنالك لوحة واحدة مدونة بالابجدية السامرية من أصل مئة وأربعة وعشرين لوحة عثر عليها في المحفوظات الجنوبية . يقابلها في المحفوظات الأخيرة اثني عشر وثيقة دونت بالابجدية بالاوغاريتية . تجاه اثنين وخمسين وثيقة بالسامرية البابلية . يضاف الى ذلك احدى وعشرون لوحة باللغة الحورية . وهو أكبر تجمع للوحات هذه اللغة ، المستعصية على الحل ، عثرنا عليه الى اليوم في سجلات القصر .

ويجدر بنا ان نفرق بين محتويات المحفوظات الجنوبية التي لم تصنف فيها الا نصوص ووثائق المعاهدات والاتفاقات المعقودة بين مملكة اوغاريت وجيرانها في الشمال . وبين المحفوظات الجنوبية الغربية ، التي كانت تهتم بالشؤون الداخلية لأوغاريت . لقد لاحظنا أن اللوحات المستخرجة من القرن كانت مدونة بيد كتاب المحفوظات الجنوبية الغربية . وهذا يدلنا على أن وظيفة كتاب المحفوظات الجنوبية الغربية اقتصر على تصنيف الوثائق الواردة من البلاد الخشية . ويلوح لنا انهم لم يمارسوا أي نشاط كتابي .

تتألف وثائق المحفوظات الجنوبية الغربية من رسائل وقوائم بأسماء المدن والممتلكات ، وسجلات ، ونصوص دينية . بالإضافة الى ثبتيين لهدايا من الملك « الشمس » وصك ملكي ، ولوحتين

المعروف المجائية . تؤلف احدهما جدولاً اجمالياً للكتابات الأوغاريقية - والأكدية . تدل على إلمام كاتبها باللغتين . اذ وضع الحروف الابجدية متسلسلة في اربعة اعمدة ، مع مايعادها صوتياً من اشارات اللغة البابلية . هذه الوثيقة رغم ما تشوه من مفرداتها بتأثير الحريق لا تزال تنغي الى حد كبير معرفتنا للألفاظ الأوغاريقية . وترينا كيف تغلب كتاب اوغاريت على صعوبة الانتقال من لغة لها مئات العلامات ، الى كتابة ابجدية لا تشمل اكثر من ثلاثين حرفاً .

عثرنا بين كسر اللوحات الملتقطة على رسالة من الملك بنتسينا ترجمتها كما يلي : « آخرت على اقدام سيدي . بما أن الملك سيدي يستقصي اخباري ، فاني سيدي بحالة حسنة » . ورغم فقدان الألقاب في افتتاحيتها فمن المحتمل ان يكون بنتسينا هذا ملك آمورو . الذي تزوجت احدى بناته من أميستامرو الثاني ملك اوغاريت زواجاً سياسياً مهر الصداقة بين البلدين ، في وقت كانت الميول فيه نحو مصر تجدد صدى لها في عواطف ملوك اوغاريت . الأمر الذي ارتاب الملك الحثي تودهااليا الرابع من تطوراته فأجبر ملك اوغاريت على طلاق الأميرة العمورية . مدعياً بانها لم تكف عن « ايجاء السوء » الى زوجها . وذلك وفقاً لنصوص صك الطلاق التي كنا عثرنا عليها بين الوثائق الحثية في المحفوظات الجنوبية . كذلك يعصب ملك الحثيين صواغته على بنتسينا فيمنه بعد أن يخلفه عن العرش ، متنبهاً اياه بمؤامرة لصالح مصر . ويحتمل ان هذه الرسالة التي عثرنا عليها في ملحق المحفوظات الجنوبية الغربية ، قد وجهها بنتسينا الى ملك اوغاريت لإبان نفيه . نظراً لفقدان لقبه عليها ، وفرط الضعة في لمجتها .

اما اللوحة التي وجدناها في الغرفة رقم ٨١ فيقول الأستاذ فيروللو انها تطرح مشكلة على بساط البحث . اذ سُجِّل فيها كثير من مشتريات الصوف ، دون ذكر لاسم البائع أو الشاري ولا كمية الصوف أو سعره . فتورد مثلاً : خمسة زراع اشتروا الصوف . . . الخ . هذه العقود الغامضة ، المدونة بعناية ، والتي ليس لها أي فائدة احصائية أو تجارية ، نفترض بأنها تمرين لأحد الكتاب .

كذلك تذكر احدى كسر اللوحات توزيعات دورية لللباس في القصر ، بأمر من الملك . كما صادفنا لأول مرة قوائم لتوزيع أدوات من البرونز : فؤوس ، مطارق ، مناجل .

وصنفين آخرين لم تعرف عليها بعد . وعلى قائمة أخرى ذكر كميات من الاقواس ، والكنانات . والمقاليع ... كانت معدة لتسليح الجيش الملكي ، أو الميليشيا المتمركزة في المقاطعات على ما يظهر . إلا أنه تبين لنا بعد أن فك الاستاذ فيرولو رموزها . أن هذه المعدات الموصوفة « بالمتانة » « kn » ربما كانت مخصصة للرعيان « nqdm » لحماية القطعان من الوحوش . كما هو الأمر اليوم في المناطق الجبلية المجاورة لرأس شمرا . وهناك نص عثر عليه بين أنقاض الطابق الأول ، ذكر لسفينة من « الزي » أي جزيرة قبرص . غادرت مرفأ « اتلج » بشير إلى خمسة عشر وزنة من معدن « سلس » يقصد منه النحاس القبرصي .

قوام ضريبة تدفع إلى الملك الحثي :

أعلتنا بعض الوثائق الدبلوماسية التي عثرنا عليها في الموسم الحادي عشرة ، أنه كان يتوجب على ملك اوغاريت تقديم هدايا الى الملوك « الشمس » الحثيين . تتألف من أوان من الذهب والفضة ، والحجارة الثمينة أو الثياب الصوفية الأرجوانية . تقتطع من الخزينة الملكية ، أو تعد بأمر من الملك . وقد عثرنا على وثيقة جديدة في الغرفة رقم ٨١ من المحفوظات الجنوبية الغربية دونت بالأبجدية المسارية . وعليها خلاصة بالبابلية أطلعنا الآن كيف يتصرف ملك اوغاريت ليؤمن الضرائب أو الهدايا المتوجبة عليه الى سادته . أو الى من يرغب في توطيد الصداقة معه من رؤساء الدول المجاورة . أو لتأمين المساعدة العسكرية في حالة الإشتباكات الدولية . لذلك كان يجبي ضريبة استثنائية على كافة مدن مملكته ، أو على جزء منها . وتعدد لوحتنا قائمة طويلة غير تامة ، من ثمانين مدينة أو قرية ، فرضت عليها الضرائب على هذا المنوال . فكانت تتراوح بين ١٣ - ١٥٠ شاقلاً . يقدر مجموعها بعشرات الكيلو غرامات من الفضة لتؤمن ماتسيه القائمة « الأرجمان » أو الضريبة المخصصة « للشمس » .

لوحات دينية أو مخصصة بالطقوس :

هناك خمسة نصوص متضررة جداً بفعل الحريق وجدنا أجزائها بين الرماد في الغرفة السابقة . ولم تسكن إلا من تفكيك مقاطع صغيرة منها . هذه اللوحات ذات حجم كبير ماعدا لوحة صغيرة ملساء منقوشة بكتابة دقيقة من جانبيها قصد منها أن تكون نصاً سهل الحل . وهي بشكلها

المحذب الصغير (٧٣ × ٥٢ × ٢٢ مم) وسماكتها الملحوظة ، غير قابلة للكسر . اشار الأستاذ فيروللو إلى أنها ليس لها شكل أو مقاييس اللوحات الشعرية أو الميثولوجية المعروفة حتى اليوم في اوغاريت . وانها وصلت إلينا من مكتبة خاصة لشخص اسمه « سابل » . مما يؤكد فرضيتنا السابقة في أن بعض الاوغاريين الاتقياء كانوا يحتفظون في بيوتهم أو في مكاتبهم بنصوص دينية بالكتابة المسارية . مثلما نحتفظ اليوم بالقرآن أو الأنجيل ، أو كتب الصلوات . وتكشف هذه اللوحة ناحية هامة أخرى . إذ تعرض لنا رواية كانت مجهولة حتى اليوم من قصيدة شعرية طويلة تحمل بكل بساطة اسم « بعل » عنواناً لها . كما تطلق على الاله بعل هنا (راكب الغيوم) . تساعد الآلهة عشتار « ستوت » عوضاً عن أخوته غنات كما جرت العادة . ويبعد النص قصة تهبها في الصحراء ، ومصادفتها لوعله . تلك القصة المفضلة في كثير من أساطير الحضارات المختلفة . إلا ان نصنا الجديد يقدم لنا أقدم هذه القصص ، أن لم تكن أولى ما عرف منها . إلى الآن .

التقطنا من بين اللوحات الدينية الكبيرة ، المبعثرة بين رماد المحفوظات الجنوبية الغربية ، نصاً مكتوباً بأسطر طولانية . يمثل جدولاً للاحتفالات الشعائرية كان يرافقها اهراق نوع من الحمر ينعت بـ « مسب » . وفي الحقيقة ، كانت قواميس اوغاريت وافرة التنى باسماء الحمر . عرف منها أكثر من اثني عشرية هي : الحمر الجيد « بن تب » ، أو الرديء « بن ي تب » ، أو الحمر المز « هلق » . أما صفة « مسب » فلعله يقصد منها خمر من نوع وسط .

صك هبة ملكي :

دون هذا الصك على لوحة وجدناها وحيدة في مركز المحفوظات الجنوبية الغربية . (١) موشحة بالحاتم الملكي . والواقع أن جميع صكوك الهبات الملكية كانت تودع في مركز المحفوظات الأوسط الذي لا يبعد عن مائة أكثر من عشرين متراً . بما حملنا على الاعتقاد أن هذا الصك

(١) ورد في النص الفرنسي : (وثيقة من مركز المحفوظات الغربية) وهذا سهو صح المؤلف لنا بتصحيحه .

قد أزيح من مكانه الأصلي إلى حيث التقطناه . لكن عثورنا عليه تحت طبقات أثرية سليمة ، تبلغ ٣١٠ م في ممالكها ، ينفي هذا الافتراض ويؤكد وجوده بين لوحات المحفوظات الجنوبية الغربية حين دمار هذا الجناح . يتصف الصك الذي دوّن ووقع من قبل الكاتب جديدو ، بأن الملك أمبستامرو يعهد بأحكام أملاك أرحي - (؟) (ابن أحلي) - إلى شخص آخر تلف موضع اسمه على اللوحة . والصك جزء من اضاربة تخص (نور - ميجانو) وأولاده ، كنا عثورنا عليها في المحفوظات الوسطى . موقعة من جديدو نفسه . ونفس وجود الصك على حدة بأن مركز المحفوظات الجنوبية الغربية كان الوحيد - بين المراكز الأخرى - في ترويده بتجهيزات لشوي اللوحات التي دونت لتوتها . لذلك كان يستعمل لشوي لوحات كافة دواوين القصر .

طبيعة مراكز المحفوظات الجنوبية الغربية :

كانت نصوصه من فئات عديدة ، لم نصادف مثل تنوعها في أيّ من محفوظات القصر الملكي . إذ تألفت من ١٤٧ وثيقة منها : ١٥ رسالة ، ١٤ قائمة نقابات أو مدن ، ٣٩ سجلاً ، ٢٩ لوحة اقتصادية ، ٢٧ نصاً دينياً ، وثيقتين سياسيتين الخ . وبالنظر لأنه زود بفون فيمكننا أن نعتبره كنوع من مكتب للنسخ ، تجتمع فيه النصوص المحررة في الإدارات المختلفة لتشوى ، ومن ثم يعاد توزيعها إلى أماكن حفظها . ولربما كان كتابه مكلفين بإرسال المراسلات إلى المقاطعات أو إلى خارج البلاد . بالإضافة إلى مهمة ترجمة الرسائل الأجنبية الواردة ، التي ترغب الإدارة الملكية في اقتناء نسخة عنها بلغة البلاد . فقد عثورنا على وثائق فريدة من نوعها ، مدونة بالأبجدية المسمارية . وهي ترجمات أو نسخ لرسائل من ملوك الحثيين ومملوك صور ، وجبيل ، ربما كانت أصولها باللغة البابلية .

مصانع ملكية في قصر اوغاريت :

نود أن نشير هنا إلى ظاهرة فريدة بدت لنا أثناء حفرياتنا في خرائب الجناحين الجنوبي ، والجنوبي الشرقي من القصر الملكي . هي عثورنا بين المكتشفات على لوحات مسمارية ، وآثار نشاط صياغي ، وسلاح لضباط أو رجال الحرس الملكي كانت مختلطة ببعضها . ونستطيع أن نوكد هنا ، بفضل النظام الدقيق الذي يتبعه مهندسو العثة في تحديد مواقع المكتشفات ، أن هذا الخليط لم يكن وليد الصدفة أو نتيجة لعبث الباحثين عن الكنوز في المعالم الأثرية .

اذ لم نعثر في فئات اللقى الأخرى على مثل ذلك الاختلاط . ومن جهة أخرى ، يوهن توضع هذه القطع بكثافة في أماكن متجاورة ، أنها مازالت في نفس الموضع الذي كانت تحفظ فيه سابقاً . وفي الحقيقة ، وجدنا ان هذه الظاهرة تنطبق على توزيع نفس القطع في مراكز المحفوظات الشرقية ، والجنوبية ، والجنوبية الغربية المتقابلة . ودلنا ثبت هذه اللقى على وجود مصانع صغيرة في تلك المنطقة يعمل فيها عدد من الصياغ ، الذين تشهد على أعمالهم السابقة ، قوالب الحلي ، وأوزانها ، والصناديق العاجية ، والاحجار الخام الثينة من الكالسيدوان والزمرد العتيق . . . الخ . أضف إلى ذلك اكتشافنا لمشغل لصناعة العاج مجاور للمحفوظات الوسطى . ويتضح الأمر لنا عندما نتصفح الوثائق التي عثرنا عليها في المحفوظات . اذ كثيراً ما نرى المعاهدات مقترنة بجداول للهدايا أو الضرائب ، يقدمها ملوك اوغاريت إلى الملوك المجاورين ، وبصفة خاصة ، إلى الملوك الحثيين . فنفهم أن هذه المصانع الصغيرة كانت تنتج القطع الثينة لتقدم في المناسبات إلى شخصيات الدول الصديقة . أما ما عثرنا عليه من اسلحة وفيرة معها ، فنعتبره شواهد على مراكز الحرس الملكي ، التي تؤمن حماية المحفوظات والمصانع في القصر .

كعب من اوغاريت :

بالإضافة إلى المكتشفات الآتية الذكر ، وجدنا كعب بقرة ملهى من كلا جانبيه بالرخاص . والواقع أن لعبة الكعب مازال لعبة شائعة في سورية إلى الآن . وهنا نتساءل فيما اذا كان هذا الكعب يشابه نظائره المعروضة حالياً في متحف الاشموليان . والتي استعملت في العهد الروماني كأوزان ؟ وهل ياترى ينطبق عليه هذا التفسير !! اذ أن وزنه الحالي البالغ ٢٨٠ غراماً يقارب الأوزان العديدة ذات الثلاثين شاقلاً التي عثرنا عليها في اوغاريت .

الحجارة البارزة في جدران القصر الملكي :

كان للحجارة المنحوتة البارزة في جدران واجهات القصر الملكي الجنوبية ، والجنوبية الشرقية ، وقع كبير في نفوسنا . اذ أنها تضي على هذه الجدران الجميلة طابعاً قوياً من الضخامة . وهو أسلوب في البناء لم نلحظه إلا على واجهات الاجنحة الشمالية الشرقية - والجنوبية الغربية . أما الدعامات والجدران الداخلية فكانت ملاء الوجه دوماً . أو مغطاة بطلاء ، على طبقات متعددة ، بقي منها صفائح كبيرة في احد المواضع . ونتساءل هنا هل جصصت واجهات قصر اوغاريت الخارجية وجدرانه في السابق ايضاً ؟

من المؤكد أن الطلاء استخدم في القسم الأوسط من القصر . حيث نرى على طول الواجهة قرب مدخله الرئيسي - صفائح من طلاء سميك ، رمادي اللون ، أو مائل للسواد بفعل الحريق - تلتصق على سطح حجارة الجدران المبرغلة . التي كانت بلا ريب تسهل إلتصاق طبقة الطلاء . كذلك لم نلاحظ أي أثر للطلاء ، على الواجهات البارزة في الأقسام الملاصقة للقصر . ويجب أن نعترف بأنه لم تبق من آثاره على الاف الأمتار المربعة من واجهة القصر الأصلي ، وجميع الجدران الداخلية المخصصة قديماً ؛ الا النذر القليل منها . لذلك يمكننا القول أن الطلاء مخنف عن الجدران الخارجية البارزة لدرجة أنه لم يترك وراءه أي أثر . الا أنه ينبغي علينا ، لكي نبت في الأمر ، أن نقوم بتحريات خاصة ، وأن نحلل تركيب المسحوق الناعم الذي نلاحظ وجوده في بعض المواضع عند أسفل جدران القصر الخارجية .

ونظراً لأن الواجهات الوسطى في القصر ، وفي جميع الأبنية الرسمية الاخرى ، كانت مغطاة بطلاء يتنومي يمنع رشح المياه خلال حجارة الجدران النفاذة . فانه يمكننا الاعتراف بأن بروز حجارة الجدران الخارجية في قصر اوغاريت ما كان لغايه تزيينية . اذ أن بروزها لم يكن متسقاً . بل توخي منه تسهيل التصاق القشرة الكلسية على الجدار .

وعلى كل كان اسلوب الحجارة البارزة معروفاً لدى معماري قصر اوغاريت في منتصف الألف الثاني ق.م ، ولم يدخل الى سورية على يد المهندسين الرومان ، كما كان يظن سابقاً ، الذين اقتبس الصليبيون عنهم هذا الفن لتزيين قلاعهم (كقلعة صلاح الدين) . أضف الى ذلك جهل مهندسي كريت وآسيا الصغرى بأسلوب هذا البناء الذي لم يكن معروفاً آنذاك في الشرق الادنى . انما نرى نماذج منه في مصر استعملت ، كما هي الحال في اوغاريت ، لتختفي خلف القشرة الخارجية ولتسهيل التصاقها على الجدران . فلم يكن غرضها تزييناً هنا أيضاً . لذلك كان باستطاعة مهندسي القصر الملكي في اوغاريت أن يقتبسوا هذا الاسلوب عن وادي النيل لو لم يجد بنّاؤوهم بانفسهم هذه الوسيلة لتوفير الجهد في اعداد الجدران ، وتسهيل التصاق القشرة عليها .

إعادة بناء جناح القصر الجنوبي^(١) ليكون متحفاً

لطالما تمينا أن نتمكن من بناء جانب من اطلال قصر اوغاريت ، لنعطي للزوار فكرة

(١) ورد في النص الفرنسي (جناح المتحف الجنوبي) وهذا سمى سمح المؤلف لنا بتصحيحه .

عن هندسة بنائه وجماله . ولا شك ان الفائدة من زيارة المدينة ستتضاعف قيتها اذا أمكننا أن نعرض لهم نسخاً ونماذج معادة عن أبرز المكتشفات التي عثرنا عليها ضمن خرائب القصر . أو بين اطلال مدينة اوغاريت . بالإضافة الى المخططات والمقاطع والنماذج لمعابدها وقلعتها ومبانيها الخاصة . وفي نفس الحين يكون البناء ملجأ يأوي اليه زوار رأس شرا - الذين أصبحوا يهدون بالآلاف سنوياً - بعد غناء التجوال ، ويقبضون من تقلبات الطقس . لاسيما وأن مديرية الاشغال العامة قد أنجزت تعبيد الطريق الذي يصلها باللاذقية .

ولقد وجدنا أن نفس هذا المشروع كان مختبراً لدى مدير الآثار العام الدكتور سليم عبد الحق ، الذي كلف أخصائي المديرية منذ عام ١٩٥٤ بدراسة مشروع اقامة متحف محلي هناك . فوق اختيارنا على الجناح الجنوبي الذي يلائم موقعه هذا الغرض . حيث ستبلغ مساحة أرض المتحف ٤٠٠ متر مربع . مما يهيئ لنا بناءً من طابقين ، يسبح سطحه المرتفع بالقاء نظرة شاملة على مدينة اوغاريت ، ومرفأ مينة البيضاء ، والمناظر الطبيعية الخلابة التي تحف بها . ومن الطبيعي أن اقامة بناء جديد فوق الاجزاء المتبقية من جدران القصر القديم وأساساته ، سيخلق امامنا عدداً من المشاكل الفنية وصعوبات في التنفيذ . ونحن نسعى جهداً للمحافظة على العناصر القديمة من جهة ، مع رغبتنا في اعطاء المتحف الجديد طابعاً أصيلاً ينسجم مع غط البناء القديم من جهة اخرى . ثم وضع الحجر الاساسي لمتحف رأس شرا في ١١ تشرين الأول عام ١٩٥٦ من قبل معالي وزير المعارف الدكتور عبد الوهاب حومد ، وبحضور عطوفة محافظ اللاذقية ، ومدير الآثار العام ، وأعيان اللاذقية ورجالها . وذلك خلال الحملة التي قامت بها مديرية الآثار لتدشين سلسلة من المتاحف الجديدة في عدد من المواقع الأثرية الرئيسية في سورية . وقد ارتحل معالي الوزير خطاباً بهذه المناسبة ، أكد فيه تصميم الحكومة على متابعة ومضاعفة الجهود للمحافظة على تراث سورية التاريخي المجيد ، الذي تشهد عليه مخلفاتها الأثرية العديدة ، وغنى متاحفها . كما نوه بدور الحضارة السورية في المجالين الروحي والثقافي ، وتمسك سورية بمجريتها وعلاقاتها الوثيقة مع الشعوب المجاورة . ثم ذكر ان بلاده كانت مرتبطة منذ عهد اوغاريت بتعالف مع بلاد مصر العظيمة المجاورة لحدودها الجنوبية . مثلما كانت لغة التخاطب في سورية انذاك ، اللغة التي انحدرت منها لغتنا العربية الحالية . واخيراً أئاد معاليه بدور حفريات رأس الشرا خلال عشرين عاماً في تعريف العالم اجمع على فصل جديد من تاريخ سورية الحافل .

وقد قرأ مدير الآثار العام النص الذي يعلن تأسيس متحف رأس شرا ، ثم أودع في اسطوانة من الرصاص ضمن كتلة من مداميك جدران القصر .

وبمناسبة الحملة الدوائية للمتاحف ، استقبلنا بعد خمسة عشر يوماً وفداً من منظمة الأونيسكو مع مدراء المتاحف في البلاد العربية . قدموا الى رأس شمرا فزاروا موقع المتحف المقبل ، واطّلعوا على سير الحفريات . وفي حفلة اقامها مدير الآثار العام لتكريمهم بحضور محافظ اللاذقية فوجئنا بعدة هذه المدينة ينالو في نهاية الحفل نص الوثيقة التي ترفع رئيس بعثة حفريات رأس شمرا الى مصاف مواطن شرف لمدينة اللاذقية .

اكتشاف قصر صغير :

كانت احدى مفاجئات هذا الموسم ، اكتشافنا لبناية في جنوب القصر الكبير . تتيح لنا صفاتها ومحتوياتها الأثرية ان نطلق عليها اسم القصر الصغير . ويبلغ ما كشفناه الى الآن حوالي ٣١ متراً من واجبتها ، تشكل الحد الجنوبي للساحة التي اكشفناها مؤخراً ، وتوازي الجدار الجنوبي للقصر الكبير . وكان يقوم في نهايتها مدخل عرضه ٥٦٠ م . له رواق محمول على عمودين . بشكل ثلاثة ممرات يسمح أوسطها بمرور العربات ، الامر الذي يذكرنا بمدخل القصر الكبير . وقد سد هذا المدخل في الماضي وحول الى غرفة واسعة . زودت بدرج يؤدي الى الطابق الأول . كما انشئ فيها دور خلاء . فبقي بين القصرين ممر يقدر عرضه بثلاثة امتار . ثم بعد ان نجتاز عتبة الرواق نصل الى غرفة كبيرة ومنها ، عبر ممرات جانبية ، الى ثلاثة غرف اخرى . تحوي الاخيرة منها على بئر ماء . ونقدر ان مساحة القصر الصغير تبلغ ١٦٠٠ م^٢ لا يزال ثلثاه مطوراً في التراب حالياً .

اما الغرفة رقم ٢٠٣ فكانت مزودة بنجمة ابواب ، وتبلغ ابعادها ٧٥٥×٩٥ م عثرنا تحت ارضيتها على قبو جنازي جميل مشيد من الحجارة المنحوتة . كذلك كشفنا عن عدد كبير من الغرف المختلفة الاحجام . وجدنا في احداها ايضاً قبواً جنازياً صغير الحجم . ولقد اضطررنا الامطار الغزيرة لتعليق حفرياتنا في هذا الموسم عند الجدار الغربي للغرف الثلاثة .

مركز للمحفوظات في القصر الصغير

تألفت مكتشفات الجزء الذي تحريناه من القصر الصغير ، من اللوحات الفخارية بصورة كلية . فكانت ٨٠٪ منها مدونة بالمسارية البابلية و ١٢٪ حررت بالابجدية الاوغاريته . وقد عثر عليها بوفرة في الغرفتين ٢٠٣ و ٢٠٤ مختلطة بروماد الحريق الذي دمر القصر . كما لاحظنا اعادة بنائه اثر الحريق . فانشئت ارضية جديدة فوق الارضية الاصلية . بقي تحتها خليط من اللوحات والرماد .

ولقد قمنا بعمليات اسبار طبقية لتسكن من تحديد فترات استعمال القصر . اقتصرنا حالياً على أواسط الغرفة ٢٠٣ صوناً لما تبقى من جدران القصر . فعثرنا على جدران بناء سابق للبناء الحالي ، تمتد تحت الارضية الاصلية للغرفة لتظهر في الساحة الفاصلة بين القصرين على نفس المستوى وتبين لنا منها ومن طبيعةلقى الأثرية في المنطقتين ان انشاء الساحة والقصر قد تم في وقت واحد خلال القرن الرابع عشر ق . م . لذلك يتحدد معنا عهد القصر بين القرن الرابع عشر ونهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وهي فترة حدث اثناءها الحريق في تاريخ لم تمكن من تحديده الى الآن .

اما مميزات القصر فهي بروز حجارة واجهاته ، واسلوب ترابط جدرانه ، المائلين لجدران القصر الكبير . انما يختلف عنه في قلة عمق اساساته . ونرجع حدوث دماره النهائي حوالي نهاية القرن الثالث عشر . اذ تؤكد ذلك التاريخ جميع الوثائق الحثية التي تركت في القصر قبل ان يهجره اصحابه . ويسبق عهدها فترة ١٢٠٠ ق . م ، كما لم نعثر الى الآن على أي أثر من نماذج القرن الثاني عشر ق . م .

اخيراً كانت اللوحات التي عثرنا عليها في غرفتي المحفوظات مصنفة في مكانها حسباً نضدها كتاب القصر الصغير . ولا مجال للظن بأنها قد انخرفت الى مكانها الحالي بعد دمار القصر . ومعظمها نصوص اقتصادية تتعلق بتسليم حبوب وبضائع مختلفة .

لوحتان مدونتان بالكتابة القبرصية - المنيوية

التقطنا من بين اللوحات المسارية في أمانة السر ، ثلاث كسر تؤلف جزءاً من لوحتين منقوشتين بالكتابة القبرصية - المنيوية . كانت أولى نصوص من نوعها نعثر عليها في محفوظات اوغاريت الرسمية . وتدلنا الكتابات المتفرقة التي وجدناها سابقاً على بعض الأواني الميسينية ، ان الخط القبرصي - المنيوي كان منتشرأ في اوغاريت . ونرى في هذه النصوص برهاناً جديداً على وجود مراكز ايجية وقبرصية في هذه المدينة .

العثور على كتابة مصرية في القصر الصغير

كذلك استخرجنا من أمانة السر قطعة مستطيلة من الحجر ، ومادية اللون ، محترقة ، كانت قاعدة لتمثال صغير . دونت على وجوها الأربعة كتابات هيروغليفية . كانت عباراتها حسب ما ترجمها الاستاذ فانديه : تقدمه يعطيها الملك الى ست (أورشف أوبعل) ، الاله الخالد الذي ييسط اليد (?) على داخل الايناد ، لكي يعطي أمداً (طويلاً) من الحياة الى

ودون على الجانب الأيمن : تقدمه يعطيها الملك الى (اسم الاله يتبعه نعت) لكي يعطي السرور والصحة الى

والظاهر ان اسم وألقاب الشخصية التي صنع التمثال لاجلها قد فقدوا مع الشظايا المتناثرة من الوجه الخلفي للقاعدة التي كانت نماذجها شائعة في مصر ، وهي تعود الى عهد الامبراطورية الجديدة . كما يرجع تمثالها الى عهد السلالة التاسعة عشر استناداً الى ترتيب النص من جهة - والى وجود إله في صيغة التقديمية بمتصلة الى الاله ست من جهة اخرى . وهذا التاريخ الذي يقترحه الاستاذ فاندييه يتفق مع الدلائل الاثرية ، التي يكون القصر الصغير بموجبها قد بني حوالي نهاية القرن الرابع عشر ق . م او الثالث عشر . ويحتمل ان تمثال القاعدة كان يمثل شخصية موظف مصري موفد الى اوغاريت مهمة . اذ كثيراً ما عثرنا خلال حفرياتنا السابقة على نصب أو تماثيل صغيرة لمصريين كانوا سفراء لفرعون أو مقيمين للتجارة في اوغاريت .

لوحات منضدة في غرفة من محفوظات القصر الصغير

كشفتنا في غرفة المحفوظات رقم ٢٠٤ عن اكوام من اللوحات كان اهم تجمع صادفنا منها يتألف من ٢٢ لوحة سلم معظمها وما تبقى كان متضرر جداً بفعل الحريق . من بينها رسالة هامة في صيغة تقرير بوجه عمدة احدى المدن الى « سيده » زردو . حاكم احدى المقاطعات أو حاكم اوغاريت . اذا جردنا هذه الرسالة من عبارات المجاملة المعتادة . لغدت مقتضبة وكأنها برفقة هذا نصها : « أوشك الحصاد على الانتهاء ، وكنا نجتمع القمح للدرس ، لما أتى النهايون واخذوا كل شيء . كذلك ضاعت الكروم (هلق) ، ودمرت مدينتنا (قرطن هلق) ، اعلم ذلك جيداً » . فتصور الرسالة بلا ريب الغزو الذي كان يشنه الرّحل على اهل الحضر . وتبين من عبارة العمدة الأخيرة ، اعلم ذلك جيداً ، ان المدينة ستكون عاجزة عن دفع الخراج او الضرائب هذا العام .

أما الرسالة الثانية فكانت غايتها انهاء خلاف نشب بين كاتبين ربما كان أحدهما مقيم في محفوظات القصر الصغير ، والآخر كاتب في احد مراكز الأقاليم ، فيقول الثاني لزميله « سلام اليك ، لتحرسك الآلهة ، أخي لماذا أنت غاضب علي ، ولم تعد لي عندك نفس الميول كالسابق ؟ اذ ابدت لعينيك خطيئة فاضجها (أو اكتبها) على لوحة واطلع عليها اخاك . والآن اذ لم يعد في منزل أخيك من حبة كبيرة ولا صغيرة ، لاترفض لي هذا الطلب » . وقد دونها بخط جيد ، مستعملاً في ذلك أساليب تبرهن لزميله براعته في فن الكتابة .

يضاف الى ماسبق ، وثيقتان لها صفة دولية . اذ تخصي احدهما الاشخاص المقيمين في الخارج ، بعيداً عن بلاد اوغاريت . وتنعت عدداً كبيراً منهم بـ « أهل قاراتياما » في كافة مدن سبانو . مما يظن معه أن الاحصاء يتناول اناساً يقطنون في مرافئ بلاد سبانو التي يقر ملكها بسلطة ملك اوغاريت عليه (كلمة قاراتياما تعني في الحقيقة مدينة البحر) . في حين تعدد الوثيقة الثانية أسماء مدن تقع خارج حدود اوغاريت . واسماء رجال ونساء . فتشير الى اسم أرواد مرتين ، ثم الى اسم صور ، وفي القطع السابع اسم عسقلان ، والى رجال من آك (ك) و ، عكا الحالية . وأخيراً يذكر القطع الثالث عشر من القائمة أسماء أشخاص يقيمون في بلاد أوسناتو جنوبي اوغاريت . يخطر ببالنا أن تتساءل : كيف نفسر وجود هذه الاحصاءات ضمن محفوظات القصر الصغير ، في الوقت الذي كان من تخصيم يعيشون بعيداً عن اوغاريت . والملاحظ أن جميع الأسماء الأجنبية التي دونت في هذه الوثائق كانت أسماء مرافئ بحرية . مما يحملنا على الاعتقاد بأن الاشخاص الذين سبق ذكرهم كانوا من رعايا ملك اوغاريت . أقاموا للتجارة في تلك المدن البحرية التي كانت لبلادهم علاقات عديدة معها .

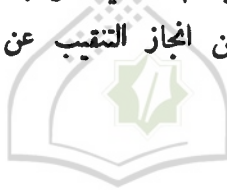
طبيعة محفوظات القصر الصغير :

بلغت نسبة الألواح المدونة بالأنبجودية المسارية ١٢٪ من مجموع الوثائق التي عثرنا عليها في العرفتين ٢٠٣ ، ٢٠٤ . ونستطيع القول أن محفوظات هذا القصر كانت تابعة لادارة تهتم بأعمال اوغاريت الخارجية أكثر من اهتمامها بالأعمال الداخلية . وهذه الفرضية يؤيدها ما اكتشفناه من كتابة مصرية ، ونصّين بالكتابة القبرصية - المنيوية في محفوظات القصر . اضافة الى ذلك أن بقية الوثائق الاخرى لم تعد عن كونها نصوصاً ادارية أو اقتصادية ، وصكوكاً تجارية ، واحصاءات لبلدان ومدن وأشخاص يعيشون خارج حدود المملكة . والجدير بالذكر أننا عثرنا عليها بكميات وفيرة . وفي الحقيقة ، كانت الادارة المشرقة على هذه المحفوظات تهتم أيضاً بتجارة الجملة في الاستيراد والتصدير ، التي كانت تعتمد ، بصورة رئيسية ، على المرافئ الواقعة جنوبي اوغاريت . وهذا ينم عن تجارة بحرية ، يوحى باهتمامها ما اكتشفناه سابقاً من قطع أثرية تؤيد ذلك . لذا لم يعد يدهشنا بعد اليوم أن نرى أن افق اوغاريت الاقتصادي كان ينفتح بصورة رئيسية نحو الجنوب أي : نحو فلسطين ومصر . كما كان ينفتح نحو قبرص والبلاد الميسينية في الغرب . وعلى النقيض لاتشير

وثائق القصر الصغير الى أي عقود مع بلاد الشمال . في حين نجبرنا وثائق المحفوظات الجنوبية عن ذلك . فنرى منها أن اوغاريت قد مارست أيضاً علاقات تجارية هامة مع بلاد الحثيين . ببضائع كانت القوافل تؤمن نقلها بينهما بالدرجة الأولى .

وبالتالي فإن الوثائق الاقتصادية « وأوراق المعاملات » التي تتعلق ببلاد الشمال ومناطق النفوذ الحثي بصفة خاصة كانت تحفظ كافة في المحفوظات الجنوبية . في حين ان الادارة المركزية في القصر الصغير لم تكن مختصة الا بالمعاملات الكبيرة الداخلية مع المدن الواقعة جنوبي اوغاريت ، والمعاملات الخارجية مع البلاد الكائنة على الطريق المؤدية الى مصر .

أخيراً يتبين مركز المحفوظات هذا عن بقية مراكز المحفوظات الخمسة التي اكتشفناها في القصر الكبير ، بموقعه الطبوغرافي ومحتوياته . وهذا برهان جديد على التنظيم الاداري التام الذي كان يتبع في اوغاريت من جهة وعلى أهمية تجارتها العالمية من جهة اخرى . ونشير هنا الى أننا نعتبر هذه المعلومات موقفة الى أن تتمكن من انجاز التنقيب عن باقي أجزاء القصر الصغير .



معبد بعل شمين في تدمر

الحفريات السويسرية للأعوام ١٩٥٤ - ١٩٥٥ - ١٩٥٦

تقرير أولي

بإقليم بول كولار

تدريب وتلفيظ : عرنان النبي

بمناسبة البعثة التي نظمتها الاونسكو في صيف عام ١٩٥٣ ، لدراسة الأبنية والمواقع الأثرية في سورية بناء على رغبة الحكومة السورية ، ظهر مشروع إجراء تنقيب أثري سويسري في سورية إلى الوجود . إن الحرارة التي استقبل بها هذا المشروع من قبل مدير الآثار العام في سورية الدكتور سليم عبد الحق ومن قبل الصندوق الوطني للأبحاث العلمية في سورية قد عجلت في تحقيقه ، فلها تقدم هذه النتائج الأولية مع العرفان بالجميل .

إن مصير تدمر الرائع وجلال أطلالها قد أثارت في الحال انتباهنا كما بدا لنا معبد بعلشمين قيناً بتنقيبات مشرة ، سواء من حيث الدور الذي يتمتع به هذا الرب في ديانة التدمريين ،

أو لجللنا بالمباني التي لا بد أن تكون حول ذلك المعبد . فخرائب تدمر لم تنقب بعد إلا بصورة متفرقة . وإن الدكتور سليم عبد الحق ، إذ سمح لبعثتنا بالتنقيب في هذا المعبد، إنما رحب بأشراك سويسرة في عمل تتابعه مديرية الآثار العامة في سورية بنجاح ، في أماكن أخرى من تدمر ، وإننا لنعبر له هنا عن صادق وحاد شكرنا من أجل ذلك .

بعد ثلاثة مواسم ، اتضحت لنا طبوغرافية المعبد ، كما عثرنا على عدد كبير من اللقى ، فبوسعنا إذن أن نقيم منذ الآن ، موازنة أولية . وهذه هي بالتعديد الغاية من تقريرنا هذا . وكل ما سنورد من نتائج هو موقت يجب أن يدرس ويتم ، وقصارانا هنا لمحة موجزة . ثم يذكر السيد كولار مدة إقامة البعثة في تدمر في الأعوام الثلاثة وعدد عمالها وأسماء أعضاء بعثته ، وبشيد بالمساعدة القيمة التي لاقتها من مراقب آثار تدمر السيد عبيد الله ، وبالتدابير القيمة التي اتخذتها مديرية الآثار العامة لتسهيل عمل تلك البعثة .

بقي معبد بعلمين ، حتى عام ١٩٥٤ ، كما رآه الانكليزي روبرت وود في منتصف القرن الثامن عشر ، وكما وصفه في مؤلفه الرائع . والهيكل المركزي في هذا المعبد ، المغيب جزئياً في الرمال والذي ما يزال ماثلاً بأعمدته الأمامية الستة مع أقسامها العليا ، يدل بوضوح على الوضع العام للبناء ، بخطته البسيط ، وبابه الكبير مجننه الغني بالنقوش ، وبنوافذه الجانبية القائمة بين العضائد ، وتيجانه الكورنتية الجميلة . ولم تختف إلا بعض الكتل العمرانية التي كانت منشورة حوله .

والمخططات التي نشرتها البعثة الألمانية عام ١٩٣٢ مع وصف خرائب تدمر الموثية ، وضحت بشكل دقيق البناء ومقاييسه . كما أن الاسبار التي أجرتها قد أعطت بعض المعلومات عن أقسامه السفلية وعن التعديلات التي جرت عليه في وقت متأخر ، لاستخدامه في غايات غير التي بني من أجلها . وعلاوة على ذلك كان معروفاً في ذلك الوقت من الكتابة التذكارية المنقوشة على « قنصلية » أحد أعمدة الهيكل الأمامية ، أن المعبد بني عام ١٣٠ - ١٣١ ميلادي ، على يد مالي بن يرحاي الذي نظم استقبال الإمبراطور هادريان في تدمر ، قبل عامين من ذلك .

وأخيراً أجرى السيد إيكوشار عام ١٩٣٥ حفرة سريعة فيه ، خلال أعمال الترميم ، أدت إلى الكشف عن بعض القطع أهمها مذبح يحمل إهداءاً بالتدمرية واليونانية من عام ١١٥ ميلادي وقنصلية عليها كتابة تذكارية من النصف الثاني للقرن الثاني الميلادي . كما دلت تلك الحفرة

على وجود الأعمدة الخارجية في المعبد وبينت أن المعبد قد حوله البيزنطيون إلى كنيسة ، وفتحوا له باباً في الجدار الخلفي من الهيكل ، وجعلوا من مدخله الأصلي صدرأ للكنيسة .

وعلاوة على ذلك ، عثر على كتابتين منقوشتين على ارشترافين بعيدين نوعاً عن البناء تذكران إهداء جزء من رواق ، ورواق كامل لبعثشين في عام ٧٦ ميلادي ، بما يدل على أن المعبد كان له في الأصل بناء أقدم مما ذكرنا . والذي أهدى الرواق الكامل هو يرحاي به لشش والد مالي الذي بنى المعبد فيما بعد .

تلك هي المعطيات التي كانت تحت يدينا في بدء تنقيباتنا . إن إقامة الصلة بين الأبنية المذكورة والمعبد المعروف كانت هي غرضنا الأولي . أما الهدف الذي كنا نطمح إليه فهو المعرفة المفصلة لطبوغرافية المعبد بمجموعها .

المعبد وما حوله

يكفي لوصف المعبد الرجوع إلى الدراسة الألمانية الدقيقة الصحيحة المنشورة عن تدمر . وقد سمحت الحفريات التي أجريناها حوله بإحصاء عدد كبير من الكتل المنهارة من الأجزاء العليا من الطنف والواجهات . والتي الجديد هو اكتشاف شراريف مدرجة كالتي كانت ترتب أعلى جدران معبد بل . ولقد وضع الارتفاع الحقيقي للهيكل كما ظهرت التشييدات البيزنطية المقامة على واجهته وكل ما طرأ عليه من تعديلات .

إن تحويل الهيكل إلى كنيسة جعل البيزنطيين يقيمون أمام واجهته الخلفية المحولة إلى مدخل للكنيسة ، رواقاً من أعمدة المعبد القديمة . كما جعلت لباب الكنيسة درجات تستند إلى الأساس المدرج ، وبلطت باحة الهيكل الامامية من جديد فقاب جزء من قواعد الأعمدة كما 'حت' اثنان من الأعمدة لوضع قوس مفتوح على صدر الكنيسة . وصدر الكنيسة بني كله من من القطع العمرانية المنهارة من المعبد ، بعضها أجزاء من الاروقة وبعضها الأعمدة والتيجان الكورنية والارشترافات والأعمدة الثلاثية وأطر الابواب والمحاريب الخ... ولعل بعض تلك الاجزاء كانت في الاصل تؤلف مجموعة ترتب صدر هيكل المعبد .

وقد استأذنا مديرية الآثار العامة ، فسحت لنا بإزالة التشييدات البيزنطية الآتفة بعد أخذ مخططاتها وتصويرها ، وذلك لابرار جمال المعبد ولنهم تاريخه وقد تم ذلك في آخر موسم ١٩٥٥ ،

فظهرت واجهة الهيكل بمقاييسها الأصلية وأرضيتها القديمة التي يُصعد إليها بعتبة منحوتة في الدرجة العليا من الأساس المدرج . كما تحرر المذبح العائد لعام ١١٥ م وظهرت قاعدة مجاورة له في مكانها . والأجزاء العمرانية التي جمعناها من إزالة التشييدات البيزنطية المتأخرة ، استطعنا تركيبها في مجموعة واحدة يناسب عرضها عرض الهيكل وثبت لنا أن الفرضية التي وضعها الألمان صحيحة ، فالهيكل كان مجهزاً بمحراب يتشئ مع جدرانه دون أن يتصل بها ، كمحرابي الهيكل في معبد بل . ولكن تركيب هذه الأجزاء يختلف اختلافاً بيناً عن التركيب الذي افترضه السيد شولز لقلة العناصر التي كانت لديه .

وبدا لنا المعبد بعد إزالة التعديلات المتأخرة كعنصر حديث نسبياً ، قائم ضمن مجموعة من الأبنية لم تكن بالأصل تابعة له . فهناك رواقان يسيران موازيين للجدارين الجانبيين للهيكل دون ارتباط مباشر به يمتدان الى الأمام حتى يلتقيا بجدار عرضاني ضخم ، وهذا الجدار الذي يحاذي أحد الشوارع يبدو أنه جزء من السور . والرواق الشمالي تين أنه جزء متمم لمجموعة سابقة للمعبد سرعان ما يتضح الغرض منها .

وفي الواقع إن جدار هذا الرواق قائم في الجهة المقابلة ، مواز للهيكل ، أقسامه العلوية زائلة وله عتبة . يغيب نحو الشرق ولكن أساساته تدل عليه ، وهذا الجدار الموازي للهيكل يتجه من جديد بزاوية قائمة ليلتقي بالجدار الخلفي للهيكل ، مؤلفاً زاوية غرفة فيها مذبح قائم في مكانه ، عليه اهداء لبعل شمين من عام ٧٣ م ، ومقاعد حجرية ، بما يدل على أن هذه الغرفة هي غرفة للولائم الدينية . وواضح أن تاريخ إعداد هذه الغرفة سابق لتاريخ انشاء المعبد بأكثر من ستين سنة ، بما يدل على أنه اقيم فوق مجموعة بنائية سابقة . ورغم أن أعمدة الجهة الجنوبية في حالة سيئة ، وأن الجدران لم يبق منها إلا أساسات مجزئة ، يمكننا أن نرى فيها ترتيباً متناظراً ، وتصور أنه كانت هناك في الأصل باحة يحدها من الشرق سور ويحف بها من الجانبيين رواقان ، الشمالي منها استخدم كغرفة للمائدة . وفي تلك الباحة اقيم الهيكل فيما بعد لصيقاً بالجدار الغربي وأمامه كان المذبح (أو المذابح) قائمة من قبل . ولكن هذه الباحة وما فيها كانت في الأصل جزءاً صغيراً من معبد أكبر كثيراً اكتشفت بقية أقسامه .

الباحة الشمالية وملحقاتها

سرعان ما أظهرت الحفريات ، في مكان الأرسيتراث الذي يحمل كتابة من عام ٦٧ م تذكر اهداء شخص اسمه زبداي لبعشيين خمسة أعمدة من الواجهة التي فوقها وسقفها ، رواقاً طويلاً تظهر فيه ١٣ قاعدة من قواعد الأعمدة في مكانها وأكثرها فوقه جزء من عمود ، وهناك على الأرض تيجان أعمدة وأرسيتراقات . ولا شك أن الأعمدة المهداة هي جزء من هذا الرواق الذي عثرنا على جداره ، وهو مبني بالحجارة الكبيرة ووراءه جدار يسير بمحاذاة الشارع يختلف معه قليلاً في الاتجاه وهو جزء من السور .

وهناك في جوار الميكل رواق آخر متعامد مع السابق يتألف قسم من جداره من جدار غرفة المائدة . وقد وجد من أعمدته ١٧ عموداً في أمكنتها ، ولكنها غير كاملة ، ففي بعضها قاعدة العمود ، وفي غيرها مع القاعدة جزء من العمود ، أو طرحة العمود فقط . وظهر من أرسيتراث ملقى هناك عليه كتابة ، ومن خمس كتابات على الأعمدة ، ان هذا الرواق بمجموعه مقدم من يرحاي بن لشمس عام ٦٧ م .

والرواقان المتعامدان المار ذكرهما قائمان حول باحة واسعة في غربها رواق طويل ثالث يتألف من ١٦ عموداً، خمسة منها واقعة بتمامها على الأرض لا ينقص منها شيء ، والاعمدة الباقية ناقصة قليلاً أو كثيراً . وقد عثر في هذا الرواق على ست كتابات منقوشة على الاعمدة تذكر أن هذا الرواق بناه ألبشا بن لشمس كما تؤكد ذلك كتابة منقوشة على أرسيتراث وجد في مكان آخر ، ويرجع أن ذلك تم أيضاً عام ٧٦ م .

وفي الباحة جدران مختلفة بنيت فيما بعد في العهد البيزنطي والعربي من الاجزاء المنهارة من الابنية القديمة . وكذلك حال الجانب الرابع من الباحة ، حيث بني في تلك العهود المتأخرة حي كامل أدنى من المستوى القديم ، والمقول أن هذا الجانب أيضاً كان يشغله رواق رابع طويل بقاياه واضحة وجداره باق ، فيه باب كبير وأبواب صغيرة تؤدي الى غرف متلاحقة ، وباحة صغيرة محاطة بأروقة اعمدتها متباينة الأطوال ، يمكن ردها للقرن الثاني الميلادي . يضاف الى ذلك مدخل من « البرويليه » يؤدي الى المعبد من الجهة الشمالية . وهذه المجموعة من الابنية المجمعة حول باحة

مروءة تدفع الى الاعتقاد بأن هناك مسكن ، ولكن وجود اوتيل زنوبيا حال دون اتمام الحفريات في هذه الناحية وإدراك التفاصيل .

ولقد كانت إزالة الجدران الحديثة ضرورية لمعرفة ما تحتها من البقايا القديمة ، كما سمحت بالحصول على قطع عمرانية وكتابات ونقوش هامة كانت في الجدران نفسها .

ومن مختلف القطع العمرانية المكتشفة يمكننا تكوين فكرة دقيقة عن ارتفاع الأروقة في هذه الباحة . ولقد نصبنا خمسة أعمدة مع استيرافاتنا من رواق البشا خلال موسم ١٩٥٦ وذلك في الجهة الغربية منها . كما أفادتنا الكتابات المحددة التاريخ في أروقتها في دراسة طرز تيجان الأعمدة التي بلغت ٥٤ تاجاً فهي من عام ٦٧ م أو ما حوله ، تيجان كورنثية من الطراز المألوف ولكن تفاصيلها مبسطة وحازوناتها غير مفرغة وفيها عنصر تزييني جدير بالذكر وهو رؤوس صغيرة لكهنة تدمريين ، وبساطة هذه التيجان وخلوها من التكلف لها تأثير جميل على النفس .

وهناك نوع آخر من التيجان بالغ الأهمية من حيث تاريخ المعبد أو تاريخ الرابضة التدمرية . وهي تيجان منحوتة من الحجر الطري فيها صف من البويضات ومزينة بزهرات ، قسما العلوي مؤلف من حجر مستقل ، وقد وجدنا أربعة تيجان من هذا النوع وكسر كثيرة منها في جدار قرب رواق ربداي . وهذه التيجان يمكن مقارنتها بالتيجان الشاذة التي عثر عليها في باحة معبد بل . وظهرت معنا قطع من أعمدة هذه التيجان وعليها كتابات إهداء أجزاء من أروقة للمعبد تعود للنصف الأول من القرن الأول الميلادي ، مما يجعلنا نفترض وجود أروقة في الزاوية الشمالية الشرقية من الباحة أقدم حتى من رواق عام ٧٦ م .

ويجب أن لا ننفل ذكر الزخارف الجصية التي وجدت في أنقاض هذه الباحة ولا شك أنها كانت تزين جدران الأروقة .

وهناك خلف المعبد صفوف من الأعمدة كأنها ملحق للباحة الكبرى ، صفان منها يمتدان نحو الغرب وصف يسير موازياً لجدار الهيكل الخلفي . ويبدو ترتيب بناء هذه المنطقة معقداً نظراً لما طرأ عليها من تعديلات أو بسبب ارتفاقات الأبنية السابقة التي راعاها المهندسون . ولقد

نحدثنا آنفاً عن الرواق الذي بناه البيزنطيون وراء الهيكل وبذلك أصبح لديهم فسحة لها باب يؤدي إلى شارع يتجه نحو مفترق الطرق « الترابيل » وهذا الباب لا شك أنه أحد مداخل المعبد . وهناك الرواق المتجه نحو الشمال نرى أعمدته الأولى قائمة على مستوى مرتفع بين الأعمدة التالية قائمة على مستوى أدنى من الباحة . وهذا الارتفاع سببه مراعاة وجود مدفن قديم في ذلك المكان مؤلف من دهليز على جانبيه قبور معقودة بالآجر ، عثر فيه على كتابة مؤرخة عام ١١ ميلادي . كما أن الآثار الجنائزية الذي وجد في قبوره ، يعود أيضاً لعهد أوغست .

الباحة الجنوبية

وفي الجهة الجنوبية باحة ثانية شبه منحرفة محاطة بالأعمدة من جهاتها الأربع ، في جنوبها الشرقي باب مازال عتبته وقائمتاه ظاهرة وهو يؤدي إلى الشارع كما أن الجهتين الشمالية والجنوبية من الباحة لهما مداخل متعرجة .

وجمع من الباحة ٢٩ تاج عمود كورنثي ، في حالة جيدة نسبياً ، من نموذجين مختلفين عن تيجان الباحة الشمالية فهي أكثر كلاسيكية ويمكن درجها ضمن سلسلة التيجان الكورنثية المؤرخة في تدمر ، خاصة قياساً على تيجان واجهة الهيكل في معبد بعل شمين التي تعود لعام ١٣١ م .

وهناك كتابتان منقوشتان على عمودين من هذه الباحة وهما تتضمنان إهداء أعمدة وتوابعها إلى بعل شمين ودود حيلون ، الأولى لا تتجاوز نهاية القرن الثاني والثانية من عام ١٤٩ م . وهذا التاريخ المحدد الذي يتشئ تماماً مع طراز تيجان الأعمدة يسبح لنا بالقول بقيناً إن إقامة الباحة الجنوبية جرى بعد بناء المعبد .

الكتابات

استخرجنا من معبد بعلشمين أكثر من ثمانين كتابة تامة أو مجزأة ، وذلك ضعف ما وجد في معبد بل . والكثرة الساحقة من هذه الكتابات هي بالتدمرية فعسب . وقلة الكتابات المزودة اليونانية والتدمرية ، مردها إلى قدم بناء المعبد ، فالإيونانية لم تظهر إلى جانب التدمرية إلا مع القرن الثاني الميلادي .

والفترة الأولى من هذه الكتابات هي المتعلقة بالمنشآت المشادة في المعبد ، منها ٨ على

ارشيترافات و ٢٣ على أعمدة واثنان من غرفة المائدة ، وبفضل هذه الكتابات عرفنا التواريخ المحددة لبناء المعبد وتطوره ، وعرفنا أن الأروقة التي شيدت لتجمل المعبد إنما شيدت رواقاً واحداً دفعة واحدة حيناً وبأجزاء من رواق حيناً آخر ، كأن يقدم الواهب عموداً أو عمودين أو خمسة مع أقسامها العلوية وسقفها . وإهداء الأعمدة كان يكتب عليها أو على الارشيتراف ولكن إهداء الرواق الكامل كان يكتب على الارشيتراف دوماً ولكن يذكر به على الأعمدة ولدينا على أعمدة الباحة الشمالية خمس من هذه التذكريات من رواق يرحاي وست منها من رواق ألبشا . وهذا الامر جدير بالذكر لانه لم يصادف من قبل في تدمر .

ويلاحظ أيضاً أن بعض الأروقة مهدى إلى بعل شمين « الآله الطيب المنيب » وحده ، وبعضها إليه مقترناً برب جديد هو دودحلون أو دودرحلون يظهر اسمه أيضاً على مذبح وقنصليتين . كما تذكره بطاقة فخارية « قيسير » من تدمر . وهذا الرب الذي ذكر في سبعة نصوص جديدة يجب أن يوضع بجانب اسم بعلشين في نص بناء المعبد . ومن المحتمل أن يكون المعبد مكرس لهذين الربين الشريكين .

وفي معبد بعلشين كما في غيره من أوابد تدمر كتابات تذكارية على قنصليات الأعمدة . ونضيف إلى الكتابات المعروفة سابقاً على قنصليات المعبد ١٢ نصاً جديداً بعضها له علاقة بالكتابات الآتية تتعلق بإقامة تماثيل لأشخاص أهدوا رواقاً للمعبد أو لبعض أقاربهم أو للكهنة أو للآله نفسه . وفي هذه الكتابات نجد التواريخ محددة وشجرات النسب كاملة وتعرف إلى أسماء تدمرية جديدة كما نعلم الدور الهام الذي قامت به قبيلة بني معزين في معبد بعلشين ، تلك القبيلة التي قلما صادفنا اسمها من قبل .

وهناك قنصلتان لها أهمية خاصة ، أحدهما عليها كتابة يونانية مؤرخة عام ٢٥٧ / ٢٥٨ م تذكر إهداء إلى أذنية الشهير زوج الزباء وهي إحدى الكتابات النادرة من عصر تدمر الذهبي . والثانية وجدت مكسورة إلى خمس عشرة قطعة عليها نص طويل باليونانية والتدمرية من عام ١٣٢ م وهي من أجمل كتابات القوافل التي عثر عليها في تدمر ، كتبت تمجيداً لسوادوس بن بوليادس الذي أنقذ قافلة تدمرية فاستحق تهنئة حاكم سورية وإقامة أربع تماثيل له في أربعة معابد تدمرية .

والنوع الثالث من النصوص هي الواردة على المذابح والألواح في مذبح الآلهة ، ومنها المذبح الذي وجد أمام الهيكل وهو مقدم عام ١١٥ م إلى سيد العالم أي بعل شمين . كما وجدت أربعة مذابح بمائلة في المعبد ، واحد منها وجد في مكانه من غرفة المائدة وهو من عام ٧٣ مقدم

إلى بعل شمين والثلاثة مؤرخة عام ٢٠٧ م وعام ٣٠٢ م ومقدمة لبعل شمين ودودحلون ورحم و « الآله المجهول » ، وفي اليونانية لزفس السامي . والتاريخ الأخير هام إذ يدلنا على استمرار العبادة في المعبد بعد سقوط تدمر . ويجب أن نلاحظ وجود « الآله المجهول » . إن هذا النوع المعروف من العبادة كان نادراً في معبد الآله نفسه . وهناك مذبح مقدم للآله المحلي لصوراً على الفرات ومذبح مقدم للمكبل وشارو واللات مع صورهم .

وعثرنا على أجزاء من لوحات جنائزية ، ولوحة المدفن المؤرخة عام ١١ م وهي تحمل أقدم كتابات المعبد . يضاف إلى ذلك الكتابات الخطية اليونانية والعربية التي كانت على الأعمدة أو الجص أو الفخار .

النحت

يبلغ عدد التماثيل والنقوش البارزة أو أجزائها التي وجدت في حفريات المعبد أكثر من مائتين وسنصفها حسب الغرض منها . ولن نعود لذكر القطع المرتبطة بعمران المعبد إلا ما يتعلق منها بالترينيات ومن ذلك تماثلان منحوتان في عمودين ، وحوالي عشرين رأس كاهن كانت أصلاً في التيجان . ومنها رأس غورغون صغير يزين أحد التيجان في مكان رأس الكاهن . كما صادفنا مثل هذه الرؤوس مصنوعة من الجص ، دقيقة النحت ملونة أحياناً .

ونضع تحت اسم المنحوتات النذرية عدداً من النقوش البارزة التي كانت تزين السور أو جدران الأروقة التي يقول السيد سيرينغ إنها كانت تحاط بأطر ، ومنها قوس كبير مكسور إلى قطع عليه في الجانبين ربة النصر تحمل سيف التنخل ، ومنها لوحة مربعة يتوسطها نسر باسط جناحيه يقف إلى جانبيه نسران يحمل كل منهما غصناً . والنسر الكبير يظل إلهاً شمسياً وإلهاً قوياً ونسرين صغيرين وزهرتين . وهذه اللوحة التي يمكن ردها للقرن الأول الميلادي ، تعتبر من حيث ندوتها وسلامتها ومقاييسها أروع ما عثرنا عليه .

ولنذكر أيضاً مذبحاً نذرياً مزيناً في جهاته الثلاث بنقوش بارزة تمثل ملكبل وشارو واللات ، وإفريزين من الحجر الطري عليها ثيران ، ونقوش بارزة ورأس السهة تعتبر بقلنسوة ومنها إله جالس وهو بعلشمين غالباً ، ولوحة تمثل الإله شدرقا مع عقابه المييزة الخ ...

ومن المنحوتات التذكارية ثلاثة تماثيل كبيرة بدون رؤوس ترتدي أثواباً طويلة يمسك كل منها في اليد اليسرى غصناً . وهناك تماثلان أصغر في الوضع ذاته أحدهما يرتدي سروالاً شرقياً . وكانت هذه التماثيل مكسورة إلى قطع . ومن هذه المنحوتات أيضاً رؤوس كهنة معتبرين بالقلانس .

وأخيراً هناك منحوتات جناثرية كالألواح التي تحمل تماثيل الموتى وأسماءهم ، وقطع من سرر جناثرية . وهذه المنحوتات مجلوبة من مكان آخر .

لقى مختلفة

إن اللقى التي تعود لعصر المبدى قليلة نسبياً ولكنها لا تخلو من الأهمية . أما العهد البيزنطي والعربي فقد ترك في المكان كثيراً من الآثار . والمدفن الواقع وراء الهيكل أعطانا أثاثاً جناثرياً وافراً فريداً ومتنوعاً .

وأكثر اللقى نقود ، وبطاقات فخارية ، وصرج . عدد النقود حوالي ١٢٠ نقداً يونانية ورومانية وبيزنطية وعربية . والبطاقات الفخارية التدمرية حوالي عشرين أكثرها من غاذج معروفة . والصرج تبلغ قرابة مائة سراج من كل العصور التي مرت على المكان ، غاذجها مختلفة وطريقة . وجل ما وجدناه من الأواني الفخارية كسر من الفخار العادي كثيرة جداً ، وما يدل على أن بقايا المبدى كانت آهلة بالسكان في العهدين البيزنطي والعربي . ووجدت بعض أوان سلية أو ممكنة الترميم كمطرات الججاج والجرار الضخمة وبعضها مخز أو مطلي ، وكسر عليها كتابات يونانية أو عربية وبعض الزجاج المكسور .

أما لقى قبور المدفن فهو أكثر أهمية ، كانت في كل منها عدة هياكل عظيمة ، وأثاثها يتألف من أوان مختلفة الحجم والأشكال أهمها المطلية بالمينا الخضراء وأوان من الزجاج وأقراط وأساور من البرونز وبعض الأسلحة .

وبعد عرض موجز وخلاصة لنتائج الحفريات والتأكيد على أهميتها من جميع النواحي التاريخية والفنية والحضارية عامة يخلص السيد كولار الى القول :

ها هي نتائج هذه المواسم الثلاثة للحفريات معروضة بإيجاز مع المعلومات الأولى التي يمكن استخلاصها منها . ويمكن القول من الآن إن تنقيب معبد بعلشبن أمر كان جديراً بالعمل . وإن الاستقبال السرح التي تتلقى به سورية علماء الآثار الأجانب هو الذي مكن البعثة السويرية من القيام بذلك العمل . ونحن إذ نشعر بالامتياز الذي منحناه بتسكيننا من إشراك بلادنا بجهود العلماء الألمان والانكليز والفرنسيين والسوريين الذين ساهموا كل بدوره في التعريف بأطلال تدمر ، لا بد لنا من إزجاء شكرنا للحكومة السورية ولدير الآثار العام النشط الدكتور سليم عبد الحق للثقة التي أولونا إياها وللتصيب الذي ساهموا به بسخاء في هذا التعاون الدولي المثمر .

تدمر - ايلول ١٩٥٦

بول كولار

أوركيش، المركز الديني الحوري الذي عثر عليه في الجزيرة العليا السورية

نمريب وتنجي : عرمان النبي

بفلم : د. ج. فان لير

كانت أوركيش ، المركز الديني ومقر جمع الأرباب الحوريين والرب الرئيسي كوماري هدفاً لكثير من الاستقصاءات في الجزيرة العليا . ويقدر نوغايول أنها في المنطقة الواقعة غرب القامشلي . وقد كرس مورتغارت يومين في استخبار المنطقة خلال حفرياته في تل الفخيرية . ويرى غوتز أن أوركيش يتوقع وجودها بسهولة في الجزء الغربي من السهل الحبيب الواقع بين رأس العين والحسكة والقامشلي . ودليل مورتغارت هو العثور على أسدين يروزيين ولوحة تأسيس معبد كوماري وتدل معلومات عثرت عليها عرضاً في الآونة الأخيرة أن هذين الأسدين أخرجاً من تل عامودة . وتل عامودة يوجد جنوب المدينة تماماً ! وهو أحد التلوات النادرة المخربة في الجزيرة ، إذ أن سكان عامودة استخدموا منذ سنوات توابه لبناء المنازل فلم يبق منه سلباً إلا القليل وهو لا يتجاوز ١٠٠٠ م^٣ تقريباً . تحقيقاً قديمياً

وموقع أوركيش هو بمثابة دليل هام ومفيد في المسالك البابلية التي نشرها غوتز ، والجزء الذي يحق منها الآن والذي يوجد له معطيات طبوغرافية مفصلة ، يوجد بين ابكوم شالبليجا وشوبات إنليل .

وبعد أن يقدم السيد فان لير ثبناً بأسماء البلدان التي كانت موجودة على الجزء من المسالك الذي نشره غوتز ويضع ما يقابلها حالياً من التلال والمواقع بما حقه غوتز أو هو شخصياً يقول إن هناك اعتباران هما بمثابة نقطة البدء وهما :

أ - إن القوات البابلية التي ورد ذكرها في المسالك توقفت في كل مرحلة مدة لا تتجاوز اليوم بصورة عامة ، إلا في بعض المراحل فقد اقامت مدة أطول . ولإني أقدر أن هذه المحطات هي تلوث رئيسية وليست ثانوية ، خاصة المحطات التي توقفت فيها القوات عدة أيام .

ب - بما أن المسالك تعود لنهاية عصر البروتز القديم فإن هذه التلال هي مستديرة أو مضطعة ، لها سطح أو سطحان الواحد فوق الآخر .

ولنتنظر الآن في تلك المسالك :

شوبات - انليل :

تعتبر عامة موقع شاغار بازار ، ومع ذلك فإن هذا التعيين ليس مرضياً تماماً . لذلك فإني أبحث عن تل أكثر بعداً عن عامودة (فهناك محطتان بين أوركيش وشوبات انليل) وأكبر (فقد توقفت فيه القوات ٣ أيام في الذهاب و ٨ في الاياب) ومحصن . كانت شوبات انليل عاصمة متناوبة لششي حدد الأول ملك آشور ، ولم يكن ذلك الملك شخصاً يرضى بأنصاف الحلول وتل الحميدي هو بعكس شاغار بازار كان تلاً قوي التحصين له أسوار ضخمة وخندق واسع . فأميل الى تعيين موقع شوبات انليل في تل الحميدي .

شونا :

بقيت فيها القوات ٢٦ يوماً في الاياب . فأرى أن شونا يمكن أن تكون تل الموزر الضخم ذا السطحين والبناء الرئيسي كتل الحويرة وخط للدفاع بعيد عن التل .

أشناكوم :

بقيت فيها القوات ٣ أيام في الذهاب و ١٠ أيام في الاياب ، فيجب أن تكون في الأراضي التركية ، وليس عندي معلومات حولها .

ولا يستر الطريق بعد أشناكوم . ولكن المسافرين حين عودتهم من الفرات يصلون الى أبكوم شا باليجا مارين من توتول - آحونا زالبه . وبين البليخ والفرات ليست هناك أشياء كثيرة ، فالأراضي وعرة طينية فهل ما يمنع من الاعتقاد أن توتول وأحونا وزالبه موجودة في وادي البليخ الخصيب . يمر المسافرون بين حران وتل حلف على أكثر من عشر محطات . وخلاف ما كان يعتقد ، فإن هذه المنطقة كانت هامة جداً في عصر البرونز القديم ، وهي مركز التلوي المستديرة ذات السطوح القائمة فوق بعضها وأهم هذه التلوي تل الحويرة الذي يمكن أن يكون موقع آدقوم التي نعرفها أيضاً في المسالك الآشورية . وأهم تلال المنطقة : تل أبو الشيوخ ، البوغا ، البطوح الشرقي والغربي . ويمكن أن تكون باكتان وكولزالان على طول الحابور حيث توجد بعض التلوي الهامة على الضفة اليمنى كتل العصافير وتل بارام .

وأهم التلوي بين رأس العين وعامودة هو تل الحنافس وجزء منه في الأراضي التركية ولعله ماشينوم . والخطبة التالية هو آلان واسمها مطابق لتل عيلون ، وهو تل الدرباسية الكبير . وأخيراً إن الحارمي ، وهو المحطة بين شونا وشوبات انليل يمكن أن يكون موقع شكر بزر أو أحد الثلاثة أو الأربع تلوي الهامة الموجودة في منتصف المسافة بين تل الموزر وتل الحميدي . ولقد تبين لي أن في تتبع المسالك القديمة كثير من الضجيج وقليل من المعلومات نسبياً . والمعطيات الطبوغرافية يمكن أن تكمل النصوص المسماة . والملاحظات الآتية لاتستهدف غير ذلك .

المذابح التدمرية المكتشفة قرب نبع افقا^(١)

تعريب وتلخيص : بشير زهري

بقلزم : جعفر الحسني وجان سناركي

ان (الرب غير المسمى) لا يشار اليه هنا بعبارة (تبارك اسمه إلى الأبد) بل مباشرة بصفة (رحمن) و (كريم) . والمعروف في البلاد العربية الجنوبية أن اسم (رحمن) أصبح اسماً خاصاً للدلالة على الاله . وفي تدمر ، فائنا أيضاً في الاتجاه نحو وحدانية الاله . فهناك عدة مذابح أخرى عليها هذه التسمية الالهية . في المنطقة التدمرية الشمالية الغربية مذبح قدم عام ٢٣٨ إلى (الرحمن ، إلى الكريم) ، ومذبح مؤرخ في ٢٢٧ - ٢٢٨ ، كتب عليها فقط (صنعه يرحاي وبادا ابنه شكراً للرحمن) وفي اللغة اليونانية ، فإن كلمة (رحمن) تترادف Eleêmôn . وتقرأ هذه الكلمة على مذبح ليس عليه نص تدمري . وفي حالة وجود نص بلغتين ، فإن النص اليوناني يقتصر على المفهوم الديني للرب غير المسمى بالعبارة العامة : Zeus hypsistos kai epêkoos وتقيد الصفة الثانية معنى (المنقذ) . وهكذا فإن كلمة (رحمن) تبدو سامية محضة . فوجودها على مذبح (مالكو) ينم عن مقصد مقدمه الذي يتوجه الى (الرب غير المسمى) الذي يعتبره وحيداً . وهذا دليل وحيد وصريح على الاعتقاد بالوحدانية . فعلى المذبح آ - ١١٧٣ يقرأ : (تبارك اسمه إلى الأبد ، الرحمن الكريم الرحيم ، فشكراً

(١) تمة الحال المنشور في هذه المجلة - العدد الثالث - ص ١٤٥ .

إلى الرحمن الكريم لانه ابتهل اليه فاستجاب إلى لشش بن قريبن بن مالا ، وعمل هذا المذبح في شهر نيسان عام ٥٦٧) أي عام ٢٥٦ م . فهذا هو المذبح الأخير المعروف تاريخه . وكنا ذكرنا أعلاه المذبح المؤرخ في ٢٥٦ م [انظر رقم ٤٠٤٧ في الجزء الثاني من كتاب CIS] والذي وردت فيه صفة (الرحمن) وعبارة : (شكرأ) مما يعطي للنص طابعاً خاصاً .

فمن جهة النحو ، يجب توضيح (ع ن) و (ق ر) . فهذه هي الدلالة الأولى لمذبح النعلين . أن اسم والد مقدم الهدية معروف بفضل بطاقتين فخاريتين قام بها (قريبن بن ينبوز اباد) . وهناك أيضاً اسم غير تام (ق ر ي ن) موجود على مذبح غير منشور قدم الى الرب غير المسمى . (تبارك اسمه الى الابد الرحمن الكريم الرحيم ، عمل قريبن بن حيرون بن يرحيول إلى لشش قريبن لأجل سلامته وسلامة أخيه في شهر نيسان ٥٦٢) أي ٢٥٢ م .
فبالنسبة للتواريخ ، فان (لشش قريبن) يمكن أن يكون نفس (لشش بن قريبن) .
الا انه اذا كان (لشش قريبن) هو الأخ فان أباه هو (حيرون) وليس بـ (قريبن) الذي يكون حينئذ الجد وليس الأب . ونعرف أيضاً (قريبن) بن (اوغا) الذي يقرأ اسمه الى يمين صورته المنحوتة في معبد (ايجال) في خربة سميرين . فكلية (قريبن) يجب أن تكون اسم توخيم صفوي (فرن) تفضيلاً على كلمة (قريان) أي مقيم . وما قلناه في صدد كتابة المذبح آ - ١١٧٨ ينطبق على كتابة المذبح آ - ١١٧٣ ، إذ أن بعض الحروف متطورة (مثل : م . ش) . وهذا ما ازداد خلال السنوات العشرة الأخيرة الباقية من عمر تدمر .

ويقرأ على المذبح آ - ١١٨٥ : [انظر اللوح التاسع - ١] :

(عمل ائمة هذا المذبح لمن تبارك اسمه الى الابد لاجل سلامته وسلامة ابنه ...)
فالخط مهمل ، بصعب اذاً تعيين تاريخه ، وحرف (ع) نسخي . فعدم وجود انحناءات واضحة ، كما أن شكل القمة يشير الى تاريخ مماثل لتاريخ مذبح آ - ١٢٠٩ أي نحو عام ٢٢٠ م . وربما كان التاريخ مدوناً على القسم الناقص . واسم (ائمة) هو اسم مؤنث على العموم . وهذا هو الحال منا (عملت) . الا ان اسم (ائمة) هو اسم مذكر في نص قديم ولندكر أن كثيراً من المذابح الاخرى قدمتها نساء . (انظر رقم ٤٠١٠ ، ٤٠١٤ ، ٤٠٢٧ ، ٤٠٤٢ في الجزء الثاني من Cis) .

فعلى المذابح آ - ١١٨٥ يقرأ (شكرأ ... الى الرحمن ، لاجل سلامته وسلامة زوجه وابنه وابنته ... لانهم ابتهلوا اليه فاستجاب اليهم) .

ان فائدة هذا النص تعود الى أن الرب غير المسمى لم يذكر الا بصفة (الرحمة) التي

تعرفه الى حد ما . وقد وجدت علاوة على المذابح المكتوبة مذابح غير مكتوبة ، ولنذكر على الاقل المذبح الذين تزين فتمه درجات متقابلة ، كما هو الحال في واجهات البتراء . وهناك ملاحظة تتعلق بنقوش المذابح المؤرخة ترجع الى فترة زمنية قصيرة نسبياً أي من ١٩٠ الى ٢٥٦ . فمن المفيد اذاً دراسة تطوّر اشكالها . ان نقوش القاعدة هي على العموم متناظرة مع الافريز الذي طول اطاره بمائل لطول التتوء الاسفل للقاعدة . وتتضمن الكتلة التي تعلو الافريز قسماً من الزخرفة المتناظرة على الغالب مع الافريز ، اذاً متوحدة مع القاعدة ، وكذلك فان التتوء البارز يعلوه شكل حلزوني . وهذا الترتيب العام يوجد بذاته في معظم بقية المذابح المقدمة الى الرب غير المسماة . وليس في ذلك من عجب ، لانها ترجع بكاملها تقريباً الى فترة واحدة من الزمن . وأن نظرة واحدة لصورها تسمح بادراك تطورها على ثلاث مراحل : فبالنسبة للمذابح الخمسة الأولى المؤرخة من عام ١٩٠ الى عام ٢١٩ ، فان الافريز له شكل زخرفة مقعرة في الجهة العلوية ومحدبة في الأسفل والشهد الجانبي للمذبح آ - ١٢٠٥ المؤرخ في تشرين الأول ٢٢٥ ، فانه مزين بزخرفة مقعرة ، منظرها الجانبي يتألف من ربع دائرة . وبعد خمسة عشر عاماً ، فان المذابح آ - ١١٠٤ و ١١٧٥ يتميزان بعدم وجود زخرفة ما ، وكذلك في المذبح المجرد من الكتابة (انظر الصورة ٢) فانه مذبح لم يتم . فالزخرفة لم تنقش ، في حين أنها تامة في المذابح المكتوبة (انظر منظر الجانب اليساري على مذبح آ - ١١٧٥) في المذبح آ - ١١٧٦ الذي يرجع الى عام ٢٤٣ - ٢٤٤ ، فاننا نرى زخرفة مقعرة في الجهة العلوية ومحدبة في الأسفل . وفي المذبح آ - ١٢٠٦ الذي يرجع الى العام نفسه ، فان المنظر الجانبي لإفريزه يبدو بشكل مقطوع . وأن جمع الزخرفة بربع دائرة أصبحت منذئذ قاعدة متبعة .

ويمجد اتمام دراسة الافريز بدراسة القمة ، ففي المذابح الثلاثة الأولى تشاهد الزخرفة متناظرة مع الافريز ، ولها بروز متوج بشكل حلزوني ، وقد احتفظ ببعض التناظر في المذابح الأربعة التالية (آ - ١٢٠٩ ، ١٢٠٧ ، ١١٨٤ ، ١٢٠٥) كما أن الزخرفة أضيف اليها تتوء عال ، مما أدى هذا التبديل الى حذف التاج لا الشكل الحلزوني . ويعتبر المذبح آ - ١٢٠٥ خير نموذج ناجح لهذا الطراز حيث يشاهد التوازن منسجماً بين الكتلة العلوية وكتلة القاعدة .

وبقابل الأشكال المزخرفة لهذه المذابح آ - ١٢٠٤ و ١١٧٥ اللذان تركت قمة كل منها بشكل حافة مائلة ، كما هو الحال في الافريز والقاعدة . ولكن في كلا النموذجين ، فان الناتيء المذكور أعلاه يؤمن التوازن المطلوب ، كما أن التاج المنتهي بشكل حلزوني يوضح أيضاً

الارتفاع . وهذه القبة التي لها مظهر مثلث أصبحت غير ملائمة عندما نقش فيها النحات نواقيء وزخارف كما هو الحال في المذبح آ- ١٢٥٦ الذي يرجع إلى عام ٢٤٣/٤ . وابتداء من مذبح آ- ١١٧٦ فاننا نعود فنشاهد التناظر الذي كان في المذابيح الأولى ، الا أن التاج أصبح له شكل مبالغ فيه . والمذابيح الثلاثة الأخيرة المؤرخة هي من هذا الطراز .

وبدراسة بقية المذابيح التدمرية يلاحظ أن هناك تطوراً يقارن مع ما كنا استنتاجناه ، الا أن اسلوب نحت الطرف بشكل منحرف أصبح سائداً في المنطقة التدمرية الشمالية الغربية ، وليس هذا بعجيب ، فبقية مظاهر الفن تقدم هنا نفس الصفة القديمة .

وطراز تبسيط التاج بشكل أيضاً عنصراً مساعداً للتأريخ : فالاوراق والورود المصورة على المذابيح آ- ١١٧١ و ١١٧٥ و ١١٧٦ ، حلت محلها زخرفة نصف مستديرة في المذابيح آ- ١١٧٧ و ١١٧٨ .

ب - المذابيح الثلاثة الكبيرة : ان عمليات الحفر في عام ١٩٤٧ و ١٩٤٨ أخرجت إلى حيز الوجود مذابيح كبيرة تفوق أهميتها أهمية المذابيح السابقة ، واحد هذه المذابيح غير منشور البتة . المذبح آ- ١١٦٨ (انظر اللوح الرابع - ١ الأبعاد ٦٤×٨٥×٧٢ الحروف ٢٥٣ الافريز : زخرفة مقعرة بشكل ربع دائرة فوق زخرفة مقعرة في الاعلى ومعدبة في الأسفل . القبة مسطحة مع نواقيء منحوت بشكل حلزوني) .

فالنص التدمري غير منشور ، وقد نقل النص اليوناني عام ١٦٩١ الراهب (هاليفاكس) الذي أشار إلى النص التدمري بسلسلة من النقاط التي تلت النص اليوناني (لان من المعروف أن قراءة الكتابة التدمرية لم تتجسج الا بعد مرور نصف قرن من ذلك الوقت) . اتنا لن نذكر النص اليوناني اذاً ، فضلاً عن أنه واضح في الصورة ، ومشابه للنص اليوناني في المذبح آ- ١١٦٧ فبالاستعانة بهذا النص الأخير ، فان ما تبقى من النص التدمري يتم كما يلي :

(ذكر طيب لسيد العالم قدمه بولاي بن زبيدا بن حيون بن مقبو متى عندما كان قيم نبع افقا وليقر ... نني ...) فما تبقى اثنكته المياه ، اذ أنه ينقص مالا يقل عن خمسة سطور ، فلترجمة علينا أن نعود إلى المذبح آ- ١١٦٧ ، ولكننا نلاحظ أن نهاية النص مختلف . فنقرأ (ل ي ق ر ن ن ي) [ل ه ت] على شرف نني [البة] . أن لفظ (ل ي ق ر) لتقديم اسم البة العظيمة هو لفظ غريب ، الا أنه يشاهد مالا يقل عن مرة واحدة على النحت البارز للرب (مالكا) ، ويتوضح هنا لأن ذكر (نني) قد أضيف . وبما أن المذبح هو قبل كل شيء مقدم الى سيد العالم أي (بعلشين) ، فهل (نني) هي ربة مؤنثة لبعلشين ؟ ان

هذا قليل الاحتمال ، لان الارباب الذين انضمت اليهم هم : (بل) و (رشف) ، الا انه يمكن تصحيح حرف قبل (ن ن ي) فتغدو الكلمة اسم علم (غني) . وفي الحقيقة أن لفظ (ل ي ق ر) ليس وارداً الا للقبائل عندما يرد في النصوص الدينية وليس هنا مكان لاسم قبيلة ينتدى به (بني) لوجود حرفي (ن) الذين يسبقان حرف (ي) .

المذبح آ - ١١٦٧ (انظر اللوح الرابع - ٢ الابعاد $١٥٠ \times ٧٤ \times ٥٦$ الحروف ٢٥٥ ، يتضمن الافريز زخرفة . وللعمامة ثلاث درجات) ان اكتشاف هذا المذبح الجليل قد أشير اليه فيما مضى في مجلة (سيريا) ، واعتقد احد كتابي هذا البحث بان ذلك يعود الى المذبح السابق الذي شاهده (هاليفاكس) . الا أن هذا المذبح الاخير قد اكتشف بعد عام . ومع ذلك فقد عثرت (هاليفاكس) موقع اكتشاف مذبحه على الطرف الجنوبي من التبع . في حين أن المذبح آ - ١١٦٧ كان في المقابل في المغارة الرابعة ، وكان موجهاً نحو الجدار الصخري الوجه الذي عليه كتابة ، بما يدل على عدم وجوده في مكانه .

النص اليوناني : الى زوس ، الاله ، العظيم ، النصير .

بولانوس (بن) زينوبيوس (بن) ايرانوس .

(ابن) مقيوس متى

المعين قيم نبع افقا من قبل الرب يرحبول

قدم هذا المذبح على نفقته

عام ٤٧٤ في شهر هيبوباتيوس ، في العشرين منه (أي في تشرين الأول عام ١٦٢)

النص التدمري : ذكر طيب لسيد العالم ، قدمه بولاي بن زييدا

ابن حيرن بن مقيوس متى عندما كان قيم نبع

افقا ، في شهر تشرين سنة ٤٧٤ (أي عام ١٦٢)

الشرح : ان عبارة (د ك ر ن ط ب) هي في مكان كلمة مذبح التي يعبر عنها أحياناً بـ (ع ل ت د ه د ك ر ن ل ب ر ي ك س م . . . الخ ع ب د . . .) (١) . فالاهداء الاخير هذا يرجع إلى القرن الثالث ، وهو احدى عبارات الاهداء القديمة الموجهة إلى الرب غير المسى . ولفظ (د ك ر ن) المألوف طيلة النصف الأول من القرن الثاني قد زال بعد عام ١٦٢ م .

(١) المذبح هذا ذكرى ليبارك اسمه . . . الخ منع

(العرب)

وهو تاريخ النص الذي نحن في صده . كما أن استعمال لفظ (ق دم : أمام) يرجع الى زمن أقدم . [قدم] للذكرى امام الذي تبارك اسمه إلى الأبد .
ومن المعروف أن فكرة (الذكرى) متطورة جداً في الديانات الساميّة . فهنا ، فان المذبح من شأنه أن يذكر مقدم الهدية بالذكريات الطيبة للآلهة . وتقارن بالعبارات النبطية الآتية التي أظهرها الاب (سافيناك) في جبل رام : (د ك ر ت ل ت و . . . ب ط ب) أي : (لتذكر اللات بالخير فلاناً . . .) والمذبح بذاته هو ذكرى لمقدم الهدية وأقربائه ، ولكنه يفصح غالباً عن الدعاء الذي يذكره المار أمام الآلهة . وإلى هذا الدعاء أضيف دعاء آخر . كما هو الحال في المذبح المقدم الى (شمع القوم) : (وليذكر الذي يقول : وليذكر كل هؤلاء - أي المذكورين اعلاه - بالخير) .

ويلاحظ أن لفظ (د ك ر ن ط ب) يبدو في تدمير مخصصاً لبعشيين وإلى الرب غير المسمى . ففي النصوص الواردة بلغتين لا يشاهد في النص اليوناني مرادف له مما يدل على أن اللفظ سامي . (م ر ع ل م) أي سيد العالم تدل هذه العبارة على تحول من عبادة (بعشيين) الى عبادة (الرب غير المسمى) . ويشاهد في اللغة اليونانية عبارة (Zeus hypsistos megistos kai epêkoos) وقد رأينا سابقاً (انظر آ - ١١٧٨) الصفة الأولى والثالثة من هذه الصفات تدل على (الرب غير المسمى) المشار اليه عادة في النصوص التدمرية بعبارة (الذي تبارك اسمه الى الأبد ، الكريم ، الرحيم) فالذين يسبونه (سيد العالم) لا يظهرون في ذلك صفة (الرحمة) باستثناء الاهداء المذكور في الجزء الثاني من كتاب Cis تحت رقم ٣٨٨٩ : (ل م ر ع ل م ط ب و ر ح م ن) . وسمي أيضاً ببعشيين - مرتين - ب (رحمن) ، وصفة Megistos الخاصة بالرب (بل) أكثر من بعشيين ، وتترادف الصفة الآرامية (رب ب ا) الواردة مرتين لبعشيين . ولوجود صفة Megistos على المذبحين آ - ١١٦٧ و ١١٦٨ أهمية ، لأنه في مكان آخر ليس ل (سيد العالم) هذه الصفة . وينطبق ذلك أيضاً على (الرب الذي تبارك اسمه الى الأبد) أو (الرحيم) . وبالنسبة للمؤمن فان (الرب غير المسمى) هو الرب الكريم أكثر مما هو الرب العظيم . وفي نصّي الاهداء فان كلمة Megistos ترادف عبارة (سيد العالم) .

وامم مقدم الهدية هو (بولاي) في النص التدمري ، و (بولانوس) في النص اليوناني . فلفظ (بولاي) إذاً محرف من (ب و ل ن) أي (بولانا) الوارد على المذبح (ذي الرقم ٣٩٧٦ في الجزء الثاني من Cis . وليس هناك امم مشترك بين الاسماء المذكورة في النصين . فيها إذاً من عائلتين متباينتين .

وينتسب (بولانا) الى عائلة الاشراف ، في عام ١٣٩ م هنا مجلس الشيوخ والشعب كلا من جده (حيون) وعمه (عيلامي) ؟ وأقاما لها عمود شرف (انظر رقم ٣٩٣٠ في الجزء الثاني من Cis) ، وبعد مضي عشر سنوات ، أتم هذا العم نفسه ووالد (بولانوس) بناء معبد فخم جنازي عند مدخل وادي القبور (انظر رقم ٤١٦٨ في الجزء الثاني من Cis) . وقد جعل نص التأسيس بلغتين ، وترى فيها نفس اسم (زوييوس - زيدا) الموجود على المذبح الذي نحن في صده . فبالاستناد على مختلف القطع التي ظهرت في القبر يمكن القول بأن (بولانوس) دفن هناك ، وربما كان رئيس مائدة الرب (بل) كما يستدل على ذلك من قطعتين . أضف الى ذلك أن متحف دمشق يحتفظ بنثال نصفي لـ (زيدا) . حفيد المؤسس (عيلامي) . ويعود تاريخ هذا النثال النصفي الى عام ٢٣١ - ٢٣٢ ، وبدون شك لقد عثر عليه في القبر العائلي . ويبدو (زيدا) يزي كهنوتي يعلو رأسه تاج . وتحدد الكتابة التذكارية - التي ترجع الى عام ١٣٩ م - أن (حيون) و (عيلامي) (أرضوا . . . الى الارباب الاجداد) . فنحن اذا في صدد عائلة قدمت الى المدينة عدداً من افرادها رهباناً . .

فالجد كان (مقي) . وعدم وجود كلمة (ابن) امام هذا الاسم في النصوص الذي تذكره يحول دون امكان تحديد درجة قرابته . وفي نص الاهداء الذي لدينا ، فقد ورد اسم (مقي) مباشرة بعد (مقيو) ؟ ووظيفة الاشراف على نبع افقا التي تولاها (بولانوس) كانت بدون شك من الوظائف المهمة في المدينة . لأن غزارة مياه افقا كانت تؤمن ري الواحة . وكان توزيع المياه في بساتين الزيتون والبلح منظمة كما في ايامنا الحاضرة . وبكل تأكيد ، كان نبع افقا احد النبعين الواردن في (تعرق تدمر) المؤرخة في ١٣٧ : في السطر الثامن والخمسين منها نقرأ في النص التدمري : (فعلى الذي يستعمل مياه النبعين اللذين في المدينة : ٨٠٠ ديناراً) (انظر ص ٤٨ في الجزء الثاني من Cis) . والنبع الآخر هو الذي يجري في المضبة الصغيرة التي شيد عليها (معسكر ديوكلسيان) الذي يتلقى - بقناة - مياه نبع (أبو الفوارس) على بعد ١٢ كم في غرب تدمر . وهذان النبعان كانا يقعان (في المدينة) التي كان يحيط سورها وقشدر بالواحة ونبع افقا .

فكان اذاً يوجد (قيم نبع) آخر على الاقل الى جانب (قيم نبع افقا) . وليس (النبع المبارك) الذي أشرف عليه بعد قرن (بولانوس) آخر ، سوى (نبع افقا) الذي يستحق صفة التبريك هذه . ويحتفظ متحف استامبول بالمذبح المقدم الى رب النبع المبارك (انظر

رقم ٣٩٧٦ في الجزء الثاني من Cis) الذي يجعل وظيفة مزدوجة لبولانوس ويعود عهده إلى منتصف القرن الثالث . لان في عام ٢٥٤ و ثم في عام ٢٥٩ ، نصّب تمثال شرف لأخيه (اوغا) في الشارع المعبد (انظر رقم ٣٩٣٤ و ٣٩٣٥ في الجزء الثاني من Cis) . وكانت يشغل وظيفة رئيس مجلس الشيوخ . فنستنتج من ذلك أن وظيفة الاشراف على نبع افقا كانت تتولاها العائلات الأولى في المدينة .

وفي القرن الثالث ، فان عبارة (رب النبع المبارك) لم تعد تفيد سوى الحماية الآلهية الظاهرة في مياه افقا المفيدة . فهذه الصفة الدينية العامضة التي تعود إلى مَلِك النبع ، تدل في الواقع على النفور من تصغير الآلهة الحافظة إلى مجرد (صنم النبع) الذي كان يقدمه الأجداد وتذكره أيضاً كتابة على مذبحين قدمهما (افكال صنم النبع) إلى الرب غير المسمى ؛ وليس إلى الصنم نفسه . وهناك دلالات عديدة على روحانية عبادة آلهة النبع . ونعرف الآن أن احد المشرفين كان يحلم بتقديم مذبح إلى (سيد العالم) وليس إلى الصنم الذي كان في جهة ما عند مدخل افقا . و (مذبح بولانوس) الذي عثر عليه في المغارة الرئيسية لم يكن مكانه الأصلي بعيداً وذلك بسبب ثقله . فبما أن بولانوس كان قيم نبع افقا لهذا فانه كان يهتل إلى سيد العالم . فما هو اذاً اسم (الصنم البدائي للنبع) ؟

ففي دورا (في معبد ربات سعادة تدمر ودورا) ، عثر على نصب يمثل الرب يرحيول بلباس عسكرية ، والهلل على الكتفين ، وعلى القاعدة نص ترجمته سبته : (يرحيول الرب الكريم ، صنم النبع ، عمله بنو متى الرماة) (انظر الصورة : الثالثة) . وبنو (متى) هم من اقدم قبائل تدمر ، كل هذا يؤدي إلى الاعتقاد بان (رب نبع افقا) هو المرغوب تقديسه في هذا المعبد التدمري الذي أخذ شكله النهائي عام ١٥٠ م . وقد نحت النصب بعد هذا التاريخ . والكتابة متشابهة جداً مع الكتابة على لوحات ارباب تدمر ودورا التي ترجع إلى عام ١٥٩ م ، أي في عصر كان بولانوس قيم افقا يهتل بدعائه إلى (سيد العالم) وهي العبادة المحافظة عند الرماة التدمريين الذين لم يعرفوا بعد إلا النصب القديم للنبع . ومع ذلك فبالنسبة لجميع أفراد الطائفة التدمرية في دورا التي شيدت المعبد ، فان صنم النبع قد فقد علاماته الفردية بسبب نصب (بني متى) الذي كان بشكل رب هلنستي يمثل نبع افقا عند قدمي رب تدمر . فعلى هذا النصب تشاهد امرأة تسبح وهي تستريدها ثديها الايسر رمز النبع المغذي ، وقد ظهر الموضوع ذاته في (معبد الأرباب التدمريين) في دورا . وقد صنف مسيو (كومون) هذا المشهد في القائمة البلاستيكية المشتقة من (ربة ثروة انطاكية) . وقام بعمل التقارب مع

(النبع المبارك) المشار اليه على المذبح المذكور اعلاه ، فلاحظ - على صواب - أن رب تدمر موحد مع رب النبع . فنستنتج في كل مكان أن التطور من الصنم السامي الى الرب الغامض الذي له علامات (ربة الثروة اليونانية) أو (سيد العالم) . ويفيدنا النصب أن الصنم كان له اسم (يرحيول) ، فيجدر بنا هنا جمع الدلائل المؤيدة لهذه المعلومات التي تقدمها هذه المستعمرة البعيدة عن تدمر .

فقد اكتشف حديثاً في (ارك) - التي تبعد ٣٠ كم . - إلى الشمال الغربي من تدمر - مذبح مقدم إلى يرحيول . ونلاحظ أن لهذا المذبح فائدتين : أ - أنه اكتشف قرب النبع الذي يزود القرية ٢ - أنه اعطى (يرحيول) صفة مزود المنطقة بالماء ، و (رب القرية) . ولندكر أيضاً الاشتقاق الجذاب الذي اعطي حديثاً لاسم (يرحيول) والذي لا تتوافق معه جيداً (طبيعة الشمس) مع الشرح المقبول موماً حتى الآن ، أي استراك الرب (بول Bol) مع رب القمر (يرح) .

فالعالم (جوليوس لويس) يرى أن لفظ (يرحي) هو صفة اكادية (يرحو) التي تفيد معنى (الماء الراقد ، البشر ، النبع) مما يستنتج منه أنه سيد (بعل - بول) يتعلق بالنبع . وهذا الاصطلاح (يرحو) مألوف في اللغة الاكادية ، ولكنه أتى من اللغة الحورية (يارو - حا) ، من اسماء امكنة مثل (اريحا) وينبع في سفح هذا المكان (نبع يوشع) ، أو مثل (با - ري - يرح) المذكور في رقم ماري الطينية ، وهي من درجة لغوية حورية واحدة . وهناك في تدمر كلمات أخرى لا يمكن تفسيرها باللغات السامية . ولنبداً بكلمة (تدمر) الاسم القديم للواحة . فالعموريون أو الساميون الآخرون الذين هم اول من تحضر في تدمر ، كانوا يسبون (بعل يرحو) أي رب النبع ، واتخذوا له وثناً أصبح فيما بعد في درجة رب الشمس بنتيجة تطور يصعب فهمه بدرجة صعوبة فهم نصب دورا ، ووضع الهلال على كتفي يرحيول جاعلين منه رب القمر . فاذا كان هذا المظهر القمري أقدم من المظهر الشمسي المعروف وحده في تدمر ، فإن الاشتقاق المعتاد الذي يرى في لفظ (يرح) كلمة (قمر) مصيب مقابل النظرية الحورية التي يقول بها (جوليوس لويس) وإضافة الى ذلك ، يمكن الاعتراض بأن الاسم المركب (بول - يرحي) يصبح طبعياً أكثر من (يرحي - بول) . وهكذا ، فإن عناصر هذا الموضوع متناقضة لا تسمح بوجه نظر نهائية .

ومهما يكن معنى اسم الرب ، فإن الرب هو رمز النبع . اذان (يرحيول) الذي يفيد معنى قيم افقا (آ - ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩) : (دي ح دي ر ح ب و ل ل ه : الذي

اختاره يرحيول) . فمن المؤكد ان دور هتاف الآلهة يمتد الى ميادين أخرى . فهو ينفذ رئيس المائدة ، والزراعي ، والحكام ، ولكنه لا يسبي وظائف أخرى غير وظيفة (رئيس نبع افقا) .

ولنشرح اسم افقا . ان المذبحين آ - ١١٦٧ و ١١٦٨ وحدهما يعطياننا الاسم الآرامي ، وترجمته باللغة اليونانية . فالوهلة الأولى ، تشتق كلمة (افقا) من المصدر (نفق) الذي يفيد معنى (خرج) . وهكذا فان (افقا) تفيد معنى مخرج الماء . ويعتقد ان حرف الالف حرف أصلي ، وان اسم المكان افقا يعود الى مصدر (فق) . وتقرأ هذه الكلمة في قصائد راس شمرا التي يتروءد فيها لفظ (فق) في عبارة (انهار الهوتين) . وهكذا فقد كان يوجد في اللغة السامية الغربية مصدر (فق) الذي معناه (نبع) ، والذي ليس سوى تغيير لمصدر (نفق) ، والثلاثي القريب منه في اللغة السريانية (نبع) : خرج ، جرى ، وفي اللغة السريانية والعربية (نبع) . وفي لغة راس شمرا (نبك) و (نبك) بتخفيف الباء . فهو مصدر من حرفين (شقي وحلقى labiale - gutturale) قابل ان يتحول الى مصدر ثلاثي حسب اللهجات وشكل التعبير .

وتجري مياه نبع تدمر الكبير بغزارة من غار عميق ، وهذا المشهد النادر في الصحراء أملى على اوائل الساميين القادمين الى الواحة اسم (افقا) مخرج المياه عوضا عن اسم (يرحو) القديم عند المواطنين . ولكن ملك النبع حافظ على اسم المكان القديم فسمي (بعل يرحو) وعندما أصبحت تدمر احدى عواصم الشرق حل محله اسم (سيد العالم) ثم اسم (الذي تبارك اسمه الى الابد) وهذا ما سنراه .

المذبح آ - ١١٦٩ (انظر اللوح الثالث - ٦) الابعاد ٩٠ × ٦٠ × ٣٨ . وتتألف زخرفة الافريز من زخرفة مقعرة في الجهة العلوية ومحدبة في الجهة السفلية بشكل ربع دائرة (من الاعلى الى الاسفل) . وفي الذروة تتواء عاليتان منفصلتان بزخرفة مقعرة في الاعلى ومحدبة في الاسفل ، وزخرفة بشكل مستدير (هذه هي زخرفة القاعدة) ويعطوها عمود له شكل حازوني مألوف . وقد عثر على هذا المذبح في جهة اليسار من مدخل المغارة ، على المصعد ، مقابل المذبح آ - ١١٦٧ .

يقراً على الوجه الامامي : ١ عند توليه الاشراف على النبع ، يولها بن حيرن بن عتقب حومال الذي اختاره يرحيول ، بنى بناء هذا النبع والجدار الامامي والجدار الخارجي ، وبني

الجدار من اللبن في شهر نيسان سنة ٥١٦ [أي ٢٠٥ م] وليذكر تيا ابن . . . ابن تيا بليدا وحيرن بن مقيو بن ملكو ؟ لانه اختير بولها هذا قيم العين .)

ويقرأ على الجهة اليسيرة : (عمل بولها هذا المذبح على نفقته لاجل سلامته وسلامة بنيه وأخيه) . وهذه الجهة التي كتب عليها هذان السطران هي اكثر عرضاً . ولم تكن كتابة النص مبدئة بـ (واو) فكانت معتبرة كوجه رئيسي للمذبح . ولم تكن الربة المقدسة مسماة ولكن مكان اكتشاف المذبح وباعتبار (الرب غير المسمى) يتلقى وحده الهدايا من مذابح حجرية في تدمر على الاقل ، بما يسمح لنا بالتأكد بأنه هو الرب المقصود ، وان (بولها) مثل (بولانا) كان قياً على نبع افقا .

واسم (بولها بن حيرن) يقرأ على بطاقة فخارية يحدد خلفها بأنه كان (رب موزح) رئيس موكب . وقد لاحظنا ان (بولانا) شغل المنصب نفسه الا وهو رئاسة مائدة رهبان (بل) ذلك المنصب الذي كان أشرف مناصب المدينة .

اما اسم (حومل) الذي لم تسبقه كلمة (ابن) ، فانه يجب ان يعتبر كاسم جد للعائلة وقد بنى (مالكو بن مقيو بن بول بارك حومل) قبراً في المدافن الشمالية الغربية عام ٧٩ . ففي داخله . ما زلنا نقرأ تحت تمثال مفقود : (صورة يرحاي بن مالكو بن يرحاي حومل في شهر آذار ٤٩٦ (أي عام ١٨٥) . فهذه هي الدلائل الوحيدة لاسم (حومل) ، وهذا ما يدفعنا الى اعتبار مقدم المذبح من العائلة نفسها التي تملك القبر . فمن جهة اسماء العلم ، يجب ان يكون هناك تقارباً بين اسم (حومل) والاسماء العربية المأخوذة من مصدر (حمل) مثل حامل ، أو حاملات .

أما (بولها) فهو قيم نبع ووظيفته هي (الاشراف على العين) التي تسمى باللغة اليونانية Epimelêteia ، وقد اقتصر اهداؤه على (الى رب النبع المبارك) . ولنذكر ان كلمة (رب : قيم) تستخدم لعدة اسماء وظائف في تدمر : (رب س وق : زراعي) ، (رب س ي ر : رئيس قوافل) ، (رب م وزح : رئيس موكب)

وقد اشرنا عند بحث مذبح (آ - ١١٦٧) الى عبارة (الذي اختاره يرحيول) التي

تقابلها في اليونانية : Airetheis Hypo Irribôlou Tou Theou

والسطر الثالث والخامس من النص الرئيسي غير مفسرين بكاملها ، ولكن المعنى العام مؤكد : ان بولها مسؤول عن اعمال النبع ، أولاً : بناء عند المدخل ، ثم مجموعة ثلاثة جدران

اولها يبنى امام المدخل ، وثانيها في الجهة الخارجية ، اما الجدار الثالث الوارد في النص بفعل جديد (ع ب د ، أقام) فانه بشكل اختلافاً الى حد ما كما تدل على ذلك كلمة (ل ب ن : آجر) . ان كلمة (ك ت ل) جديدة في تدمير ، وقد فكرنا بادىء الامر انها مقتبسة من اليونانية Kotylô التي تفيد معنى كل شيء مجوف (من كأس وغيره . .) ولكن هذه الاشياء صغيرة بما لا ينطبق مع قرينتنا . فلدينا اذاً هنا الكلمة الآرامية (كتلا) ، مقتبسة من البابليين الذين كانوا يعنون بـ (كتللو) مؤخرة الشيء ، مثلاً : الجدار الخلفي من البيت . وكلمة (كتللو) نفسها مقتبسة من اللغة السومرية . والمعنى الاول هو (قفا) . في حين ان المعنى في اللغة الآرامية هو فقط (جدار) .

ولم نستطع قراءة الكلمة التي تلي (ق ل م : أمام) . ولكن ذكر الجدار الخارجي يدعونا الى تصور الجدار الاول أيضاً قريباً جداً من المدخل ، وربما كان الاغلاق جزئياً بمثابة لما بني حديثاً (انظر الصورة الثالثة) . اما الجدار الخارجي فهو نفس القسم الشرقي من الجدار الحالي الذي يحيط بالنبع ، لان في هذا القسم ، فان اسفل الجدار قديم . وهكذا فان الجدار المبنى من اللبن والذي يعلو الجدار الغربي ليس بحاجة الى جدار حجري قوي . والقارىء الذي يعود الى وصفنا يستطيع ان يحكم بصحة هذه الفرضيات .

اننا نعتبر كلمة (لبن) صيغة جمع لكلمة (لبننة) . وصيغة الجمع هذه موجودة في اللغة السريانية (ومفردها : لبنو) وهذا المثال يجب اضافته اذاً الى مجموعة الصيغ الشرقية التدمرية . أضف الى ذلك ان الكلمة موجودة في اللغة العربية (لبننة) وخاصة في تدمير التي تفيد فيها كلمة (اللبن) معنى التراب المجفف . ولكن مع الاسف فان وجود حرف (ل) ليس اكدأ ، اذ أنه يمكن ان يكون (ت) بما يؤدي الى كلمة (تبننة) فينتج عن ذلك انه جدار من القش بما ينطبق أيضاً . الا ان ما تبقى من علائم الحرف الاول ينطبق على الحرف (ل) اكثر مما ينطبق على الحرف (ت) .

ونحمل السطور الثلاثة الاخيرة كتابة دينية لشخصين .. فاذا كانت قراءتنا صحيحة ، فان ثانيها قد اختار (بولها) قياً . فهل هو أحد قائدين ؟ ففي هذه الحالة يكون الشخص الثاني (تبا) هو القائد الثاني ، والفعل (ح د) يعود للشخص الثالث من صيغة الجمع (ل ه ن) وان قراءتنا لكلمة (ملكو) بعد (حيرن بن مقيو) تعتمد على كتابة على قطعة من قماش جنائزي نصفي . ومع ذلك فان هذه الاسماء معروفة جيداً في تدمير . وليس من الجراً ان نؤكد وحدة الشخصين في شخص واحد .

والكتابة منتظمة ، ليس عليها ملاحظة خاصة . ويجب ان نقول الشيء ذاته بالنسبة للمذبح (آ - ١١٦٧) الذي يحتفظ بالنحت الكلاسيكي لكتابة الترفة .

٢- النبع والأماكن القوية منه

١ - نبع افقا : بفضل عمليات الحفر عام ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، يمكن في الوقت الحاضر تكوين فكرة عن التنظيمات القديمة لنبع افقا . يبدو النبع كفتاة تحت الارض ، وطولها ليس بقليل ، لهذا جدير بزيارة المهتمين بدراسة تشكل التجاريف الطبيعية .

ويلاحظ في الصورة الاولى من اللوح الرابع ما بقي من العود الذي يبرز في الماء . وهذا في الواقع صخر نحت لبشكل منه دعامة استخدمت أخيراً لتحمل جداراً يتوك مدخلاً جزئياً ، وسقف اصطناعي يمدد بضعة أمتار السقف الصخري . ويمكننا ان نتساءل فيما اذا لم يكن السقف الاخير قد تهدم جزئياً ، واذا لم يكن يشكل في الماضي كياناً واحداً مع الدعامة (A) بما يعطي للدخل مظهراً له فتحة مزدوجة . فالفتحة البيئية التي توافق الفتحة الحالية كانت قد حفرت بشكل اصطناعي لتوسيع مخرج المياه ، بل والمغارة الرابعة . وبالفعل فان جوانبها الداخلية وما يتبعها في جهة الجنوب منحوتة كما توضح ذلك صورتان (١ ، ٢) في اللوح الرابع .

وهناك ثلاث مغارات اخرى لها فتحة في حاجز من حجر الجير ، في شمال المغارة الرابعة ، ولها أبعاد متواضعة وليس لها محراب داخلي كما هو الحال في المغارة الرابعة ، وكانت على الأقل منحوتة جزئياً . وتوضح الصورة الرابعة كيف انقطع هذا العمل بفعل المياه . وتوحي طبقات الأرض الرسوبية من حجر الجير انها مداميك صنعتها يد انسان . ويلاحظ في الجهة العلوية بعض الأحجار القديمة التي أعيد استعمالها في الجدار الحديث .

ان ارض المغارات ليس لها مستوى واحد ، وهكذا فان المغارة الرابعة تتضمن نوعاً ما حوضاً داخلياً له فتحة شرقية في جهة مجرى الماء ، وقد مهدت الأرض الصخرية حول الحوض ، وغمرت أيضاً . ولكن الأمر لم يكن كذلك في الماضي . ولندخل النبع ، فالى اليمين ، جوف داخل الجدار مسافة تزيد عن ٦ م لبشكل مقعداً عريضاً . ويبدو (في اللوح السادس) تحت الماء ، واكن منذئذٍ انخفض مستواه وتجرد مجرى النبع من حصاد . وقرب المقعد مغارة يزيد عمقها عن عرضها وتشاهد مغارات أخرى في الداخل . وأمام المقعد والمغارة (رقم ٥) تمييز تحت الماء مصطبة صخرية طويلة ، وبين هذه المصطبة والدعامة (A) كتلة كانت مذبحاً مائلاً

(انظر اللوح السادس) . ويمتد مقابل المغارات (٢ - ٤) مصعد له ثلاث عشرة درجة منحوتة في الصخر ، وتقع الدرجات الثلاثة الأخيرة - في الوقت الحاضر - تحت الماء ، وتمتد عدة أمتار داخل النبع . وفي جهة الشمال ، فإن الصخر قد قطع ليشكل ثلاثة ألواح عريضة ، وفي الزاوية الشمالية الغربية حجر وقاعدة عمود يقابلها حجر من جهة المصعد . ومقابل الجدار قاعدة كانت تحمل تمثالاً لأنه مازالت تقرأ بعض الحروف في نهاية الكتابة التذكارية (... على نفقته ، على شرف ...) .

ويلاحظ (في الصورة الثالثة - اللوح الخامس) جذعا عمود قطرها أقل من القطر الذي تفرضه القاعدة (F) كانا يشكلان قسماً من البناء ، كالرواق الذي كان يغطي سطحاً مبلطاً . وفي الشمال ، فإن الدعامة (G) تعين نهاية هذه التنظيمات ، وفي المقابل فإن الصخر يرسم زاوية بارزة مما يقلل الى النصف عرض المجرى . وبين البلاطات والدعامة ، توجي قاعدة لها شكل منتهي فكرة درابزون يغلط مدخل هذه المنشآت . والجدار الذي يحدها في الشرق يشتمل على عدة أحجار قديمة ربما كان بعضها مازال في مكانه .

٢ - المكان القديم للمذابح : ليست هذه المذابح هي الوحيدة التي اكتشفت قرب النبع . فقد شاهد مسيو (كانتينو) مذبحاً منها عند المخرج على طرف القناة ، ومذبحاً آخر في جهة الجنوب قليلاً في المكان الذي عثر فيه الاب (جوسن) والاب (سافيناك) على المذبح (المنشور في الجزء الثاني من Cis تحت رقم ٣٩٨٧) الذي يرجع تاريخه الى ايلول عام ٢٤٠ . ففي هذا المكان عثرنا على المذابح التي لم تكن تعرقل الخروج من المغارة . وعلى مسافة بضعة مئات من المترات في جهة الشرق من النبع كانت توجد طاحونة ، وجد الدكتور (جينستيت) قربها قطعتين من المذابح على كل منها اهداء (الى زوس الرب) . وظهر قسم من جدار ديوكليسيان القريب من النبع اهداء آخر بلفتين (الى زوس الرب المتقد) والى (بعلشين العظيم الرحيم) يرجع تاريخه الى ما قبل عام ١٨٩ ، وقرب هذا المكان ، في معسكر ديوكليسيان ، عثر على ما لا يقل عن خمسة نصوص اهداء الى بعلشين أو الى الرب غير المسمى . فبما ان مكانها في المعبد أو قربها بما يؤدي الى اعتبار بعلشين هو رب هذا المعبد أو على الاصح رب المعبد المعاد بناؤه . ولكن أحد هذه المذابح على الاقل أعيد استعماله في ممر هذا المعبد .

ومعظم المذابح المقدمة الى الرب غير المسمى أعيد استعمالها بشكل أنصاب جنائزية في مقبرة القرية القديمة وبما أن حملها غير صعب فمن المحتمل أن يكون مصدرها متنوعاً . ويمكن التساؤل فيما اذا كان قسم كبير من هذه المذابح لم تكن في مكان ما قرب النبع . وقد لفت انتباهنا

عدد من القواعد الحجرية على سفح جبل منطار قرب النبع تماماً، فهل كانت هذه القواعد تحمل مذابح الى الرب غير المسى؟ لنذكر بان على بعد ستائة متر تقريباً جنوب النبع، أمام باب السور الاول الذي دعواته (باب دمشق) اكتشف - في أوائل الحرب الاخيرة - مذبح في مكانه وعلى قاعدته، ضلعه ٦٠ سم. وهذا السور نفسه بعد مايتبع قمة جبل منطار ينزل في جهة وادي القبور. وليس بعيداً عن المكان الذي يقطع الطريق الآتية من حصص، وجد مذبح قدم بدون شك الى الرب غير المسى (على نفقة الخزينة) وكان هذا المذبح قائماً اذاً في مكان لايبعد عما يسمى (باب حصص). وأخيراً فهناك ثلاثة مذابح كانت تشير على بعد ٢٠ كم. غرب تدمر الى مفترق طريق حصص وطريق انطاكية.

وهذه الامور تجعل وجود المذابح (لرب غير المسى) بعد النبع على طريق دمشق، أمراً مقبولاً. وكانت سلسلة مذابح تقوم على القواعد الحجرية وعلى التي يمكن أن نخرجها الى حيز الوجود الحفريات المنظمة، وقد تدرج بعض هذه المذابح الى أسفل السفح فاستعملت فيما بعد لاجل قسم من مدخل النبع. ألم يكن لهذه المذابح مكانها الاول على قواعد ومصاطب مطبورة في الوقت الحاضر، أو في مغارات المنحدر الغربي؟ فبالنسبة للقواعد فقد كانت تحمل تماثلاً أو عموداً. والمصاطب الكبيرة الثلاثة في شمال المصعد، وقواعد الاعمدة توحى بفكرة نوع من Nymphaeum كان فيه ما لا يقل عن مذبح واحد، وفي أعماق المغارات، على الأرض المسطحة، مقابل المصعد، على المرتفعات المتساوية التي تقع تحت الماء في الوقت الحاضر (انظر المخطط) كان يوجد مكان لعدة مذابح. وكانت مذابح (بولانوس) في المغارة الرابعة، وقد عثر على أحدها. كما أن مذبح (بولها) وثلاثة أخرى نقلت من المقبرة لم تكن بعيدة عن النبع الذي تذكره كتاباتها. (كمذبح ٤٠٦٠ و ٣٩٧٦ في الجزء الثاني من Cis).

ولكنه يقوم اعتراض على ذلك ألا وهو: اذا كانت أطراف النبع عامرة بالمذابح فيجب افتراض وجود معبد حقيقي وحيث أن النبع لا يكون مكان استعمال. ولكن المقعد الموجود داخل النبع، وحفر المغارات ولاسيما المغارة الرابعة وحوضها والمصعد الكبير الذي له ممر ملائم في النفق المحفور أمام مخرج المياه، كل هذا يوحي بالاستخدام الفعلي للنبع كاهو الحال في أيامنا الحاضرة. ونعتقد اذاً بأنه اذا كانت الاقسام المبنية تحتوي محراباً للنصب البدائي وبعض المذابح المقدمة الى الرب غير المسى فان مجموع المذابح التي عثر عليها قرب النبع كانت قائمة في مكان آخر: على سفح الهضبة، على طول الطريق، وعلى طول مجرى الماء وربما كانت مجموعة في معبد ما كان يقع بين النبع والطاحونة. وقد لاحظنا أيضاً مجموعة مذابح (معسكر ديوكليسيان).

ولاشك أن مذابح المقبرة نقلت من أماكن مختلفة ولكن بعضها كان على طول مجرى الماء الذي يتجه قلباً نحو الجنوب في منطقة الواحة التي كان يقدر فيها (رب البساتين) الذي تأكدت عبادته في تدمر بشكل غير مباشر وذلك بفضل بطاقتين فخاريتين باسم (ج د م س ح) رب ثروة أشجار الزيتون ، الذي يتوحد مع رب النبع . وفي القرن الثاني ، فإن المذابح المقدمة الى الرب غير المسى حلت محل مذابح الرب ولاسيا في البساتين المروية بماء النبع ، كما أن أسباب الاهداء تغيرت بتغير صفات سيد العالم .

والخلاصة : ان المذابح التي نشرناها في هذا المقال ترجع الى ما بين عام ١٩٠ و ٢٥٦ م باستثناء مذابح القيم (بولاتوس) . وقد لاحظنا أن معظم المذابح المؤرخة ترجع الى أواخر عهد (مارك اوريل) والعهود التالية حتى عهد (اورليان) . وقد سمحت لنا هذه المذابح بمتابعة تطور عبادة الرب غير المسى . ولم يكن ذلك الا انعكاساً لتغير العالم الروماني . فقد تلا الاستقرار والازدهار في عهد الانطونيين والسيثريين عهد اضطرابات دعا المواطن للبحث عن السلام الحاضر والمستقبل في عبادة خاصة أكثر بما هي عبادة رسمية . وقد جعلتنا مجموعة هذه المذابح نحل أمراً صعباً هو أمر العلاقات بين عبادة نبع افقا وعبادة الرب غير المسى . فهناك أمران أوحيا لنا أن عبادة الرب غير المسى حلت محل عبادة يرحبول رمز النبع . وكان رهبان هذا التمثال والمشفرون على افقا يقدمون المذابح الى الرب غير المسى ولهذا علاقة مع وظائفهم . وقد عثر على كل المذابح تقريباً - التي أهدها اليه - قرب النبع ومجرى الماء أو في مقبرة قريبة جداً . وقد سهل هذا التبديل غياب شخصية رب الشمس بصفته رمز النبع وهذا ما يوضح بأنه ليس هناك من نص عثر عليه في تدمر لا يسرد هذه الصفة وقد أخذ بعلمين بصفته رب الخصب مكان (ج د) الرب باسم (سيد العالم) ثم بتسمية أكثر غموضاً . فكان يتلقى احترام القيم ومستغديه ، وقد بقي أولها مسى بشكل تقليدي من قبل (يرحبول) وتخصص الآخر بشكل رسمي للعبادة القديمة للنصب . فالتبديل لم يجر اذاً بشكل كامل ولم يكن للمعتقد كامل الايمان بالصفة الشكلية لديانة الأجداد التي انتقل كل بهاها الى عبادة أخرى هي عبادة المبارك الرحيم . وقد كان نبع افقا وأطرافه مركز انتقاء هذه العبادة . فهناك أحب التدمري وعائلته أن يتركوا دليلاً دائماً على نسكهم الذي يوجهونه الى رب النبع المبارك أو الى الرب الرحيم الذي يحفظه وآله .

بشير زهري

مختصر بحث « المعرض السوري للفن والفولكلور والصناعات اليدوية الدقيقة »

للدكتور سليم عادل عبر الحن



١ - مقدمة

تعتبر المعارض الفنية المتنقلة بين الدول من الوسائل الناجعة في تلييت دعائم التفاهم بين الشعوب . وقد آمنت سوريا بهذه الرسالة ، وقامت بأعداد معرضها الحالي ، وبعثت به إلى الدول الصديقة علماً منها بأنه سيكون معبراً عن رغبتها في السلام والعيش مع ذوي النوايا الحسنة في عالم منسجم تسوده العدالة والصداقة والتقدم . وقد عرض هذا المعرض حتى الآن في مدينتي (لينينغراد) و (موسكو) من الاتحاد السوفيتي ، وفي (فارسوفيا) عاصمة بولونيا ، و (برلين) عاصمة ألمانيا الديمقراطية . وسوف يعرض في مدن تشيكوسلوفاكيا وهونغاريا ، ويوغسلافيا ، ورومانيا ، وبلغاريا .

ومعرضنا هذا يقسم إلى أقسام ثلاثة :

١ - التصوير الزيتي ، والفولكلور ، والصناعات اليدوية الدقيقة . وهذه الأقسام الثلاثة بمجموعاتها الفنية الرائعة تعكس ما تحلت به أجيال هذا البلد من مميزات وغرائز خلاقة ، وضعت كلها في خدمة العالم منذ العهود التاريخية الأولى حتى عصر النهضة . ولكن لسوء حظ هذا البلد والانسانية جمعاء ، بقيت سورية عهداً طويلاً تزوج تحت عبء السيطرة الأجنبية البغيضة التي هدمت حضارتها الأصلية ، وحدثت من امكانياتها ، وحاولت أن تؤيل شخصيتها الفنية .

ويتجلى اليوم الاحساس السوري بالجمال في القنون الصغرى بعد أن كان هذا الاحساس يظهر بشكل واضح جداً خلال العهود القديمة وأزمة القرون الوسطى ، في كل القنون التي عرفتها البشرية ، منتظراً الفرصة الملائمة التي تتيح له أن يتسامى إلى آفاق اوسع .

لقد تخلصت سورية من ربة الاستعمار في ١٧ نيسان ١٩٤٦ . فحققت بذلك أملاً عزيزاً عليها ، وحصلت على استقلالها كاملاً غير منقوص دفعت ثمنه غالباً من دماء ابنائها البورة ، وعادت من جديد تلعب دوراً فعالاً في حياة العالم ، وغدت بذلك مثلاً حثته بقية الشعوب العربية الشقيقة . ومن أكبر المهات الملقاة على عاتق سورية اليوم هي مهمة إعادة بناء شخصيتها الفنية ، وانقاذ ما تبقى من ثقافتها الشعبية ، وانهاض صناعاتها الدقيقة من كبوتها .

ولقد استطاعت سورية الوصول الى نتائج ملموسة في الميادين الثلاثة الآتية الذكر خلال فترة وجيزة من الزمن ، وكلها رجاء أن تقدم الآن مظاهر نهضتها الفنية لاصدقائها العديدين في هذا العالم .

٢ - التصوير الزيتي

ويضم هذا القسم قرابة سبعين لوحة تمثل هذا الفن في سورية بانجازاته المتعددة . ولد فن التصوير الزيتي السوري بعد الحرب العالمية الثانية ، وتوخى في سيره ارضاء رغبات الجيل الوطني الذي حقق الاستقلال ، فالاشكال والالوان استعملت لظهار مختلف وجوه سورية الجميلة ، وهي تمثل اوابدها ، وحياة شعبها وتجسم آمال هذا الشعب وآلامه وإيمانه الراسخ في مصير بلاده . فالرسامون الواقعيون والانطباعيون تعلموا في فرنسا وإيطاليا وألمانيا ، ولما عادوا إلى بلادهم جعلوا يستعملون ألوانهم بشكل جذاب لان هذه الألوان تصبح أكثر اشراقاً تحت سماء سورية الباسمة الضاحكة دوماً على ممر كل أيام السنة .

يطيب لميشيل كرسه مثلاً تمثيل أوابد سورية وفق سمفونية من الألوان الرائعة : لوحة (المسجد الاموي) و (منظر داخلي لدار شرقية) . إلا أنه يجدرنا في لوحة (خيام اللاجئين الفلسطينيين) حديثاً قاسياً عن هؤلاء البائسين الذين طردوا من ديارهم بالألاعيب الاستعمارية والصهيونية ، ويجدرنا في لوحته (بولفانين يوقف الاعتداء على بور سعيد بانذاره الفوي) حديثاً حماسياً . وتبين لك هذه اللوحة المعركة الحامية الوطيس التي خاضها اخواننا المصريون بالوسائل وخرجوا منها منتصرين . وأما فاطم الجعفري فيبرز في لوحاته جمال الأحياء القديمة وجوها . فلوحته (القوافين) تمثل لك الحركة التجارية وحيويتها في سوق من أسواق دمشق القديمة ، و (طاحونة عربين) تمثل إحدى وسائط التجهيز الزراعي القديم في واحة دمشق .

وإذا انتقلنا الى شريف الاورفلي الفيناء قد طرق مواضيع اخرى منها لوحتا (الوضوء) و(الصلاة) والتي يعبر فيها عن جانب من حياتنا الروحية اليومية .
أما لوحة محمود جلال (صانعة أطباق القش) فيعكس الفنان فيها صورة حلوة لهذه الصناعة اليدوية بألوان جميلة ومنسجمة كل الانسجام ، وكذلك بالنسبة للوحته الثانية (الغروب) .
وفي ميدان القومية العربية يخرج علينا فريد كردوس بلوحته الفنية (يقظة العرب) والتي تذكرنا بعض أشكالها بما أنتجته المدرسة الرومانتيكية الباريسية .

ويعتبر نصير شوري خير من أجاد التعبير عن قصة الطبيعة السورية الجميلة ، وهو الى ذلك يخوض ميادين اخرى . ويترك فيها آثار جميلة . منها : (ابتهال) و (في الموسم) و (ساحة القرية) التي تعد من أجمل اللوحات ، وقد نالت جميعها في السنوات الماضية الجوائز الاولى ، ويشعر الناظر اليها بفرحة من الهدوء والسعادة .

وثمة فنانون آخرون منهم مي سابا المثلة في لوحتها (البدوية) ، والياس زيات في لوحاته (منظر في لبنان) و (الأزهار) ، وهشام الزمريق في لوحة (طبيعة صامتة) ، وكلهم فنانون في ربيع العمر . ولم يحل المعرض من تجارب اخرى في فنون التصوير التكعيبي والوحشي والتجريدي قام بها فنانون لم يتجاوز أكبرهم الثلاثين عاماً ، توخوا تجديد الفن العربي السوري ، واعطاءه اتجاهاً جديداً ، في أشكال ومواضيع مستقاة من حياتنا اليومية . ففاتح المدرس مثلاً يرسم وفق الطريقة الانطباعية . ومن لوحاته في هذا الحقل (فيض) و (نهر القويق) . وهو يبدع لوحات اخرى بالطريقة الرمزية . ومن آثاره فيها (الأمل الأخير) .

أما أدم اسماعيل فيعتبر من أوائل العاملين في الفن الزخرفي ومن لوحاته (الفارس العربي) و (الزجل السوري) و (فتاة الأزهار) وهي من أجمل ما ابتكر في هذا اللون الجديد في بلادنا . والى جانبه يجدر الاشارة الى أخيه نعيم اسماعيل الذي بضاهيه حيوية ونشاطاً ، ومن لوحاته (طريق القرية) و (السوق) .

أما لوحة (مساكن اللاجئين) فقد رسمها مروان قصاب باشي بطريقة أظهر فيها الجو القائم الذي يعيش فيه هؤلاء البائسون . كما رسم الى جانبها لوحة اخرى هي (الراعي) بطريقة جذابة . وأخيراً لابد منا من الحديث عن رويبر ملكي وسامي برهان . فالأول يحسم مخاوف الانسان في عصرنا في لوحته المسماة (السلام أم الحرب) . وأما الثاني فقد اعتمد في مذهبه الجديد على جمال الخط العربي الذي جعل منه مادة زخرفية تزيينية للوحاته وهذه الطريقة بمثابة في معرضنا بلوحتين أولاهما (في الشارع) والثانية (الربيع) .

٣ - الفولكلور السوري

يعبر الفولكلور السوري تعبيراً شائعاً عن حياة طويلة جداً آهلة بالتجارب الكثيرة التي أفاد منها الشعب العربي السوري من خلال تاريخه الحافل .

فهذا الفولكلور يظهر خلال الملابس وأدوات العمل والطرب تاريخ الشرق الأدنى اللامتناهي . كما يعكس على صفحة بيضاء نقية اعتياد الانسان السوري العربي على مختلف الشروط الجغرافية للناطق الساحلية والجبالية العالية والسهلية والصحراوية ، كما يبين التأثيرات التي تلقتها سورية الواقعة في وسط العالم القديم بين الشرق والغرب - ويشير الى الاشعاع الذي نشرته على جيرانها الأقربين والبعداء . وتشكل الملابس وتوابعها والأدوات المستعملة الخفيفة مادة هذا القسم من معرضنا . لأنه يصعب نقل القطع الثقيلة الضخمة في معرض سيزور عشرات المدن التي تفصلها عن بعضها مسافات طويلة .

١ - فولكلور المدن الكبيرة .

لبس من السهل طبعاً أن نرين الحياة الشعبية الماضية لكل من دمشق وحلب ، البلدين الصناعيين الكبيرين ، عن طريق عرض بعض الاشياء القليلة فقط . وفي الواقع ان هذه المعروضات القليلة لا يمكن أن تكون الا رمزاً لسكان دمشق وحلب الذين كانوا ينكبون على اعمالهم في اسواق المدينتين الشهيرتين ، أو يفتشون الى الدعة في قصورهما وبيوتها . ويلاحظ أن بعض الملابس المعروضة هنا انما صنعت منذ قرابة قرن من الاقمشة الدمشقية الشهيرة .

وكان السوريون نساء ورجالا حتى آخر القرن التاسع عشر يرتدون ألبسة مصنوعة من البروكار القطني أو الحريري ذي الألوان المبهجة (الذي سنتكلم عنه فيما بعد) ، والأقمشة الحريرية الخفيفة المطرزة . وكانت العباءات للرجال والملاءات للنساء المصنوعة من الحرير المنسوج المطرز تؤلف لباس الشارع الخارجي . أما الملابس الأخرى المطرزة بمئات المواضع وعشرات الألوان وما شابهها من براقع ومناشف فانها كانت تخصص لداخل الدور ، وتستهدف جعل الحياة أكثر بهجة وامتناع العين بمظاهر الجمال الفني .

وأخيراً فانه كان لصندوق المحاسب ومجبرة كاتب العدل وبعض أدوات الطرب التي منها العود والدف والدربكة والصنوج . . . الموجودة في معرضنا هذا ، دور في الحياة الاجتماعية السورية التي زالت ، الى جانب الملابس التي أتينا على ذكرها .

٢ - فولكلور السهول والمناطق الزراعية .

لعبت الزراعة دوراً هاماً في حياة الشعب السوري ، وكان لسكان كل منطقة من المناطق ملابسها

الخاصة التي يميز بها سكانها عن سكان سائر المناطق . وهاكم ملابس بعض المناطق السورية منها لباس بدوية من البدو الذين يعيشون في منطقة المريج وواحة دمشق . وأهم اقسامها (الدامر) ذو اللون الازرق المطرز بالحرير وكذلك الحمار الأحمر . وثمة لباس آخر هو لباس قروية من منطقة حوران ، وهو مصنوع من قماش أسود ، ويضاف اليه اللون الازرق السماوي أو الأحمر أو الأصفر . والى جانبه ملابس فلاحي منطقة القلمون ، ويعتبر سكان هذه المنطقة من أكثر القرويين السوريين فنا ، فهم يطرزون الخمل والانسجة القطنية والصوفية بطريقة جذابة . وذلك يجعلهم الزخارف الهندسية والنباتية على الاقسام الظاهرة من أثوابهم .

أما ملابس ضواحي حماد فمؤلفة من دامر مطرز قليلا ومن ثوب طويل هو القنبار .

٣ - فولكلور المناطق الصحراوية

تعتبر حياة أولئك الذين يعيشون تحت الخيام في الشرق العربي حياة جذابة متناهية في البساطة . اذ أن ترحالهم المستمر في أكثر فصول السنة يجعلهم على أن يجعلوا الخيام ملاذا لهم والأمتعة الخفيفة القابلة للحمل لأدوات لاستعمالهم اليومية . فالعباءة لباس عريض من الصوف يصنع عادة في المدن الكبرى ، خصيصاً للأعراب ، والعقال والكوفية يؤلفان غطاء الرأس وبقية حر الصيف وقر الشتاء ، والخف هو حذاء خفيف . وهذه الأشياء تعتبر أساسية في لباس البدو ، وكلها بمنزلة في معرضنا هذا الى جانب الأدوات التي يستعملها هؤلاء البداءة في خيامهم ، والتي منها (الغليون) بمقبضه المصنوع من القصب ، والمرآة المستديرة ذات الاطار الخشبي ، والمرجام (القلاع) المصنوع من الصوف والذي تقذف به الحجارة لجمع شمل قطعان الرعاة والعمل على سهولة مراقبتها . أما المكحلة فيستعملها الأعراب لتزيين عيونهم ، فتتألق هذه العيون بواسطة الكحل وتصبح شديدة السواد . أما المهباج فيستعمل لسحق بزور البن المحمص أو لاحتداث اصوات ذات ايقاع موسيقي في فضاء البادية الفسيح . وهناك أيضاً أدوات موسيقية أخرى منها الطنبور والربابة والناي والمزمار التي تسهم اسهاماً فعلياً باصواتها الموسيقية في خلق جو من الطرب بين خيام الأعراب وفي أماكن حلهم .

٤ - فولكلور المناطق الجبلية

١ - جبل سمعان

تقع هذه المنطقة الواقعة في شمال سورية بالكروم وأشجار الزيتون . ويظن أن سكانها من أصل كردي ، وقد عرفوا بنشاطهم الوفير ، وهم يهتمون خاصة بصنع ملابسهم القطنية والصوفية ويطرزونها بخيوط من الذهب والفضة أو بخيوط قطنية ذات ألون مختلفة تحدث اشكالا هندسية رائعة (٣٤)

ومن المحتمل أن تكون مواضعها قد استوحيت من الزخارف المنقوشة على الآثار البيزنطية الموجودة بكثرة في تلك المنطقة .

٢ - جبل الدروز

يقع هذا الجبل البازليتي الاسود في جنوب سورية ، ويعتبر سكانه محاربين اشداء ومزارعين نشيطين ، يحسنون استغلال اراضيهم الزراعية رغم فقرها . وتشتهر النساء الدرزيات ببجلمهن وتأنقهن ويفضلن في ذلك سائر القرويات الأخرى في سورية . وهن يتزين بالآقمشة المحملية وغيرها ويطرزنها بأشكال نباتية منتقاة من الحياة الزراعية . كما انهن اعتدن أن يضعن على رؤوسهن اغطية بيضاء . وتختص البنات منهن أنهن يسفرن عن كل وجوههن ، أما المتزوجات فانهن يحجبن القسم الاسفل من وجوههن حتى العينين . وتعتبر صناعة أطباق القش من الصناعات المنتشرة كثيراً في هذا الجبل . ويجمع القش من الحقول عقب موسم الحصاد . ثم يلون بألوان زاهية جميلة ثم يصفى وتجعل منه أطباق ذات اشكال طريفة ، وتصنع أيضاً في جبل الدروز ، الأقمشة الحريرية الملونة .

٥ - فولكلور المناطق الساحلية

الصيد والملاحة بواسطة المراكب الشراعية مظهران هامان من مظاهر الحياة الساحلية . ويرتدي سكان هذه المنطقة (الميتان) وهو ثوب من القماش القطني او الصوفي . ويتمه لباس آخر هو السروال ، وهو أبيض واسع وينتهي بأحكام الأرجل الضيقة . وأحياناً يرتدي هؤلاء السكان القنز وهو كساء طويل وواسع . وكان هذا النموذج من اللباس سائداً في مرافئ الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط . وما زال سكان مدينة ارواد حتى اليوم يزاولون صنع المراكب الشراعية الصغيرة التي تمثل بعض نماذج مراكبهم الشراعية القديمة التي كانوا يجوبون عليها البحر ، واضعين أنفسهم في خدمة الملاحة الدولية لهذا الجزء من العالم .

★ ★ ★

ان الثياب والأشياء الأخرى المثلة في هذا القسم من المعرض استعيرت كلها من متحف التقاليد الشعبية في دمشق .

.

٤ - الصناعات الدقيقة

تجتاز الصناعات السورية الدقيقة في الوقت الحاضر مرحلة تقدم وازدهار . لأن الرخاء

الاقتصادي الناجم عن استقلال سورية بعث نشاطاً كبيراً في المهن اليدوية التقليدية . ولم يؤثر نشوء الصناعات الكبرى المحدثه في البلاد على العمل الصناعي اليدوي الدقيق التقليدي الذي جعل يتجدد باستمرار ، ويستخدم نفس المواد التي استخدمها في الماضي كالحديد والنحاس والفضة والذهب والخشب والحجر والقطن والصوف . . . وتوجد أكثر هذه المواد في بلادنا ، ومن الجدير أن يذكر أن عمال هذه الصناعات التقليدية يأثفون مع شروط الحياة الحديثة ، فيرتجفون ويخترعون ، ويوائمون بين مختلف الطرق والأساليب القديمة ، وتشجعهم الدولة وتعمل على إيجاد أسواق جديدة لمنتجاتهم الرائعة .

١ - الصناعات المعدنية

عمل الصناع السوريون منذ أقدم العهود في تحويل المعادن المعروفة واستخدامها ببراعة فائقة ، ونشروا إستعمالها في كثير من البلدان ، وقد عرفت دمشق في القرون الوسطى بأنها مركز هام للصناعات المعدنية . وكانت تصنع فيها الأسلحة وخاصة الدروع والخناجر والسيوف الخ .. واشتهرت هذه الأسلحة بمزاياها المتعددة ، واستعملها المحاربون العرب والصليبيون الذين خاضوا معارك حامية الوطيس ملأت أحداثها صفحات التاريخ . وكانوا يستخدمون هذه الأسلحة في المعارك ، ويتقلدونها في الاستعراضات العسكرية لجمالها الفائق . وقد انتشرت في أوروبا عن طريق الأندلس . وعرفت هذه الصناعة باسم مدينة دمشق وكان الصناع الدمشقيون يصقلونها ، وينقشونها ببعض الزخارف ويحطون على صفحاتها بعض الكتابات الدينية أو التاريخية ، ثم ينزلون في حديدتها وفولاذها خيوطاً من الذهب أو الفضة . وبما يؤسف له أن هذه الصناعة في طريق الاندثار لزوال استعمال هذا النوع من الأسلحة .

ويوجد أحد فروع هذه الصناعة اليوم في زحلة ودوما ، وينتج الخناجر التي تحفر على نصلاتها الكتابات ، وتنزل مقابضها بالعظم وبالصدف ، أو المعدن .

٢ - النحاس

كانت الأدوات المصنوعة من النحاس في بلاد الشام وما زالت مشهورة جداً اقتصت منها أشهر متاحف أوروبا وأمريكا عدداً كبيراً مثل الأباريق والشعدانات والطسوت والقماقم . وما زالت دمشق مركز هذه الصناعة ومحتفظة بتقاليدتها . ولم يغفل الصناع الذين يمارسونها أن يجدثوا في أساليبها تجديداً ظاهراً ، إلا أنهم لم يبتعدوا عن تعاليم المدرسة السورية - المصرية التي أبدعت مصنوعات الأولى منذ القرن الثاني عشر .

ويرى الزائر لمعرضنا بعض الناذج العائدة للقرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين . كما يرى بعض القطع الأخرى الحديثة . وهي محفورة ومنزلة بالذهب والفضة والنحاس ويدهنها عدد من القطع المحرمة والمضغوطة . وجميعها مزخرفة بزخارف كتابية تحوي آيات قرآنية أو نصوصاً تاريخية ، أو زخارف نباتية غنية بسعف النخيل والأزهار وأوراق الكرمة الخ . . . إلى جانب الزخارف الهندسية المتشابكة والدوائر المختلفة والأشكال الأخرى التي تتم عن الرشاقة والدقة والذوق السليم .

وفي دمشق برزت إلى حيز الوجود صناعة جديدة من صناعات النحاس المغشى بالمينا الزجاجية ذات اللون الأزرق الوردي والسماوي والأخضر .. والمينا في هذه الصناعات تغشي جدران الاواني وتظهرها بمظهر حديث جذاب .

٣ - المنسوجات - البروكار

عرفت هذه الصناعة في دمشق منذ القرن الحادي عشر وكانت بدائية يومئذ اذ كانت تستخدم (الأنوال) وتستعمل خيوط القطن . وقد سمي النسيج الذي تنتجه آنئذ بالدامسكو نسبة إلى دمشق ثم أخذت هذه الصناعة بالنمو تدريجياً في المدة المتأخرة وأدخلت خيوط الحرير الطبيعي محل خيوط القطن ، وكان لهذا التطور أثر كبير في ازدهار هذه الصناعة حتى القرن الثامن عشر . اذ توقفت خلال القرن المذكور صناعة البروكار لتعاود سيرها في اواسط القرن التاسع عشر . وفي فجر العصر الحاضر أدخلت الأنوال الميكانيكية الأمر الذي أتاح لصناعنا مضاعفة انتاجهم ، وغزو أسواق العالم به .

وقد حاول الغربيون تقليد صناعة البروكار إلا أن محاولتهم فشلت ، واحتفظت دمشق بشهرة منسوجاتها الحريرية المذهبة الخفيفة . وقد ساعد ادخال خيوط الذهب والفضة في نسيج البروكار على تطوير هذه الصناعة . وكانت هذه الخيوط تستورد من ألمانيا وسويسرا . إلا أن الصناع السوريين ما لبثوا أن اصطنعوها بأنفسهم . واكتسب البروكار منها بريقاً وجمالاً منقطعي النظير وغدا بذلك النسيج الذي يفاخر به في أي مكان .

ويستعمل البروكار لفرش المنازل كما وتصنع منه ثياب السهرة الرائعة والكرافات وغير ذلك .

٤ - المنسوجات - الصايات

هناك نوع آخر من المنسوجات القطنية والحريرية تعرف باسم الصايات وتنتشر صناعتها في كل

المدن السورية ولكن بصورة خاصة في دمشق وحمص وحماة ، وتباع هذه الصايات بشكل قطع طول كل منها ٦,٣٠ م وعرضها ٧٠ سم . وكانت الصايات في أول عهدها لباس الرجال والنساء الفقراء منهم والأغنياء على السواء . غير أن التبديلات التي طرأت على الحياة السورية في الثلاثين سنة الأخيرة وتبني السوريين للباس الاوربي حددت انتاج هذه الصناعة التي تقتصر الآن على تصدير انتاجها إلى كل من تركيا والبلاد العربية المجاورة .

٥ - المنسوجات الاغباني

الاغباني صناعة تعود في أصلها إلى الهند . وتلون غالباً باللونين الأبيض والـ (بيج) ، ويزين هذا النسيج التطريز اليدوي الذي يتم بخيوط من الحرير . وتستعمل المنسوجات المطرزة على الشكل المتقدم كملابس للرجال .

أما اليوم فقد استعملت الآلات الحديثة في الصناعة المذكورة ، وتسير هذه الآلات عاملات ماهرات . وأدى هذا التطوير إلى ازدياد انتاج المطرزات التي تستخدم الأنسجة الحريرية والقطنية والاورغاندية . وتستعمل المطرزات المذكورة في تزيين الموائد وغير ذلك .

٦ - الحشب المحفور والمنزل الموزاييك

الحشب المحفور في كل من سورية ومصر من الصناعات المعروفة في تاريخ القرون الاسلامية . واستمرت هذه الصناعة حية وعلى انتاج وفير في كل الأزمان في سورية . وفي النصف الثاني من القرن الماضي طرأ عليها تطور هام بفضل صانع محلي من دمشق من أسرة البطار . وينص هذا التطور خاصة على حفر الحشب وتنزيل نوع آخر من الحشب يختلف لونه عنه فيه . وتم تلك العملية عن طريق الرسوم الزخرفية المحلية المعدة مسبقاً . ولكن سنة التطور في كل صناعة ادخلت على هذه الصناعة بعض المواد الجديدة ، لتحل محل الحشب المنزل . ومن هذه المواد الصدف والعظم والعاج التي تحدث تأثيراً عظيماً في النفس بجمال زخارفها ودقة صنعها . وهكذا أخرجت إلى حيز الوجود صناعة الموبيليا المنزلة بالصدف في أواخر القرن المنصرم وانتشرت في كل سورية ، فكثرت معامل الموزاييك في دمشق وغيرها . وأخذت تنتج من روائع هذه الصنعة تحفاً تدهش النظر بدقتها وزخرفتها ، وتغزى كيان صناعات سورية الحشبية بإرسال كميات كبيرة منها إلى سائر اقطار العالم .

٧ - صناعات الجلود والزجاج المنفوخ

بقيت هاتان الصناعتان من الصناعات السورية المشهورة حتى منتصف القرن المنصرم . غير أنها لم تستطعا أن تقاوما تيار الوسائل الصناعية والفنية الحديثة ، الأمر الذي أدى إلى أفول نجمهما بسرعة . وبقي عدد ضئيل من الصناع يمارس هاتين المهنتين في المراكز القديمة من المدن السورية الكبرى ، فيخرج أشياء طريقة تذكرنا بآثار الماضي ، وما كان لهذه الصناعات من أهمية .

★ ★ ★

ان الأشياء المعروضة في هذا القسم استعيرت من المتحف الوطني بدمشق ومتحف الفولكلور والتقاليد الشعبية من نفس المدينة .



مركز تحقيقات كاتبيتور علوم إمدى

مؤتمر الآثار العربي الثاني

بقلم : هيراييل سعادة

انعقد مؤتمر الآثار العربي الثاني في بغداد من تاريخ ١٨ الى ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥٧ وذلك بناء على دعوة تلقاها من المكتب الثقافي للجامعة العربية ^(١) .
المشاركون :

استترك في هذا المؤتمر وفود الدول الآتية :
مصر ^(٢) والعراق وسورية والاردن وتونس ولبنان والكويت . كما حضره ممثلون عن الجامعة العربية ، وجامعة الاسكندرية ، والجامعة السورية والجامعة الاميريكية في بيروت والجمعية المصرية للدراسات التاريخية ومنظمة الاونيسكو .

وكان الوفد السوري مؤلفا من السادة :
رئيس الوفد : الدكتور سليم عبد الحق مدير الآثار العام .
الاعضاء السادة : رزق الله سالم نائب حلب وعضو مجلس الادارة للآثار والمجلس الوطني للتحاف الدولية .

فصل صيرفي محافظ متحف حلب وعضو المجلس الوطني للتحاف الدولية .
عدنان النبي رئيس قسم الحفريات في مديرية الآثار العامة .

(١) المؤتمر الاثري العربي الاول عقد في دمشق عام ١٩٤٧ .

(٢) بما ان هذا المؤتمر عقد قبل قيام الجمهورية العربية المتحدة فلقد صار ذكر كل من سورية ومصر على حدة .

جبرائيل غزال عضو المجلس الوطني للمتاحف الدولية وامين سر جمعية العاديات في حلب .

جبرائيل سعاده عضو المجلس الوطني للمتاحف الدولية ورئيس جمعية اصدقاء اوغاريت في اللاذقية .

عبد القادر عياش رئيس جمعية العاديات في دير الزور .

نور الدين حاطوم استاذ التاريخ في الجامعة السورية .

سلامة عبيد مدير التربية والتعليم في السويداء .

ترأس المؤتمر الدكتور ناجي الاصيل مدير الآثار العام في العراق وكان يعاونه بصفة سكرتير في الدكتور احمد فخري الاستاذ في جامعة القاهرة .

اعمال المؤتمر :

احتفل رسميا بافتتاح المؤتمر في الساعة السادسة من يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٧ وذلك في قاعة فيصل الثاني^(١) وقد تكلم في تلك الحفلة كل من صاحب الجلالة ملك العراق ورؤساء مختلف الوفود . وفي اليوم التالي ابتدأت اعمال المؤتمر في جو امانة العاصمة ودامت حتى بعد ظهر يوم ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥٧ حيث عقدت جلسة رسمية في قاعة فيصل الثاني اختتم فيها المؤتمر اعماله . وخلال المؤتمر انقسم المؤتمرين الى ثلاث لجان :

— اللجنة الفنية برئاسة الدكتور سليم عبد الحقي (الوفد السوري) .

— اللجنة الحقوقية برئاسة السيد رزق الله سالم (الوفد السوري) .

— لجنة المصطلحات برئاسة السيد حسن عبد الوهاب (الوفد المصري) .

وقد اخذت هذه اللجان الثلاث بدراسة مشاريع التوصيات المعدة من قبل الوفود وعند انتهاء المؤتمر اجتمع اعضاء اللجان الثلاث واتفقوا على صيغة النص النهائي للتوصيات ، التي سيبعثون بها الى الجامعة العربية لتعممها بدورها على الحكومات المعنية راجية تطبيقها .

التوصيات :

ان التوصيات التي اقرتها مؤتمر الآثار العربي الثاني سوف تظهر قريبا في كتاب خاص ينشر عن المؤتمر لذلك نكتفي هنا بالاشارة الى اهمها :

(١) في هذه الحفلة افتتح ايضا المؤتمر الثقافي العربي الثالث الذي عقد في بغداد في الوقت الذي عقد فيه مؤتمر الآثار الثاني .

التوصية رقم ١ (١) تعلن ما يأتي :

« بما ان آثار البلاد العربية تراث مشترك خاص بالامة العربية جمعاء فان المؤتمر يوصي الدول العربية ان تتخذ كل التدابير التشريعية والتنفيذية لحمايتها وصيانتها والاحتفاظ بها سليمة للأجيال الصاعدة » .

ومن هذه الحقيقة التي تجعل آثار جميع البلدان العربية تراثا مشتركا ، تنبثق عدة توصيات اخرى .

وهكذا نجد التوصية رقم ٣ تدعو لتوحيد جميع القوانين المتعلقة بالآثار في البلاد العربية .
والتوصية رقم ٤ تقول بانشاء مكتب دائم في الجامعة العربية مهمته تطبيق توصيات المؤتمرات الاثرية وتنسيق اعمال جميع مديريات الآثار في البلاد العربية . والتوصية رقم ٩ تقترح طبع قاموس لجمع وتفسير المصطلحات الاثرية في جميع البلدان العربية . والتوصية رقم ١٠ تدعو كل دولة عربية لانشاء جناح خاص في متحف عاصمتها لتعرض فيه الآثار التي تدل على تطور الحضارة في البلدان العربية الاخرى ، والتوصية رقم ٢٠ تقترح تبادل القطع الاثرية بين مختلف المتاحف في البلاد العربية .

والتوصية رقم ٦ تعالج موضوع السياحة . وهي تقول بضرورة التعاون الوثيق في كل دولة عربية بين مديرية الآثار والدائرة المختصة بالسياحة والدعاية ولهذا الغاية تدعو التوصية الى عقد مؤتمر يضم مفوضي السياحة ومديريات الآثار . . . ان العالم العربي هو من أغنى مناطق العالم بالآثار التاريخية . فبإعطاء قيمة لهذه المواقع الاثرية تنتشر فيها حركة السياحة انتشاراً واسعاً .
التوصية رقم ٥ تطلب من جميع الحكومات العربية أن تتخذ موقفاً واحداً تجاه البعثات الاثرية الاجنبية . وهذا الموقف يجب أن يكون موافقاً للمبادئ الدولية التي أقرتها الاونسكو خلال دورتها التاسعة المنعقدة في دلهي الجديدة خلال شهر كانون الاول ١٩٥٦ بخصوص الحفريات الاثرية .
التوصية رقم ١٧ تلحظ عقد مؤتمر يضم علماء الآثار ومهندسي البناء بغية توجيه فن العمارة في العالم العربي بما يتناسب مع تطورها التاريخي وحاجاتها .

التوصية رقم ٧ توصي الحكومات بتشجيع الجمعيات الاثرية الخاصة .

(١) تتبع في الترميم نفس التسلسل الذي وضع في نهاية المؤتمر ، ومن المحتمل ان تتبع التوصيات ترقيا عاكسا لها في النص الرسمي الذي سينشر فيما بعد .

التوصية رقم ١٥ تطلب من الجامعة العربية التوسط لدى ملوك وأمراء الجزيرة العربية للسماح لمبعثات عربية بالقيام بحفريات في أراضيها .
محاضرات :

أقيمت عدة محاضرات وأحاديث أثناء انعقاد المؤتمر من قبل المندوبين وذلك في بهو جامعة العلوم والآداب في بغداد .

(١) في صبيحة اليوم الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني ١٩٥٧ استمع المؤتمر إلى ثلاث محاضرات : الأولى ألقاها السيد حسن عبد الوهاب (من مصلحة آثار القاهرة) موضوعها : « الرسوم الهندسية للعمارة الإسلامية » ، والثانية أقيمت من قبل السيد ديمتري براك (من الجامعة الأميركية في بيروت) وموضوعها : « أصول الهندسة المعمارية والفن في العهد الأموي » ، والثالثة ألقاها الدكتور أحمد فخري وموضوعها : « حفريات هرم سنفرو بدهشور » .

(٢) بعد ظهر اليوم الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني ١٩٥٧ ألقى الدكتور سليم عبد الحلق محاضرة عنوانها : « سورية ، أرض عربية » ، تطفح بروائع الآثار ، وهذه المحاضرة الشيقة استعرضت مختلف الآثار التاريخية في سورية وكان يرافقها عرض صور بواسطة الفانوس السحري .

(٣) في صبيحة اليوم الثالث والعشرين من تشرين الثاني ألقى السيد سليمان مصطفى زبيس (مدير الآثار في تونس) محاضرة عن « بعض خصائص القبة التونسية » تبعتها محاضرة من السيد محمد عباس بدر (من الوفد المصري) عن « إصلاح قبة الصخرة » وأخيراً ألقى السيد عدنان البني (من الوفد السوري) محاضرة عن « حفريات سلم اللات بتدمر » مرفوقة بعرض صور .

دعوات :

دعي المؤتمرين أثناء وجودهم في العاصمة العراقية إلى عدة حفلات استقبال ، وشاي ومآدب ، نذكر منها المآدبة التي أقامها رئيس وزراء العراق ومأدبة وزير المعارف والحفلة التي أقامها السيد حيدر مردم بك وزير سورية في بغداد وحفلات الشاي التي قدمتها الجامعة العربية والوفد العراقي والوفد المصري . . وأثناء تجوال المؤتمرين خارج مدينة بغداد دعاهم قائمقام سامراء إلى مأدبة غداء ، وكذلك أقيمت على شرفهم عدة مأدب من قبل والي الموصل ووالي الحلة ، كما دعوا إلى حفلة شاي في نادي موظفي هذه المدينة الأخيرة .

نزوات أثرية :

نظمت مديرية الآثار العراقية عدة جولات لزيارة بعض المواقع الأثرية :

(١) في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٥٧ غادرنا بغداد بسيارات متوجّهين إلى سامراء الواقعة على بعد مئة كيلو متر تقريباً من العاصمة فوصلنا إلى الجسر المسمى بجسر الحوبا . هذا الجسر مبني من القرميد على ترعة قديمة ويعود بناؤه إلى عهد العباسيين ، طوله ٥٤ متراً وعرضه ١٢ متراً . وهو مؤلف من أربع قناطر وعلى طوله نقوش تدل أن الجسر مبني في عهد الخليفة المنتصر سنة ١٣٣٢ م .

وصلنا سامراء الساعة الحادية عشرة صباحاً وعند مدخل المدينة زرنا مشروع الترميم على نهر دجلة . في سامراء ذهبنا أولاً إلى الجامع المسمى « الروضة العسكرية » . في هذا الجامع الشيعي توجد وفاة الامام علي الهادي ورفاة الامام الحسن العسكري ، واعجبنا بالقاشاني البديع الذي يكسو الجدران الخارجية وبالقبة التي طليت بالصفائح الذهبية في عام ١٨٦٨ . أما في الداخل فشاهدنا الأنوار المتألّثة التي تعكسها مرابا السقف .

في الجهة الشمالية الشرقية من سامراء شاهدنا آثار الجامع العباسي الذي لم يبق منه إلا جدرانه الخارجية وعلوها عشرة أمتار . وهذه الجدران كانت تحيط بباحة الجامع . . . التي يبلغ طولها ٢٤٠ متراً وعرضها ١٦٠ متراً . وقد بنى هذا الجامع الخليفة العباسي المتوكل في عام ٨٤٩ م . وبالقرب منه توجد المئذنة الشهيرة المسماة « الملوحة » التي يبلغ طولها ٥٢ متراً يمكن الصعود إلى قمتها بواسطة سلم حلزوني يدور حولها من الخارج . . .

وفي ضواحي سامراء زرنا أيضاً قصر الخلفاء العباسيين . من المعلوم أن الخليفة المنتصر نقل مركز الخلافة في عام ٨٣٦ م من بغداد إلى سامراء وإن هذه المدينة بقيت عاصمة الدولة العباسية حتى عام ٨٩٢ م عندما قام الخليفة المعتد واعاد مركز الدولة إلى بغداد . فالابحاث والتنقيبات التي قامت بها بعثة المانية قبل الحرب العالمية الأولى كشفت عن عدة بنايات منها قاعة العرش وعدة غرف استقبال مع بركة طولها ١٢٥ متراً وحمام والحرم (١) .

(٢) وفي مساء ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٧ ركبنا القطار الذي نقلنا إلى الموصل فوصلناها في الساعة الثامنة والنصف من صباح اليوم التالي .

ابتدأنا بزيارة آثار مدينة نمرود الواقعة على بعد ٣٢ كيلو متراً من الموصل . إن هذه المدينة التي ورد ذكرها في التوراة تحت اسم كلخ كانت عاصمة الملكة الاشورية في القرن التاسع عشر قبل المسيح . ولقد نالت شهرة عظيمة في عهد الملك شلمانصر الأول (١٢٨٠ - ١٢٦٩ قبل

(١) انظر الدليل التاريخي للواقع الاثرية في العراق بغداد سنة ١٩٥٣ صفحة ٤٨ - ٤٩ .

المسيح) . وبني فيها بعض الملوك الآشوريين عدة قصور . ولقد زرنا التل الذي توجد فيه انقاض المدينة القديمة وشاهدنا بقايا هيكل نينورتا وبقايا القصور والسراي الذي بنته الملكة سمير اميس .

كذلك زرنا بالقرب من الموصل الباب الضخم الذي بنته مؤخرأ مديرية الآثار العراقية عند مدخل مدينة نينوي ... لم يسمح لنا الوقت بزيارة التلال الأثرية الممتدة على مساحة كبيرة حيث توجد هناك آثار المدينة الآشورية الشهيرة . وعند الغروب بلغنا خورساباد التي كانت تحمل قديماً اسم دورشروكين . وقد بني هذه المدينة سرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ قبل المسيح) وجعلها لمدة قصيرة عاصمة المملكة الآشورية ... وقد اكتفينا بسبب ضيق الوقت بزيارة هيكل سيبتي الذي اكتشف مؤخرأ^(١) ويقوم الآن بالتنقيب فيه السيد بهنام أبو الصوف من مديرية الآثار العراقية ... وشاهدنا بقايا الهيكل وهي عبارة عن باحة مربعة الشكل طول ضلعها ٣٣ متراً وعدة غرف وقاعدة التقدمة وغرفة الطعام الخ ... وعلى مسلة وجدت في هذا الهيكل كتبت العبارة الآتية : « سرغون ملك العالم ، ملك دولة آشور الكاهن الأعظم لمدينة بابل ملك سومر واكاد اقام هذه المسلة وقدمها للاله سيبتي البطل الذي ليس له منيل » .

وفي الموصل ذهبنا إلى الجامع الكبير ومن أقدم بقايا ماذنته التي بناها نور الدين زنكي في اواخر القرن الثاني عشر والتي يبلغ ارتفاعها ٦٠ متراً .

وزرنا في المساء متحف الموصل الذي يحوي مجموعة من الآثار وجدت في حضرا .
(٣) جولتنا الأثرية الثالثة كانت لبعض المواقع التاريخية الواقعة إلى جنوب العاصمة العراقية ..
فبتاريخ ٢٦ تشرين الثاني غادرتنا بغداد في السيارات قاصدين بابل فوصلناها بعدما اجتزنا مسافة ١٠٥ كيلو مترات .

في البدء كانت بابل قرية سوميرية وفي القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد اقيم فيها هيكل اشثار . وفيما بعد ، عرفت هذه المدينة في عهد حمورابي مجدأ وعظمة لامثيل لها فالشرائع التي سنها هذا الملك كانت لمدة طويلة المصدر التشريعي لجميع اقطار الشرق . وفي عهد الملك نبوخذ نصر (٦٠٥ - ٥٦١) عرفت هذه المدينة آخر عهد لها من الأزدهار . وفي سنة ٣٢٣ قبل المسيح مات في بابل الملك الإسكندر الكبير .

(١) انظر نؤاد صفر في سومر عام ١٩٥٧ (١٣) .

أخذنا نطوف في انحاء التل القديم الذي يحمل في طياته آثار المدينة الشهيرة متأملين بقايا القصور والمياكل وباب اشتار والطريق الاحتفالي والسور المزدوج .

ثم غادرنا بابل متجهين نحو الجنوب وبعد اجتياز خمسين كيلومتراً وصلنا إلى الكوفة حيث زرنا أولاً الجامع الكبير .. في هذا الجامع وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ٦٦١ اقدم عبد الرحمن بن ملجم على قتل الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) طعنًا بالتحجر ... وبعد يومين من ذلك توفي الامام علي متأثراً بجراحه . وبالقرب من هذا الجامع يوجد البيت الصغير الذي كان يسكنه الامام رحمه الله . وفي الكوفة أيضاً وعلى مقربة من الجامع زرنا حفريات « دار الامارة » وهذا الموقع كان دائماً معروفاً تحت اسم دار الامارة ... لقد تحدث المؤرخون العرب عن قصر كبير في الكوفة ، لذلك قررت مديرية الآثار العراقية القيام بحفريات وتنقيبات في هذا المكان . وفي عام ١٩٣٨ حدثت بعض تنقيبات استكشافية ثم تلتها تنقيبات منظمة في تشرين الثاني عام ١٩٥٣ وفي شباط ١٩٥٦ وفي تموز ١٩٥٧ تحت اشراف بعثة عراقية يرأسها السيد محمد علي مصطفى ، وكشفت هذه التنقيبات عن وجود قصر كبير يعود عهده إلى زمن القائد العربي سعد بن ابي وقاص أي إلى السنة السابعة عشرة هجرية . وقد حدثت ترميمات فيه في العهد الأموي في مطلع العهد العباسي ^(١) .

ثم توجهنا إلى النجف التي تبعد عشرة كيلومترات عن الكوفة ، وهي مدينة مقدسة يحج إليها الشيعة ، ويكرمون فيها قبر الامام علي بن ابي طالب . هذا القبر يقع في جامع بديع مكسوة قبه ومآذنه بالصفائح الذهبية . أما جدرانها الخارجية فهي مغطاة بالقاشاني ، بابها من الذهب الصافي وفي داخل الجامع شاهداً قبر علي (رضي الله عنه) يحيط به سياج من الفضة الخالصة . وفي بغداد زرنا أهم البنايات التاريخية : القصر العباسي وبعض الجوامع ومنها جامع الكاظمية الشهير وزرنا أيضاً المتاحف المختلفة وخاصة متحف الآثار وفي هذا المتحف شاهداً جميع الآثار التي عثر عليها في مختلف المواقع الأثرية . وهذه الآثار تروي لنا خلال ساعات فلائل التاريخ الطويل للدينيات المدهشة التي تعاقبت ما بين دجلة والفرات .

اللاذقية / ٨ / ١٠ / ١٩٥٨

جبرائيل سعاد

(١) انظر محمد علي مصطفى تقرير اولي عن الدورة الثانية لتنقيبات والحفريات في الكوفة في سور عام ١٩٥٦ (١٢) القسم العربي صفحة ٣ الى صفحة ٣٢ - محمد علي مصطفى - دير الامارة في الكوفة في سور عام ١٩٥٧ (١٣) صفحة ١٩١ و صفحة ١٩٢ .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

de fouilles eurent lieu, l'une en Février 1956, l'autre en Juillet 1957. Ces travaux (1) révélèrent l'existence d'un grand palais où apparaissent des vestiges de trois époques : les plus anciens et qui constituent les 70 % de l'ensemble datent de l'époque du Général Arabe Saad Ibn Abi Waqqas, soit de l'année 17 de l'Hégire. Les autres vestiges sont, soit de l'époque omeyyade soit du début de l'époque abbasside.

Nous nous rendons ensuite à NAJAF qui se trouve à une dizaine de kilomètres de Koufa. Najaf est une ville sainte et un lieu de pèlerinage pour les Chiites qui y vénèrent le tombeau de Ali Ibn Taleb. Ce tombeau se trouve dans une splendide mosquée. Son dôme et ses deux minarets sont recouverts de plaques dorées. Les murs extérieurs sont tapissés de porcelaine. La porte est en or massif. A l'intérieur de la mosquée nous admirons la tombe de Ali entourée d'une grille en argent massif. Le plafond est recouvert de miroirs alvéolés.

A Bagdad même nous visitons soit en groupe, soit isolement les principaux monuments historiques : le palais abbasside, les plus importantes mosquées, notamment la célèbre mosquée Kazmiyé, les différents musées et surtout le Musée des Antiquités. Dans ce dernier nous contemplons à loisir les antiquités trouvées dans les différents sites archéologiques. Ces antiquités nous racontent en quelques heures la longue et merveilleuse histoire des civilisations qui virent le jour entre le Tigre et l'Euphrate

GABRIEL SAADE

Lattaquié 8 - 10 Mars 1958

(1) Voir : Mohammad Ali Moustapha : « Rapport préliminaire sur la deuxième campagne de fouilles à Koufa » dans Sumer 1954, X (partie arabe) p. 73 à 85 ; Mohammad Ali Moustapha « Rapport préliminaire sur la troisième campagne de fouilles à Koufa » dans Sumer 1955 ; XII (partie arabe) p. 3 à 32 ; Mohammad Ali Moustapha : « Dar Al Imarat à Koufa » dans Sumer 1957, XIII p. 191 - 192.

Alors la terre trembla et frémit
C'est que s'exécutait contre Babylone le plan de Yahvé :
Changer le territoire de Babylone
En un désert inhabité...
Babylone était une coupe d'or aux mains de Yahvé
Elle ennivrait la terre entière
Les nations s'abreuvaient de son vin
Et puis devenaient folles
Soudain Babylone est tombée et s'est brisée...
Babylone deviendra un tas de pierres
Un repaire de Chacals
Stupéfaction et sifflement
Et pas un habitant...
Le large rempart de Babylone
Sera rasé totalement
Et ses hautes portes
Seront brûlées
Ainsi les peuples travaillent pour le néant...

(Jérémie, 51)

Puis en quittant Babylone pour la ville de Koufa située à une cinquante de kilomètres plus au sud nous faisons un saut à travers plusieurs millinaires. Nous parvenons ainsi à cette partie de l'Irak que domine le souvenir de Ali Ibn Abi Taleb, gendre du Prophète et le premier qui adhéra à l'Islam.

A Koufa nous visitons d'abord la grande mosquée. C'est la que le 24 Janvier 661, Ali Ibn Abi Taleb fut poignardé par Abdul Rahman ibn Mouljem. Deux jours après il succombait des suites de ses blessures. A proximité de la mosquée se trouve la petite maison où selon la tradition, Ali aurait vécu.

Toujours à Koufa et tout près de la mosquée nous allons avoir ensuite les fouilles de « Dar Al Imarat » (Le palais de l'Emirat). Cet emplacement était connu de tout temps sous le nom de Dar al Imarat. Les anciens historiens arabes ayant parlé d'un grand palais à Koufa, la Direction des Antiquités Irakiennes décida d'y effectuer des fouilles. Une première campagne en 1938 consista en quelques sondages. Des fouilles systématiques commencèrent en Novembre 1953 sous la direction d'une mission irakienne présidée par Mr. Mohammad Ali Moustapha. Ce fut la deuxième campagne. Deux autres campagnes

monde, roi du pays d'Assur, grand prêtre de la ville de Babel, roi de Sumer et d'Akkad a posé cette stèle et l'a offerte au dieu Sibitti, héros qui n'a pas d'égal ».

A Mossoul même nous nous rendons à la grande mosquée « Jameh Al Kabir ». Le plus ancien vestige en est le minaret construit par {Nour ed Din Zengui à la fin du XII^e siècle et qui mesure 60 mètres de haut.

Le musée de Mossoul que nous visitons, le soir, contient une intéressante collections d'antiquités trouvées à Hatra.

3) Notre troisième rondonnée archéologique fut consacrée à certains sites historiques situés au sud de la capitale irakienne. Le 26 Novembre nous quittons Bagdad en autobus en direction de Babylone que nous atteignons au bout de 105 kilomètres.

« Je roule vers Babylone... Il me semble que je vais vers cette ville comme à un rendez-vous convenu depuis des millénaires et puisque j'attends je ne sais quoi au milieu des fantômes dont la ronde est obsédante, Babylone m'appelle toujours et je sens confusément, comme un visionnaire encore maladroit que je préfère cette cité morte à toute autre comme si j'allais la reconnaître, nommer ses voies processionnelles, comme si j'y avais déjà vécu, espéré, souffert, comme si j'y avais déjà tremblé à l'unisson de ses foules assyriennes devant les grimaces et les prophéties des dieux bien-aimés » (1).

D'abord simple village sumérien BABYLONE entre dans l'histoire au XXIV^e siècle lorsqu'un temple dédié à la déesse Ishtar y fût bâti. La ville connut plus tard sous Hammourabi (1792 - 1750) une splendeur incomparable et le code rédigé par ce monarque fut pendant très longtemps pour tout l'Orient la principale source juridique. La ville eut sous Nabuchodonosor (605 - 562) sa dernière époque de prospérité. En 323 av. J. C. Alexandre le grand mourut à Babylone.

A l'entrée de l'illustre cité nous commençons par voir le petit musée où des maquettes nous familiarisent avec le plan antique. Puis nous parcourons le tell. En y contemplant les vestiges des palais, des temples, de la porte d'Ishtar, de la voie processionnelle, de la double enceinte nous nous remémorons les versets de la Bible :

(1) Albert Champdor : « Babylone » (ed. Victor Attinger. Paris 1957) p. 9 et 10.

plusieurs bâtiments. notamment la salle du trône, plusieurs salons de réception, un bassin de 125 mètre de long, un bain et le harem (1).

2) Le 23 Novembre 1957, à 9h du soir, nous prenons à Bagdad le train qui nous mène à Mossoul où nous arrivons le lendemain à 8h 1/2 du matin.

Nous commençons par la visite du site archéologique de NIMROUD situé à 32 kilomètres de Mossoul. Mentionnée dans la Bible sous le nom de Kalakh, la ville devint la capitale du royaume assyrien au XIX^e siècle av. J. C. Elle acquiert surtout de l'importance sous le règne de Shalmanassar Ier (1280 - 1260 av. J. C.) Plusieurs rois Assyriens y bâtirent des palais. Les premières fouilles de Nimroud furent effectuées au milieu du XIX^e siècle par Layard. Actuellement le site est fouillé régulièrement par le savant anglais Mallowan. Nous parcourons le tell où se trouvent les ruines de l'ancienne cité, contemplant la ziggourat, les restes du Temple de Ninourta, les vestiges des palais, le sérail construit par Sémiramis. Nous apercevons également les maisons qu'habite lors des fouilles, la mission anglaise, où Agatha Christie, femme de Mallowan écrivit quelques uns de ses romans policiers.

Nous visitons ensuite, tout près de Mossoul, la magnifique porte monumentale construite récemment par la Direction des Antiquités Irakiennes à l'entrée de NINIVE. Le temps ne pouvait nous permettre de voir les tells répartis sur une grande étendue et où se trouvent les vestiges de la célèbre cité assyrienne.

Nous atteignons à la nuit tombante KHORSABAD, l'ancienne Dour Sharoukin. Elle fût fondée par Sargon II (721 - 705 av. J. C.) qui en fit pendant une brève durée la capitale du royaume assyrien. De cet immense champ de fouille nous visitons seulement le Temple de Sibitti récemment découvert (2) qui est fouillé actuellement par un archéologue de la Direction des Antiquités Irakiennes, Monsieur Bahnam Abou Al Souf. C'est à la pâle clarté du jour finissant et des premières étoiles que nous devinons les parties dégagées du Temple : une cour carrée de 23 m de côté, plusieurs salles, l'autel, le refectoire etc... Une stèle trouvée dans ce temple porte l'inscription suivante : « Sargon, roi du

(1) Voir le « Guide Historique des Sites Archéologiques d'Iraq » (en arabe) Bagdad 1953, pages 48 - 49.

(2) Voir Fuad Safar : « The Temple of Sibitti at Kkorsobad » dans Sumer, 1958, XIII p. 219-221

Promenades Archéologiques

Les Congressistes apprécièrent particulièrement la décision de la Direction des Antiquités Irakiennes de leur faire visiter certains sites historiques du pays. Plusieurs excursions furent organisées à cet effet :

1)^o Le 22 Novembre 1957 nous quittons Bagdad en autobus en direction de Samarra. A une centaine de kilomètres de la capitale nous atteignons le pont, appelé JISR AL HARBA. Ce pont, construit en briques est jetté sur un ancien canal. Il date de l'époque abbasside. Sa longueur est de 54 mètres, sa largeur de 12 m. Il comporte quatre arches voûtées. Une inscription ornant, sur toute leur longueur, chacun des deux parapets rappelle que le pont fut construit par le Calife al Mostanser en 1232.

Nous poursuivons notre route jusqu'à Samarra où nous arrivons à 11 h. du matin. A l'entrée de la ville nous visitons le barrage de Sarsâr,

A SAMARRA nous nous rendons d'abord à la mosquée appelée : « Al Rawda al Asskarié », C'est dans cette mosquée Chitte que se trouvent la dépouille de l'imam Ali Al Hadi et celle de l'imam Al Hassan al Asskari. Nous en admirons la belle porcelaine qui tapissent les murs extérieurs ainsi que le dôme qui fut recouvert de plaques dorées en 1868. A l'intérieur, les petits miroirs alvéolés qui ornent le plafond créent un effet éblouissant.

Au nord-est de Samarra nous allons voir les vestiges de la mosquée abbasside, dont il ne reste que les murs extérieurs, hauts de 10 mètres, qui entouraient la cour. Celle-ci a 240 m. de long sur 160 m de large. Cette mosquée fut bâtie par le Calife Abbasside Al Moutawakkel en l'an 849. Prés de la mosquée se trouve le fameux minaret de forme hélicoidale. Sa hauteur est de 52 m. On peut en atteindre le sommet en gravissant un escalier en colimaçon qui, de l'extérieur, fait le tour du minaret.

Nous visitons ensuite, dans les environs de Samarra, le Palais des Califes Abbassides. On sait que le Calife Al Montasser transporta, en 836, le siège du Califat de Bagdad à Samarra et que cette ville demeura la capitale de l'Etat Abbasside jusqu'à l'année 892 quand le Calife Al Moutamed ramena le siège du Gouvernement à Bagdad. Les fouilles menées par une mission allemande, avant la première guerre mondiale, à l'emplacement du Palais, mirent au jour

Conférences

Plusieurs conférences et causeries furent données au cours du congrès, par certains délégués, dans la grande salle de la Faculté des Lettres et des Sciences de Bagdad :

1) Le 21 Novembre 1957, dans la matinée, les congressistes assistèrent à trois causeries : La première est de Mr. Hassan Abdul Wahab (de la Direction de antiquités du Caire) sur : « L'architecture islamique ». La seconde est de Dimitri Baramki (Université Américaine de Beyrouth) sur « L'Architecture à l'époque des Omeyyades ». La troisième est de Mr Ahmad Fakhri sur « Les fouilles près des deux pyramides de Sénéfrou ».

2) Le 21 Novembre 1957, dans l'après-midi, le Docteur Sélim Abdul hak donne une conférence intitulée : « Syrie, terre arabe, riche en sites archéologiques ». Cette intéressante conférence passe en revue les différents vestiges historiques de Syrie. De belles projections de photographies permettent aux auditeurs de se familiariser avec les principales civilisations qui ont vu le jour sur notre sol.

3) Dans la matinée du 23 Novembre, Mr Sleiman Moustapha Zabis (Direction des Antiquités de Tunis), donne une causerie sur « la Coupole dans l'architecture tunisienne », suivie d'une causerie de Mr. Mohammad Abbas Badre (délégation Egyptienne) sur « Koubbat As-Sakhra de Jérusalem ». Enfin Mr. Adnan Al Bounni (Délégation Syrienne) donne une causerie sur les « Fouilles de l'hypogée de Šalamallat. à Palmyre » accompagnée de projections photographiques.

4) Dans la Journée du 25 Novembre des causeries furent données sur les dernières decouvertes archéologiques en Iraq et en Egypte,

Invitations

Au cours de leur séjour dans la capitale irakienne, les Congressistes ont été invités à plusieurs réceptions, thés, banquets. Signalons le dîner offert par le Premier Ministre d'Iraq ; le diner offert par le Ministre de l'Instruction Publique ; la réception donnée par Mr. Haidar Mardam bey, ministre de Syrie à Bagdad : les thés offerts par la Ligue Arabe, la Délégation Irakienne et la Délégation Egyptienne. Au cours de leur tournée en dehors de Bagdad les congressistes furent invités à un déjeuner chez le Sous-Prefet de Samarra, à plusieurs repas offerts par le Prefet de Moussoul, à un déjeuner offert par le Prefet de Hilleh et à un thé au Club des Fonctionnaires de cette dernière ville.

congrès réunissant les Commissariats du Tourisme et les Directions des Antiquités est prévu à cet effet. Le monde arabe est l'une des régions du monde les plus riches en vestiges historiques. La mise en valeur des sites archéologiques développera considérablement le mouvement touristique dans cette partie du globe.

La recommandation No 5 demande à tous les gouvernements arabes d'adopter une même attitude à l'égard des missions archéologiques étrangères. Cette attitude devra être conforme aux principes de la réglementation des relations internationales en matière de fouilles archéologiques décidée par l'Unesco au cours de son 9^e congrès tenu à New Delhi en Décembre 1956.

La recommandation No 17 prévoit la réunion d'Archéologues avec des Architectes en vue de créer dans le monde arabe une architecture s'harmonisant avec notre évolution historique et nos besoins.



— 5 Babylone

La recommandation No 7 conseille aux Gouvernements d'encourager les Sociétés Archéologiques privées.

La recommandation No 15 demande à la Ligue Arabe d'intervenir auprès des rois et emirs de la péninsule arabe pour qu'une autorisation soit accordée à des missions archéologiques arabes d'effectuer des fouilles dans leurs états respectifs.

C'est ainsi que la recommandation No 3 préconise l'unification de toutes les législations des pays arabes relatives aux Antiquités. La recommandation No 4 prévoit la création d'un bureau permanent au sein de la Ligue Arabe chargé d'appliquer les décisions des congrès Archéologiques et de coordonner les activités des différentes Directions des Antiquités. La recommandation No 9 propose la publication d'un dictionnaire archéologique qui unifiera le vocabulaire archéologique de tous les pays arabes. La recommandation No 10 demande à chaque pays arabe de ménager une aile spéciale, dans le musée de sa capitale, où seront exposées des antiquités donnant une idée de l'évolution des civilisations dans les autres pays arabes. La recommandation No 20 suggère l'échange des pièces antiques entre les différents musées arabes.

La recommandation No 6 aborde le problème du tourisme. Elle rappelle la nécessité d'une collaboration étroite, dans chaque pays arabe, entre la Direction des Antiquités et le Service chargé du tourisme et de la propagande. Un



4 — Le minaret hélicoïdal de Samarra

à la Ligue Arabe qui les transmettra à son tour aux gouvernements Arabes qui les appliqueront dans leurs pays respectifs.

Les Recommandations :

Les recommandations votées au cours de ce second Congrès Archéologique Arabe paraîtront dans le livre qui sera bientôt publié sur le Congrès. Nous n'allons donc pas les énumérer ici. Nous nous contenterons d'en signaler les plus importantes :

La recommandation No 1 (1) déclare : « Etant donné que les Antiquités des pays arabes constituent un héritage commun appartenant à toute la nation arabe, le Congrès recommande aux Etats arabes de prendre toutes les dispositions législatives et exécutives pour la protection de ces antiquités, leur préservation et leur conservation afin de les garder intactes pour les générations futures ».



3 — Relief trouvé à Khorsabad

De cette recommandation qui fait de toutes les antiquités réparties à travers le monde arabe un « héritage commun » de la nation arabe, ont découlé plusieurs autres recommandations :

(1) Nous suivons pour le numérotage celui du texte établi à la fin du congrès. Il est possible que les recommandations portent un numérotage différent dans le texte officiel qui paraîtra ultérieurement.

L'après-midi de ce jour une séance officielle tenue dans la salle Fayçal II cloturait le congrès.

Au cours des travaux, les congressistes furent divisés en trois commissions :

- La commission technique présidée par le Docteur Sélim Adel Abdul hak (délégation syrienne)
- La commission juridique présidée par Mr. Razkallah Salem (délégation syrienne).
- La commission des conventions linguistiques présidée par Mr Hassan Abdul Wahab (délégation égyptienne).

Ces trois commissions étudièrent les projets de recommandations préparés par les délégations. Et tous les congressistes réunis, votèrent à la fin du congrès le texte définitif des recommandations, lesquelles seront communiquées



2 — Le Docteur Sélim Abdul hak prononçant sa conférence

logique » de Deir-zor ; Mr Nour ed-Din Hatoum, professeur d'Histoire à l'Université Syrienne ; Mr Salamé Obeid, Directeur de l'Instruction Publique à Souéda.

Le Congrès était présidé par le Docteur Naji al Asil, Directeur Général des Antiquités Irakiennes, assisté d'un secrétaire technique, Mr Ahmad Fakhri, professeur à l'Université du Caire.

Les Travaux du Congrès

Le Congrès fut ouvert officiellement le 18 Novembre 1957 par une séance inaugurable dans la salle Fayçal II (1). Au cours de cette séance, prirent la parole S. M. le roi d'Irak et les représentants des différentes délégations.



1 — Une des séances du congrès

Le lendemain, les travaux proprement dits du congrès commencèrent dans les salons de la Préfecture et se poursuivirent jusqu'au 28 Novembre. Dans

(1) Cette séance inaugurait également le Congrès Culturel Arabe qui se tint, à Bagdad, simultanément avec le Congrès Archéologique.

LE SECOND CONGRÈS ARCHEOLOGIQUE ARABE

par

GABRIEL SAADÉ

Le second congrès archéologique arabe s'est tenu du 18 au 28 Novembre 1957, à Bagdad, sur convocation de la Commission Culturelle de la Ligue Arabe (1).

Les Participants :

Les pays qui ont pris part au Congrès sont : l'Egypte (2), l'Iraq, la Syrie, la Jordanie, la Tunisie, le Liban et le Kweït. Il y avait en outre des délégués de la Ligue Arabe, de l'Université d'Alexandrie, de l'Université Syrienne, de l'Université Américaine de Beyrouth, de l'Association Egyptienne pour les études historiques. Mr. Van der Haagen représentait l'Unesco.

La délégation syrienne était composée comme suit : Président : Le Docteur Selim Adel Abdul hak, Directeur Général des Antiquités. Membres : Mr Razkallah Salem, député d'Alep, membre du Conseil d'Administration des Antiquités et membre de l'ICOM (International Council of Museums) ; Mr. Fayçal Sayrafi, Conservateur du Musée d'Alep et membre de l'ICOM ; Mr. Adnan al Bouni, Chef du Service des Fouilles de la Direction des Antiquités ; Mr. Gabriel Gazal, membre de l'ICOM et secrétaire de la « Société Archéologique » d'Alep ; Mr Gabriel Saadé, membre de l'ICOM et Président du « Groupe de Amis d'Ugarit » de Lattaquié ; Mr Abdul Kader Ayyache, président de la « Société Archéo-

(1) Le premier congrès Archéologique arabe avait eu lieu à Damas en 1947

(2) Ce congrès ayant eu lieu avant la proclamation de la République Arabe Unie, l'Egypte et la Syrie sont nommées, ici, séparément.

Maintenant des ateliers nombreux à Damas et ailleurs s'adonnent à la fabrication d'objets en bois incrustés, et portent très haut le prestige de l'artisanat syrien, par l'envoi massif de ses produits dans le monde entier.

VIII — *Les cuivres ouvrés et les verres soufflés*

Les deux artisanats syriens des cuirs ouvrés et des verres soufflés pourtant très célèbres jusqu'au siècle dernier n'ont pas pu résister à la technique moderne dans les industries mécanisées. Ils ont décliné rapidement, et leurs derniers pratiquants vivent dans d'anciens centres de grandes villes syriennes, et continuent à fabriquer des objets assez pittoresques rappelant quelques vestiges du passé.

* * *

Tous les objets exposés dans cette partie de l'Exposition sont empruntés au Musée National de Damas, et au Musée du Folklore et des Traditions Populaires de la même ville.

SÉLIM ABDUL-HAK

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

L'introduction du fil d'or et du fil d'argent d'abord d'importation allemande et suisse, ensuite de fabrication syrienne, a permis au brocard d'obtenir l'éclat, et la beauté qui en font l'un des tissus les plus recherchés du monde.

On s'en sert en Syrie comme tissu pour les meubles de luxe, les robes de soirée, les robes de chambre, les cravates, etc. . .

IV — *Les tissus : les Sayates*

Un autre genre de tissu de coton et de soie appelé : Sayates était fabriqué dans les ateliers de presque toutes les villes syriennes notamment à Damas, Homs et Hama. Chaque sayate est long de 6 m, 30 et large de 70 cm. Tous les citadins hommes et femmes, pauvres et riches s'en servaient pour en faire des costumes divers. Le changement intervenu dans la vie sociale syrienne depuis plus de trente ans et l'adoption du costume européen ont limité la production de cet artisanat qui se borne presque actuellement à l'exportation en Turquie, et les pays arabes avoisinants.

V — *Les tissus appelés : Agabani*

C'est un artisanat d'origine hindoue. Il produisait des tissus en soie légère blanche ou beige, brodés à la main de fils de soie également. On se servait de ces tissus pour fabriquer surtout des costumes d'homme. Maintenant ce métier s'est mécanisé, et les machines spéciales à broder œuvrées par des femmes donnent un essor nouveau à cette production de tissus qui pour la circonstance sont fabriqués en soie, en coton, organdi et transformés en nappes de table, napperons et autres usages.

VI — *Le bois sculpté incrusté : la Mosaïque*

Les bois sculptés de Syrie et d'Égypte sont des entités bien connues dans l'histoire de l'art musulman. Depuis le milieu du dernier siècle une variété de cette sculpture s'est créée en Syrie grâce à un artisan local Georges Bittar. Il s'agissait de sculpter le bois et d'y incruster un autre genre de bois plus clair selon les schémas et les motifs décoratifs de l'art ornemental du pays. D'autres matériaux commencèrent petit à petit à se substituer au bois clair incrusté. La nacre était toute désignée pour produire de charmants effets décoratifs. Ainsi est née la mode de fabriquer des meubles incrustés de nacre à la fin du siècle dernier et s'est propagée dans tout le pays. L'os, l'ivoire, les bois combinés et de couleurs variées n'ont pas tardé à accompagner la nacre ou à la remplacer dans l'incrustation.

Une branche de cet artisanat a persisté à Zahlé, Douma où l'on continue à fabriquer des poignards. La gravure des inscriptions se pratique sur les lames et l'incrustation d'os, de nacre, de métal se fait sur les manches.

II — Les Cuivres

Ces ustensiles excellents, fabriqués avec goût étaient très célèbres en Syrie et le sont encore. Les grands musées d'Europe et d'Amérique, quelques trésors religieux en conservent un grand nombre comme les candélabres, les aiguères, les bassins, les brûle-parfums, etc..

Les traditions de cet artisanat sont toujours vivaces à Damas qui en est le grand centre. Ceux qui le pratiquent actuellement lui infusent une nouvelle évolution tout en poursuivant les enseignements de ce courant d'art syro-égyptien très connu depuis le XII^e siècle. Notre exposition comprend beaucoup de pièces fabriquées à différentes époques. Ces pièces sont gravées, incrustées d'or, d'argent ou de cuivre, ciselées ou repoussées; elles sont toutes décorées de sujets épigraphiques contenant des versets coraniques ou des textes historiques en caractères cursifs, les sujets floraux ayant un répertoire très riche de palmes, de fleurons, de feuilles de vignes, etc.,... et d'entrelacs géométriques, des circonférences diverses et des combinaisons innombrables qui dénotent la grâce, la préciosité, et la mièvrerie.

Une variété de cuivres ouvrés s'est créée tout récemment à Damas. Elle consiste à ajourer les parois des ustensiles avec des systèmes de décor varié et à les recouvrir d'un émail verveux bleu ciel, rose, vert, etc..

III — Les tissus : le brocard

Le tissu connu sous le nom de brocard se fabrique à Damas depuis le XI^e siècle. A cette époque on tissait avec des tisseuses manuelles, le coton seulement et on appelait ce produit « Damasco » par rapport à Damas. Petit, à petit, la soie naturelle soignée dans notre région côtière, commença à remplacer le coton dans la fabrication du brocard, et à lui donner un grand essor. Cet essor a été stoppé au XVIII^e siècle pour se répandre de nouveau à l'aube des temps actuels. Les tisseuses manuelles ont été remplacées par des appareils mécaniques ce qui a donné à nos artisans la possibilité d'augmenter leur production et de l'écouler partout dans le monde. Plusieurs essais infructueux ont été entrepris en Europe pour rivaliser avec la production du brocard syrien qui conserve la préséance partout, par sa souplesse et sa légèreté.

viguaient en marins habiles et se mettaient au service des grands ports de la Méditerranée Orientale.



Tous les costumes et les objets qui figurent dans cette partie de l'Exposition sont empruntés au Musée du Folklore et des Traditions Populaires de Damas.

4 — *L'Artisanat*

L'artisanat syrien traverse actuellement une période d'essor remarquable. La prospérité économique issue de l'indépendance du pays a influé sur les vieux métiers traditionnels. Le travail artisanal en se renouvelant à côté des grandes industries naissantes, a rejoint le génie ancestral.

Il se sert comme autrefois des mêmes matières, le fer, le cuivre, l'argent, l'or, le bois, la soie le coton, la laine, etc . . dont la plupart se trouvent dans le pays. Et les artisans s'adaptant aux conditions de la vie d'aujourd'hui, improvisent, inventent, adaptent les thèmes d'une technique à une autre, et trouvent des fonctions nouvelles aux produits modernisés qui sortent de leurs mains.

Ainsi l'ornementation arabe traditionnelle avec ses éléments principaux la calligraphie, la flore, et l'entrelac géométrique, constituent à satisfaire la sensibilité de la génération actuelle de notre peuple, en mettant en valeur une variété inépuisable de sujets.

I — *Les arts du métal*

Depuis la plus haute antiquité, les artisans syriens ont travaillé les métaux connus avec une habileté consommée, et ont propagé leur emploi dans plusieurs pays. A Damas, se produisit au Moyen - Age une concentration considérable des arts du métal. On y fabriquait surtout les armes y compris les cottes de mailles, les poignards, les épées, etc. Ces armes étaient célèbres par leur haute qualité. Les combattants arabes et les Croisés qui remplirent de leurs luttes épiques l'histoire de plusieurs siècles les recherchaient et s'en servaient dans la guerre et pour les parades. Elles s'étaient introduites également en Europe par l'intermédiaire de l'Espagne musulmane.

Les artisans de Damas les damasquinaient c'est - à - dire en polissaient les lames, y gravaient des inscriptions religieuses et historiques et incrustaient dans le fer ou l'acier de petits filets d'or ou d'argent. Le damasquinage se pratiqua aussi plus tard sur les armes à feu, mais il a décliné très nettement dans les derniers temps.

du feu. D'autres instruments musicaux comme le (Tambour), le (Rababé), le (Nay) et la double flûte (Mizmar) contribuent à créer l'allégresse dans le désert, par leurs sons mélodieux.

IV — Le folklore des montagnes :

1. Djebel Saman

On cultive dans cette montagne située au Nord de la Syrie, la vigne et l'olivier. Sa population laborieuse et active est d'origine Kurde ; elle fabrique les vêtements dont elle a besoin en coton et en laine, et se plaît à pratiquer sur ces étoffes épaisses de très riches décorations tissées avec des fils d'or, d'argent, et de soie, ou brodées avec des fils de coton de couleurs très variées selon des combinaisons géométriques, probablement copiées et schématisées du décor sculpté des monuments byzantins assez nombreux dans cette région.

2 — Djebel Druze

Cette montagne basaltique noire est située dans l'extrême sud du pays. Les Druzes sont des guerriers indomptables et des cultivateurs qui tirent merveilleusement parti des terrains agricoles assez pauvres de leur montagne.

Les femmes druzes ont la réputation d'être les paysannes les plus coquettes de Syrie. Elles ont une prédilection pour les velours brodés avec des thèmes floraux tirés de la végétation du pays. Leurs têtes sont couvertes d'un voile blanc, les jeunes filles découvrent complètement le visage, et les femmes mariées en cachent la partie inférieure jusqu'aux yeux.

Le travail artisanal de ce pays est la confection de plateaux ronds en paille ; cette paille est ramassée dans les champs après la récolte. La paille colorée est tressée avec un art qui utilise des motifs divers pour exprimer sa fantaisie. Aussi les étoffes en soie décorées de broderies tissées est un artisanat assez florissant au Djebel Druze.

V — Le folklore de la région côtière

La pêche, et la navigation sur des voiliers sont les deux aspects de la vie de cette contrée. Les vêtements des habitants sont constitués par le (Mitan) veste de coton ou laine, le (Chiroil) un pantalon blanc bouffant avec des pieds étroits, le (Koumbaz) la robe longue, etc. . .

Les habitants de l'île de Rouad se plaisent jusqu'à maintenant à fabriquer de petits bateaux représentant les voiliers d'autrefois sur lesquels ils na-

Quelques objets de travail, le coffret du comptable et l'encrier du notaire, et quelques instruments de plaisir et de parade le (Oude), le (Dafe), le (Durbaké), les castagnettes, et le (Kibkab), prennent place à côté des costumes déjà cités.

II — *Le folklore des plaines et des régions agricoles*

De tous les temps l'agriculture a joué un grand rôle dans la vie du peuple syrien. Les habitants de chaque région ont des costumes spéciaux grâce auxquels ils se distinguent facilement. Voici ceux de l'une des bédouines qui vivaient dans le Marg et l'Oasis de Damas, avec une veste (Damer) bleue brodée de fils de soie, et le châle rouge qui tranchent dans cette région toujours verte pendant presque toutes les saisons de l'année. Voilà aussi un autre costume appartenant à une paysanne hauranaise ; il est confectionné en tissus épais noirs et bleu ciel intercalés. A côté ce sont les costumes extérieurs et intérieurs des paysans du (Kalamoun). Ces hommes et femmes sont les paysans les plus artistes de Syrie. Ils brodent les velours, les cotonnades et les lainages avec une fantaisie exubérante, en étalant le décor géométrique et floral sur toutes les parties visibles des vêtements. Le costume d'un banlieusard de (Hama) est beaucoup plus sobre, il est constitué d'une (Damer) sommairement brodée, et d'une longue robe (Koumbaz).

III — *Le folklore du désert*

La vie de ceux qui habitent sous les tentes dans l'Orient arabe, est assez simple. La transhumance oblige les nomades à avoir des tentes pour habitations, un système peu compliqué d'habillement pour l'été et l'hiver, et un matériel léger transportable pour la vie de tous les jours.

Les Abayas, manteaux larges fabriqués en laine dans les grandes villes à l'intention des nomades ; les (Ouqual) et les (Koufieh) pour protéger leurs têtes contre le soleil et le vent, et les (Khouf) chaussures rudimentaires, sont les principales pièces de leur habillement. Le matériel de leur vie ressemble au matériel de la vie des villageois pauvres. On voit à côté des costumes cités, une pipe ayant pour manche un roseau, une glace circulaire entourée d'un cadre en bois, une fronde en laine pour lancer des pierres sur les troupeaux et en assurer le contrôle, un (Mukihlé) servant à farder les yeux des bédouins avec le (Kohl) qui leur donne un éclat plus noir, et le (Muhbag) qui sert à écraser les grains grillés du café, et le cas échéant à produire des bruits rythmés servant à faire danser les bédouines le soir dans la brise et à l'éclat

Tous les tableaux de cette partie de notre Exposition sont empruntés au département de l'Art Moderne du Musée National de Damas.



3 — *Le Folklore Syrien*

Expression d'une vie multimillénaire riche d'expériences infinies, le folklore syrien est l'un des plus riches folklores du monde. Il traduit par les costumes, les instruments de travail et de plaisir et les objets divers, la vie intime du Proche-Orient, à travers sa très longue histoire. Il reflète aussi l'adaptation de l'homme syrien aux diverses conditions géographiques de son territoire comprenant des plaines côtières méditerranéennes, de hautes montagnes, des plaines fertiles intérieures, et un curieux désert. Enfin, il explique les influences diverses reçues de tous les côtés du monde par la Syrie qui est un carrefour principal du monde, comme il explique le rayonnement de ce pays sur ses voisins les plus proches et les plus lointains.

Les costumes, leurs accessoires, et les outils légers constituent seulement les éléments de cette partie de l'Exposition Syrienne, à cause des grandes difficultés qui empêchent le déplacement de lourdes et volumineuses pièces.

I — *Le folklore des grandes villes*

Il n'est pas aisé de se représenter la vie populaire d'autrefois à Damas et à Alep, les deux grandes métropoles industrielles et commerciales de l'Orient arabe, par quelques objets seulement. Ces objets peuvent cependant avoir la valeur de symboles destinés à évoquer les ombres des ceux qui s'adonnaient à leurs travaux laborieux dans les souks, ou se livraient à la vie facile et agréable des gynécées.

Les costumes ici représentés ont été fabriqués, il y a presque un siècle avec les étoffes célèbres de Damas. Le brocard de coton et de soie, avec ses couleurs chatoyantes, dont on parlera un peu plus tard, les soieries les plus légères avec leur broderie fine et distinguée, servaient à façonner les costumes des hommes et des femmes. Les Abayas pour les premiers et les Malayas (les voiles) pour les secondes confectionnées avec de la soie tissée de broderie en constituaient le parement extérieur. Broder les vêtements, les voiles, les serviettes, et tout ce qui touchait à la parure intérieure de la maison était destiné à embellir la vie, et charmer les yeux.

Damas, et le tableau du (Moulin d'Erbine) évoque le charme des anciennes installations agricoles dans l'oasis de Damas. M. Sharif Orfali peint la beauté des gestes traditionnels dans ses tableaux (la Prière) et (l'Ablution), M. Mahmoud Djelal met en relief une belle paysanne en train de fabriquer un plateau de paille. Enfin M. Farid Kardous représente le (Réveil des Arabes) et rappelle dans ce tableau émouvant quelques souvenirs de l'école romantique de Paris.

Toujours dans la même lignée des artistes précédents, M. Nassir Shaura, occupe une place tout à fait privilégiée. D'une sensibilité extraordinaire, il a su mieux que n'importe quel autre artiste rendre exactement l'atmosphère de la campagne syrienne. Ses tableaux (Prière), (l'Atelier), (la Place du Village) avec lesquels il a enlevé trois premiers prix pendant les années dernières recréent des milieux de quiétude, de tranquillité et de bonheur qui pourraient figurer entre le monde de la réalité et celui du rêve.

Enfin Mademoiselle May Saba, dans son tableau (La Bédouine) M. Michel Zayyat dans ses (Paysages) et ses (Fleurs), M. Hicham Zoumriq dans sa (Nature Morte), tous jeunes infusent une sève nouvelle à ce courant de peinture.

D'autres essais dans les domaines du cubisme, du fauvisme, du surréalisme, et de l'abstractionnisme sont tentés aussi par un groupe de jeunes artistes dont le plus âgé ne dépasse pas trente ans. Ces essais tendent à renouveler l'art arabe de Syrie, lui donner un nouveau langage des formes, et lui constituer des thèmes inspirés de la vie de tous les jours.

M. Fateh Moudares s'exprimant avec un langage impressionniste nuancé de surréalisme et de symbolisme peint (l'Inondation), (la Rivière Kouek), et (le Dernier Espoir); M. Adham Ismaïl jette dans des fantaisies décoratives, (le Cavalier Arabe), (la Mélodie Syrienne), et (la Fille des Fleurs); son frère M. Naïm Ismaïl avec non moins de verve produit (la Route du Village), le (Marché), etc...

M. Marwan Kassabbachi nous peint avec une émotion poignante les logements lugubres des Réfugiés Palestiniens et avec une fantaisie pastorale, (le Berger). Robert Mulky extériorise les craintes de tous les hommes de notre temps avec son tableau (la Paix ou la Guerre). Enfin, M. Sami Bourhan se basant sur la beauté de la calligraphie arabe traditionnelle comme élément décoratif clôt les tableaux de cette exposition par ses deux tableaux, (le Potier), et (le Printemps).

a réalisé le plus cher espoir qui ait jailli des profondeurs de sa conscience. Obtenant une indépendance totale payée chèrement par les sacrifices de ses enfants, elle recommence à jouer un rôle actif dans la vie du monde et à servir d'exemple et de guide à ses frères, les pays arabes du Proche-Orient.

L'une des tâches les plus pressantes auxquelles la Syrie d'aujourd'hui a dû faire face, c'était de reconstituer sa personnalité artistique, sauver les éléments encore vivants de sa culture populaire, et recréer les disciplines traditionnelles de son artisanat.

Laborieusement et opiniâtrement, elle est arrivée dans un temps très court à des résultats tangibles dans les trois domaines en question. Elle espère par cette exposition présenter à ses amis nombreux dans le monde, les aspects les plus marquants de cette renaissance.

2 — Peinture :

Cette partie de l'exposition comprend plus de 60 tableaux représentant la peinture contemporaine de Syrie avec ses tendances multiples. Née après la seconde guerre mondiale, elle s'emploie à satisfaire la sensibilité de la génération qui a réalisé l'indépendance. Cette génération est essentiellement nationaliste, les formes et les couleurs s'emploient à multiplier les aspects de la belle Syrie, à représenter ses monuments, à illustrer la vie de son peuple, à extérioriser les espoirs de ce peuple, ses angoisses, et sa foi inébranlable dans la destinée de son pays.

Les peintres réalistes et impressionistes syriens formés en France, en Italie, et en Allemagne, manient d'une façon exquise les couleurs qui deviennent plus éclatantes sous le ciel de Syrie qui sourit et chante presque tous les jours de l'année. M. Michel Kurché se plaît à évoquer les monuments de Damas dans des symphonies picturales avec ses tableaux, (la Mosquée des Omeyyades), et (L'Intérieur d'une Maison Orientale) ; il s'attendrit par son tableau, (les Tentés des Réfugiés Palestiniens), sur le sort de ces malheureux chassés de chez eux par les intrigues de l'impérialisme et le sionisme, et chante dans son tableau (Bulganine stoppant l'Agression contre Port Saïd), un des gestes généreux et courageux de l'histoire contemporaine du monde pour préserver la paix et garantir la liberté des peuples.

Avec une touche puissante et simple, M. Nazem Dja'fari s'attache à représenter le charme des vieux quartiers. Son tableau le (Kawaffine) représente le grouillement d'une activité commerciale débordante dans un centre ancien de

EXPOSITION SYRIENNE ITINÉRANTE

PEINTURE, FOLKLORE, ET ARTISANT

par

SÉLIM ABDUL-HAK

1 — Préface

Consciente que les expositions artistiques itinérantes sont des moyens efficaces pour établir la compréhension entre les nations, la Syrie éprouve un réel plaisir à organiser sa présente exposition et à la déléguer aux pays amis. Car elle la considère comme un message destiné à exprimer son désir de paix, et de coexistence avec les pays de bonne volonté dans un monde harmonieux où règnent la justice, l'amitié et le progrès.

Cette exposition syrienne comprend trois parties : peinture, folklore et artisanat qui avec un nombre important d'oeuvres d'art et d'objets divers reflètent, d'une façon condensée, les caractères laborieux, et les instincts créateurs que les générations de ce pays n'ont pas cessé de mettre au service du monde, depuis le début des temps historiques jusqu'au commencement de la Renaissance.

Pour son malheur et celui de l'humanité, ce petit pays est resté victime pendant plusieurs siècles du joug de la domination étrangère qui a détruit sa civilisation originale, réduit toutes ses possibilités d'action, et essayé surtout d'effacer sa personnalité artistique. Pendant longtemps, le sentiment syrien du beau qui était très vivace pendant l'Antiquité et le Moyen Age, s'est réfugié sous l'oppression dans le domaine des arts mineurs, en attendant une occasion propice lui permettant d'embrasser les larges horizons qu'il a connus autrefois.

Le 17 avril 1946 s'est réalisé l'un des miracles humains dont notre époque est encore capable. La Syrie se débarrassant de l'occupation impérialiste,

s'explique qu'aucun texte trouvé à Palmyre même ne mentionne cette qualité. Baalshamîn, en tant que dieu de la fertilité (AS 41) a pris la place du Gad, du moins dans la piété personnelle des fidèles : sous le nom de « Maître du Monde », puis sous une dénomination encore plus anonyme, il reçoit l'hommage d'un curateur et de deux desservants, le premier restant traditionnellement désigné par Yarhibôl et les seconds affectés officiellement au culte de l'antique « masséba », qui devait se désagréger lentement à l'entrée de la source (1). La substitution n'a donc pas été totale, et le fidèle lui-même n'aura pas eu pleine conscience du caractère désormais formel de la religion ancestrale, dont toute la sève se retrouvait dans un autre culte : celui du Béni et du Miséricordieux.

Le centre d'élection de ce culte, ce fut la source Efca et ses abords (2) : c'est là que le palmyténien et sa famille aimait à laisser un témoignage durable de sa piété, qu'elle s'adressât au Maître de la Source bénie ou au Maître miséricordieux qui veillait sur lui et les siennes.

JEAN STARCKY & DJA'FAR AL-HASSANI



مرکز تحقیقات تاریخ علم و فناوری در جهان اسلام

-
- (1) N'était l'aspect informe du pilier *a* de l'entrée de la source (pl. EE. 1), on serait tenté d'y voir le *masséba* primitif, car c'est dans son voisinage immédiat que s'ouvrait la grotte 4 où a été trouvé le pyrée A 1167, et qu'ont été dégagés la plupart des autres autels.
- (2) Nous avons signalé plus haut les rares pyrées qui ne sont pas à mettre en rapport avec la source (*Mém. de l'Univ. St Joseph.* 1949-1950, p. 51 et 55, *CIS* II, 3994) ; il faut en rapprocher le pyrée retrouvé en place devant l'emplacement de l'idole, dans le temple aux banquets de l'Agora de Palmyre (*H. Seyrig, CRAI*, 1940, p. 243). H. Seyrig pense que le temple a été dédié à la *Tyché* de Palmyre : il s'agit donc d'un culte à la Providence de la Cité, assez semblable au culte du Maître du Monde. Et dehors de ce cas, tous les pyrées de pierre de Palmyre sont offerts au dieu non nommé. Pour la Palmyrène il en allait autrement (*PNO* p. 110).

la *Fortune de l'Olivier* (RTP 131 et 132), et qui s'identifiait pratiquement avec le Gad de la Source (1). Au second siècle, les autels au dieu non nommé auront succédé à ceux du Gad, en particulier dans les jardins arrosés par les eaux de la source, et les motifs de l'offrande seront aussi variés que les attributions de Maître du Monde.

Conclusion générale :

Les autels édités dans cet article, ceux du curateur Bôlanos mis à part, se situent entre 190 et 256. Nous avons déjà noté que la très grande majorité des pyrées datés appartiennent à la fin du règne de Marc Aurèle et aux règnes suivantes jusqu'à Aurélien (CIS II, 4003, de février 173, et 4053, d'avril 268). Nos autels nous ont permis de suivre le développement du culte du dieu non nommé, développement marqué par une phraséologie de plus en plus complexe, mais aussi de plus en plus personnelle. Elle n'est que le reflet de la transformation du monde romain : à la stabilité et à la prospérité du règne des Antonins et des Sévères succède une période de troubles, qui invite le citoyen à chercher le salut présent et futur dans une dévotion privée plutôt que dans les cultes officiels.

La série de nos autels nous a aussi mis à même de résoudre, ou du moins de serrer de plus près un problème difficile : celui des rapports entre le culte de la source Efca et le culte du dieu non nommé. Deux faits nous ont suggéré que ce dernier a pris la place primitivement occupée par Yarhibôl, l'idole de la source : des prêtres de cette idole et des curateurs de Efca offrent des pyrées au dieu non nommé, et cela en rapport avec leurs fonctions, et les autres pyrées qui lui sont dédiés ont presque tous été retrouvés près de la source et du cours d'eau auquel elle donne naissance, ou bien proviennent d'un cimetière tout proche.

Cette substitution aura été facilitée par le fait que la personnalité de la grande divinité solaire s'était estompée en tant qu'idole de la source, et ainsi

(1) En Palmyrène du Nord-Ouest, D. Schlumberger a retrouvé un pyrée dédié « au Miséricordieux, bon, et au Gad du village et au Gad des jardins » en 238/9 PNO no 42. Nul doute que ces trois entités n'en fissent pratiquement qu'une dans l'esprit du dédicant, qui emploie d'ailleurs la formule «BD WMWD», propre aux autels au dieu non nommé. (cf. T. III No. 1 et 2 p. 162 note 5 du même Annales).

fouille plus systématique mettra sans doute au jour. Quelques uns de ces autels auront roulé au bas de pente et furent utilisés plus tard pour fermer en partie l'entrée de la source.

Nous avons décrits plus haut les aménagements antiques dont la source Efca fut l'objet. Ces autels n'avaient-ils pas leur emplacement primitif sur les bases et plateformes aujourd'hui immergées, ou encore dans les grottes de l'escarpe occidentale ? Pour ce qui est des bases, nous avons vu qu'elles portaient une statue ou une colonne. Les trois grandes plateformes au Nord de l'escalier et les bases de colonnes suggèrent, il est vrai, une sorte de nymphéum, où un autel au mois a pu trouver place. Au fond des grottes, sur le sol aplani, et aussi face à l'escalier, sur les parties de la berge qui ont été égalisées et qui sont aujourd'hui sous l'eau (voir notre plan), il y avait place pour plusieurs pyrées : ceux de Bôlanos ont pu occuper la grotte 4, où l'un d'eux a été retrouvé. De même l'autel de Bôlha et trois autres provenant du cimetière, n'ont pu être érigés loin de la source qu'ils mentionnent (ceux de l'aphkal de l'idole, *CIS* II, 4060 s, et celui dédié au Gad *CIS* II, 3976).

Mais une objection se pose : si les abords de la source étaient peuplés d'autels il faut opposer un véritable sanctuaire, et alors la source ne pouvait guère servir d'établissement balnéaire. Or la banquette à l'intérieur de la source, l'aménagement des grottes, en particulier la grotte 4 avec son bassin, le grand escalier qui permet un accès commode au canal creusé devant la sortie des eaux, tout cela suggère une utilisation partique de la source, comme c'est le cas de nos jours.

Nous pensons donc que si les parties aménagées ont pu contenir la niche du « masséba » primitif et quelques autels au dieu non nommé, l'ensemble des pyrées retrouvés aux abords de la source devait se trouver ailleurs : sur la pente de la colline, le long de la route, mais aussi le long du cours d'eau, peut-être groupés en quelque sanctuaire entre la source et le moulin. Nous avons aussi noté le groupe d'autels du « camp de Dioclétien ». Quand aux pyrées du cimetière, leur origine est sans doute diverse, mais une partie d'entre eux a pu se dresser le long du cours d'eau qui passe un peu plus au Sud : c'est la région de l'oasis, et on y aura vénéré le Gad des jardins, dont le culte est indirectement attesté à Palmyre par deux tessères au nom du GD MŠH',

la colline. Nous avons suivi un mur sur 3m 20 de longueur (largeur 107) : il est orienté perpendiculairement à la ligne qui réunit les trois bases. Parallèlement à ce mur, notons une assise de quelques mètres plus septentrionale, de 144 de long (largeur, seulement 66). Entre les deux, un socle de 74 cm de côté, qui se situe ainsi juste en arrière de la base moulurée.

Un peu plus bas que les trois bases alignées, se succèdent trois éléments architecturaux de dimensions imposantes : sur notre fig. 6, on voit à gauche une base rectangulaire d'un mètre de haut : en bas, elle a 238 cm sur 194, et pour le lit d'attente, 205 x 160. Ces dernières dimensions correspondent à peu près à la surface inférieure de la corniche qui a glissé du haut de la base ; 202 x 164. La surface supérieure par contre est de 274 x 227 ; l'épaisseur est de 86 cm, ce qui nous donne une hauteur d'ensemble de 186, analogue à celle des deux autels complet d'El-Kerâsi (CIS II, 3993 A et B). Mais le monument ainsi reconstitué est bien large pour faire un autel (1), et il ne faut pas songer à intercaler la dalle qui gît plus bas (à droite sur notre figure), car celle-ci est de proportions différentes (163 x 143) ; son épaisseur est la même que celle de la première dalle décrite, que l'on aperçoit plus haut sur notre photographie. Nous avons examiné les faces de la grande base et n'avons pu trouver trace d'inscription : il est vrai que la surface a beaucoup souffert, ce qui rend d'ailleurs difficile des mesures exactes. On peut aussi imaginer une statue ou une colonne honorifique sur ce grand socle, mais aucun élément correspondant n'a été retrouvé aux abords immédiats des colonnes qui gisent près de la source sont de dimensions insuffisantes (voir plus haut).

Il reste donc qu'une série plus ou moins nombreuse de pyréas a dû se dresser sur les socles que nous avons partiellement dégagés et sur ceux qu'une

(1) Le corps de ceux d'el-Kerâsi a 80 cm. D'ailleurs la mouluration de la grande base comporte autant qu'on peut en juger, un double tore qui fait songer à un piédestal plutôt qu'à un autel. C'est également un piédestal qu'on rencontre à quelques mètres au Sud de cet ensemble : hauteur 75 ; dimensions du lit d'attente (trou de scellement) : 189 x 95 ; de la plinthe inférieure : 145 x 130 ; au milieu, gros tore sur-doucine renversée. Précisons que les diverses bases que nous avons décrites sont posées à même le sol, et ne sont pas donc réunies entre elles par une fondation : ce qui s'adapte bien à notre hypothèse de socles d'autels.

saient pas en quelque lieu aux environs de la source (1). Notre attention a été attirée par une série de socles sur la pente du Djebel Mountar, juste au-dessus de la source (pl. V et fig. 4). Ne portaient-ils pas des pyrées au dieu non nommé ? Rappelons qu'à six cents mètres environ au Sud de la source, devant une porte de la première enceinte, que nous avons appelée « porte de Damas » a été découvert, au début de la dernière guerre, un pyrée en place sur son socle, lequel a 60 cm de côté (2). Cette même enceinte, après avoir rejoint, puis suivi la crête du Djebel Mountar, redescend sur la Vallée des Tombeaux : non loin du l'endroit où elle coupe la route venant de Homs, gît un autel dédié sans doute au dieu non nommé, « aux frais du Trésor » (3) : cet autel se dressait donc non loin de ce qu'on peut appeler la « porte d'Emèse » (malheureusement le mur d'enceinte n'a presque pas laissé de traces à cet endroit). Enfin trois autels monumentaux marquaient, à 20 km à l'Ouest de Palmyre, la bifurcation de la route d'Emèse et de celle d'Antioche (4).

Ces faits rendent tout à fait plausible la présence d'autels au dieu non nommé au-dessus de la source, le long de la « route de Damas ». Sur nos deux figures, on discerne vers la gauche une grande dalle plate : elle a 16 cm de côté et 32 d'épaisseur. Nous la croyons en place, car elle est alignée sur les deux autres bases de la figure 4 de la pl. V, et le creux qu'on voit sous la dalle est le fait de l'érosion du terrain. La plus méridionale des bases a 115 cm de côté et comporte une plinthe carrée de 75 cm : c'est de l'ordre de grandeur de nos trois grands pyrées (ainsi A 1167 a 74 cm à la base). Quand à la base intermédiaire, elle est rectangulaire (163 x 128) et présente sur sa face Ouest une mouluration (talon sous le listel), qu'on devine sur notre figure ; les trois autres faces ne semblent pas avoir été parées et nous n'oserions affirmer que cette base ait été un socle. Il faut en dire autant des assises qui affleurent à trois ou quatre mètres en arrière, un peu plus haut sur la pente de

(1) H. Seyrig avait songé au Temple de Baalshamin (AS 14. 3), mais on n'y a guère trouvé que l'autel *Tadm.* 21, dédié le 6 février 115 « à Zeus très haut et secourable » et « au Maître du Monde ». Il est vrai que le péribole n'a pas encore été dégagé.

(2) *Mél. de l'Univ. St Joseph*, 1949-1950, pl. 51 et pl. XVI.

(3) *Ibid.* p. 55. Le haut manque et on ne peut savoir si ce fut un pyrée, cf. pl. XVII, en bas.

(4) A lieu dit El-Kerâsi, cf. *ibid.* pl. XVII, en haut ; CIS II, 3994 ; D. Schlumberger, *Mélanges Dussaud*, II, p. 553.

2. Emplacement primitif des autels.

Nos autels ne sont pas les seuls à avoir été trouvés près de la source. J. Cantineau en avait vu un « à la sortie au bord du canal » (*Inscr. palm.* 61) et un autre un peu au Sud (62 a et b), à l'endroit où les Pères Jaussen et Savignac avaient trouvé l'autel CIS II, 3987 (= 62 c à i, sauf g), et sans doute aussi CIS 4038 (de Septembre 240). Or c'est dans cette aire que furent recueillis ceux de nos pyrées qui n'obstruaient pas la sortie de la grotte. Sur le parcours de la source, à quelques centaines de mètres à l'Est, il y avait un moulin : près de là, le Docteur Ginestet a dégagé deux fragments d'autels, portant chacun dédicace « à Zeus très-haut » ; celle de GIS II, 4003, provient du même endroit, et elle est bilingue. La partie du mur de Dioclétien la plus proche de la source (1) a donné une autre dédicace bilingue, à « Zeus très-haut et secourable » et à « Baalshamîn le Grand et le Miséricordieux », antérieure à 189 (*Inscr. palm.* 10). Or c'est tout près de là, dans le « camp de Dioclétien » qu'ont été trouvées au moins cinq dédicaces à Baalshamîn (2) ou au dieu non nommé (3). Comme elle se localisent dans le sanctuaire aux enseignes ou ses abords immédiats, on serait tenter de voir en Baalshamîn le dieu de ce temple, ou plutôt de celui dont il constitue peut-être un remaniement (4). Mais un au moins de ces autels fut réemployé dans le vestibule de ce sanctuaire aux enseignes (*Inv.* VI, 5) et il faut attendre que soit dégagé tout le « camp » pour éclaircir ce problème.

La très grande majorité des pyrées au dieu non nommé avaient été réemployés comme stèles funéraires dans le cimetière de l'ancien village (5) et comme ils ne sont pas difficiles à transporter, ils peuvent provenir de lieux assez divers. On peut cependant se demander si une bonne partie de ces autels ne se dres-

(1) Il semble bien qu'il faille se rendre aux raisons exposées par D. van Berchem et dater le grand rempart de Dioclétien et non de Zénobie (*L'armée de Dioclétien et la réforme constantinienne*, Paris, 1952. p. 4, note 1).

(2) *Inv.* VI, 5 (= CIS II 3988).

(3) *Inv.* VI, 4 ; 5 = CIS II, 3998 ; 8, 9 = CIS II 3989 (le Maître du Monde).

(4) Sur ce problème, voir D. Schlumberger, dans *Berytus*, 1935, p. 163-167.

(5) L'ancien village, avant 1930, était confiné dans le sanctuaire de Bél et ses abords immédiats ; le cimetière se trouve à l'Ouest, donc à 600 m de la source.

aplani ; il est lui aussi immergé, mais il n'en était sans doute pas de même dans l'antiquité.

Pénétrons à l'intérieur de la source : à droite, le mur s'évide bientôt sur une longueur de plus six mètres, pour former une large banquette : sur notre Pl. VI elle apparaît sous l'eau, mais depuis, le niveau a baissé, le lit de la source ayant été débarrassé de sa pierraille. Au delà de la banquette s'ouvre une grotte plus profonde que large, et on en rencontre encore d'autres plus à l'intérieur : nous ne les avons pas relevées, ni noté dans quelle mesure elles étaient le résultat du travail de l'homme. Devant la banquette et la grotte 5, on discerne sous l'eau une longue plate-forme rocheuse, et entre cette plate forme et le pilier *a*, une masse qui doit être un autel couché (voir pl. VI).

La berge opposée à celle des grottes ne présentait pas les mêmes abrupts. Face aux grottes 2 à 4 s'étend un escalier de 13 marches, taillées dans le roc ; les trois dernières sont actuellement sous l'eau, et se prolongent de plusieurs mètres à l'intérieur de la source. Du côté Nord, le roc est excisé pour former trois larges dalles, dont la première et la troisième comportent une longue plinthe, peut-être destinées à recevoir des cancels ; à l'angle nord-ouest, un socle et une base de colonne (planche VI, point *e*), auquel répond un autre socle du côté de l'escalier (point *d*). On les aperçoit tous deux sur la figure 3 de la planche V, et l'on discerne les dalles actuellement immergées ; contre le mur, une base en forme de (point *f*) supportait une statue, car on y lit encore quelques lettres de la fin d'une inscription honorifique :

... ε ζ] ἰ δ ῖ ω ν εἰς τει [μ η γ . . .] c. - à - d. à ses frais, en l'honneur de.

Sur la même figure, on notera deux fûts de colonne, d'un diamètre inférieur à celui de la colonne que suppose la base *f*. Mais ces fûts ont pu faire partie du même ensemble architectural, par exemple un portique couvrant l'espace dallé.

Au Nord, le pilier *g* marque la fin de ces aménagements, et en face le roc dessine un angle saillant, qui diminue presque de moitié la largeur du lit. Entre les dalles et le pilier, une plinthe de forme arquée suggère l'idée d'une balustrade fermant l'accès de ces installations. Le mur qui les délimite à l'Est (pl. V, 3) comporte de nombreuses pierres antiques, dont certaines sont peut-être en place. Le dégagement de ce versant donnerait des indications sur son profil antique, ainsi que des éléments architecturaux pour la reconstitution de l'édicule au Nord de l'escalier. Nous présenterons plus bas les hypothèses que dès maintenant suggèrent ces aménagements de la grande source de Palmyre.

II. LA SOURCE ET SES ABORDS

1. La source Efca.

Grâce aux dégagements faits en 1947 et 48, on peut aujourd'hui se faire une idée des aménagements antiques de la source Efca. Mais précisons - le : seules des investigations minutieuses, qui nécessiteront sans doute la démolition du mur qui entoure la sortie des eaux, permettront des conclusions fermes. Notre propre relevé a été sommaire : le croquis que reproduit la planche VI aura au moins l'avantage d'attirer l'attention des archéologues sur ces curieux vestiges.

La source se présente comme un canal dont la portion souterraine est d'une longueur considérable, qui mériterait la visite d'un spéléologue. La sortie du tunnel se voit clairement sur la figure 1 de notre pl. V : on notera le moignon de colonne qui émerge de l'eau (point *a* de notre croquis, l'extrémité de la voûte allant de *b* à *c*). Il s'agit en fait du roc lui-même, taillé pour former support, et tout récemment, il a été utilisé pour porter un mur qui marque partiellement l'entrée (fig. 4) : une voûte artificielle surmonte le tout, prolongeant de quelques mètres la voûte rocheuse. On peut se demander si cette dernière ne s'est pas partiellement effondrée et si dans l'antiquité elle ne formait pas corps avec le pilier *a*, donnant à l'entrée l'aspect d'une double baie. La baie de droite — qui correspondrait à l'ouverture actuelle (fig. 4) — aura été creusée artificiellement pour élargir la sortie des eaux, et de même la grotte 4 : en effet ses parois, ainsi que celle qui lui fait suite au sud, sont taillées, comme le montrent les figures 1 et 2 de la pl. V.

Trois autres grottes s'ouvrent dans la paroi calcaire, au nord de la grotte 4 (fig. 4 : grottes 3 et 2 ; pl. VI). Elles sont de dimensions plus modestes et ne comportent pas la niche intérieure de la grotte 4 (pl. V, 2). Au moins partiellement, elles ont été taillées : notre fig. 4 montre comment ce travail a pu être amorcé par les eaux ; les strates du calcaire, qui donne l'illusion d'assises faites de main d'homme, se laissent débiter facilement. Par dessus, on aperçoit quelques pierres antiques, remployées dans le mur moderne.

Le sol des grottes n'est pas de niveau égal : ainsi la grotte 4 comportait une sorte de bassin intérieur, qui s'ouvrait à l'est dans le lit du cours d'eau (en pointillé sur notre pl. VI) : le sol rocheux autour du bassin est

fermeture partielle, analogue à celle qu'on a bâti tout récemment (notre fig. 3). Quant au mur *extérieur*, nous l'identifierions volontiers avec la portion orientale du mur actuel qui ceint la source, car sur cette section, le bas du mur est antique (1). Le *mur de briques* par contre, couronnerait bien l'escarpe occidentale, qui n'avait pas besoin d'un puissant mur de pierre. Le lecteur, en se référant à notre description subséquente des lieux, pourra juger du bien fondé de ces hypothèses.

Nous considérons le mot LBN' comme le pluriel de LBNT'. *brique crue*. Cette forme du pluriel se retrouve en syriaque (singulier : *lebetto*, avec assimilation de l'N), tandis que les Targoums présentent la forme « occidentale » LBYYN' (*lebenayya*). Cet exemple est donc à ajouter au dossier des formes « orientales » du palmyrénien. Ajoutons que le mot se retrouve en arabe (*libna*), et en particulier à Palmyre, où « *leben* » désigne toujours la brique crue (2). Malheureusement la restitution de l'L initial n'est pas certaine, et on peut penser à TBN' (*tibna*), *paille*, donc mur de torchis, ce qui conviendrait également. Cependant, les traces de la première lettre s'accordent mieux avec un L qu'avec un T.

Les trois dernières lignes sollicitent une mention pieuse pour deux personnages, dont le second, si notre lecture est juste, a choisi Bôlha comme curateur. S'agit-il de l'un des deux stratèges ? Dans ce cas, l'autre personnage, Taimaa, pourrait être le second stratège et le verbe 'HD, serait à la troisième personne du pluriel, avec restitution LHN. *pour eux*, à la fin de la ligne. Notre restitution de MLKW après HYRN BR MQYMW s'appuie sur l'inscription d'un fragment de buste funéraire (*Inv. VIII, 103*) ; cependant ces noms sont les plus fréquents de Palmyre (cf. *Inv. VIII - 124*) et on n'ose affirmer l'identité des deux personnages.

L'écriture est régulière et n'appelle pas de remarque spéciales. Il faut en dire autant de A 1167, qui conserve le galbe classique de l'écriture du Tarif (137 ap. JC).

(1) J. Cantineau, *Le dialecte arabe de Palmyre*. II, p. 23.

(2) L'adjectif BRY', *extérieur*, est attesté par un texte de concession de la Nécropole Sud-Ouest ; *Five Tombs, Malé*, VIII et note 161 (p. 88).

les seules attestations du nom de ḤWML, ce qui nous suggère de rattacher à une même famille le dédicant de notre pyrée et les propriétaires du tombeau. Du point de vue onomastique, ḤWML doit être rapproché d'une série de noms protoarabiques tirés de la racine ḤML, *porter*, tels que Ḥamīl, ou Ḥamīlat (1).

Bôlha est « RB «YN' » et sa charge est la RBNWT «YN', correspondant au grec « épimelêteia », *curatèle*, que la dédicace « au Gad de la source bénie » se contente de transcrire (voir plus haut, note 73). Rappelons que le mot RB, *maître, chef*, sert à former plusieurs noms de fonction à Palmyre : RB ŠWQ, agoranome, RB ŠYR', caravanier, RB MRZḤ', chef de thiase (2).

Nous avons déjà signalé à propos de A 1167 l'expression DY ḤD YRḤBWL 'LH', équivalente à « airetheis hypo Iaribôlou tou theou ».

Les lignes 3 à 5 du texte principal ne se laissent pas déchiffrer entièrement, mais le sens général est certain : Bôlha est responsable de l'aménagement de la source, d'abord une construction à l'entrée (BNYN' DNH DY «YN'), puis une série de trois murs (KTL'), dont le premier semble se dresser devant l'entrée, le second à l'extérieur, tandis que le troisième, introduit dans le texte par un nouveau verbe («BD, *il a fait*), constitue quelque chose de différent, ce qu'indique le mot LBN', *briques*, si du moins notre restitution est bonne.

Le mot KTL' est nouveau à Palmyre. Nous avons d'abord songé à y voir une transcription du grec « Kotylô », qui désigne toute sorte d'objets creux (coupe, cymbale, etc.) : mais il s'agit toujours de petits objets, ce qui ne convient pas à notre contexte. Nous avons donc ici le mot araméen *kutla* ou *kotla*, fréquent dans les 'targoums (3). C'est un emprunt aux Babyloniens, qui désignaient par « kutallu » la partie arrière d'une chose, par exemple le mur arrière d'une maison ; « kutallu » est lui-même un emprunt au sumérien, et le sens premier est *nuque*. En araméen, le sens est simplement *mur*.

Nous n'avons pu déchiffrer le mot qui suit la préposition QLM, *devant*, qui se laisse restituer à la fin de la ligne 3. Mais la mention du mur extérieur nous invite à situer le premier aussi près que possible de l'entrée : peut-être une

(1) Ryckmans, *Rép.* p. 94 ; E. Liittmann, *Safaitic Inscriptions*, p. 315.

(2) Cant. *Gramm.* p. 97 et 116 ; *Inv.* X, 115, AS 14, 2 et 30, 24.

(3) J. Levy, *Chaldäische Wb. über die Targumim*, p. 395. Il n'apparaît qu'une fois dans la Bible *Cantique des Cantiques*, 2, 9 (sans doute un aramaisme).

a élevé cette construction de la source et le mur devant... et le mur extérieur, et il a fait le mur,

5 — de [b] riques, au mois de Nisan de l'an 516 (avril 205).

Et qu'il soit fait mention de Taimaa fils de (fils de) Taimaa Bêlyada, [et] de Hairan fils de Moqîmou (fils de) [Malk] ou, parce qu'il s'est choisi ce Bôlha comme chef de source.

Traduction de la face droite :

Et ce Bôlha a fait cet autel à ses frais pour son salut et le salut de ses fils et de son frère.

La face qui porte ces deux lignes est la plus large, et n'était le libellé du texte (commençant par W. et), elle devrait être considérée comme la face principale de l'autel. La divinité honorée n'y est pas nommée, mais l'endroit où a été retrouvé le pyrée et le fait que seul le dieu non nommé reçoive l'offrande d'autels à encens en pierre, du moins à Palmyre (1), nous permettent d'affirmer que c'est bien lui qui est visé et que Bôlha, tout comme Bôlana, était curateur de la source Efca.

Le nom de « Bôlha fils de Hairan » se lit sur une belle tessère dont l'avvers précise qu'il était chef de thiase (RB MRZH') (2). Nous avons noté que Bôlana avait sans doute occupé la même charge : il s'agit de la symposiarchie des prêtres de Bêl, la charge la plus honorifique de la cité (3).

Le patronyme HWM L, qui n'est pas précédé de BR, *fils*, doit être le nom de l'ancêtre de la famille. Un tombeau de la nécropole Nord-Ouest a été élevé en 79 par « Malikou fils de Moqîmou fils de Bôlbarak Haumal » et à l'intérieur, sous un buste disparu, on lit encore : « Image de Yarhai fils de Malikou fils de Yarhai Haumal, au mois d'Adar 496 » (Mars 185) (4). Ce sont

(1) En effet, en Palmyrène du Nord-Ouest, deux pyrées seulement sur une douzaine sont consacrés au dieu non nommé. *PNO* p. 110. Les autres où la divinité n'est nommée d'aucune façon sont attribués à juste titre au dieu non nommé : par ex. *CIS* II, 4101 et *Mél. de l'Un. St Joseph*. 1949-1950, p. 55.

(2) *RTP* 35 ; déjà H. Seyrig, dans le *Mémorial Lagrange*, p. 56 et pl. III, 4. L'auteur veut bien nous dire que son style situe cette tessère à l'époque d'Hadrien : il s'agirait donc simplement d'un ancêtre de notre Bolha, peut-être son grand-père, Voir aussi *RTP* 804.

(3) *Inv.* III, 7 = *CIS* II, 3942.

(4) *CIS* II, 4122 et 4236, à corriger d'après *Inv.* VII, 6 a et b.

Il s'agit d'une base bilittère labiale-gutturale, susceptible de bien des réalisations trilittères, suivant les dialectes ou les nuances à exprimer (1).

Les eaux de la grand source de Palmyre s'échappent en abondance d'une grotte profonde, et ce spectacle, rare au désert aura dicté aux premiers Sémites venus dans l'oasis, le nom à donner au vieux « yarhu » des aborigènes : « la ortie » des eaux, Efca. Mais le Génie de la source aura conservé l'antique toponyme, et fut appelé le Baal du yarhu. Mais lorsque Palmyre devint l'une des métropoles de l'Orient il dut céder la place au « Maître du Monde », puis à celui dont le Nom est béni à jamais, ainsi que nous le verrons.

A 1169 (pl. III - 6 et 6 bis 90 x 60 et 38 la face latérale, plus large, mesure 47 au corps ; lettres 2). Mouluration de la corniche : cavet doucine, quart de rond (de haut en bas), Sommet : deux hautes plinthes, séparées par une doucine et un tore (c'est la mouluration de la base), et surmontées d'une couronne à cupule, fruste. Trouvé à gauche de l'entrée de la grotte, sur l'escalier. face à A 1167.

Sur la face antérieure :

[B] 'RBNWT 'YN' DY BWLḤ' BR ḤYRN BR
 'TQB ḤWML DY 'HD YRḤYBWL 'LH'
 BN' BNYN' DNH DY 'YN WQTL' DY QD [M]
 'TNB' WKTL' DY BRY' WBD KTL' DY
 [L] BN' BYRH NYSN ŠNT 516
 WDKYR T [Y] M' 'BR... TYM' BLYD [c]
 [W] ḤYRN B [R] MQYM [W MLK?] W DY 'HD LH
 BWLḤ' DNH RB 'YN vacat

Sur la face droite :

WBD BWLḤ DNH 'LT' DH MN KYSH L
 ḤYWHY WHYY BNWHY WḤWHY vacat

Traduction de la face antérieure :

Lors de sa curatèle de la source, Bôlha fils de Hairan fils de Atéaqab Haumal, qu'a choisi le dieu Yarhibôl.

(1) Il existe une autre racine 'PQ, qui signifie « être fort », attestée en hébreu, en accadien et en sud-arabique. C'est à elle que les dictionnaires rattachent les Apheq mentionnées par la Bible, mais alors on saisit mal le lien qui unit la notion de *force* à celle de *source*, pour les Apheq ou Aphaqa qui sont des sources ou des sites auprès d'une source.

à d'autres domaines : il félicite un symposiarque (*CIS* II, 3919), un agoranome (*Inv.* X, 85), des stratèges (*CIS* II, 3932 ; *Syria* 1932, p. 279 ; cf. *Inv.* X, 115) (1), mais il ne nomme pas à d'autres charges qu'à celle de « chef de source pour Efca ».

Il nous reste à expliquer ce nom d'Efca. Seuls les autels A 1167 et 1168 nous donnent le nom araméen et sa transcription grecque. A première vue, on est porté à faire dériver « ephqa » de la racine NPQ qui signifie *sortir* : Efca serait l'issue des eaux. Dans l'araméen targoumique, on rencontre le substantif « mappeqâna », dans le sens de *sortie*, en particulier *sortie des eaux* (cf. syriaque *mappego*) « Efca » remonterait donc à une forme « 'anpaqa » avec alef prothétique et N assimilé à P. Mais alors on est en droit d'attendre un double P : « appeqa » (2).

Il vaut donc mieux envisager l'alef initial comme radical, et rattacher le toponyme à la racine 'PQ. Précisément, nous connaissons par la Bible toute une série d'Apheq, que le Père Abel, le regretté auteur de la *Géographie de la Palestine*, met en relation avec des sites généralement gratifiés d'une source abondante, ce qui l'amène à rattacher ces Apheq (une fois Aphîq) au substantif hébreu « aphîq » terme poétique difficile à traduire avec précision, mais qui connote presque partout des eaux courantes (3). Le mot se lit dans les poèmes de Ras-Shamra, où revient à plusieurs reprises l'expression 'PQ THMTM, que l'on traduit par « les fleuves des deux abîmes » (4). Il existait donc en sémitique de l'ouest une racine 'PQ, dont le sens devait être *jaillir*, et qui n'est qu'une variante de la racine NPQ et des trilittères apparentées : syriaque NBG *sortir, s'écouler* ; syriaque et arabe NB^e, *jaillir* ; NBK et NPK, à Ras-Shamra (5).

(1) Voir H. Seyrig, *Syria* 1941 p. 246 (= *AS* 38, 15).

(2) Le *Thesaurus Syriacus* de Payne-Smith donne, à la suite du verbe *nefaq*, un 'PQ = *canal* avec renvoi à sa col. 349 : en s'y reportant, on ne trouve guère qu'un 'PQ attesté par un passage difficile de St Ephrem, où le mot correspond à l'hébreu 'PYQ, dont nous parlons plus bas.

(3) *Géographie*. . . II, p. 246 s. L'Apheq de I *Rois* 20, 26 à 30 et de II *Rois* 13, 17 serait l'actuelle *Fiq* à l'Est du Lac de Tibériade. L'Apheqa de Josué 13, 4 pourrait être la célèbre Aphaca du Liban. Les autres toponymes se situent en Palestine.

(4) C. H. Gordon, *Ugaritic Handbook*, p. 214.

(5) *Ibidem*, dans l'expression MBK NHRM, cf. Job, 28, 11.

la localité en eau et de Gad du village, si du moins nous lisons correctement ce texte difficile.

Rappelons aussi l'étymologie séduisante qu'on a récemment proposé pour le nom de Yarhibôl, dont la nature solaire s'accommode mal de l'explication communément admise jusqu'ici, à savoir *Bôl* associé au dieu lunaire YRĤ. Pour Julius Lewy, l'élément « yarhi » est un adjectif tiré de l'accadien « yarhu », mare, puits, source : il s'agirait donc du « Maître (Bôl=Ba'al)] ayant rapport avec la source ». Ce terme « yarhu » est assez fréquent en accadien, mais proviendrait du hourrite (yaru + ha) : des toponymes comme Jéricho, au pied de laquelle jaillit l'abondante « fontaine d'Elisée », ou comme Ya-ri-ih, mentionné dans les tablettes de Mari, relèveraient d'une de la même couche linguistiques hourrite (1).

Nous ne sommes pas compétents pour nous prononcer sur l'origine hourrite du mot yarhu, mais il existe d'autres mots à Palmyre qui ne se laissent pas expliquer par les langues sémitiques, à commencer par le nom ancien de l'oasis : Tadmôr, également attesté par les textes de Mari (2). Les amorrhéens ou les autres Sémites qui les premiers se sont sédentarisés à Palmyre auront appelé « Ba'al du Yarhu » le dieu de la fontaine, et l'auront représenté par quelque bétyle, promu plus tard au rang de dieu solaire, par une évolution d'autant plus difficile à saisir que le stèle de Doura, en mettant le croissant aux épaules de Yarhibôl, en fait un dieu lunaire. Si ce caractère lunaire était plus primitif que l'aspect solaire, seul connu à Palmyre, l'étymologie habituelle qui voit dans l'élément YRĤ le mot *Lune*, reprendrait ses droits vis-à-vis de l'hypothèse hourrite de Julius Lewy. A cette dernière on peut encore objecter qu'un état construit « bôl-yarhi » serait plus naturel qu'une construction objective « yarhi-bôl ». On le voit, les éléments du problème sont trop contradictoires pour permettre une option définitive.

Quelque soit le sens du nom divin, le dieu est bien l'idole de la source. Voici un autre trait à l'appui de cette identification : c'est Yarhibôl qui désigne le curateur d'Efca (A 1167 et 1168 : texte grec ; A 1169 : DY 'ĤD YRĤBWL 'LH' qu'a choisi le dieu Yarhibôl). Certes le rôle oraculaire du dieu s'étend

(1) *Hebrew Union College Annual*, p. 431, note 139.

(2) Cf. J. Starcky. *Palmyre*, p. 27 s.

IX, 20) et tout porte à croire que c'est le dieu de la source Efca qu'ils entendaient vénérer dans ce sanctuaire palmyrénien. Ce dernier reçut sa forme définitive vers 150 de notre ère et c'est peu après cette date que la stèle fut sculptée. L'écriture en est très semblable à celle qui figure sur les reliefs des Gaddê de Palmyre et de Doura, datés de 159 : donc à l'époque où le curateur d'Efca Bôlanos s'adresse au Maître du Monde, la dévotion plus conservatrice des archers palmyréniens ne connaît encore que le vieux « masséba » de la source. Pourtant, pour l'ensemble la communauté palmyrénienne de Doura qui a érigé le temple, l'idole de la source avait perdu ces traits individuels par la stèle des Bené-Mita, car c'est sous la forme d'une divinité hellénistique qu'elle a fait représenter la source Efca aux pieds du Gad de Palmyre : sur ce relief, on voit une femme nageant, une main sous le sein gauche, symbol la source nourricière (1). Le même sujet réapparaît à l'époque des Sévères dans le « temple des dieux palmyréniens » de Doura, sur la fresque du tribun. et F. Cumont a situé cette représentation dans la série plastique dérivée de la Tyché d'Antioche. Il fait le rapprochement qui s'impose avec la « source bénie » mentionnée par l'autel cité plus haut, et remarque avec raison qu'ici Gad de Palmyre et Gad de la source sont pratiquement confondus (2). La personnalité des dieux se dissout et nous constatons partout le passage de l'idole sémitique à une divinité plus vague, qu'elle prenne les traits d'une tyché grecque ou d'un maître cosmique. La stèle de Doura nous apprend que l'idole avait nom Yahribôl : il nous faut grouper ici les autres indices qui viennent confirmer ce précieux renseignement fourni par cette lointaine colonie de Palmyre.

A Erek, l'ancienne Aracha, à 30 km au NO de Palmyre, on vient de retrouver un pyrée dédié à Yarhibôl, que nous publierons ultérieurement. Disons dès maintenant qu'il présente le double intérêt d'avoir été dégagé à proximité de la source qui alimente le village et de qualifier Yarhibôl de pourvoyeur de

— l'image d'Aglibôl offerte à Yarhibôl (*Syria* 1937, p. 120). Mais alors on attendrait un texte du genre de celui-ci : à Yarhibôl... idole de la source, ont fait... (avec désignation du dieu offert) C. C. Torrey, après avoir rappelé les diverses opinions sur l'identité du dieu de la source, opte pour Yarhibôl (il y a p. 280 une confusion partielle entre CIS II, 3930 et A 1168). C. Hopkins conclut à une certaine indétermination de la personnalité cosmique de Yarhibôl, mais en tire des conséquences abusives pour d'autres monuments (*Dura* VII-VIII, p. 365 s).

(1) *Dura* VII-VIII, p. 260 et pl. XXXIV.

(2) Cumont, *Doura* p. 96 et pl. XLIX et L.

au milieu du troisième siècle, car en 254, puis en 259, son frère Oga est honoré d'une statue dans la grande colonnade (CIS II, 3934 et 3935) : il avait occupé la charge de stratège. c. - à - d. de président du Sénat, et ici encore nous constatons que la curatèle d'Efca était attribuée aux premières familles de la ville.

Au troisième siècle, l'expression « Gad de la source bénie » ne désignait sans doute pas autre chose que la providence divine se manifestant par les eaux bienfaisantes d'Efca. Cette religiosité vague s'adressant au génie de la source, témoigne en réalité d'une répugnance à réduire la divinité tutélaire à la simple « idole de la source », vénérée par les ancêtres, et que mentionnent encore deux autels offerts par « l'aphkal de l'idole de la source » ('PKL DY MŠB 'YN'), au dieu non nommé, et non l'idole elle-même comme si l'un s'était substitué à l'autre (1). Ce sont là autant d'indices d'une spiritualisation du culte de la divinité de la source, et nous comprenons maintenant que l'un des curateurs songe à offrir un autel au Maître du Monde, et non pas au « masséba » qui devait se dresser quelque part à l'entrée d'Efca. L'autel de notre Bôlanos, trouvé dans la grotte principale, n'a pas dû venir de loin, vu son poids, et c'est donc bien en tant que curateur d'Efca que Bôlanos s'adresse au Maître du Monde.

Quel était donc le nom de l'« idole primitive de la source » ? A Doura, dans le temple des Gaddê, c. - à - d. des déesses « Fortune » de Palmyre et de Doura, on a retrouvé une stèle figurant le dieu Yarhibôl en costume militaire, et le croissant aux épaules. Sur la plinthe on a gravé un texte de rédaction assez maladroite : YRHBVL 'LH' 1B' MŠB' DY 'YN BD BNY' MYT' QŠT : *Yarhibôl, le dieu bon, idole de la source, ont fait les Benê-Mita, archers* (notre fig. 3) (2). Les Benê-Mita sont une des anciennes tribus de Palmyre (Tadm. 9 et Inv.

(1) CIS II, 4064 et 4065 ; la date est perdue, mais l'écriture du premier, figuré pl. XXIV du *Corpus*, se situe fin du second siècle, début du troisième. Sur le mot « aphkal » pour désigner le prêtre, cf. CIS II, 3974 et *Cant. Gramm.* p. 150. Sur MŠB' = *idole*, voir PNO p. 155. Si l'expression BD 'MLK 'PKL' CIS II 4064 est correctement traduit par « parce qu'il a été constitué prêtre... » la relation entre l'idole de la source et le dieu non nommé est des plus étroites.

(2) Dura VII-VIII, p. 264 s (F. E. Brown) et 279 s (C. C. Torrey, pour l'inscription ; cf. *Inv. Dura* 33 ; J. Starcky, *Palmyre*, p. 92. Le croissant est l'attribut du dieu Aglibôl : aussi H. Seyrig se refuse-t-il à reconnaître Yarhibôl dans le dieu figuré par la stèle ; ce serait —

de 139 précise que Hairan et Ailamai « ont plu..... aux dieux ancestraux » et nous avons donc à faire à une famille qui a dû donner de nombreux prêtres à la cité.

L'ancêtre était un certain Matta : l'absence de BR, *fils*, devant ce nom, dans les textes qui le mentionnent, ne permet pas de déterminer son degré de parenté. Dans notre dédicace, Matta est nommé tout de suite après Moqîmou, tandis qu'ailleurs un seconairan s'intercale entre les deux noms.

La curatèle de la source Efca, confiée à Bôlanos, était sans aucun doute une des charges les plus importantes de la ville, puisque c'était l'abondant débit d'Efca qui assurait l'irrigation de l'oasis. La répartition des eaux à travers les vergers d'oliviers et de palmiers était règlementée comme de nos jours (1) et Efca est certainement l'une des deux sources mentionnées par le « Tarif » de Pamyre, daté de 137 : à la ligne 58 du palmyrénien, nous lisons : « pour celui qui use des deux sources d'eaux qui sont dans la ville : 800 deniers » (CIS II, p. 48). L'autre source est celle qui s'ouvrait dans la petite colline occupée par le « camp de Dioclétien » et qui par un aqueduc, recevait aussi les eaux de la source Abou-Faouârès, à 12 km à l'ouest de Palmyre. Ces deux sources étaient situées « dans la ville » dont le rempart entourait alors l'oasis et la source Efca (2).

Il existait donc au moins un autre « chef de source » (rab aîn) en dehors de celui qui était « sur Efca ». Mais la « source bénie », dont l'autre Bôlanos sera curateur un siècle plus tard, ne doit pas être différente d'Efca, qui mérite cette épithète de bénie, puisqu'elle a donné naissance à l'oasis. L'autel qui est dédié « au Gad de la source bénie » est conservé au Musée d'Istanbul (CIS II 3976). Il mentionne une double curatèle de Bôlanos (3) qui est à situer

(1) J. Cantineau. *Le dialecte arabe de Palmyre*, p. 52 s.

(2) CRAI, 1946, p. 391 ; *Mél. de l'Un. St Joseph*, 1949-1950 p. 51. Un autre aqueduc venait d'une source située à 7 km au Nord (Biyâr al-cAmyé), mais on ignore son point d'aboutissement dans la ville (Syria, 1946-1948, p. 336).

(3) Le mot *curatèle* n'est pas rendu par l'expression RBNWT «YN» (voir plus bas, A 1169), mais par la transcription du mot grec « epimelêteia » (plur. féminin 'PMLWTN, à corriger en 'PMLTWN). Rappelons que c'est Cermon-Ganneau qui avait réussi à interpréter correctement ce passage, et donc le sens général de l'inscription (*Rec. d'arch. orient.* II, 1 à 5). On a l'état construit 'PMLTWT sur une stèle mutilée du « Camp de Dioclétien » (de 134/135), où il ne s'agit pas de la source Efca (CIS II, 3968). Dans le texte funéraire CIS II, 4157, 'PMLT, (epimelèteis) désigne le régisseur du tombeau.

séricordieux ». Pour le fidèle, le dieu non nommé est le dieu Bon plutôt que le dieu Grand. Dans nos deux dédicaces *megistos* veut être l'équivalent de MR' LM. (1)

Le nom du dédicant est Bôlai en palmyrénien, mais Bôlanos en grec : Bôlai est donc une forme apocopée de BWLN', *Bôlana*, nom attesté par l'autel CIS II 3976, dont nous aurons à reparler. Les patronymes des deux textes n'ont aucun nom commun et il s'agit donc de deux familles différentes. La forme *Bôlana* est elle-même hypocoristique, mais le théophore complet est difficile à déterminer (2).

Notre Bôlana appartenait à une famille de notables. En 139 son grand père Hairan et son oncle Aailamai sont félicités par le Sénat et le Peuple qui leur font dresser une colonne honorifique (CIS II 3930), et dix ans après ce même oncle et la père de Bôlanos achevaient la construction d'un somptueux temple funéraire au débouché de la vallée des Tombeaux (CIS II, 4168 et *Inv.* VI, 9). Le texte de fondation est bilingue, et nous y relevons la même correspondance Zênobios/Zebîda que sur notre autel (3). D'après les divers fragments relévés dans le tombeau, il est presque sûr que Bôlanos y a trouvé sa sépulture, et il est peut-être le symposiarque de Bêl mentionné par deux de ces morceaux (4). Ajoutons que le Musée de Damas conserve le buste d'un Zebîda arrière petit fils du fondateur Aailamai, buste daté 231/2 et provenant sans doute du tombeau familial (CIS II 4243, avec tableau généalogique de la famille). Zebîda porte le modius sacerdotal ceint de la couronne. Déjà l'inscription honorifique

(1) Nous avons omis un texte débutant par « Dii hypsistò mejistò » : c'est un débris de rituel, concernant sans doute Baalshamin (AS 14, 6).

(2) Peut-être BWLNWRY, qui a dû exister à côté de l'habituel BLNWRY. En effet, dans un texte funéraire bilingue, un BNWR est transcrit Bônnourou (génitif). *Five Tombs*, Barea (p. 115), et sur une tessère, on croit lire BWNWR. RTP 272. Mais la forme apocopée de ce nom est mieux représentée par BWN', *Bônna*. Il faut peut-être voir un suffixe dans la terminaison -an de Bôlana, et faire venir cet hypocoristique ainsi que Bôlai d'un nom tel que Bôlyada (cf. *Inv.* X, 29). Les étymologies proposées par Waddington (latin Bolanus) ou par le Corpus (Bôl cana, *Bôl a exaucé*), nous paraissent moins sûres.

(3) Voir CIS II 4003. Nous préférons voir en ZBYD' un participe (*Zebid, donné*), qu'un diminutif (*Zobaid*), mais les transcriptions grecques autorisent les deux hypothèses (Wuthnow, p. 49 et 50).

(4) *Inscr. palm.*, 13 et 14.

réservée à Baalshamîn et au dieu non nommé. Dans les bilingues, le grec n'offre pas d'équivalent, ce qui souligne le caractère, sémitique de la formule.

MR' «LM : cette dénomination de Maître du Monde a souvent été commentée, et on sait qu'elle marque la transition entre le culte de Baalshamîn et du dieu non nommé (1). Le grec « Zeus hypsistos megistos kai epêkoos ». Nous avons vu plus haut que le premier et le troisième de ces qualificatifs caractérisaient le dieu non nommé (cf. A 1178), habituellement désigné dans les textes palmyréniens par la périphrase « celui dont le Non est béni à jamais, bon et miséricordieux ». Ceux qui le nomment comme ici « Maître du Monde » n'explicitent pas l'attribut de miséricorde, sauf la dédicace CIS II, 3989 : LMR' «LM' ṬB' WRḤMN' (2). Baalshamîn lui aussi est appelé par deux fois RḤMN' (CIS II, 3988 et *Inscr. palm.* 10), si bien que c'est la miséricorde, autant que la qualité de maître de l'univers, qui assure l'unité de ces diverses personnifications du divin. L'épithète « megistos » est plus caractéristique de Bêl que le Baalshamîn (CIS II 3912, qui n'est pas de Palmyre même), et elle correspond à l'adjectif araméen « rabba » décernée deux fois à Baalshamîn, (CIS II, 2988 et *Inscr. palm.* 10). La présence de *megistos* sur les deux pyrées A 1167 et 1168 est à relever, car ailleurs le « Maître du Monde » ne reçoit pas ce qualificatif, et il faut en dire autant de « celui dont le nom est béni à jamais » ou du « Mi-

-
- (1) Voici les textes datés : Baalshamîn, *Inv. Doura*, 23 (31 ap. JC). *Inv.* 1, 4 et 5 (67), CIS II, 3986 (114, avec le titre de MR' «LM'), 3959 (131), 3987 (132), 3912 (134, avec le titre de MR' «LM'), 3988 et *Inscr. palm.* 10 (antérieurs à 189), PNO no. 61 (216), AS 41 (228), Le Maître du Monde (seul), *Tadm.* 21 (115), nos deux pyrées A 1167 et 1168 (162), CIS II, 3989 (235), 3990 (date perdue). Le dieu non nommé : CIS II, 3992 à 4053 (103 à 268), 3981 (le dieu non nommé ainsi que Aglibôl et Malakbêl, cf. AS, 14, 7 et 8 ; pour la date, cf. notre note 46) ; et en dehors du *Corpus* : *Mél. de l'Un. St Joseph*, 1949-1950, p. 51 (Avril 175), *Tadm.* 11 (fin second siècle) ; *Inscr. palm.* 27 (sans doute dieu non nommé, Sept. 189), *Tadm.* 22 (219), AS 30, 20 (235/236, à Zeus secourable) ; les pyrées édités ci-dessous (190 à 256) ; une douzaine de pyrées inédits du Dépôt des Antiquités de Palmyre sont datés (aucun ne dépasse les dates extrêmes données plus haut). Parmi tous ces pyrées au dieu non nommé, il faut noter *Inv.* VI, 5, CIS II, 3998, qui le qualifie de Maître du Tout, MR' KL, mais on n'y rencontre pas l'expression MR' «LM'.
- (2) De date assez tardive (Février 235), cette dédicace s'inspire en fait de celles adressées « à celui dont le Non est béni à jamais » : le Maître du Monde n'est plus que le Miséricordieux.

a offert cet autel à ses frais,

l'an 474, au mois Hyperberetaios, le 20^e (jour) (Octobre 162).

Palmyrénien : En mémorial bon pour le Maître du Monde, offert par Bôlai
fils de Zebida

fils de Hairan fils de Moqîmou Matta, alors qu'il était chef de source
pour Efca, au mois de Tishri de l'an 474 (Octobre 162).

Commentaire : DKRN TB : cette formule est une apposition au mot « autel »
généralement sous-entendu, mais parfois exprimé : «LT' DH DKRN LBRYK
ŠMH etc, «BD etc. (CIS II 3993 = *Tadm.* 13).

Cette dernière dédicace, datée de III, est une des plus anciennes adressées
au dieu non nommé et l'expression DKRN, assez fréquente durant la première
moitié du second siècles (1) disparaît après 162, date de notre texte. Encore plus
archaïque est l'emploi de la préposition QDM. *devant* : [a offert] *en mémorial*
devant celui dont le nom est béni à jamais, etc, CIS II 3998 A, cf. 4004 et
Berytus, III, 1936, p. 84. On sait que l'idée de « souvenir » est très développée
dans les religions sémitiques : ici l'autel doit rappeler le dédicant au bon sou-
venir de la divinité, et l'on comparera les expressions nabatéennes DKRT
'LTW ... BTB *qu'Allât se souvienne en bien d'un tel*, relevées par le Père Sa-
vignac au Djebel Ramm (2).

Par lui-même l'autel est un mémorial, mais souvent on exprime le sou-
hait que le passant fasse mention devant la divinité, du dédicant et de ses
proches : à ce souhait, un autel dédié à Shai-al-quan en ajoute un autre : « *qu'on*
se souvienne de celui qui dira : qu'on se souvienne de tous ceux-ci (les sus-nom-
més) *en bien.* » (CIS II 3973).

Il est remarquable qu'à Palmyre même, l'expression DKRN TB semble

(1) CIS II, 3998, 4000, 4001 (de Juin 161), cf. 3987 (de 132, à Baalshamin).

(2) *Rév. Bibl.* 1933, p. 413, no. 3, 7, etc ; cf. no. 5 : DKYR. ... MN QDM 'LTW BTB, *qu'on se*
souvienne d'un tel devant Allât en bien. Un graffiti nabatéen de Sināi porte : DKYR TB
LcLM «LMN 'WS' LBcLY BR «YDW BTB WSLM (CIS II, 1841) *Qu'on fasse bonne*
mention de Aushallabaali fils de Aidou, dans les siècles des siècles, en bien et en paix !
L'expression LcLM «LMN rappelle nos BRYK ŠMH LcLM' et montre que toute cette
phrasécologie est encore plus sémitique que juive.

mention de Nanai est rajoutée, l'autel étant avant tout dédié au Maître du Monde, c. - à-d. à Baalshamin. Nanai est-elle la déesse parèdre de Baalshamin? C'est peu probable, car les divinités masculines auxquelles elle est associée sont Bêl (RTP 134) et Reshef (Tadm. 17). D'ailleurs il est possible qu'il faille restituer une lettre avant NNY, et donc un nom propre de personne, par ex. *NNY, *Ananai* (CIS II 3994 B). Il est vrai que la formule LYQR n'est attestée que pour des tribus, lorsqu'elle figure dans des textes religieux (Tadm. 21 et 22), et un nom de tribu commençant par BNY est exclu ici par les deux N qui précèdent le Y.

A 1167 (pl. IV-2 150 x 74 et 56; lettres 2, 5. La corniche comporte un talon et le sommet est à trois degrés, le dernier portant la cupule).

La découverte de ce bel autel a déjà été signalée dans la revue *Syria*, l'un des signataires du présent article a cru qu'il s'agissait de l'autel précédent, vu par Halifax, mais ce dernier fut retrouvé l'an d'après. D'ailleurs Halifax avait signalé son autel sur le bord sud de la source, où il a été retrouvé, tandis que A 1167 se dressait en face, dans la grotte 4 (1), la face inscrite tournée vers la paroi rocheuse, ce qui prouve qu'il n'était pas en place.

- 1 Διὶ Ὑψίστῳ μεγίστῳ καὶ ἐνὶ μέσῳ
- 2 Βωλάνος Ζηνοβίου τοῦ Αἰρανῶ
- 3 τοῦ Μοκίμου τοῦ Μαθθα ἐνὶ μελήτῃς
- 4 αἰρεθεὶς Εφκας πηγῆς ὑπὸ Ἰαριβώλου τοῦ
- 5 θεοῦ τὸν βωμὸν ἐξιδίων ἀνέθηκεν
- 6 ἔτους δού μηνὸς Ὑπερβερεταίου χ'

- 1 DKRN TB LMR' *LM' QRB BWLY BR ZBYD'
- 2 BR HYRN BR MQYMW MT' KDY HW' RB *YN
- 3 *L 'PK' BYRH TSRY ŠNT 474

Grec : A Zeus très-haut, très grand et secourable,
Bôlanos (fils) de Zénobios (fils) de Airanos
(fils) de Mokimos Matthas, désigné comme curateur de la source Efca
par le dieu Iaribôlos

(1) J. Starcky, *Syria*, 1946-1943, p. 334 ss, et fig. 2, représentant l'autel encore debout dans la grotte 4, alors incomplètement dégagée. Le texte palmyrénien est donné p. 336, avec un bref commentaire. Voir aussi *Palmyre* p. 99.

b. Les trois grands pyrées.

Trois autels à cupules beaucoup plus considérables que les précédents ont été mis au jour lors des dégagements de 1947 et 1948, mais un seul est entièrement inédit.

A 1168 (pl. IV - 1. 72 X 85 et 64. Lettres 2, 3. Corniche : cavet et par dessous doucine ; sommet plat, avec plinthe creusée d'une cupule).

Texte palmyrénien inédit, texte grec copié en 1691 par le Pasteur W. Halifax (1), qui n'avait signalé le palmyrénien que par une série de points à la suite du grec (on sait que le déchiffrement de l'écriture palmyrénienne ne réussit que plus d'un demi siècle après). Nous ne redonnons donc pas le grec, d'ailleurs bien lisible sur notre planche, et identique, à la coupe des lignes près, au grec de A 1167 qui suit. A l'aide de ce dernier texte, ce qui reste du palmyrénien se complète comme suit.

DKRN ṬB LM [R' LM] Q[RB] BWL [Y] BR ZBYD' BR ḤYRN
BR MQ [YMW MT' KDY HW' R] B [YN L]'PK' WLYQ[R]
[. ?] NNY' (ou H).....

Le reste est complètement rongé par les eaux : lignes manquantes, au maximum cinq. Pour la traduction, on se reportera à A 1167, mais en notant que la fin de notre texte est différente : on est tenté de lire : LYQR NNY' [LHT'], en l'honneur de Nanai la [déesse]. L'expression LYQR pour introduire la divinité honorée est insolite, mais on la rencontre au moins une fois : sur le relief du dieu Malka, PNO n° 57. Ici elle s'expliquerait parce que la

(1) Publié d'abord dans les *Philosophical Transactions* de 1695 (t. XIX, p. 83-110), ensuite plus complètement dans le *Quarterley Statment* d'octobre 1890 du *Palestine Exploration Fund*, p. 273-308. Le texte est donné p. 290 : la lecture est correcte, sauf les lettres OH ajoutées par mégarde au mot epimelètès. Halifax a compris le sens général, mais a pris Yarhibôl pour un empereur, méprise explicable à l'époque. Elle fut recopiée par Wood en 1751 (*Les Ruines de Palmyre*, 1753, p. 27, no 6) ; H. Waddington, en 1861, n'a pas retrouvé l'autel, dont il a redonné le texte d'après Wood (Ph. Le Bas et W. H. Waddington. *Inscriptions grecques et latines recueillis en Grèce et en Asie Mineure*, III, no 2571 c). Repris par W. Dittenberger, *OGIS*, II, 634, avec bibliographie (ajouter « kai » devant « epêkoô ». Voir aussi J. B. Chabot. *Choix*, ... p. 75, et *AS* 38, 15. L'autel n'a été retrouvé qu'en 1948, cf. plus bas A 1167.

la corniche est brisée pour A 1206, de la même année, et cette association du cavet et du quart de rond est désormais de règle.

L'étude de la corniche doit être complétée par celle du sommet : pour les trois premiers pyrées, la mouluration au dessus du listel est symétrique à celle de la corniche et porte une plinthe surmontée d'une couronne à cupule. Pour les quatre autels qui suivent (A 1209, 1207, 1184 et 1205), cette symétrie est en partie conservée, mais le listel est d'abord doublé d'une haute plinthe, ce qui peut entraîner par compensation la suppression de la couronne (mais non de la cupule) ; le pyrée A 1205 est l'exemplaire la plus réussi de ce type. où la masse du haut équilibre harmonieusement celle de la base.

Aux formes moulurées de tous ces autels s'oppose le sommet de A 1204 et 1175, laissé en biseau comme la corniche et la base : mais dans les deux cas, la plinthe mentionnée plus haut assure l'équilibre voulu, et une couronne à cupule accentue encore l'effet d'élévation. Ce sommet d'aspect triangulaire s'alourdit lorsque le sculpteur le creuse de plinthes et de moulurations, comme c'est le cas de A 1206, de l'an 243/4. Avec A 1176, de la même année, nous revenons à la symétrie notée pour les premiers autels, mais la couronne prend un volume exagéré. Nos trois derniers pyrées datés relèvent de ce type.

Il serait profitable d'étendre cet examen aux autres pyrées palmyréniens. Voici quelques références pour le profil de la corniche : doucine pour *CIS* II 4009 (de 191), 4018 (?) (de 219), *PNO* pl. XXVIII, 4 (de 194) pl. XXIV, 5 (de 214), pl. XXXVII, 7 (de 238/9) ; absence de mouluration pour *CIS* II 4025 (de 227), 4040 (de 240), 4042 (de 247), 4046 (de 253), *PNO* pl XXIV, 2 (de 212), pl XXIV, 4 (de 252/3), XXIV, 3 (de 271) ; profil brisé : *CIS* II 4030 (de 252), 4044 (de 249), 4050, (de 261). Donc évolution comparable à celle que nous avons constatée, sauf que le type en biseau finit par dominer en Palmyrène du Nord-Ouest, ce qui n'a rien d'étonnant, les autres manifestations de l'art y présentent le même caractère fruste.

Le mode de plus en plus simplifié dont est exécuté la couronne constitue également un élément de datation : feuilles et rosaces figurent sur celles de A 1171, 1175 et 1176 ; elles font place à un boudin circulaire pour A 1177 et 1178.

Outre les autels inscrits, on a trouvé quelques uns d'anépigraphes : signalons au moins un pyrée à sommet orné de gradins en forme d'escaliers opposés, comme sur les façades de Pétra.

Note sur les moulurations des pyrées.

Nos pyrées datés s'échelonnent sur un temps relativement court (de 190 à 256) et il est donc intéressant d'étudier l'évolution de leurs formes. En général, la mouluration de la base est symétrique à celle de la corniche, dont le tistel a la même longueur que la plinthe inférieure de la base. La masse qui coiffe la corniche comporte une partie moulurée souvent symétrique à la corniche — et donc identique à la base — ainsi qu'une plinthe portant une couronne formant cupule. Cette disposition générale se retrouve sur la plupart des autres autels dédiés au dieu non nommé (1) ce qui n'a rien d'étonnant, car ils se situent presque tous dans le même laps de temps. Un regard sur nos planches permet de saisir l'évolution de ce profil, laquelle comporte trois étapes.

Pour nos cinq premiers autels, datés de 190 à 219, la corniche a la forme d'une doucine. Four A 1205, d'octobre 225, ce profil est brisé : cavet et quart de rond.

Quinze ans plus tard, les autels A 1204 et 1175 se caractérisent par l'absence de moulurations, les parties correspondantes étant laissées en bosse bisautée. Même forme pour un pyrée anépigraphé, dont nous donnons l'image ci-dessous (fig. 2) : c'est un monument inachevé, car la cupule n'a pas été creusée, tandis que les autels inscrits semblent avoir été considérés comme achevés (voir le relief que porte la face droite de A 1175).

Avec A 1176, de 243/4, nous retrouvons un doucine, mais le profil de

(1) Voir *CIS* II, p. 154 (dessins du Père Savignac). Le fascicule premier des planches de la section palmyrénienne du *Corpus* a paru : précisons que les planches XXI à XXXII du « *Choix d'inscriptions de Palmyre* » de l'Abbé Chabot sont en partie les mêmes que celle du *Corpus* : pour les pyrées, voir *Choix*, pl. XXIII (= *CIS* pl. XVII et XXIV) (= *CIS* pl. XVIII). Nos pyrées ayant pour la plupart séjourné dans l'eau, il n'y a pas trace de combustion dans les cupules. Sur l'offrande de l'encens au dieu non nommé et la destination des pyrées, voir maintenant *PNO* p. 109 à 112.

°BDT °QMT	Aqmat a fait (cet autel)
LBRYK ŠMH	à celui dont le Nom est béni
[L] °LM' °L	à jamais, pour
[HY] H WcL	son [salut] et pour
[HY'] BRH	[le salut] de son fils
[..... ?]	[..... ?]

Écriture négligée et donc difficile à dater. Le °aīn est cursif. L'absence de brisures marquées et la forme du sommet (1) indique une date analogue à celle de A 1209 donc les environs de 220. Elle se trouvait peut-être gravée sur la partie perdue. Le nom d'Aqmat est généralement porté par des femmes (CIS II 4190, 4200, etc), et c'est le cas ici (°BDT). Aqmat est un nom masculin dans un texte archaïque (Tadm. 24). Rappelons que plusieurs autres pyrées ont été offert par des femmes : CIS II 4010, 4014, 4027, 4042),

A 1180 (pl. III. - 5 Pyrée grossièrement taillé dans du calcaire tendre ; 53 x 23 et 19. Lettres 2, 5). Quatre lignes de texte disposées verticalement sur le corps et la base. On croit lire :

MWD' L	En action de grâces, un tel
LRHMN' °L [HYW—]	au Miséricordieux pour son [salut]
HY W'TTH [W] B [RH ?]	et (le salut) de sa femme et de son fils (?)
WBRTH [..... ?]	et de sa fille [..... ?]
DQRW LH [W°NNWN ?]	parce qu'il l'ont invoqué [et qu'il les a exaucés ?] .

L'intérêt de ce texte vient du fait que le dieu non nommé n'est désigné que par son attribut de miséricorde, qui le définit en quelque sorte (voir plus haut, A 1178).

(1) Le listel est surmonté d'une plinthe : par dessus une série de disques de plus en plus petits forment couronne. Corniche : cavet et quart de rond. Voir plus bas, la description générale des moulurations.

Du point de vue grammatical, il faut relever les formes pleines «N' et QR' : c'est la première attestation pour ces deux verbes.

Le nom du père du dédicant est connu par deux tessères émises par un Qoreinou fils de Nébozabad (RTP 749 et 818). On a aussi une forme sans désinence QRYN, attestée par un autel indit au dieu non nommé (1) : [LBRYK ŠMH] L-LM' RHMN' [TB]' WTYR' BD WMWD' [Q] RYN BR HYRN BR YRHBWL' [WLS] MŠ QRYN L HYWH [WH] YY 'HWH BYRH [NYS] N ŠNT 563 (avril ? 252).

Vu les dates, ce Lishamsh Qorain pourrait être identique à notre Lishamsh bar Qoreinou. Cependant, si Lishamsh Qorein est le frère dont il est question à la ligne suivante, son père est Hairan, et non Qorein, qui représente alors l'ancêtre, et non le père. Nous connaissons encore un Qorein fils de Oga, dont le nom figure à droite de son buste sur une sculpture du temple d'Abgal au Khirbet-Semrine (PNO n° 7, b). QRYN doit être le diminutif du nom propre safaitique *Qarn* (corne ?) plutôt que le mot *Qaryân*, sédentaire (2).

Ce que nous avons dit de l'écriture de A 1178 s'applique aussi à A 1173, certaines lettres étant encore plus évoluées (par ex. le M et le Š). Cette achématisation ira en s'accroissant durant la décade qu'il reste encore à vivre à Palmyre (3).

A 1185 (pl. 1-9. Partie supérieure d'un petit pyrée, haut. actuelle 23, largeur du sommet 16, du corps 11. Lettres 0,7).

(1) A 1100, hauteur 65, largeur 40 et 30 ; lettres 2, 5. Trouvé par nous à deux cent mètres au Nord du temple de Bêl, remployé dans un mur. Le texte a souffert depuis, la surface de la pierre étant écaillée. Nous restituons L devant LSMS^{vv}, mais il est possible que les quatre noms qui suivent QRYN désignent les ascendants de ce personnage, qui serait alors seul à avoir dédié le pyrée, ce qui grammaticalement rend plus clair le libellé du texte.

(2) Ryckmans, *Rép.* p. 194 ; E. Littmann, *Safaitic Inscriptions*, Leyde, 1943, p. 342 ; PNO no 7, cf. p. 176.

(3) Voir par exemple *Five Tombs, Malku*, XII, de mars 267 pl. XLII, 2 ; au bas de XLII, I l'inscription la plus récente (*Malku*, XIII), de juin 274 (cf. *Tadm.* 40), mais avec des lettres cursives.

n'a pas de texte palmyrénien. Dans les bilingues, le grec se contente de rendre la notion religieuse du dieu non nommé par la formule générale : *Zeus hypsistos kai epêkoos* (1), où le second qualificatif signifie « secourable ». Ainsi l'épithète « miséricordieux » se révèle comme proprement sémitique, et sa présence sur le pyrée de Malchos atteste l'intention du dédicant : il s'adresse au dieu non nommé, qu'il considère comme unique. C'est le seul témoignage explicite d'une foi strictement monothéiste, et elle est d'autant plus remarquable que Malchos était un authentique palmyrénien, qu'une inscription de l'Agora loue « d'avoir présidé avec intégrité et distinction le Sénat » (Inv. X, 55) (2).

A 1173 (pl. III - 4. 56 x 29 et 20. Lettre 2.)

BRYK ŠMH L'LM' RHMN'	Béni soit son Nom à jamais, le Miséricordieux
ṬB['] WTYR' MWD' LH	le Bon et le Compatissant ; en l'action de grâce envers
LRHMN' ṬB' DY QR'	lui au Miséricordieux, le Bon, parcequ'il l'a invoqué
LH W=N' LŠMŠ BR	et qu'il a exaucé Lishamsh fils de
QRYNW BR ML' W=BD	Qoreinou fils de Mala ; et il a fait
«LT' DNH BYRH NYSN	cet autel au mois de Nisan
ŠNT 567	de l'an 567 (avril 256).

C'est notre dernier pyrée daté. C'est aussi celui où le ton est le plus pressant. Nous avons cité plus haut l'autel CIS II 4047, également de l'année 256 : même reprise de l'épithète RHMN', avec de plus l'adverbe MHRYT (*il a promptement rendu grâces*), ce qui donne à ce texte un accent personnel malgré le caractère stéréotypé de la formule qui suit.

(1) Une quinzaine d'exemples, références AS, 14, 5, p. 123, note 5.

(2) Il est vrai qu'on peut envisager une autre traduction : « à l'unique et seul dieu Miséricordieux », c. - à - d. « à celui que j'exalte entre tous les dieux » Mais H. Seyrig préfère la première traduction (au dieu un, seul, miséricordieux), qui peut s'entendre d'une unité de fait, sinon d'aspect, du divin, symbolisée par l'expression *Maître du Monde*, ou mieux encore d'une unité stricte, peut-être sous l'influence du judaïsme (AS 14, 5, p. 123 s.). On peut aussi envisager une influence chrétienne ou philosophique, ou un simple aboutissement du culte indigène du dieu non nommé. Cet aboutissement, il faut le reconnaître, s'explique mieux si l'on admet que la Palmyre du temps des Sévères était largement ouverte à tous ces courants venus de la côte occidentale.

AUTELS PALMYRÉNIENS DÉCOUVERTS PRÈS DE LA SOURCE EFCA

PAR

DJA'FAR AL-HASSANI & JEAN STARCKY

SUITE

DÉ L'ARTICLE PUBLIÉ A LA PAGE 145 T. III DE LA MÊME REVUE

Le dieu non nommé n'est pas désigné ici par la périphrase « Béni soit son Non à jamais » mais directement par les épithètes *rahmâna* et *tâba*. On sait qu'en Arabie méridionale, *Rahmânân* est devenu une sorte de nom propre pour désigner Dieu (1). A Palmyre, nous sommes aussi : sur la voie d'un monothéisme authentique, et plusieurs autres autels présentent cette dénomination divine : en Palmyrène du Nord-Ouest, un pyrée est offert en 238 « au Miséricordieux, au Bon » (*PNO*, no 42) et un autel daté de 227/228 porte seulement « Fait en action de grâces au Miséricordieux par Yarhai et Yada son fils » (2).

En grec, RHMN devrait être rendu par *eleêmôn* : ce terme se lit sur le pyrée AS 14, 5 : *eucharistei Malchos Barea tou Malickou heninonô eleêmoni theô*, qui

(1) G. Ryckmans, *La religion des Arabes préislamiques*, p. 47, et *Rép.* p. 31. Les Arabes du Safa et les Palmyréniens vénéraient aussi le dieu Rahim (le Miséricordieux) mais ce culte restait idolâtrique.

(2) *CIS* II 4025 ; quant à *PNO* no 42, il faut reconnaître qu'il est offert en même temps, au Gad du village et au Gad des jardins. Les autres autels qui portent LRHMN' ne sont pas datés. (A 1180 et *CIS* II, 4091 à 4093, 4099 ; cf. 4047 et A 1173, dont la formule est mixte).

Entre Harran et Tell Hâlf, les voyageurs visitent une dizaine de stations. Contrairement à ce qu'on trouve dans la littérature, cette région, bien qu'abandonnée plus tard, était très importante pendant l'ancien Bronze. En réalité c'était le centre des tells ronds à plateformes étagées. Le tell le plus important de la région est le tell Khoueyrah, qui pourrait être identifié avec Ad-Tmum qu'on connaît aussi des itinéraires assyriens (1). Les autres tells importants de la région sont : Tell abu Cheikhate, Bogha, Maotouh Chargi et Charbi. Paktan et Kulzalan pouvaient se trouver le long du Khabour, où se trouvent quelques importants tells sur la rive droite, comme : Tell Asafir, Tell Baram.

Entre Ras el Ain en Amouda, le tell le plus important est le tell Hanafiz, partiellement sur territoire turc, qui pourrait être Mašmenum. La station suivante est Alaân-coïncidence toponymique singulière avec tell Ailoun, le grand tell de Derbassye.

Enfin Haarsi, la station visitée entre Šunaa et Šubaat enlil pourrait être identifiée ou bien avec Chager Bazar ou bien avec un autre des trois ou quatre tells importants qui se trouvent à mi-distance entre tell Mouazar et tell Haméidi. (Voir carte).

Je me réalise que dans la reconstruction des itinéraires anciens, il y a beaucoup de raisonnements et relativement peu d'observations. Les données topographiques peuvent compléter les textes cunéiformes. Les notes sus-relatées n'ont aucune autre prétention.

Damas, Août 1957.

(1) Goetze, *op. cit.*

(a) les troupes babyloniennes dont parle l'itinéraire se sont arrêtées dans les stations. En général pas plus d'un jour, mais dans quelques stations pour un séjour d'une durée plus longue. Je suppose que ces stations étaient des tells capitaux et pas des tells de moindre importance ou satellites, (1) surtout les stations où les troupes se sont arrêtées plusieurs jours.

(b) étant donné que l'itinéraire date de la fin de l'ancien Bronze, ces tells importants étaient des tells ronds ou polygones à une plateforme ou deux plateformes étagées (2).

Voyons maintenant l'itinéraire :

Šubaa-enlil : généralement identifié avec Chager Bazar (3). Pourtant cette identification n'est pas tout à fait satisfaisante. Je cherche un tell : plus éloigné de Amouda (il y a deux stations entre Urkiš et *Šubaa-enlil*) ; plus grand (les troupes s'y arrêtent 3 jours en allant et 8 jours en rentrant) ; et fortifié. *Šubaa-enlil* servait de capitale alternative pour Šamši-Adad I de Assur. Šamši-Adad I n'était pas une personnalité pour prendre des mesures. Contrairement à Chager Bazar, Tell Hameidi était bien fortifié avec des murs énormes et un fossé à distance. Je voudrais donc identifier *Šubaa-enlil* avec Tell Hameidi.

Šunaa : la troupe reste 26 jours à *Šunaa* en rentrant. Je considère que *Šunaa* pourrait être l'énorme tell Mouazar, à double plateforme, édifice central, comme tell Khoueyrah (4), et ligne de défense éloignée du tell (5).

Ašnakum : la troupe y reste 3 jours en allant, 10 jours en rentrant ; doit se trouver sur territoire turc, dont je n'ai pas de données.

Après *Ašnakum* l'itinéraire ne se continue pas, mais en revenant de l'Euphrate, les voyageurs arrivent à Apqum ša Baliha par Tuttul-Ahuna Zalpah. Entre le Baligh et l'Euphrate il n'y a pas beaucoup de choses : les terrains sont assez accidentés, les sols encroutés. Est-il interdit de croire que Tuttul, Ahuna, et Zalpah se trouvent dans la vallée fertile du Baligh ?

Pour la définition de la morphologie des tells, voir

(1) Van Liere et Lauffray, *op. cit.* p. 133—134.

(2) *ib.* p. 139.

(3) Goetze, *op. cit.*

(4) W. J. van Liere et J. Lauffray, *op. cit.* p. 140.

(5) *Sunaa* est l'endroit proposé pour un rendez-vous entre le roi d'Assur et Yasmah-adda de Mari (A. R. M. IV, 47) Goetze, *op. cit.*

La position de Urkiš donne un point de repère intéressant et utile dans l'itinéraire babylonien publié par Goetze (1). La partie de l'itinéraire qui m'intéresse pour le moment et dont nous avons des données topographiques détaillées se trouve entre Apqum ša Baliha et Šubaat enlil.

Je donne des identifications possibles qui seront expliquées plus tard dans le texte. Les identifications données par Goetze sont en caractères cursifs. Dans les planches je donne les formes topographiques de quelques tells le long de la route. Toutes les planches sont à l'échelle de 1 : 20.000 me.

Voici la partie de l'itinéraire publié par Goetze :

Apqum sa Baliha	— ' <i>Ain el Arous</i>
Harran	— <i>Harran</i>
Šahulda	
Haziri	
Ad/tmum	— Tell Khouyrah (?)
Huburmeš	) Tells ronds à double plateforme au nord du Jebel
Pa-Mir-Uš	) Abd el 'Aziz. Abu Gheikhate, Khanzir, Bogha (2), Mab-
Tunda	) touh Chargi (3), Mabtough Gharbi, etc.
Kubšum	)
Paktan	) Tells le long du Khabour (Arrafir, Baram) ?
Kulzalan	)
Bu-Z/sa-num	<i>Tell Half (Ras el Ain)</i>
Massmenum	<i>Tell Hanafiz (pl. 5)</i>
Alaan	<i>Tell Ailoun (coincidence de nom ?)</i>
Ašnakum	Probablement sur territoire turque
Urkiš	<i>Amouda</i>
Šunaa	<i>Mouazar (pl. 4)</i>
Haarši	<i>Chager Bazar (pl. 3) ?</i>
Šubaqt enlil	<i>Hameidi (pl. 2)</i>

Dans ce qui suit deux considérations serviront comme point de départ.

Ce sont :

(1) Goetze, op. cit.

(2) W. J. van Liere et J. Lauffray : Nouvelle Prospection Archéologique dans la Haute Jézireh syrienne. Annales arch de Syrie tome IV et V, 1955, pl. I

(3) ib. pl. II.

URKIŠ, CENTRE RELIGIEUX HURRITE

RETROUVÉ DANS LA HAUTE JÉZIREH SYRIENNE

par

W. J. VAN LIERE (*)

Urkiš, centre religieux et siège du panthéon hurrite et du Dieu principal Kummārbi, a été le but de plusieurs recherches dans la haute Jézireh. Nougayrol (1) suppose qu'Urkiš se trouve dans la région à l'ouest de Kamichlye ; Moortgat (2) a consacré deux jours pour prospecter la région pendant ses fouilles à Tell Fecharyé ; Goetze (3) exprime l'opinion, qu'Urkiš doit être trouvé facilement dans la partie occidentale de la plaine fertile entre Ras-el-Ain, Hasakeh el Kamichlye. Le point de départ pour Moortgat est la provenance de deux lions en bronze et une tablette de fondation du temple de Kummārbi. Des informations fortuites, que j'ai obtenues récemment, indiquent que ces lions ont été excavés de Tell Amouda.

Le Tell Amouda se trouve juste au sud de la ville ! c'est un des rares tells abimés de la Jézireh — les habitants d'Amouda ont utilisé depuis des années la terre du tell pour construire des maisons — peu reste intact. La totalité du tell qui reste ne dépasse pas 1000 m³ environ (pl 1).

(1) A. Parrot et J. Nougayrol : Un document de fondation hurrite, *Revue d'Assyriologie*. Bd. 42 S. 1, ff.

(2) A. Moortgat : *Archäologische Forschungen der Max Freiherr von Oppenheim Stiftung im nördlichen Mesopotamien 1955 Arbeitsgem. für Forschung des Landes Nordrhein — Westfalen* abh. 62, 1957.

(3) Goetze : An old Babylonian Itinerary. *Journal of Cuneiform Studies* Vol VII, Number 2, 1953.

(*) Expert de la F. A. O. auprès du Gouvernement syrien pour la prospection et cartographie des sols.

des antiquités, M. Selim Abdul Hak, pour la confiance qu'ils nous ont témoignée et pour la part qu'ils nous ont si généreusement octroyée dans cette fructueuse collaboration internationale.

Palmyre, septembre 1956.

PAUL COLLART.



sujets qui ornent les coupes d'albâtre, les bijoux divers valent souvent mieux qu'un travail d'artisan.

Mais c'est plus encore pour l'histoire de l'architecture à Palmyre que nos fouilles ont fourni des données nouvelles et originales. La structure des tombes voûtées de la nécropole montre le parti qu'on savait tirer de la construction en brique crue, couramment utilisée par la suite pour des murs dont seule la partie inférieure était faite de pierres appareillées. Les fragments de stucs ornés provenant des murs de fond des portiques permettent d'apprécier la perfection d'une technique où la fantaisie se marie à un sens très vif du décor, Et surtout les séries de chapiteaux corinthiens, très exactement datés par les dédicaces des portiques auxquels ils appartenaient, constituent de sûrs jalons pour l'étude d'une forme d'art dont l'évolution en Syrie présente un particulier intérêt (1) : chapiteaux canoniques du milieu du II^e siècle dans la cour Sud, chapiteaux épannelés de 67 après J. - C. et chapiteaux hétérodoxes « archaïques » de pierre tendre de la première moitié de I^{er} siècle dans la cour Nord. Contrairement à ce qu'on avait cru jusqu'ici d'après quelques exemplaires qu'on en connaissait, ces derniers n'étaient pas dépourvus d'abaque, mais l'abaque était rajoutée, s'y superposant à la corbeille en une assise distincte : les morceaux que, pour la première fois, nous en avons découverts nous fixent définitivement sur ce point.

Tels sont, sommairement exposés, les résultats de ces trois campagnes de fouilles et les premiers enseignements qu'on en peut tirer. On peut d'ores et déjà constater que l'exploration du sanctuaire de Baalshamin valait la peine d'être entreprise. L'accueil libéral que réserve la Syrie aux archéologues étrangers a permis qu'elle le fût par une mission suisse. Conscients du privilège qui nous a été accordé de pouvoir associer notre pays aux efforts des savants allemands, anglais, danois, français et syriens, qui tour à tour ont contribué à faire mieux connaître les ruines de Palmyre, nous tenons en terminant à réitérer nos remerciements au gouvernement syrien et à l'actif directeur général

(1) Cf. D. Schlumberger, *Les formes anciennes du chapiteau corinthien en Syrie, en Palestine et en Arabie, Syria*. XIV, 1933, p. 283 à 317.

ainsi plausible de dater du VI^e siècle les remaniements du temple, on peut dater des époques omayyade et abbasside les vestiges de l'occupation arabe.

D'autre part, les trouvailles faites au cours des fouilles, nous instruisent, d'une manière plus générale, sur les institutions et les cultes de la ville antique. Grâce aux inscriptions, la prosopographie de Palmyre se trouve enrichie d'un grand nombre de noms et d'une nouvelle mention d'Odainath. L'appartenance de la plupart de ces personnages à la tribu des Béné-Mazyan, jusqu'ici à peine connue, est l'indice des prérogatives dont celle-ci jouissait dans l'administration du sanctuaire. L'existence d'autres sanctuaires palmyréniens, non encore repérés, nous a été révélée. En outre, l'exacte connaissance des bâtiments du sanctuaire de Baalshamîn et de la chronologie de son développement nous donne une idée plus précise de l'importance et de la durée de ce culte à Palmyre ; les dédicaces datées nous en montrent la persistance, dans le sanctuaire même, à côté de l'évolution qu'il subit ailleurs, dès le début du II^e siècle, sous la forme de la dévotion au « dieu anonyme » ; elles nous apprennent aussi l'étroite association de Baalshamîn avec un dieu nouveau, Dudaḥelun, qui partage avec lui l'hommage de portiques, d'autels, et du temple même. La consécration à d'autres dieux d'ex-voto ou d'autels est ici, comme ailleurs, le reflet de la grande diversité du panthéon palmyrénien et enrichit leur iconographie de quelques éléments nouveaux.

Dans le domaine des arts, un matériel abondant vient compléter ce qu'on savait déjà par ailleurs sur le caractère très particulier de la civilisation de Palmyre, où une forte tradition gréco-orientale, toute nourrie de sève sémitique, fut tardivement mâtinée par les influences venues de l'Occident latin. L'évolution de la sculpture y est illustrée par de très nombreux monuments, qui présentent l'intérêt d'être, pour la plupart, votifs ou honorifiques plutôt que funéraires ; ils permettent d'instructives comparaisons pour l'étude du style et de la technique comme pour celle du costume ou des représentations de divinités ; si la valeur esthétique en est le plus souvent médiocre, on peut signaler d'heureuses exceptions : le grand bas-relief aux aigles, notamment, peut être considéré sans exagération, dans l'ensemble de la sculpture palmyrénienne, comme une pièce véritablement magistrale. Les arts mineurs sont représentés par des objets qui n'ont pas qu'un intérêt documentaire : le décor des lampes, et, dans le mobilier extrait de la nécropole, les formes et le lustre des vases de terre cuite, les

de flèches ou de javelots), des coupes d'albâtre décorées. Deux de celles-ci méritent une mention spéciale, par la qualité et l'intérêt des sujets représentés en relief à l'intérieur : sur l'une, un dieu cavalier cuirassé, sur l'autre, un buste de divinité radiée, flanqué de deux protomes de chèvres harnachées. L'étude de ce mobilier funéraire permettra sans doute d'en préciser l'origine et la chronologie et de vérifier l'indication donnée par l'inscription, datée de 11 après J.-C., découverte devant l'une des tombes.



CONCLUSION

Avec notre troisième campagne de fouilles s'achève le déblaiement exhaustif d'un des grands sanctuaires de Palmyre. Nous en connaissons maintenant la topographie et le développement historique. Le temple de Baalshamin, qui seul précédemment émergeait des sables, ne nous apparaît plus aujourd'hui que comme un élément relativement récent dans un vaste ensemble de constructions. Les limites d'un téménos étendu avaient été taillées dans le réseau en damier des rues de la ville, englobant une ancienne nécropole d'une orientation un peu différente. Dès 23, des colonnades y furent érigées, vraisemblablement vers l'angle Nord-Est. En 67, on inaugurait les grands portiques entourant, sur ses quatre côtés, la cour Nord, en même temps qu'une salle de banquets de grandes dimensions ornée elle aussi de portiques. L'aménagement de celle-ci fut profondément modifié, en 130, par la construction du temple, pourvu d'une riche ornementation intérieure. Dans l'intervalle, d'autres portiques avaient été construits et plusieurs autels érigés. Enfin, en 149, la cour Sud fut entourée sur ses quatre côtés de portiques. L'expansion des bâtiments vers le Nord, autour d'une troisième cour, à péristyle rhodien, est peut-être un peu antérieure.

Nos fouilles ont fourni, d'autre part, quelques indications sur les vicissitudes ultérieures du sanctuaire. Encore fréquenté par les fidèles du dieu au début du IV^e siècle, il fut ensuite occupé par les Byzantins qui transformèrent le temple en église, en utilisant les matériaux provenant des édifices détruits. Plus tard, une bourgade arabe envahit les ruines. Le sanctuaire de Baalshamin se trouvait en effet précisément dans cette partie de la ville antique où la sollicitude de Justinien se manifesta par la construction d'églises (1). S'il est

(1) Malalas. p. 425 Bonn ; cf. A. Gabriel, *Syria*, VIII, 1926, p. 88 à 90 ; H. Seyrig, *Antiquités syriennes*, IV, 253, p. 134 à 137 ; J. Starcky, *Palmyre*, p. 67.

relativement peu nombreux ; ils sont loin, néanmoins, de manquer d'intérêt. En revanche, l'occupation ultérieure du site, byzantine et arabe, a laissé beaucoup de vestiges. Et d'autre part, l'exploration de la nécropole qui existait, à l'époque d'Auguste, dans la région située en arrière du temple a fourni un mobilier funéraire abondant, original et varié : nous en traiterons séparément.

Les principales catégories d'objets sont les monnaies, les tessères et les lampes. Environ 120 monnaies ont été trouvées, grecques, romaines, byzantines et arabes, beaucoup en fort mauvais état, mais néanmoins identifiables ; elles sont l'indice de l'occupation continue du site jusqu'à une époque assez récente. Les tessères palmyréniennes de terre cuite, utilisées pour l'admission aux banquets rituels, sont au nombre d'une vingtaine ; la plupart appartiennent à des types connus. Une centaine de lampes découvertes s'échelonnent dans le temps, comme les monnaies, de l'antiquité à l'époque arabe : elles présentent une très grande variété de types ; le classement qu'on en peut établir met en lumière l'activité des fabriques locales, qui produisirent notamment en grande quantité les lampes palmyréniennes à disque plat, décoré ou nu, d'une forme très caractéristique.

La céramique est presque exclusivement représentée par des tessons de poterie commune, retrouvés par endroits en grande abondance, ce qui s'explique par l'installation dans les ruines du sanctuaire de quartiers de maisons, byzantines ou arabes. Quelques vases, retrouvés intacts ou qu'il a été possible de reconstituer, donnent l'exemple de formes intéressantes, gourdes à la panse aplatie ou jarres de grandes dimensions, comme aussi de décors incisés ou peints. Quelques tessons portent des inscriptions peintes, en grec ou en arabe. Notons aussi la présence d'assez nombreux débris de verre.

Les trouvailles faites dans les tombes de la nécropole sont toutefois plus encore dignes d'attention. Chaque tombe contenait plusieurs squelettes, auprès desquels divers objets avaient été déposés. On en a extrait quelques lampes ; des vases de forme et de qualité diverses, notamment des amphores et de petits pots émaillés de couleur verte (*green glazed pottery*), une gourde émaillée bleue, une amphore, des amphorisques, des bols, des cruches, des bouteilles de poterie commune, un bol de verre ; des bijoux : boucles d'oreille en bronze et en argent, bagues, bracelets de bronze, éléments de colliers (perles en diverses matières, grelots et clochettes de bronze) ; des armes (glaive, pointes

dédicant présente une couronne, Shaarou armé d'un glaive et d'une lance, Al-lâth assise sur un trône et flanquée d'un lion (cf. pl. VIII, 1); deux frises de pierre tendre ornées de taureaux; une tête de déesse coiffée d'un pôlos (cf. pl. VIII, 3); un fragment de haut-relief avec six protomes de lions qui portaient trois bustes; la partie inférieure d'un relief représentant un dieu assis, dans lequel, au bouquet d'épis qu'il tient dans sa main, on peut reconnaître Baalshamîn; une stèle représentant le dieu Shadrafa, identifié par les scorpions qui en sont l'attribut caractéristique (cf. pl. VIII, 2) (1); une stèle avec un personnage drapé et le nom de Bêltis; un petit relief mutilé, en marbre, avec la partie inférieure de trois personnages et une dédicace à Shadrafa et Duanat. Beaucoup d'autres fragments de sculptures dans lesquels on reconnaît encore l'image mutilée de divinités ne peuvent être énumérés ici.

La *sculpture honorifique* est représentée par trois grandes statues drapées acéphales portant dans la main gauche un rameau et par deux statues plus petites toutes semblables (cf. pl. IX, 1); dans l'une d'elles les jambes étaient revêtues du pantalon oriental. De très nombreux fragments de statues pareilles ont été extraits de murs tardifs dans lesquels ils avaient été remployés; plusieurs ont pu être rapprochés et assemblés; il montrent que les statues de ce type étaient fort répandues dans le sanctuaire. D'autre part, plusieurs têtes ont été retrouvées détachées de leur tronc; trois d'entre elles sont des têtes de prêtres, coiffées du mortier caractéristique (cf. pl. IX, 2 et 3).

Enfin même la *sculpture funéraire* est elle aussi assez largement représentée par des têtes ou des bustes en haut-relief, parfois accompagnés d'inscriptions (cf. pl. VIII, 4), ou par des fragments de lits funéraires décorés. Là encore, il s'agit dans tous les cas de remplois.



OBJETS DIVERS

La répartition des petits objets découverts au cours de nos fouilles est fort inégale, dans l'espace comme dans le temps. Si l'on prend en considération l'étendue et l'importance des bâtiments exhumés, ceux qu'on peut mettre directement en rapport avec la vie antique du sanctuaire pourraient paraître

(1) Cf. P. Collart, *Museum Helveticum*, 13, 1956, p. 209 à 215.

De telles fantaisies se rencontrent également dans les décors de stuc des portiques, où de petits sujets trouvaient place, parfois très finement exécutés et rehaussés de couleur.

On rangera plutôt dans la catégorie de la *sculpture votive* un certain nombre de bas-reliefs provenant de structures architecturales encastrées dans des murs de brique crue, en l'occurrence sans doute les murs du péribole ou les murs de fond des portiques, « comme le sont les monuments funéraires aux parois de nos cloîtres » ; ce type d'ex voto n'est pas nouveau à Palmyre ; il a été expliqué et commenté par M. Henri Seyrig, qui remarque que « les Palmyréniens aimaient à encadrer leurs bas-reliefs comme dans l'embrasure d'une fenêtre » (1). L'exemple le plus simple en est donné par les trois niches monolithes encore inédites retrouvées précisément devant le temple de Baalshamin avant nos fouilles (2). Mais il était souvent plus complexe. Tel devait être notamment un grand arc mouluré, retrouvé en plusieurs fragments, et orné dans les écoinçons de Victoires tendant une palme. On peut concevoir aussi qu'un grand bas-relief, englobé par les Byzantins dans les fondations de l'abside devant le temple, avait appartenu à une structure du même genre ; c'est un panneau rectangulaire surmontant la partie supérieure d'un encadrement fait d'un double rinceau d'acanthé et de vigne, et orné d'une représentation semblable à celles qu'on distingue, à la même place, plus réduites et plus mutilées, sur deux des niches monolithes : un grand aigle aux ailes éployées, flanqué de deux autres aigles qui tiennent dans leur bec un rameau, abrite les bustes radiés d'un dieu lunaire et d'un dieu solaire avec encore deux petits aigles et deux rosaces ; symboles cosmiques, analogues à ceux qu'on a relevés dans la cella du temple de Bêl (3). Par sa qualité exceptionnelle, par ses dimensions, par son excellent état de conservation, cette pièce magnifique, qu'on peut dater du I^{er} siècle de notre ère, est sans doute la plus remarquable de toutes nos trouvailles (cf. pl. VII, 1 à 3).

Mentionnons encore dans la sculpture votive un autel orné, sur trois côtés, de bas-reliefs représentant Malakbêl sur un bige de griffons, à qui le

(1) H. Seyrig, *Antiquités syriennes*, III, 1946, p. 71.

(2) Cf. *supra*, p. 69 et note 6 ; nous tenons à remercier ici M. Henri Seyrig, qui nous en a généreusement abandonné la publication.

(3) Cf. H. Seyrig, *Antiquités syriennes*, I, 1934, p. 102 sqq.

même du dieu. Un autel dédié en 173/174 au dieu local de Sura, sur l'Euphrate, et un autre, non daté, accompagnant de leurs noms les représentations figurées de Malakbêl, Shaarou et Allâth (cf. pl. VIII, 1) ont été également découverts. Nous reviendrons sur ce dernier en parlant des sculptures, comme aussi sur les stèles votives où quelques débris d'inscriptions se lisent encore au-dessous de bas-reliefs.

Il faut mentionner encore les *inscriptions funéraires* accompagnant divers fragments de stèles remployés dans des murs tardifs (cf. VIII, 4). La découverte inattendue d'une nécropole dans la région située en arrière du temple a permis de retrouver en place la dédicace d'un tombeau, datée de mai 11 après J. - C. ; c'est le plus ancien texte découvert dans nos fouilles. La pierre était encadrée dans un cadre de stuc couvert de proscynèmes incisés.

Avec eux, d'autres graffites tracés sur des fûts de colonnes ou sur des murs, des inscriptions peintes, grecques ou arabes, sur des fragments de stuc ou de céramique peuvent être considérés, dans la catégorie des *divers*, comme particulièrement dignes d'une mention.

SCULPTURE

Plus de deux cents morceaux de sculptures de toutes dimensions, statues en ronde bosse ou bas-reliefs, ont été exhumés dans nos fouilles. La plupart ont été retrouvés lors de la démolition de murs tardifs, byzantins ou arabes, dans lesquels ils avaient été remployés, ce qui explique le nombre important de fragments, dont plusieurs ont pu être rapprochés et assemblés. Nous tenterons de les grouper selon leur destination, sans nous dissimuler ce qu'un tel classement peut avoir d'arbitraire et d'incertain.

Nous ne reviendrons ici sur la *sculpture monumentale*, dont nous avons parlé déjà à propos de l'architecture, que pour mentionner quelques éléments particuliers en rapport avec le décor des édifices. Ainsi deux statues tenantes, drapées, adossées à la partie supérieure de fûts de colonnes. Ainsi une vingtaine de petites têtes de prêtres, coiffées du mortier, détachées de l'abaque des chapiteaux épannelés de la cour Nord, dont très peu avaient conservé intact cet ornement (cf. pl. V, 3). L'un d'eux présentait, à la place, un petit Gorgoneion.

des généalogies ont pu être tracées ; on a pu reconnaître aussi le rôle exceptionnel joué dans le sanctuaire de Baalshamîn par la tribu palmyrénienne des Béné-Mazyan, dont le nom ne s'était jusqu'ici que très rarement rencontré.

Deux consoles présentent un particulier intérêt. L'une, qu'on avait encastree dans un fût de colonne de la cour Nord (cf. pl. IV, 4), porte une dédicace en grec, datée de 257/258 de notre ère, à Odainath, l'époux de la fameuse reine Zénobie ; c'est un des très rares souvenirs épigraphiques de l'époque brillante où l'histoire de Palmyre fut étroitement mêlée à celle de l'Empire de Rome. L'autre a pu être reconstituée à l'aide de quinze morceaux remployés dans la construction d'un puisard arabe (cf. pl. VI, 4) ; elle porte un long texte bilingue, daté de 132 après J. - C., l'une des plus belles inscriptions caravanières retrouvées à Palmyre : Soados, fils de Bôliadès, y était honoré pour avoir conduit à bon port une caravane montée de Vologésiade ; cet exploit lui avait valu les félicitations officielles du légat de Syrie, Publicius Marcellus, et à Palmyre même, l'hommage de quatre statues érigées dans quatre sanctuaires dont l'identification pose d'intéressants problèmes de topographie (1).

Une troisième catégorie de textes est constituée par les *inscriptions votives* accompagnant l'hommage fait aux dieux d'édifices, d'autels ou de stèles. Nous avons mentionné déjà les inscriptions monumentales qui nous font connaître la consécration de portiques ou de colonnes à Baalshamîn et à Dûdehelun. Outre l'autel déjà connu retrouvé devant le temple, et dédié le 6 février 115 au Seigneur du Monde, c'est-à-dire Baalshamîn (2), quatre autres autels consacrés au même culte, sous des formes diverses, ont été exhumés dans le sanctuaire. Seul celui de la salle de banquets, dédié en juin 73 au dieu Baalshamîn, était encore en place. Les autres, datés de 62/63, septembre 207 et septembre 302 après J. - C. sont dédiés respectivement à Baalshamîn, Dûdehelun et Rahim, au « dieu anonyme », et, en grec, à Zeus Hypsistos. La date tardive de ce dernier est intéressante : elle montre la persistance du culte dans le sanctuaire postérieurement à la chute de Palmyre, en 273. Il faut également remarquer qu'une seule des dédicaces retrouvées s'adresse au « dieu anonyme » ; cette forme du culte, si fréquente ailleurs, était apparemment rare dans le sanctuaire

(1) Cf. C. Dunant, *Museum Helveticum*, 13, 1956, p. 216 à 225.

(2) J. Cantineau, *Tadmorea*, 21, *Syria*, XVII, 1936, p. 346 s.

parfois l'essentiel, c'est-à-dire aux yeux du donateur, son nom et l'importance de sa libéralité, à hauteur commode sur les tambourss des colonnes (cf. pl. V, 6). Nous possédons ainsi, sur des colonnes de la cour Nord, cinq de ces rappels provenant du portique de Yarhaï et six du portique d'Alaïsha. Cet usage, qui ne s'était pas encore rencontré à Palmyre, mérite d'être signalé.

On notera, d'autre part, que si plusieurs portiques ont été dédiés au seul Baalshamîn, « dieu bon et rémunérateur », d'autres l'ont été conjointement à Baalshamîn et à une divinité nouvelle, Dudehelun, dont le nom apparaît également sur une dédicace d'autel et sur deux consoles. Telle en peut être, du moins, la transcription d'une des deux lectures possibles sur les pierres : DWDHLWN ou DWRHLWN. Une tessère aussi le mentionne (1). Ce nom de Dudehelun, attesté par sept nouveaux textes, doit être désormais restitué, à côté de celui de Baalshamîn, dans le texte palmyrénien de la console de Malé, qui construisit le temple (2); le temple aurait donc été, lui aussi, consacré à ces deux divinités associées.

Dans le sanctuaire de Baalshamîn, comme ailleurs à Palmyre, de nombreuses *inscriptions honorifiques* avaient été gravées sur des consoles de colonnes, tenantes ou rapportées. Nous avons là une deuxième catégorie de textes riches en enseignements divers. Aux consoles du temple, déjà connues (3), et à celle qui avait été découverte par la suite dans le voisinage de l'édifice (4), nous pouvons ajouter aujourd'hui douze nouveaux textes. Certains sont en rapport direct avec les inscriptions monumentales : un personnage était honoré d'une statue pour avoir dédié un portique, à l'occasion déjà connu par sa dédicace. Le plus souvent, on se contentait d'une formule plus générale, les dédicants, qui pouvaient être selon les cas les proches du personnage honoré, les prêtres, ou le dieu lui-même, trouvant suffisant d'indiquer qu'une statue lui a été élevée « parce qu'il leur a été agréable ». Là encore les dates mentionnées, les filiations souvent très complètes, les motifs allégués fournissent de précieux renseignements. La prosopographie de Palmyre se trouve enrichie de maints noms nouveaux ;

(1) H. Ingholt, H. Seyrig, J. Starcky, *Recueil des tessères de Palmyre*, Paris, 1955, no. 987.

(2) Cf. J. Cantineau, *Inventaire des inscriptions de Palmyre*, I, no 2.

(3) *Ibid.*, I, nos. 1 à 3.

(4) J. Cantineau, *Tadmorea*, 20, *Syria*, XVII, 1936, p. 277.

Cette date précise, qui s'accorde bien avec le style des chapiteaux, nous permet d'affirmer que l'aménagement de la cour Sud est postérieur à la construction du temple, ce qui ne signifie pas nécessairement que l'enclos où furent érigées les colonnades ne fit pas déjà précédemment partie du sanctuaire.



ÉPIGRAPHIE

Il n'entre pas dans notre dessein de dresser ici l'inventaire des trouvailles faites au cours de ces trois campagnes : inscriptions, sculptures, objets divers. Beaucoup demandent à être encore étudiées, et l'ensemble en sera présenté et commenté dans la publication générale de nos fouilles. Qu'il nous suffise d'en marquer l'intérêt en en donnant un sommaire aperçu.

Plus de quatre-vingts textes épigraphiques, complets ou fragmentaires, ont été à ce jour exhumés dans l'enceinte du sanctuaire de Baalshamîn. C'est plus du double de ce qu'a fourni tout le sanctuaire de Bêl. On peut aussi noter que la très grande majorité de ces textes sont exclusivement en palmyrénien, alors qu'ailleurs les inscriptions bilingues sont les plus nombreuses ; ce fait peut s'expliquer par l'époque relativement ancienne à laquelle s'est développé le sanctuaire, le grec n'apparaissant guère à Palmyre à côté de la langue indigène qu'avec le II^e siècle de notre ère.

On peut ranger dans une première catégorie les *inscriptions monumentales* en rapport avec les constructions érigées dans le sanctuaire : dédicaces de portiques ou de colonnes sur des architraves (8), ou sur des fûts (23), dédicace d'une salle de banquets (2). Nous avons utilisé déjà dans notre description des bâtiments les précieux renseignements qu'elles donnent pour en fixer l'époque : grâce à elles des dates précises sont connues, une chronologie peut être établie, le développement organique du sanctuaire peut être compris. On ne saurait exagérer l'importance documentaire de telles indications. D'autres encore nous sont fournies. On peut constater, par exemple, que les colonnades élevées pour l'embellissement du sanctuaire furent construites, selon le cas, par tronçons ou d'un seul jet, un donateur faisant les frais soit d'une, deux, trois, quatre ou cinq colonnes, soit d'un portique tout entier, avec son entablement et sa toiture. On gravait les dédicaces de colonnes sur un fût ou sur l'architrave. Celles des portiques étaient toujours gravées sur l'architrave (cf. pl. V, 5), mais on en rappelait

Entourée de colonnades sur ses quatre côtés, cette cour est légèrement trapézoïdale : en effet, si son côté Nord est parallèle à la cella du temple, son côté Sud présente une direction oblique. Le mur de fond est fait, là, de grandes orthostates ; à l'Est, il prolonge en bordure de la rue, et sans solution de continuité le mur du péribole dégagé en avant du temple. Sur les deux autres côtés, il a été détruit, mais on peut le suivre encore par les vestiges de ses fondations. On notera qu'il subsiste, à l'Ouest, un espace entre le mur de fond du portique et le mur du péribole qui bordait la rue. Un petit dallage, deux puits, des fûts couchés sont les indices d'une occupation postérieure, comme on en a rencontrés aussi à l'intérieur de la cour, où des murs tardifs avaient été construits et beaucoup d'entre-colonnements obstrués avec des blocs provenant des colonnades écroulées.

Au Sud-Est, une porte, dont le seuil et les pieds-droits ont été retrouvés en place, ouvrait sur la rue, et des entrées en chicane avaient été également aménagées sur les côtés Nord et Sud.

Vingt-neuf chapiteaux corinthiens, plus ou moins bien conservés, ont été retrouvés dans la cour, c'est-à-dire autant qu'il y aurait eu de colonnes, à supposer qu'ils proviennent tous de cet ensemble. Ces chapiteaux, fort différents des chapiteaux épannelés de la cour Nord dont nous avons parlé, ont des formes canoniques : leurs acanthes sont entièrement sculptées ; la zone des calices et des crosses occupe près de la moitié de la hauteur ; l'abaque est ornée d'un rang d'oves (cf. pl. V, 4). A l'analyse, on pourrait reconnaître deux types : l'un d'un relief plus fouillé, avec une petite tige qui s'insinue entre les crosses ; l'autre d'une facture plus plate, avec des crosses tangentés. On pourrait aussi s'efforcer de les situer dans la série des chapiteaux corinthiens datés de Palmyre, notamment par rapport aux chapiteaux du pronaos du temple de Baalshamin, qui sont de 131 après J. - C. Un texte épigraphique vient nous fournir ici, fort opportunément, un point de repère sûr.

Deux inscriptions, gravées sur des fûts, ont été en effet retrouvées dans la partie de la cour la plus voisine du temple. L'une est une dédicace à Baalshamin et Dudehelun de quatre colonnes, avec leur entablement et leur toiture, faite par deux frères, à une époque qui, d'après le caractère de l'écriture, ne saurait être antérieure au II^e siècle de notre ère. L'autre est une dédicace de colonnes, avec leur charpente, leur entablement, leur toiture, faite à Baalshamin et Dudehelun par un Romain, au mois de septembre 149 après J. - C.

à certaines des dédicaces de portiques ou de colonnes retrouvées en assez grand nombre, sur des architraves ou sur des fûts, sans qu'il soit toujours aisé de les situer. L'aménagement de cette région apparaît assez compliqué, tant en raison des remaniements qu'elle a subis à une époque tardive que des servitudes imposées aux architectes des colonnades par les constructions préexistantes. Nous avons parlé déjà du portique érigé par les Byzantins, en arrière du temple, pour servir de narthex à leur église. Une place fut ainsi créée, à laquelle on accédait par une porte qui s'ouvrait au Sud sur la rue en direction du Tétrapyle ; sans doute était-ce une des entrées du sanctuaire. Du seuil se détache en équerre, vers le Nord, un portique dont les premières colonnes ont été posées à un niveau élevé, tandis que les colonnes suivantes sont placées au niveau plus bas de la cour. Cette particularité s'explique par la nécessité de respecter, en arrière, un enclos rectangulaire d'une orientation un peu différente de celle des portiques, et dont deux des murs, sur la rue, furent incorporés au péribole. Cet enclos renfermait une ancienne nécropole (cf. pl. III, 4). Un dromos s'ouvrant en contre-bas sous un arc y donnait accès. De part et d'autre, les tombes avaient été creusées, couvertes de dalles surmontées d'une voûte de briques crues. Une épaisse structure de briques crues recouvrait le tout. Une inscription de mai 11 après J.-C. comme aussi le mobilier funéraire découvert dans les tombes permettent de dater cet ensemble de l'époque d'Auguste. Il fut plus tard désaffecté et englobé dans les limites du sanctuaire.



LA COUR SUD

Du côté Sud, pris entre deux rues qui se dirigent vers la Grande Colonnade, le téménos est sensiblement plus étroit ; des murs, en bordure de ces rues, en marquent les limites. Avant la fouille, quelques fûts de colonnes, rongés au ras du sol par l'érosion éolienne, paraissaient pouvoir être en place. D'autre part, un amoncellement de blocs d'architecture dessinés par Wood en cet endroit, sur l'une de ses planches, bien qu'ils aient depuis disparu, semblaient indiquer l'existence de quelque importante construction. Les recherches entreprises dès 1954 firent bientôt apparaître de nouveaux alignements de portiques. La surface tout entière fut alors déblayée, montrant dans tout son développement une deuxième cour (cf. plan, pl. I et pl. VI, 1).

été retrouvées séparément dans la fouille. Quelles qu'aient été les véritables raisons de ce traitement sommaire, il faut convenir qu'il est d'un bel effet et dépourvu de toute mièvrerie. (Cf. pl. V, 3).

Une autre catégorie de chapiteaux présente un intérêt très grand, tant pour l'histoire du sanctuaire que, d'une manière plus générale, pour l'histoire de l'architecture à Palmyre. Ce sont des chapiteaux de pierre tendre, avec un rang d'oves à la base, une corolle d'acanthes assez plates, deux grandes crosses qui prennent naissance très bas et se développent en volutes, et dans l'écouillon une rosace ; l'abaque, taillée dans un autre bloc, formait une assise distincte (cf. pl. V, 1). Quatre exemplaires assez complets, plus un certain nombre de fragments, ont été extraits d'un gros mur dans le voisinage du portique de Zabdaï. Ils peuvent être comparés aux chapiteaux hétérodoxes de pierre tendre retirés de la fondation T dans la cour du temple de Bêl ou conservés au dépôt des antiquités de Palmyre (1). Des fûts de pierre tendre, d'un diamètre correspondant, ont été retrouvés au même endroit ; l'un porte une dédicace à Baalshamin de deux colonnes, datée de novembre 23 après J. - C., un autre d'une seule colonne, datée de janvier 52. On doit admettre qu'antérieurement aux grands ensembles de 67 après J. - C., on avait déjà consacré des portiques, érigés par tronçons ; ceux-ci se dressaient sans doute dans la partie Nord-Est de la cour, aujourd'hui la plus détruite. La découverte dans la même région de deux consoles inscrites, datées l'une de 32, l'autre de 49 après J. - C., semble s'accorder avec cette hypothèse.

Il faut encore mentionner, en rapport avec les bâtiments de la cour, la découverte d'une profusion de stucs moulurés et ornés (en tout 229 fragments au cours des campagnes 1954 et 1955), présentant les éléments d'une décoration architecturale, avec parfois de petits sujets insérés (cf. pl. VI, 3). Ce sont sans doute là les débris du décor des murs de fond des portiques.

Derrière le temple, d'autres colonnades forment comme une annexe de la grande cour : deux d'entre elles prolongent, en effet, vers l'Ouest, le mur de la salle de banquets ainsi que son portique intérieur, parallèlement au portique de Yarhaï, tandis qu'une troisième, en arrière, court parallèlement au mur de fond de la cella (cf. plan, pl. I). Sans doute ces constructions répondent-elles

(1) Cf. H. Seyrig, *Antiquités syriennes*, III, 1946, p. 101 sqq.

numental propylée, par lequel on aurait pénétré du Nord dans le sanctuaire, cet ensemble de bâtiments, groupés autour d'un péristyle rhodien, fait penser au plan d'une habitation. La circulation vers la cour s'établissait, en l'évitant, par les deux passages latéraux qui le flanquent. Au Nord-Ouest, un angle a été reconnu. Mais la présence de l'Hôtel Zénobie, qui en couvre la partie septentrionale, nous a malheureusement contraints d'interrompre là nos investigations.

La démolition des murs récents était nécessaire pour retrouver sous eux les vestiges de l'état primitif des bâtiments. Elle a permis, d'autre part, de récupérer systématiquement les blocs dont ils étaient faits : pièces d'architecture, inscriptions, fragments de sculptures, apportant ainsi un lot important de trouvailles et des renseignements précieux sur la vie du sanctuaire. A défaut de plus nombreuses structures en place, on a trouvé là un appréciable complément aux indications fournies par ailleurs sur les bâtiments exhumés.

Les différents blocs d'architecture découverts permettent notamment de se faire une idée précise de l'élévation des portiques. Elle est aujourd'hui suggérée de façon parlante par l'anastylose de cinq colonnes du portique d'Alaïsha, relevées avec leur entablement au cours de la campagne 1956 sur le côté occidental de la cour Nord (cf. pl. IV, 3 et 4). Nous avons aussi souligné l'intérêt des dédicaces gravées sur les architraves et sur les fûts : grâce à elles, des dates peuvent être fixées, dates parfois confirmées par des inscriptions honorifiques gravées sur des consoles. Nous possédons ainsi des points de repère qui autorisent à apprécier en toute connaissance de cause le style des chapiteaux. Quarante-cinq chapiteaux d'une facture assez particulière ont été retrouvés dans la cour ainsi qu'aux abords du temple ; ils appartenaient donc aux colonnades érigées en l'an 67 de notre ère, ou dans les années voisines. Ce sont des chapiteaux corinthiens qu'on a laissés à dessein, et peut-être simplement par mesure d'économie, épannelés. La structure en est tout à fait normale, avec deux rangs de feuilles recourbées, d'où surgissent, portés par des tiges, les calices surmontés des crosses qui supportent l'abaque. Mais les feuilles n'ont pas été sculptées et ne présentent ni nervures ni dentelures ; les tiges des calices sont lisses, et non cannelées ; les spirales des crosses n'ont pas été ajourées. En revanche, un élément décoratif assez original mérite d'être signalé : de petites têtes de prêtres, coiffées du mortier, ornant l'abaque au-dessus des crosses médianes qui les portent ; elles ont été le plus souvent brisées, mais beaucoup ont

Le portique de Yarhaï et celui de Zabdaï, découverts en 1954, bordaient deux côtés adjacents d'une vaste cour, dont un troisième côté, à l'Ouest, fut dégagé en 1955. Là encore, la colonnade d'un long portique put être suivie, doublée par un mur de fond formant le soutènement d'une terrasse ou peut-être d'une rue. Seize colonnes en place furent ainsi situées, les sept premières avec leur base et quelques tronçons de fûts, les cinq suivantes, qui s'étaient effondrées, gisant à terre, avec toute leur élévation, bases fûts, chapiteaux, architraves, les dernières colonnes ayant disparu lors d'un remaniement postérieur (cf. pl. IV, 2). Là encore, six dédicaces abrégées sur des tambours rappelaient que ce portique avait été construit par Alaïsha, fils de Lishamsh. Ces textes permettaient d'attribuer au même portique une grande architrave inscrite, retrouvée remployée en 1954 dans une autre partie du sanctuaire, et précisant que le portique tout entier, avec ses colonnes, son entablement, sa toiture, avait été consacré à Baalshamîn à une date non mentionnée (l'inscription n'ayant pas été terminée), mais qu'en raison des similitudes observées avec les inscriptions concernant les autres portiques, on a tout lieu de supposer avoir également été celle de 67 après J. - C.

La cour, aujourd'hui déblayée, se révéla tout encombrée de murs tardifs, entièrement construits de blocs de remploi arrachés aux constructions antiques, vestiges d'occupations successives, byzantine et arabe. Tel était aussi le cas du quatrième côté, où tout un quartier de maisons, établi à un niveau plus bas que le niveau antique, n'a laissé subsister que peu de vestiges en place des bâtiments antérieurs. On peut néanmoins admettre que ce côté était occupé lui aussi par un long portique, dont on a retrouvé épars beaucoup d'éléments, et dont les dés des colonnes extrêmes sont encore en place. Le mur de fond de ce portique a subsisté, lui aussi, curieusement coupé par un décrochement. Celui-ci s'explique, par l'orientation un peu différente d'un grand ensemble de bâtiments qui se développaient en arrière, et dont les murs, faits de gros blocs appareillés, sont d'une construction soignée. Une série de pièces, ouvertes sur la cour, communiquaient vers le Nord par une large porte, dont le seuil a été retrouvé en place, et par d'autres portes plus étroites avec une nouvelle cour, plus petite, elle aussi entourée de portiques ; du côté Sud, cinq grosses colonnes, sur les autres côtés six colonnes d'un module plus réduit, dont les chapiteaux corinthiens, qui déjà précédemment gisaient à cette place, peuvent dater du II^e siècle de notre ère (cf. plan, pl. I, et pl. VI, 2 et V, 2). Plus qu'à un mo-

(10)

de salle de banquets. C'est dans cette cour que vint se placer le temple, aligné sur le mur occidental, entre les colonnades des portiques qui lui servirent d'encadrement. Dans l'espace antérieur se dressait alors déjà l'autel (ou les autels) dont les vestiges ont été retrouvés. (Cf. plan, pl. I).

Mais cet ensemble, bien délimité, et dont le développement architectural a pu être ainsi retracé, ne formait dès l'origine qu'une petite partie d'un sanctuaire beaucoup plus vaste dont les autres parties constitutives ont été simultanément découvertes.



LA COUR NORD ET SES ANNEXES.

La fouille d'emblée entreprise sur l'emplacement de l'architrave inscrite indiquant la consécration à Baalshamin, en septembre 67 après J. - C. de cinq colonnes, avec leur entablement et leur toiture (1), ne devait pas tarder à mettre au jour les éléments d'un long portique. Treize bases en place, dont la plupart portaient encore un tronçon de fût, fixaient ainsi l'alignement de la colonnade à laquelle avaient appartenu les cinq colonnes dédicacées par Zabdaï (cf. pl. IV, 1). De nombreux éléments des parties hautes : chapiteaux, architraves, étaient en même temps exhumés. De plus, le mur de fond de ce portique, fait de grandes pierres appareillées, était retrouvé, à quelque distance en avant d'un autre mur qui prolongeait, en bordure de la rue, mais avec une direction un peu différente, le tronçon du péribole déjà repéré.

On retrouvait, d'autre part, en équerre, dans le voisinage du temple, un deuxième portique, dont le mur de fond était constitué, sur une partie de sa longueur, par le mur de la salle de banquets, mais dont la colonnade se prolongeait assez loin au-delà. Dix-sept colonnes de ce portique furent retrouvées en place, la plupart avec leur base et quelque tronçon du fût, d'autres dont seul le dé était conservé. Parmi diverses pièces d'architecture tombées des parties hautes, une grande architrave inscrite portait une dédicace à Baalshamin identique à celle qu'on avait anciennement trouvée non loin du sanctuaire (2), indiquant que le portique tout entier, avec ses colonnes, son entablement, sa toiture, avait été consacré, en septembre 67 après J. - C., par Yarhaï, fils de Lishamsh (cf. pl. V, 5). Un rappel abrégé de ces dédicaces, conçu en termes identiques, était gravé sur cinq tambours de colonnes (cf. pl. V, 6).

(1) J. Cantineau, *Inventaire des inscriptions de Palmyre*, I, no. 4. Cf. *supra*, p. 70.

(2) Cf. *ibid.*, I, no. 5.

bien mieux conservée, présente encore plusieurs fûts en place, entre lesquels la plupart des pièces d'entablement ont été retrouvées à leur point de chute. Cette dernière apparut bientôt comme une partie intégrante d'un ensemble antérieur au temple, dont la destination n'allait pas tarder à être révélée, et dont la structure s'éclaircit dès qu'on eut renoncé à mettre cette colonnade directement en relation avec le temple (1) (cf. plan, pl. I).

C'est, en effet, du côté opposé que le mur de fond du portique devait être cherché : courant parallèlement au temple, ce mur, de construction soignée, était fait d'une double rangée d'orthostates, la partie supérieure, disparue, étant, comme le plus souvent à Palmyre, faite de matériaux périssables. Coupé d'un seuil, encore en place, en face du pronaos, il a disparu vers l'Est, quoiqu'on puisse le suivre encore par les vestiges de ses fondations. A la hauteur du mur postérieur de la cella, il présente un retour en équerre vers le temple, délimitant ainsi l'angle d'une pièce. Contre ce retour, un autel retrouvé *in situ* porte une dédicace à Baalshamin datée de juin 73 après J. - C. Le long du mur de fond, un rebord de pierre délimite une banquette de terre battue et porte une dédicace mutilée, dont la date doit être comprise entre 59 et 68 de notre ère, désignant cet ensemble comme une salle de banquets. Plus loin, sur le rebord, une autre inscription est une liste de noms. (Cf. pl. III, 5).

L'existence d'une salle de banquets rituels, déjà reconnaissable à ses attributs essentiels, des banquettes et un autel (2), mais de plus ainsi expressément attestée, est un premier fait important. La date de son aménagement en est un autre. Il apparaît ainsi évident que la construction du temple, de plus de soixante ans postérieure, est venue s'insérer dans un ensemble monumental préexistant qui s'en trouva profondément modifié, et dont il n'est pas impossible de reconstituer le plan. On remarque, en effet, que le soubassement postérieur de la cella est venu très exactement s'aligner sur le retour en équerre du mur de la salle de banquets, qui fut alors rompu. Bien que la colonnade du côté Sud soit en beaucoup moins bon état et qu'il n'y subsiste des murs que des fondations fragmentaires, on y peut reconnaître un dispositif symétrique. Il faut donc imaginer, primitivement, une cour, limitée à l'Est par le péribole, et bordée latéralement par deux portiques, dont l'un, au Nord, a servi

(1) Les mortaises taillées dans les murs du temple pour l'encastrement de poutres sont, en effet, d'époque byzantine.

(2) Cf. J. Starcky, *Syria*, XXVI, 1949, p. 62-67.

et photographiées. Ce travail fut entrepris à la fin de la campagne 1955, avec l'autorisation de la Direction générale des Antiquités, et les résultats nous semblent en avoir pleinement justifié l'exécution. Débarrassée de ces structures adventices, la façade du temple a retrouvé aujourd'hui ses proportions primitives, avec ses colonnes dégagées jusqu'au niveau du dallage antique, auquel on accédait, en face de l'entrée, par une marche entaillée dans le degré supérieur du soubassement (pl. III, 1). L'autel de 115 après J. - C. a été libéré des blocs qui l'enserraient, et une autre base en place a été retrouvée à côté de lui. Mais surtout, les pièces d'architecture ainsi récupérées ont été étudiées et graphiquement assemblées en une structure dans laquelle la plupart d'entre elles ont pu être incorporées : des colonnes cannelées, surmontées de chapiteaux corinthiens, encadraient des portes et des niches et supportaient un entablement dont la partie centrale était incurvée (cf. pl. III, 2). Cette structure, dont la largeur correspond très exactement à celle de la cella du temple, doit à coup sûr y trouver place. L'hypothèse formulée dans la publication allemande était donc juste : le temple était pourvu d'un thalamos, accolé à ses murs et sans lien avec eux, comme étaient ceux du temple du Bêl. Mais la composition en était assez différente de celle que B. Schulz avait tenté de reconstituer à l'aide d'un trop petit nombre d'éléments. Parmi les blocs extraits des murs byzantins, il faut mentionner encore une magnifique pièce de sculpture, qui formait la partie supérieure de l'encadrement d'une niche, retrouvée face contre terre sous l'abside ; il en sera plus loin question (1).

Ainsi débarrassé de ses remaniements postérieurs, le temple apparaît néanmoins comme un élément relativement récent dans un ensemble de bâtiments qui n'avait pas été primitivement conçu pour le contenir. Deux portiques, qui courent parallèlement aux murs latéraux de la cella, et apparemment sans lien direct avec elle, se prolongent en avant jusqu'à un gros mur transversal, contre lequel ils viennent buter. Ce mur, en bordure d'une rue, est manifestement un morceau du péribole : contrairement à ce qu'on aurait pu d'abord attendre, le sanctuaire ne s'étendait donc pas au-delà en avant du temple, et il fallait en chercher ailleurs les éventuels développements. Quant aux colonnades des portiques latéraux, si celle du Sud, fort détruite, n'est plus guère marquée que par un alignement de dés et divers blocs tombés des parties hautes, celle du Nord,

(1) Cf. *infra*. p. 84.

et des frontons. Sur un point, elles ont apporté une indication nouvelle : la découverte de merlons à degrés (pl. III, 3), analogues, toutes proportions gardées, à ceux qui couronnent la corniche du temple de Bêl, nous apprend qu'il faut restituer de même manière l'élévation des faces latérales de l'édifice.

Le dégagement du temple le fait, d'autre part, apparaître avec les proportions élancées que masquaient précédemment les terres accumulées autour de lui, comme aussi les structures byzantines érigées contre sa façade (cf. pl. II, 2). En isolant l'édifice, il a permis aussi d'en mieux comprendre la fonction, tant dans l'état récent, dont les constructions étaient assez malencontreusement venues l'alourdir, que dans un état plus ancien des bâtiments du sanctuaire, dans lesquels il était venu s'insérer.

La transformation du temple en église avait amené les Byzantins à aménager en avant de la face postérieure, devenue l'entrée, un portique construit, assez sommairement, avec des fûts antiques remployés, dont l'un fut par eux marqué d'une croix. Une porte, percée dans le mur de la cella, devint accessible par quelques marches appuyées sur les degrés du soubassement. Le pronaos fut recouvert d'un second dallage, qui masqua partiellement les bases des colonnes, et les fûts de deux de celles-ci furent entamés, au-dessus des consoles, pour dessiner l'amorce d'un arc ouvrant sur l'abside. Celle-ci, avec les chapelles latérales qui la flanquaient, débordant largement la façade du temple, avait été entièrement construite au moyen de blocs de remploi, déjà partiellement apparents avant notre fouille : grandes pièces d'architecture de portiques, fûts, chapiteaux, architraves, comme aussi pièces d'architecture d'un module plus petit et très abondamment ornées, bases, fûts et chapiteaux corinthiens de colonnes cannelées trilobées, colonnes d'un type différent, éléments d'encadrement de portes et de niches, blocs d'entablement et de corniches, au moyen desquelles B. Schulz avait cherché à reconstituer un ensemble qu'il imaginait avoir été situé, comme un adyton, dans le fond de la cella du temple (1).

L'importance manifeste d'une connaissance précise de ces éléments pour comprendre l'histoire du temple comme aussi l'avantage esthétique qu'on pouvait attendre d'un dégagement complet de l'édifice nous incita bientôt à envisager le démontage des constructions byzantines, préalablement dûment relevées

(1) *Ibid.*, p. 125 s., fig. 157 et 159 et pl. 67.

tence de colonnades extérieures au temple, d'autre part, le sens et l'époque des remaniements subis par l'édifice, qui avaient eu pour but sa transformation par les Byzantins en église chrétienne (1). A cet effet, et pour répondre aux nouvelles exigences du culte, l'orientation du temple avait été inversée, une porte avait été percée dans le mur postérieur de la cella, et un 'chevet, fait d'une triple abside et entièrement construit de blocs de remploi, aménagé en avant du pronaos.

De plus, et indépendamment du temple, deux inscriptions monumentales gravées sur des architraves, l'une gisant à fleur de terre au Nord-Est de l'édifice, l'autre remployée à quelque distance comme pied-droit d'une porte, laissaient pressentir l'existence d'un état plus ancien du sanctuaire. Datées toutes deux du mois de septembre 67 après J. - C., elles attestaient la dédicace à Baalshamin, « dieu bon et rémunérateur », respectivement de cinq colonnes, avec leur entablement et leur toiture, par Zabdaï fils de Zabadnebô, et d'un portique tout entier, avec ses colonnes, son entablement, sa toiture, par Yarhaï fils de Lishamsh, sans doute le père de ce Malé qui plus tard construisit le temple (2).

Telles étaient les données dont nous disposions au début de nos recherches. L'établissement d'une relation entre les constructions ainsi mentionnées et le temple déjà connu en pouvait constituer un premier objectif, la reconnaissance détaillée de l'ensemble de la topographie du sanctuaire en étant plus ambitieusement le but. Les résultats obtenus à ce jour nous en ont rapprochés assez pour justifier un premier essai de synthèse. C'est à quoi nous allons maintenant nous risquer.



LE TEMPLE ET SES ABORDS

Pour la description du temple il nous suffira de renvoyer à l'étude très minutieuse et très exacte qu'en présente la publication allemande du site de Palmyre (3). Les fouilles exécutées alentour ont permis de recenser bon nombre des blocs écroulés des parties hautes, notamment des éléments de la corniche

(1) A notre connaissance, aucun rapport n'a été publié sur ces travaux.

(2) J. Cantineau, *Inventaire des inscriptions de Palmyre*, I, p. 13 sqq., nos. 4 et 5. La deuxième dédicace est bien celle d'un portique et non d'une entrée.

(3) *Palmyra, loc. cit.*

encore debout, avec les six colonnes de son pronaos supportant leur entablement, laissait lire encore clairement les dispositions générales de l'édifice : son plan très simple, sa grande porte au linteau richement orné, ses fenêtres latérales percées entre les pilastres dont les murs sont flanqués, le beau décor sculpté de ses chapiteaux corinthiens. Seuls les blocs d'architecture qui jonchaient alors le sol alentour avaient en grande partie disparu.

Plus récemment, les relevés détaillés exécutés par la mission archéologique allemande qui publia, en 1932, la description des vestiges visibles des ruines de Palmyre, avaient fait connaître d'une manière précise la structure et les proportions de l'édifice (1). Quelques sondages pratiqués le long des murs et en avant du pronaos avaient fourni des indications sur les parties basses et sur les remaniements subis par le temple à une époque tardive en vue de son utilisation à d'autres fins. De plus, on savait alors, par l'inscription honorifique gravée sur la console d'une des colonnes du pronaos située à gauche de l'entrée, que le temple avait été construit en 130-131 après J. - C. par Malé, fils de Yarhaï, qui, deux ans auparavant, avait organisé la réception à Palmyre de l'empereur Hadrien (2), les inscriptions de deux consoles voisines pouvant être respectivement datées de 181 et des dernières années du II^e siècle après J. - C. (3).

Enfin, une fouille rapide pratiquée en 1935 par M. M. Ecochard, à l'occasion de travaux de consolidation, amena la découverte de quelques blocs intéressants, notamment, encore en place en avant du temple, un autel portant une dédicace bilingue datée du 6 février 115 après J. - C. (4), une console avec une inscription honorifique de la deuxième moitié du II^e siècle (5), trois niches ornées de bas-reliefs (6); en même temps, cette fouille révéla, d'une part, l'exis-

(1) Th. Wiegand, *Palmyra, Ergebnisse der Expeditionen von 1902 und 1917*, Berlin, 1932, XIV, *Der Baalsamin-Tempel* (B. Schulz), p. 122 à 126 et pl. 62 à 67.

(2) J. Cantineau, *Inventaire des inscriptions de Palmyre*, I, 1930, p. 10 sqq., no. 2.

(3) *Ibid.*, p. 9 s., no. 1 et p. 12 s., no. 3 [corrigé, pour la date. par CIS, II, 3, 3958].

(4) J. Cantineau, *Tadmorea*, 21, *Syria*, XVII, 1936, p. 346 s.

(5) J. Cantineau, *Tadmorea*, 20, *Syria*, XVII, 1936, p. 277. Dépôt des antiquités de Palmyre, inv. A. 306.

(6) Encore inédites. Deux d'entre elles, les mieux conservées, ont été transportées au Dépôt des antiquités de Palmyre (inv. F 3111 et F 3112); la troisième, très dégradée, est restée à côté du temple.

l'on restait encore des constructions qui ne devaient pas manquer d'exister autour de son temple (1). L'immense étendue des ruines de Palmyre n'a été explorée encore que sporadiquement. En accordant à notre mission l'autorisation d'entreprendre la fouille de cet important sanctuaire, M. Selim Abdul Hak a bien voulu associer la Suisse à une œuvre que la Direction générale des Antiquités de Syrie poursuit elle-même avec succès sur d'autres points (2). Nous tenons à lui en exprimer ici notre très vive et sincère gratitude.

Après trois campagnes de fouilles, on peut reconnaître, dans ses grandes lignes, la topographie du sanctuaire. D'autre part, des trouvailles nombreuses ont été faites. Il est donc permis de dresser, dès maintenant, un premier bilan. Tel est l'objet, limité, du présent rapport. On voudra bien considérer qu'il ne s'agit encore que de résultats provisoires, qui devront être par la suite étudiés et complétés, et dont nous ne pouvons donner ici qu'un sommaire aperçu.

Notre mission a séjourné à Palmyre pendant les mois de septembre et octobre 1954, 1955 et 1956, le chantier ayant occupé durant vingt semaines un effectif moyen d'environ 80 ouvriers. Outre le directeur des fouilles, Prof. Paul Collart, Mlle Christiane Dunant, MM. Rudolf Fellmann, Jacques Vicari, Luc Boissonnas, Jean-Daniel Candaux et Manuel Baud-Bovy ont participé aux travaux. Ceux-ci ont été grandement facilités grâce à l'aide obligeante apportée sur place par le contrôleur des antiquités de Palmyre, M. Aboued] Taha, et grâce aux mesures prises par la Direction générale des Antiquités pour favoriser nos recherches. Qu'ils en soient l'un et l'autre dûment remerciés.

Jusqu'en 1954, le temple de Baalshamin était demeuré à peu près en l'état où l'avait vu déjà, au milieu du XVIII^e siècle, l'Anglais Robert Wood, et tel qu'il l'avait décrit et représenté dans son magnifique ouvrage sur les ruines de Palmyre (3) (cf. pl. II, 1). Bien que partiellement enterrée, sa cella

(1) Sur le culte de Baalshamin à Palmyre, cf. notamment J. C. Février, *La religion des Palmyréniens*, Paris, 1931, p. 103 sqq. : J. Starcky, *Palmyre*, 1952, p. 98 sqq. : H. Seyrig, *Antiquités syriennes*, I-IV, passim.

(2) Cf. notamment, sur le théâtre récemment dégagé, Direction générale des antiquité de Syrie, *Exposition des découvertes archéologiques de l'année 1952*, p. 29 s., et E. Frézouls, *Annales archéologiques de Syrie*, II, 1952, p. 87 sqq.

(3) R. Wood et H. Dawkins, *Les ruines de Palmyre*, Londres, 1753, p. 46 s. et pl. XXVII à XXXI.

LE SANCTUAIRE DE BAALSHAMIN

A PALMYRE

FOUILLES SUISSES 1954-1955-1956

RAPPORT PRÉLIMINAIRE

par

PAUL COLLART

Le projet d'une exploration archéologique suisse en Syrie naquit à l'occasion de la mission d'enquête sur les monuments de ce pays organisée par l'UNESCO, à la demande du gouvernement syrien, en été 1953 (1). L'empressement avec lequel ce projet fut accueilli, en Syrie par le Directeur général des Antiquités, M. Selim Abdul Hak, qui voulut bien le recommander aux autorités de son pays, en Suisse par le Fonds national de la Recherche scientifique, qui accepta de fournir les moyens nécessaires, en rendit rapidement la réalisation possible. A ceux qui d'emblée nous firent ainsi confiance, nous apportons avec reconnaissance l'hommage de ces premiers résultats.

Le choix du site de Palmyre n'a guère besoin d'être justifié : le destin prestigieux de cette ville, la splendeur de ses ruines encore visibles l'avaient aussitôt désignée à notre attention. Et à Palmyre, le sanctuaire de Baalshamin nous avait aussitôt paru susceptible d'investigations fructueuses, tant en raison du rôle de ce dieu dans la religion des Palmyréniens que de l'ignorance où

(1) Sur cette mission, cf. P. Collart, S. Abdul Hak et A. Dillon, *Rapport de la mission envoyée par l'UNESCO en 1953, SYRIE, problèmes de conservation et de mise en valeur des sites et monuments*, Musées et monuments, VII, UNESCO, 1954.

quants de ces toponymes concernent des villes maritimes dans les pays de Siyannu, Usmatu et Apsuna au sud d'Ugarit, ou des ports de la côte syro-palestinienne : Arutus, (île de Rouad), Gubli (Byblos), Tyr, Akka (St. Jean d'Acre), Ashdod (Esdoud et Minet-el-Qalaa) et Ascalon (Khirbet Asqalân). De ces ports éloignés et, sans doute, indépendants d'Ugarit, les Archives du Petit Palais possédaient des listes de recensement, ce qui conduit à admettre que des sujets du roi d'Ugarit y étaient installés pour le négoce, et y jouissaient, peut-être, de droits extra-territoriaux. Les transactions dont il est question soit avec l'étranger soit avec les provinces du royaume portent, d'ailleurs, sur des quantités généralement importantes. L'administration dont dépendait les Archives du Petit Palais devait ainsi s'occuper du commerce d'importation et d'exportation en gros. Comme les toponymes le prouvent, ce commerce s'appuyait principalement sur les ports au sud d'Ugarit. Il s'agit donc de son commerce maritime dont l'importance, suggérée déjà par les trouvailles archéologiques antérieures, est ainsi confirmée. Il ne surprendra pas non plus, que l'horizon économique d'Ugarit s'ouvrait principalement vers le sud, c'est-à-dire vers la Palestine et l'Égypte, ainsi que vers Chypre et les pays mycéniens à l'est. Par contre, les documents du Petit Palais ne mentionnent aucune transaction avec les pays au nord. Cependant, les textes des Archives Sud nous l'ont appris (*PRU*, IV, p. 102 et suiv.), Ugarit entretenait aussi un commerce important avec les pays hittites. Les transports, ici, cependant, se faisaient principalement par caravanes, quoique, dans un cas, il est question d'un incident de navigation relatif à un cargo arbitré par le roi hittite. Les documents économiques et « papiers d'affaire » concernant les pays du nord et le domaine hittite en particulier, étaient donc conservés exclusivement dans les Archives Sud. L'administration installée au Petit Palais n'était ainsi compétente que pour les grandes transactions internes avec les villes au sud d'Ugarit, et externes avec les pays sur la route vers l'Égypte. Le sixième centre de tablettes découvert à Ras Shamra se distingue ainsi nettement par sa situation topographique et par son contenu, des cinq Archives précédemment identifiées dans le Grand Palais, preuve nouvelle de la parfaite organisation de l'administration d'Ugarit et de l'importance de son commerce international.

En attendant que nous ayons pu achever l'exploration du Petit Palais, ce qui exigera encore, au moins, une campagne de fouilles, les conclusions que nous venons de tirer de l'examen de ses Archives, doivent être considérées comme provisoires.

C. F. A. SCHAEFFER.

ayons trouvé des listes de recensement concernant des personnages, hommes et femmes, habitant dans des pays en dehors des frontières d'Ugarit propres, à Arwad ou plus loin, à Byblos et à Tyr, sur la côte du Liban, à Askalon et à St. Jean d'Acre, au sud de la Palestine ? Pour le petit royaume d'Arwad au large de Tortose ou Tartous, mentionné dans la Genèse 10. 18, célèbre pour la qualité de ses rameurs (Ezéchiel, 27, 8) et qui fournit, encore aujourd'hui, à la Syrie d'excellents marins, nous pouvons admettre qu'il dépendait politiquement d'Ugarit. Mais cela ne pouvait guère avoir été le cas pour Byblos et Tyr dans le sud du Liban, ou le lointain Askalon ou St. Jean d'Acre, en Palestine Méridionale. Notons que tous les toponymes étrangers mentionnés sur ces listes de recensement du Petit Palais se réfèrent à des ports. Je suis donc porté à croire que les personnes mentionnées sur ces listes étaient des sujets du roi d'Ugarit, installés pour le négoce dans ces villes maritimes, avec lesquelles Ugarit entretenait des rapports fréquents.

De beaucoup, le plus grand nombre de textes retirés des cendres de la pièce d'Archives 204, comme il est le cas, nous l'avons vu, des tablettes retrouvées dans le secrétariat voisin 203, sont de nature économique. Ils traitent de transactions en matières diverses et en denrées intéressant l'alimentation et l'habillement (cf. *CRAI*, 1956, p. 126) : céréales (blé amidonnier, froment, semences), huile, lait, poissons, grand et petit bétail, laines, textiles, (étoffes ou vêtements confectionnés), instruments de travail et outils en bronze, bois, minerais ou métaux (argent, cuivre et bronze). Et ces comptes de recettes ou de dépenses sont, à coup sûr, des comptes publics intéressant des villes entières, ou des corporations, ou des individus groupés, aux obligations et avantages officiellement déterminés. Parmi ces documents économiques, plusieurs se réfèrent à des transactions avec des villes étrangères et concernent donc le commerce extérieur d'Ugarit.

Nature des Archives du Petit Palais. — La faible proportion (environ 12 pour 100) des documents en cunéiformes alphabétiques par rapport aux textes syllabiques babyloniens retrouvés pendant notre dix-neuvième campagne de fouilles (1955) dans les pièces 203 et 204 du Petit Palais permet d'admettre que ces Archives dépendaient d'une administration qui s'occupait davantage d'affaires extérieures qu'intérieures du royaume d'Ugarit. Cette hypothèse se trouve renforcée par la découverte dans ces Archives de deux textes chypro-minoens et d'une inscription égyptienne. D'autre part, l'analyse montre qu'il ne s'agit pratiquement que de documents administratifs ou économiques dont plusieurs contiennent des noms de villes ou de localités situées en dehors des frontières propres du royaume, dans des pays vassaux ou alliés d'Ugarit. Les plus mar-

que le recensement concerne des gens habitant dans les ports (*Qaratiyama* veut en effet, dire : Ville-de-la-Mer), du pays de Siyannu, dont le roi, nous le savons par des texte politiques trouvés dans les Archives Sud, reconnaissait l'autorité du roi d'Ugarit.

La seconde tablette de recensement concernant des villes situées en dehors des frontières d'Ugarit propres, retrouvée dans la pièce d'Archives 204 du Petit Palais, (19. 42), avait éclaté dans les flammes ; mais les morceaux ont pu être rassemblés. La liste est divisée en plusieurs paragraphes dont les cinq premiers mentionnent des femmes anonymes, les autres des noms propres d'hommes, suivis de noms de pays ; Arwad, petit royaume insulaire au large de Tartous, (à environ 90 km par mer, au sud d'Ugarit) est mentionné deux fois, puis Tyr et, au paragraphe 7, Askalon, villes maritimes bien connues dans le Liban du Sud et dans la Palestine Méridionale, respectivement à 260 et à 450 km au sud d'Ugarit. Le paragraphe II, par contre, énumère des personnes d'Ugarit tandis qu'au paragraphe 12 sont cités des gens d'AK (k) U, l'Akka actuel, ou Saint-Jean d'Acre, port palestinien, à 310 km par mer au sud d'Ugarit. Enfin, les personnes énumérées au paragraphe 13 de notre liste, habitaient le pays d'Usnatu, au sud d'Ugarit. qui reconnaissait son roi comme suzerain. (cf. *PRU*, IV, p. 16 et suiv., et 256, s. v. *us-na-ti*).

Une troisième tablette de recensement (19. 32) retirée des cendres d'incendie accumulées sur le sol original de la pièce d'Archives 204, concerne des gens de la ville d'Apsuna, qui, par suite de leur départ de cette ville n'avaient pas répondu à la convocation pour fournir des corvées. Sur la situation géographique d'Apsuna, nous ne possédons encore que des indices. Elle dépendait de l'autorité du roi d'Ugarit, car deux accords juridiques internationaux retrouvés dans les Archives Sud (*PRU*, IV, p. 106 et 239) traitent de l'obligation imposée aux habitants collectivement ou à certains d'entre eux, de verser le prix du sang pour le meurtre de marchands ou caravaniers commis sur leur territoire. Comme le jugement est signé du sceau du roi Hittite Hattusil III et de la reine Puduhepa (cf. *Ugaritica*, III, fig. 21), il est vraisemblable que les victimes étaient d'origine hittite, et que la ville d'Apsuna était située quelque part dans le nord du pays d'Ugarit. Il est donc normal que l'administration centrale de ce pays possédât des registres relatifs aux habitants de cette ville, redevables d'impôts et d'autres obligations au roi d'Ugarit.

Mais comment expliquer que, parmi les Archives du Petit Palais, nous

le blé quand les pillards sont venus et ont tout emporté et les vignes aussi sont perdues (*hlq*) ; notre ville est ruinée (*qrtn hlq*), sache le bien » (cf. *CRAI*, 1956, p. 63). Ce fut là, sans doute, un épisode de la lutte que, dans ces pays, les nomades livraient jadis aux sédentaires. Surgissant de leurs steppes ou déserts au moment des récoltes pour tout razzier, ils se retiraient aussitôt avec leur butin dans les vastes étendues de la presqu'île arabe où les sédentaires ne pouvaient les suivre. Vraisemblablement, la phrase du message d'Ugarit : « sache le bien » par laquelle le maire conclut son message à *Zrdn*, implique l'avertissement que la ville sera, pour cette année, dans l'impossibilité d'acquitter taxes et impôts.

Parmi les textes rédigés en cunéiformes babyloniens provenant de l'accumulation de tablettes, sur le sol original, au fond de la pièce d'Archives 204, je citerai la lettre 19. 53, échangée entre deux scribes pour faire cesser un désaccord. Les adresses n'étant pas fournies par notre document, nous admettons que le scribe destinataire de la missive travaillait peut-être dans les Archives du Petit Palais, où nous avons retrouvé la lettre. Quant à l'expéditeur, installé vraisemblablement dans un centre administratif provincial, il semble avoir été de rang inférieur à en juger d'après le ton de sa lettre. En voici la traduction par M. Nougayrol (*CRAI*, 1956, p. 127) : « Salut à toi ! Que les dieux te gardent ! Mon frère, pourquoi es-tu irrité contre moi et n'as-tu plus à mon égard les mêmes dispositions que jadis ? S'il est une faute à tes yeux, couche-la (ou écris-la) sur une tablette et mande-la à ton frère ! Maintenant qu'il n'y a plus un pois, gros ni fin, dans la maison de ton frère, ne va pas me refuser la présente demande ! ». En bon scribe, et pour témoigner, sans doute, à son correspondant ses connaissances, le scribe s'est appliqué à écrire les mots « gros pois » et « petit pois » idéographiquement, mais il commente ensuite par une glose en clair. Plus loin, il joue du calame avec une telle virtuosité que certains groupes de signes restent obscurs.

Deux autres documents retrouvés dans la pièce 204 présentent un caractère international, qui est d'autant plus remarquable, puisqu'il s'agit de recensement de personnages qui habitent à l'étranger et, en partie, même fort loin du pays d'Ugarit. Ainsi la liste 19.41 qui, malgré les blessures causées par l'incendie est restée presque entièrement lisible, énumère un grand nombre de personnes qualifiées de « gens de *Qaratiyama* dans toutes les villes du *Siyannu* ». Inscrite sur les deux dernières lignes du texte, cette remarque signifie, probablement,

Les exemples se multiplient à la Basse Epoque. Le socle de statuette de Ras Shamra, cependant, appartient encore au Nouvel Empire. En se fondant, d'une part, sur la disposition du texte, et, d'autre part, sur la présence dans la formule d'offrande, d'un dieu apparenté à Seth, j'ai tendance à dater la statuette plutôt de la XIXe dynastie, que de la XVIIIe. Le règne de Sethi I (1312 à 1298 ou 1302 à 1290) est assez vraisemblable.

La date proposée par M. Vandier s'accorde avec les indices archéologiques selon lesquels le Petit Palais semble avoir été construit vers la fin du XIVe s. a. n. è., ou au cours du XIIIe. D'autre part, il est, en effet, probable que la statuette figurait un personnage d'origine égyptienne plutôt qu'un habitant d'Ugarit. Nous avons trouvé antérieurement à Ras Shamra plusieurs stèles ou statuettes de personnalités égyptiennes qui remplissaient à Ugarit la fonction d'ambassadeur du Pharaon, ou qui étaient installées pour le commerce (cf. *Ugaritica*, I, p. 39, fig. 30, et déjà antérieurement au Moyen Empire, cf. ib. fig. 11, 12, pl. IV et V). Il est donc vraisemblable que la statuette dont le socle a été retrouvé parmi les tablettes en cunéiformes du Petit Palais, figurait un fonctionnaire égyptien, envoyé en mission à Ugarit, vers la fin du XIVe s. ou au XIIIe s. a. n. è.

Tablettes rangées dans une pièce d'archives du Petit Palais. — Sur le sol original de la petite pièce 204 de plan rectangulaire qui, de toute apparence, a servi au classement et à la conservation des Archives du Petit Palais nous avons mis au jour plusieurs accumulations de textes enrobés des cendres de l'incendie. La concentration la plus importante rencontrée, à 2 m 30 de profondeur, au fond de la pièce, se composait de vingt-deux tablettes, la plupart intactes. Un autre nid de textes, à 2 m. 30 lui aussi, reposait à l'aplomb du mur sud-est. point topographique 1623, et contenait trois documents, ainsi que de nombreux fragments de tablettes fortement endommagées par l'incendie.

Parmi les vingt-deux tablettes qui reposaient en paquet, cinq seulement sont rédigées en cunéiformes alphabétiques d'Ugarit, à savoir : deux lettres, un abécédaire, un long registre nominatif, et une liste mutilée relative à l'équipage de plusieurs bateaux. L'un des messages est important : il s'agit du rapport qu'un chef de ville, ou maire, avait adressé « à son » « maître » *Zrdu*, sans doute un gouverneur de province ou un préfet d'Ugarit. Dépouillé des formules de politesse qui sont de règle dans le style épistolaire, le message se lit comme un télégramme : « la moisson venait d'être achevée et nous allions battre

à Ugarit, dont l'existence ne fait, pour nous, aucun doute. Son origine, nous l'avons montré, remonte jusqu'au Minoen Moyen II, correspondant au Moyen Empire en Egypte (XX^e - XVIII^e s. a. n. è., cf. *Ugaritica*, I, pp. 22, 42, 53).

Une inscription égyptienne du Petit Palais. — Des cendres sur le sol original du secrétariat, nous avons retiré une inscription en hiéroglyphes égyptiens. L'inscription se développait sur les quatre faces d'un petit socle rectangulaire, aux coins arrondis, en pierre grise, tendre, probablement de la stéatite brûlée et éclatée dans la chaleur de l'incendie du Petit Palais. Le socle est muni d'un trou destiné à recevoir le tenant d'une statuette aujourd'hui disparue. Celle-ci, à en juger d'après la position du trou de scellement à l'arrière du socle, a pu figurer un personnage agenouillé dans la position de prière.

Voici la traduction de l'inscription et le commentaire selon M. J. Vandier, conservateur en chef du département des Antiquités Égyptiennes au Musée du Louvre : Offrande que donne le roi à Seth (ou Réshep ou Baal), le dieu divin..... qui tend la main (?) à l'intérieur de l'Ennéade, pour qu'il donne un (long) temps de vie à (ou au)....

A droite, on lit : Offrande que donne le roi à (nom de dieu, suivi d'un épithète....) pour qu'il donne la joie et la santé (à..... ou au....).

Le nom et les titres du personnage en faveur duquel a été fait la statuette et gravé le texte, devaient être cités sur la face postérieure du socle dont les éclats n'ont pas encore été retrouvés. M. Vandier ajoute les remarques : « Le dieu n'est pas nommément désigné. On peut penser à Seth, à Baal, à Réshep, ou à Mika (cf. Montet, *Kémi*, IV, 1931 — 33, p. 201 et seq.). Les hiéroglyphes sont, d'une manière générale corrects, certains détails étant, cependant, peu orthodoxes. Le texte peut avoir été écrit, soit par un égyptien, car les particularités relevées ne sauraient exclure une telle hypothèse, soit par un scribe d'Ugarit, ayant une grande habitude de graver des hiéroglyphes.

La statue à laquelle le socle servait de support peut difficilement avoir été une statue divine, les formules choisies s'appliquant ordinairement à un particulier. En l'absence des titres et du nom, il n'est pas possible de préciser la nationalité du personnage. On pense plutôt à un égyptien qu'à un habitant d'Ugarit. Il arrive souvent, en Egypte, que le socle d'une statue soit couvert d'inscriptions disposées comme sur les fragments de Ras Shamra. (P. ex., Caire 42128, (fin XVIII^e dynastie), 619, 636, 42.157, 159, 163 etc. époque ramesside).

Parmi les écrits en cunéiformes *babyloniens* qui reposaient dans les cendres sur le sol original du secrétariat 203, quatre constituent aussi des listes nominatives (19.82 à 89-132-173) dont l'une (19.82) énumère, au verso, exclusivement des femmes (cf. Nougayrol, *PRU*, VI).

Plusieurs textes des Archives brûlées dans le secrétariat 203 mentionnent des livraisons ou des Comptes de grains de froment et de blé amidonnier, le pays d'Ugarit encore de nos jours constitue l'une des régions de la Syrie qui produisent beaucoup de céréales. Dans un cas, il s'agit de dattes en grains de semence dues par des habitants d'une même ville, dans un autre, de dépenses mensuelle en blé amidonnier.

Les tablettes 19.24 et 36 concernent des livraisons ou fournitures de marchandises diverses : vases, vêtements, laine, armes, ou de métaux (argent et cuivre). Ce dernier métal est mentionné aussi sur trois autres textes de la même provenance, où il est question de dépôt du cuivre, ou d'objets manufacturés.

Deux tablettes chypro-minoennes du Petit Palais. — Parmi les cendres accumulées sur le sol original du spacieux secrétariat 203, aux points topographiques 1670, 1675 et 1677, entre 2 m. 15, 2 m. 30 de profondeur totale, mêlés aux tablettes en cunéiformes, nous avons recueilli trois fragments faisant partie de deux tablettes gravées de signes de l'écriture chypro-minoenne. Ce sont les premiers textes de cette écriture qu'après dix-huit campagnes de fouilles nous avons trouvés dans les Archives officielles de la capitale d'Ugarit. Car le fragment de tablette de la même écriture recueilli en surface pendant notre campagne de 1953 provenait d'un ensemble de documents jadis conservés dans une habitation privée, à l'est du palais (cf. *Ugaritica*, III p. 228). Les nouveaux fragments font d'ailleurs partie de documents rédigés par un autre scribe.

Les Archives du Petit Palais et celles des habitations privées à l'est du Grand Palais ont ainsi fourni, jusqu'ici, quatre documents en écriture chypro-minoenne. C'est évidemment un nombre dérisoire, à côté des plusieurs milliers de textes en cunéiformes alphabétiques, et syllabiques, déjà trouvés à Ras Shamra. Mais si nous y ajoutons la courte inscription gravée sur un bol en argent trouvé en 1931, (cf. *Ugaritica* I, p. 97, et III, p. 236), ainsi que les nombreux signes isolés peints ou gravés sur des poteries du type mycénien et même sur des vases ordinaires (cf. *Ugaritica*, II, fig. 51 et suiv.), l'on s'aperçoit que l'épigraphie chyprote et minoenne était assez répandue à Ugarit. Nous y voyons une preuve nouvelle pour l'importance des installations chyprotes et égéennes

archivistes du Petit Palais, antérieurement à l'incendie du bâtiment. L'on s'aperçoit que les catégories de textes sont les mêmes dans les deux pièces en ce qui concerne les documents économiques. Dans la pièce 204 ont été conservés, en outre, un texte juridique et deux documents politiques dont il ne reste, cependant, que des fragments. Cette pièce 204 n'était pourvue que d'une seule porte qui est plus étroite que les quatre portes ou passages du secrétariat 203. Elle a sans doute servi au rangement des tablettes et à la conservation des documents *ad acta*, comme cela semble avoir été le cas des pièces 4 et 5 dans les Archives Ouest disposées de la même manière, par rapport au secrétariat 3. Ainsi, quoique les Archives du Petit Palais constituent, de toute évidence, une documentation homogène, il est utile de préciser la position des textes à l'intérieur des locaux, où ils furent retrouvés, ainsi que leur situation stratigraphique, indications que pourront faciliter le classement chronologique et l'identification des textes.

Dans le secrétariat 203, comme dans la pièce d'archives 204, la majorité des textes (67 sur un total de 79 documents identifiés), et, en particulier, toutes les accumulations de plusieurs tablettes formant des paquets ou des nids, reposaient dans les cendres d'incendie qui recouvrent le sol original du bâtiment.

Dans les couches immédiatement sous ce sol n'ont été rencontrés que quatre textes ou fragments, eux aussi brûlés ou calcinés par l'incendie. La différence de niveau ne dépasse pas 20 ou 25 m., et comme le sol original n'a pas pu être identifié partout avec la même netteté, il nous a semblé qu'il faille attribuer ces quatre textes aussi aux Archives du Petit Palais antérieures à l'incendie.

Quant aux huit tablettes ou fragments qui, dans les pièces 203 et 204, reposaient isolément parmi les décombres du second sol établi pardessus les cendres de l'incendie, elles pourraient être postérieures à l'incendie. Il y a cependant parmi ces documents plusieurs qui, eux aussi, ont été brûlés et mutilés, de sorte qu'il est permis de les considérer comme provenant des Archives originales, le sol secondaire du bâtiment ne présentant pas de traces d'incendie. Dans le secrétariat 203, sur les quarante documents retrouvés sur le sol original du bâtiment, parmi les cendres de l'incendie, cinq seulement sont écrits en cunéiformes alphabétiques d'Ugarit. Trois de ces cinq tablettes (1947-105-136) constituent des listes de gens, avec indication de leurs domiciles dans différentes villes faisant apparemment partie du royaume d'Ugarit.

ont été entrepris en même temps. A en juger d'après la nature des trouvailles archéologiques faites dans les couches correspondantes sous le sol original du Petit Palais, et sous le niveau de la place, ces travaux ont dû être entrepris au cours du XIV^e s. a. n. è. La période d'utilisation du Petit Palais se situe par conséquent, entre une date qu'il reste à établir dans les limites du XIV^e siècle et la fin du XIII^e siècle a. n. ç. Au cours de cette période a eu lieu l'incendie, suivi d'une restauration du bâtiment, dont la date ne saurait être déterminée à présent.

En attendant que nous puissions achever le dégagement et l'exploration stratigraphique du Petit Palais, il est utile de mentionner certaines particularités de son architecture. Les murs extérieurs consistent en un parement de pierres de taille qui présentent le même bossage et le même chaînage que les façades du Grand Palais. Les fondations de celui-ci descendent cependant plus profondément dans le sol ancien que celles du Petit Palais. Sa construction est nettement postérieure à l'édification de la partie centrale du Grand Palais. A en juger d'après l'épaisseur et certaines caractéristiques des murs, elle semble avoir eu lieu au moment où l'aile sud du Grand Palais a été pourvue de l'annexe aux Archives Sud-Ouest, pièce 82 à 84 du plan, dernière transformation de la construction avant sa destruction définitive, à la fin du XIII^e s. Autrement dit, la construction du Petit Palais coïncidait avec des remaniements de l'aile voisine du Grand Palais, et avec l'aménagement de la place qui la borde du côté sud. Selon les indices actuellement disponibles, ces travaux ont dû avoir lieu vers la fin du XIV^e s. a. n. è., ou au cours du XIII^e s. Quant à la destruction finale du Petit Palais, elle a dû avoir lieu vers la fin du même siècle. Un document signé d'Ini-Teshub de Karkémish, vassal du roi Tudhaliya IV (environ 1250 à 1220), ainsi que plusieurs autres documents hittites, tous antérieurs à 1200 av. n. è., étaient encore parvenus dans le bâtiment avant qu'il ne fut abandonné. Par contre, aucun objet caractéristique du XII^e s. n'y a été rencontré jusqu'ici.

Le fait que la grande majorité des tablettes de ces Archives ont été trouvées parmi les cendres non évacuées d'un incendie et sous un sol établi lors de la restauration du Petit Palais, exclut la possibilité qu'elles aient pu être déplacées après la destruction finale et l'abandon du bâtiment. Leur rangement dans les pièces 203 et 204 devrait donc correspondre approximativement, sinon exactement, au classement adopté pour ces documents par les scribes et

mensions. Le mur d'enceinte ouest de ces trois pièces n'a pu être que partiellement dégagé avant que les fortes pluies du début du mois de décembre nous aient contraint de suspendre ici nos recherches. Il est cependant vraisemblable qu'il s'agisse de la façade ouest du Petit Palais, qui s'est effondrée dans l'intérieur du bâtiment, compliquant ici nos fouilles à l'extrême.

Des Archives de tablettes dans le Petit Palais. — Dans la partie du bâtiment jusqu'ici explorée à l'intérieur des façades nord et est, les trouvailles consistent presque exclusivement en tablettes, environ soixante-quinze documents. La plus grande majorité des textes est rédigée à l'aide des cunéiformes babyloniens (80 %), quelque 12 % seulement sont écrits en cunéiformes alphabétiques d'Ugarit.

Les tablettes forment deux accumulations dans les pièces 203 et 204 du Petit Palais, lesquelles constituent, sans aucun doute, des Archives. La plupart des tablettes reposaient à 2 m. 30 de profondeur sur le sol des pièces, parmi les cendres d'un incendie qui avait ravagé le bâtiment. Celui-ci a ensuite été réaménagé. Dans les pièces d'Archives, en laissant les cendres en place et en négligeant les tablettes et fragments qui y reposaient, un nouveau sol a été établi par dessus l'ancien. Epais d'environ 20 cm., il est en terre blanche et ne porte à sa surface aucune trace d'incendie. Sur ce second sol, nous n'avons trouvé aucun fragment de tablette. Quelques textes cependant furent retirés, entre 0 m 80 et 1 m. 60 de profondeur, des couches de décombres qui reposaient au-dessus du sol secondaire. Nous verrons que certains d'entre eux font partie des Archives contemporaines du sol original du bâtiment.

Après avoir exploré les deux niveaux contemporains de la période d'utilisation du Petit Palais, dont le second est donc postérieur à l'incendie et à la restauration du bâtiment, le premier antérieur à ces événements, nous avons examiné la stratigraphie du sous-sol. Pour ne pas risquer de déconsolider les murs subsistants du Petit Palais, nos sondages en profondeur ont dû être limités, pour l'instant, au centre de la vaste pièce 203. Immédiatement sous le sol original, nous avons mis au jour, ici, les murs d'un bâtiment antérieur au Petit Palais, qui avait été démoli pour lui faire place. Ces murs se prolongent au-delà de sa façade nord pour réapparaître au même niveau sous la surface ancienne de la place qui séparait le Petit Palais du Grand Palais. Vraisemblablement donc, la construction du Petit Palais et l'établissement de cette place

large de 5 m. 60, aménagée en portique, 202 et 205 et divisée par deux colonnes en trois passages dont celui du milieu large de 2 mètres permettait de faire passer les chars. Cet aménagement rappelle celui du Grand Palais, à l'extrémité sud de la cour I (portique 72, pl. I). Déjà en cours de construction cependant, cette entrée du Petit Palais fut condamnée par un prolongement de la façade nord. qui coupe obliquement la place au sud du Grand Palais, ne laissant ici, entre les deux bâtiments, qu'un passage large de 3 m. Sous le passage était aménagée la conduite d'eau souterraine pour l'alimentation du bassin ornemental dans la cour du Grand Palais. L'ancienne entrée a été ainsi transformée en une vaste pièce (202 du plan, pl. I) dans laquelle furent aménagés un escalier pour accéder au premier étage, ainsi que des cabinets (201 du plan) dont la conduite d'évacuation perce le mur de la façade à son angle nord-est pour ce déverser ici dans une fosse couverte d'une large dalle.

Après avoir traversé le grand seuil du portique, on parvenait dans la vaste pièce 206, et par des passages latéraux dans les trois pièces 207 à 209 dont la dernière contient un puits aménagé dans l'angle nord-est.

Pour nous rendre compte des dimensions du bâtiment nous avons fait suivre la façade est du Petit Palais qui, par un tracé quelque peu irrégulier, le long d'une ruelle nord-sud, s'étend sur 42 mètres de longueur. Elle fait alors un angle en direction ouest, où les fouilles ont dû être provisoirement suspendues. Si nous admettons que le mur d'enceinte sud rejoignait la façade ouest en ligne droite, le Petit Palais devait couvrir environ 1600 m². dont deux tiers sont, à l'heure actuelle, encore cachés sous la terre.

Le long de la façade nord-ouest, nous avons dégagé la grande pièce 203, pl. I mesurant 7 m. 50 sur 9 m. 50. Elle possède cinq portes par lesquelles on accédait, à l'est, au portique 205 et à la pièce 206, au sud, à la pièce 213. Sous le sol de cette pièce nous trouvâmes un très beau caveau funéraire élevé en pierres de taille, dont seulement les dalles de couverture et, dans l'angle nord-ouest, le dromos avec escalier, ont, jusqu'ici, pu être repérés. Des deux portes à l'ouest de la pièce 203, l'une conduit dans la pièce du plan rectangulaire 204, l'autre vers le portique à deux colonnes 210, qui s'ouvre sur une petite cour intérieure, 212 du plan, revêtue d'un dallage en pierre. Le portique et la cour donnent accès, à l'ouest : à trois pièces, 214, 215, et 211, dont la première contenait dans le sous-sol un caveau funéraire de faible di-

Le soir venu, le Directeur Général des Antiquités a réuni les membres de la Délégation ainsi que les autorités civiles et militaires de Lattaquié, en un banquet au bord du nouveau port national, symbole de la rénovation et de l'activité de la Syrie moderne. Le Directeur de la Mission Archéologique de Ras Shamra et Madame Schaeffer ayant été conviés à cette réunion, ont eu la surprise, en fin de soirée, d'entendre le Maire de Lattaquié, en présence du Mohafez, lire le texte du diplôme élevant le fouilleur d'Ugarit au rang de citoyen d'Honneur de Lattaquié. Il ne pourrait avoir consécration plus enviable pour lui que d'être ainsi reçu parmi les citoyens d'un pays dont la haute antiquité constitue le principal but de sa vie d'explorateur et de chercheur. J'espère qu'il me sera donné encore de longues années de pouvoir servir ce pays et de continuer à interroger les secrets de son sol chargé d'histoire.

Une place au sud du Palais d'Ugarit. — Au-delà de l'aile sud du palais où sont logées les Archives Sud et Sud-ouest dont les portes s'ouvrent sur la cour V, nous avons dégagé une bande de terrain, sorte de place large de 4 à 11 mètres dans le sens nord-sud, et longue de 30 mètres dans le sens est-ouest. Aucune construction n'a existé ici du temps du palais, mais on y avait élevé quelques mesures, après sa destruction. D'autre part, sous le niveau ancien de la place, ont été mis au jour des murs orientés nord-sud, provenant d'une construction qui avait été rasée au moment de l'établissement de la place. Nous nous proposons d'explorer ce terrain par un sondage en profondeur, dès que les fouilles dans les bâtiments voisins seront achevées.

Les objets retirés des couches sous la surface de la place, datent tous des X^{ve} ou XI^{ve} siècles a. n. e. ; l'extrême rareté des tablettes est à souligner. L'établissement de la place au sud du palais a donc eu lieu au cours du XI^{ve} siècle, après l'arasement des murs d'une construction qui semble avoir servi d'habitation. Ces remaniements ont eu lieu, probablement, au moment de l'édification du grand bâtiment mis au jour au sud de la place.

Découverte du Petit Palais. — Une des surprises de notre dix-neuvième campagne fut la découverte au sud du Grand Palais, d'un bâtiment dont les dimensions, l'aménagement, la technique des murs, et le contenu archéologique autorisent que nous le désignons par le nom de Petit Palais.

Constituant la limite sud de la place, la façade nord du Petit Palais, dégagée actuellement sur 31 m. de longueur, est parallèle au mur sud du grand palais, sauf à son extrémité est, plan I, ici l'architecte avait prévu une entrée

voisin de sa frontière sud, l'Égypte, et dès les temps d'Ugarit on parlait en Syrie une langue dont descend l'arabe de nos jours.

Vingt années de recherches de la Mission Archéologiques de Ras Shamra ont révélé ce que les savants du monde entier ont nommé un chapitre nouveau et entièrement inconnu de l'histoire de la Syrie et du Proche Orient méditerranéen en général. La reconstruction partielle du palais d'Ugarit et l'aménagement d'un musée vont concrétiser la gloire de ce site, qui est le plus original et le plus authentiquement syrien parmi tous les centres de la haute antiquité que le sol chargé d'histoire de ce pays a préservé.

A côté du Ministre, le Directeur Général des Antiquités a ensuite lu le texte proclamant la fondation du musée de Ras Shamra, qui va être inséré dans un tube de plomb et scellé dans un des blocs au centre des assises de fondation originales du palais d'Ugarit.

Une réception a réuni les autorités venues à Ras Shamra, au camp de la Mission, en face de l'ancien port d'Ugarit, dominé au loin par le Djebel Akra, l'ancien haut lieu d'Ugarit, qui, ce soir, était doré par le soleil couchant. Le temps superbe a ainsi contribué à rendre mémorable ce jour qui signifie pour le site de Ras Shamra la continuité d'une exploration ayant duré déjà un quart de siècle, et dont on peut encore tant attendre pour notre connaissance de l'histoire la plus ancienne de la Syrie, et de tous les pays de l'Orient méditerranéen. Ainsi se poursuit aussi une collaboration confiante entre la Mission de Ras Shamra et les autorités responsables des antiquités de la Syrie, en vue d'un aménagement de ce site, digne de son importance historique, et de sa signification pour la gloire du pays.

Une quinzaine de jours plus tard, le vendredi 26 octobre, le Directeur Général des Antiquités de Syrie est revenu à Ras Shamra, à la tête d'une délégation de l'Unesco qui, à l'occasion de la Campagne Internationale pour les Musées, a tenu à visiter les fouilles, ainsi que l'emplacement du futur musée au palais d'Ugarit. Trois membres de l'organisation de l'Unesco, ainsi qu'une dizaine de directeurs des principaux musées nationaux dans les pays arabes, et de quelques autres pays voisins, ont ainsi parcouru les rues et bâtiments jusqu'ici dégagés à Ugarit, assisté quelques moments aux fouilles en cours, puis ont pris connaissance, après un repas en plein air, à Minet-el-Beida, des dernières découvertes faites dans la terre de l'inépuisable site de Ras Shamra.

pierre par pierre, des corps de bâtiment bordant les cours IV et V ont, depuis, été achevés, ainsi qu'une documentation photographique complète de tous les murs et détails architecturaux de cette région du palais. D'autre part, en vue de rendre accessible le futur chantier de reconstruction, nous avons suspendu nos recherches dans la région sud du palais pendant notre vingtième campagne de fouilles, en automne 1956, pour pouvoir y aménager une rampe rachatant la différence d'environ trois mètres entre le niveau du sol actuel et celui du palais du milieu du second millénaire.

Avec l'accord du Gouvernement syrien, le Directeur Général des Antiquités m'a demandé de préparer la cérémonie qui devait marquer la pose de la pierre de fondation du futur musée. Elle a eu lieu le jeudi 11 octobre 1956, sous la présidence du Ministre d'Instruction Publique venu de Damas, le Dr. Abed el Ouahab Homad, et en présence du Mohafez de Lattaquié, M. Moustafi el Hourani, du Dr. Selim Abdul Hak, des autorités civiles et militaires de la région, ainsi que des personnalités notables du pays, en tout une centaine de personnes. Après que le Directeur Général des Antiquités avait exposé à l'assistance assise dans la cour VI, face aux bâtiments à reconstruire, l'organisation du futur musée qui ne forme qu'un élément d'un vaste plan destiné à pourvoir les principaux sites archéologiques de la Syrie de musées illustratifs et de centres d'accueil pour répondre aux besoins d'un mouvement touristique s'amplifiant d'année en année. et que le directeur des fouilles avait donné un historique de la demeure des rois d'Ugarit, dont la beauté architecturale va ainsi être révélée aux visiteurs de ce haut-lieu de l'histoire ancienne du pays, le Ministre prononça son discours. Il affirma la détermination de son Gouvernement de continuer et d'intensifier les efforts pour assurer la conservation et la mise en valeur du patrimoine historique exceptionnellement glorieux de la Syrie, dont témoignent ses nombreux monuments, ainsi que la richesse de ses musées. La création d'une chaîne de musées sur les sites antiques les plus importants commence par Ras Shamra-Ugarit, où un syrien a conçu, il y a plus de 3000 ans, le plus ancien alphabet connu, invention dont le monde civilisé restera à jamais redevable à la Syrie. Dès les plus hautes époques, son histoire constitue une leçon du développement précoce d'une civilisation qui s'est glorifiée des conquêtes dans le domaine de l'esprit et de la culture, en sachant en même temps préserver son indépendance et ses relations confiantes avec les peuples voisins. Dès les temps d'Ugarit, aussi, la Syrie était liée par alliance au grand pays.

nationale Lattaquié-Antioche, a été aménagée en 1955 et 56, par le Service des Travaux Publics, en une route goudronnée, qui permet maintenant d'accéder au site à toute saison.

M'étant ouvert à Damas en 1954, au Directeur Général des Antiquités, le Dr. Selim Abdul Hak, de ces projets, je fus ravi de constater qu'il avait déjà mis à l'étude, par ses services, la création à Ras Shamra d'un musée du site. Il me chargea aussitôt de faire préparer les plans par les architectes de la Mission, et d'examiner les problèmes techniques. En accord avec le Dr. Abdul Hak, notre choix se porta sur l'aile sud, la mieux conservée du palais, qui par la disposition des bâtiments autour de la cour V, avec son bassin décoratif, se présentait fort bien pour le but envisagé. Cependant, la surface des locaux 68, 69, 79, et 81, où étaient jadis logées les Archives Sud-Ouest du Palais, étant insuffisantes pour le musée, qui exige, selon les calculs de la Direction des Antiquités environ 400 m. carrés de plancher utilisable, il fut convenu d'incorporer dans la partie à reconstruire aussi les deux corps de bâtiments voisins, qui flanquent la cour IV, et où étaient installées les Archives Centrales (pièces 30, 31, 34, et 63 à 67 du plan). Ces deux centres d'Archives du palais ont jadis été pourvus d'un premier étage, dont les escaliers anciens subsistent (34, 80, et 69). Il sera facile d'aménager un accès aux toits en terrasses, du haut desquels on aura une vue sur l'ensemble du palais et de la ville, ainsi qu'un panorama complet du port ancien de Minet-el-Beida et du splendide paysage marin qui l'encadre.

Comme toute reconstruction d'un bâtiment de cette haute époque, l'exécution technique pose un certain nombre de problèmes qu'il conviendra de résoudre en respectant au maximum la conservation des parties originales subsistantes. Il sera néanmoins nécessaire de démonter plusieurs murs anciens qui sont devenus trop fragiles à la suite de l'incendie du palais et des mouvements sismiques qu'a subi à plusieurs reprises dans l'antiquité cette région de la côte syrienne. D'autre part, il va être nécessaire d'examiner à maints endroits les fondations anciennes et l'état de leur conservation, avant de pouvoir relever la partie supérieure des murs ainsi que le premier étage. Ces travaux vont nécessiter des fouilles à la base des murs et des interventions multiples dans les parties subsistantes du bâtiment original. Il est convenu que la responsabilité de ces travaux sera confiée aux architectes de la Mission ayant assisté aux fouilles et qui connaissent le moindre recoin du vaste palais. Les relevés de détail,

poreux, nous sommes disposé à admettre que le bossage des murs extérieurs du palais d'Ugarit n'est pas, en réalité, ornemental. Passablement irrégulier, il avait probablement le but de faciliter l'adhérence du revêtement, en épargnant aux tailleurs de pierres le travail de piquetage du parement des moellons. Si, aujourd'hui, nous repousserions l'idée de recouvrir d'un crépi des murs à bossage d'un aussi bel effet, nous devons nous rappeler que le sens esthétique varie selon les époques, comme le montre p. ex. la polychromie de la statuaire grecque archaïque. Il est, en tout cas, intéressant de constater que le bossage des murs, que l'on a soupçonné avoir été introduit en Syrie par les architectes romains et qui y a été reprise par les Croisés comme ornement de leurs constructions, p. ex. au château de Saladin (Sayoun), fut connu des maçons du palais d'Ugarit déjà au milieu du deuxième millénaire avant notre ère. Notons que cette technique n'apparaît nulle part ailleurs dans la région méditerranéenne et dans le Proche Orient, dès cette haute époque. Elle était alors inconnue, aussi, des architectes de Crète et d'Asie Mineure. On en trouve, cependant, des exemples en Égypte où le bossage, comme ce fut le cas probablement, à Ugarit, servait alors non d'ornementation, mais était destiné à disparaître sous le ravalement des murs. C'est donc de la vallée du Nil que les Architectes du palais d'Ugarit ont pu emprunter cette technique, si leurs maçons n'avaient pas trouvé eux-mêmes ce moyen de réduire le travail de préparation des murs, et de faciliter en même temps l'adhérence du crépi.

L'aile sud du Musée sera reconstruite pour servir de musée. — Depuis des années nous avons souhaité pouvoir relever une partie des ruines du palais d'Ugarit pour donner aux visiteurs une idée de son architecture et de sa beauté. Nous pensions aussi que la visite du site deviendrait plus instructive si l'on pouvait exposer sur place des reproductions et des moulages des principales découvertes faites parmi les ruines du palais et ailleurs dans l'ancienne ville d'Ugarit, ainsi que des plans, coupes, et modèles de ses temples, de sa forteresse, et de ses bâtiments privés les plus importants. Ras Shamra étant éloigné de 12 km. du centre touristique le plus proche (Lattaquié), il nous a semblé que les visiteurs qui comptent maintenant par milliers chaque année, devraient y trouver un local leur permettant de se reposer après leur promenade à travers les vastes ruines d'Ugarit, et de s'y mettre à l'abri de la chaleur ou des surprises du temps pendant l'hiver. Impraticable aux voitures ordinaires pendant les pluies hivernales, la piste qui, jusqu'ici, reliait Ras Shamra à la route

d'âge indéterminé. On suppose qu'ils ont servi non pas pour jouer, mais pour la pesée.

Cette explication est-elle applicable à l'astragale armée de plomb d'Ugarit ? Il convient de noter que son poids actuel de 280 grammes, à cause d'une légère perte de substance, doit être inférieure de quelques grammes au poids original, correspond assez exactement aux nombreux poids de trente sicles trouvés à Ugarit.

Le bossage des murs du palais. — En achevant le dégagement des façades sud et sud-est du palais, nous avons été impressionnés par le bossage des pierres de taille, qui renforce l'impression de la massivité de ces beaux murs. Cette technique on ne l'observe, d'ailleurs qu'aux façades des ailes nord-est et sud-ouest, qui constituent des agrandissements de la partie primitive et centrale du palais. Elle est absente aussi aux murs et piliers intérieurs, dont la face est toujours lisse et qui, d'ailleurs, était couverte d'un enduit à plusieurs couches dont il reste, par endroit, d'assez grandes plaques. La question se pose si les façades et murs extérieurs du palais d'Ugarit ont jadis également été ravalés. Ceci est certain pour la partie centrale du vaste bâtiment, élevée la première, où notamment le long de la façade près de l'entrée principale du palais, des plaques d'un enduit épais, aujourd'hui couleur grise, parfois noirci par l'incendie, adhèrent encore au parement des moellons. Ce parement n'est, d'ailleurs, jamais lisse, mais présente un piquetage fin qui devait faciliter l'adhérence du crépi.

Pour ce qui est des façades au bossage des parties attenantes du palais nous n'y avons pas observé la moindre trace d'un enduit. Il faut, cependant, avouer que sur les milliers de mètres carrés de surface de la façade du palais primitif et de tous les murs intérieurs, jadis ravalés, il ne reste, aujourd'hui, que de très rares témoins du crépi. On pourrait donc admettre qu'aux murs extérieurs à bossage, le crépi ait disparu au point de ne laisser aucune trace. Pour trancher la question, une enquête spéciale sera nécessaire, à laquelle vont se livrer les architectes de la Mission. Il faudra aussi que nous fassions analyser la composition d'une sorte de fine poudre de terre que l'on observe, par endroits, au pied des mur extérieurs du palais. Comme les façades de la partie centrale du bâtiment et aussi celles de tous les bâtiments officiels avoisinants, ont jadis été couvertes d'un enduit qui, dans certains cas, était bitumineux, pour assurer l'étanchéité des murs élevés en calcaire vacuolaire assez

tamment le Hatti, nous comprenons qu'il s'agit ici d'une industrie comparable à ces manufactures royales ou nationales, où l'on confectionnait et fabrique encore de nos jours, les porcelaines, gobelins, et autres objets de prix destinés à être offerts aux souverains ou aux personnages officiels des états amis ou alliés. Quand au nombre relativement élevé d'armes en bronze (flèches, poignards, restes de cottes d'écailles) retrouvées dans les mêmes parages du palais d'Ugarit, nous devons probablement les considérer comme les témoins de postes de la garde royale, installés près des Archives et de ces manufactures d'objets précieux, pour en assurer la sécurité.

Un ka'ab d'Ugarit. — Parmi les objets trouvés au voisinage des Archives Sud-Ouest, nous voudrions signaler aussi un astragale de bovidé, rempli et partiellement recouvert de plomb. Un de ces malheureux coups de pioche qui malgré toutes les précautions que l'on puisse prendre sont inévitables dans une grande fouille, avait frappé ce grand os en pleine face et l'avait fait éclater. Soigneusement rassemblés, les morceaux ont pu être recollés. L'accident nous a procuré l'occasion d'étudier l'armature interne de ce curieux objet; un canal de six millimètres foré dans chaque face a été rempli par du plomb liquide. Sur l'une des grandes faces, ce plombage a pris la forme d'un large champignon aplati et lissé à la surface. Lorsque l'objet blessé, couché entre des tampons de coton dans une petite boîte, arrivait à l'atelier de la Mission, M. Hafez s'exclamait : « mais c'est un *ka'ab* », c'est-à-dire un osselet alourdi, dont on se sert encore aujourd'hui dans les vieux quartiers des villes et dans les campagnes syriennes pour jouer. M. Hafez et M. Adnan Bouni qui pendant notre dix-huitième campagne représentaient la Direction des Antiquités auprès de la Mission, m'expliquèrent ensuite que dans ce jeu il s'agit de jeter le « *ka'ab* » de telle manière qu'en retombant il renverse un nombre maximum d'autres osselets. Appelé en syrien : *Mourasasse* ou *Sakka*, le *Ka'ab* plombé était ainsi capable d'écarter et de « vaincre » les osselets ordinaires plus légers.

Je ne sais si l'on a jamais trouvé dans un autre site de la haute antiquité orientale un pareil osselet plombé. Je me souviens, cependant, de tout un jeu d'*astragaloï*, environ soixante pièces, provenant d'une tombe lydienne de Sardes, exposé à l'Ashmolean Museum à Oxford. Parmi ces osselets plusieurs sont armés de plomb exactement comme le *Ka'ab* d'Ugarit. Mais précisément dans le même musée, a été placé à côté des osselets de Sardes, une série d'astragales artificielles en bronze en plomb et en verre, d'époque romaine ou

et de bêtes de traits utilisées pour l'évacuation des terres, cette concentration du chercheur qui est indispensable pour qu'une fouille archéologique soit œuvre scientifique, et non pas destruction irréparable de précieux témoignages du passé, il faut que l'archéologue soit armé d'une solide résistance physique et d'un enthousiasme sans défaillance.

Dans le cas précis que je voudrais ici signaler les efforts dont je suis redevable à mes collaborateurs ont permis de constater la curieuse association, parmi les trouvailles faites dans le palais de tablettes en cunéiformes et de vestiges de l'activité d'orfèvres ainsi que d'armes offensives ou défensives destinées à des officiers ou hommes de la garde royale. Maintenant que nous disposons de plusieurs centaines d'observations concluantes, il est possible d'affirmer qu'il ne s'agit pas ici d'un mélange dû au hasard ou à l'activité des chercheurs de trésor.

Le mélange de tablettes, de pièces ou d'outils d'orfèvres ou de bijoutiers, et d'armes, est, en effet, exclusif d'autres catégories de trouvailles. La forte concentration dans les locaux contigus les uns des autres, prouve, d'autre part, que ces objets ont été retrouvés à l'emplacement même où ils furent jadis conservés, ou à quelques mètres seulement de distance de leur gisement. Enfin, l'observation s'applique à la distribution des mêmes objets dans deux Archives différentes, situées aux extrémités opposées du vaste bâtiment, les Archives Est dans l'aile nord-est, les Archives Sud et Sud-Ouest dans l'aile sud du palais,

L'inventaire des objets trouvés dans les locaux des Archives Est, Sud, et Sud-Ouest ou dans leurs voisinages immédiats montre que dans la même région du palais étaient installés des ateliers où travaillaient des orfèvres ou des bijoutiers, ce dont témoignent les moules pour parures, les blocs bruts de pierres précieuses (calcédoine, malachite, lapis lazuli, cornaline), les poids et objets divers (statuettes, coffrets en ivoire, vases en albâtre).

A côté des Archives Centrales, nous avons retrouvé, d'autre part, l'atelier d'ivoirier avec de nombreuses pièces inachevées (cf. Annales, IV-V, [p. 151]). Le produit de ces ateliers n'était, sans doute, pas exclusivement destiné à l'usage des rois ou aux familiers de la cour.

Quand nous parcourons, parmi les documents retrouvés dans les Archives, les traités accompagnés d'inventaires de cadeaux ou de tributs fournis par les rois d'Ugarit à leurs suzerains d'Egypte ou aux rois des pays voisins, no-

babylonien. L'une de ces lettres contient des salutations de la part du roi et de la reine d'Ugarit, destinées à leur suzerain.

Enfin, les Archives Sud-Ouest ont restitué un genre de document jusqu'ici unique, et qui lui est donc propre : il s'agit de copies ou de traductions en ougaritique, rédigées en cunéiformes alphabétiques, de lettres dont les originales étaient sans doute en babylonien. Ces lettres émanent des rois du Hatti, de Tyr, et de Byblos. Les scribes des Archives Sud-Ouest semblent donc aussi avoir eu la mission de traduire les messages reçus de l'étranger, dont l'administration royale tenait à posséder une copie dans la langue du pays. L'un des abécédaires retrouvés dans ces Archives nous l'avons déjà dit, constitue précisément un tableau synoptique mettant en regard les signes cunéiformes de l'alphabet d'Ugarit et ceux du syllabaire babylonien, permettant ainsi au traducteur de passer commodément d'un système d'écriture à l'autre.

Manufactures royales dans le palais d'Ugarit. — Au cours de nos recherches en 1955 parmi les ruines de l'aile sud et sud-est du palais, les architectes et topographes de la mission ont pris la peine comme pendant les campagnes précédentes, de fixer sur le plan du bâtiment, au fur et à mesure qu'il furent dégagés, tous les objets, et jusqu'aux plus insignifiants, trouvés dans les terres. Cela représente quelques mille mesurations. Il s'agit d'établir la profondeur par rapport au niveau actuel et la distance par rapport au sol ancien, ensuite de fixer la situation topographique précise, par triangulation. Ces opérations doivent être poursuivies sans interrompre la conduite générale des fouilles, ni la surveillance des ouvriers dont les pioches ou piochons continuent à s'enfoncer dans une terre renfermant les témoins d'un lointain passé. Non seulement son contenu archéologique est à examiner, mais il convient d'observer constamment sa texture, sa densité et sa couleur, selon qu'il s'agisse d'un enfouissement dû à l'action du temps, ou à l'activité humaine, de simples remplissages, ou, au contraire, de couches archéologiques témoignant d'une rupture stratigraphique ou d'une catastrophe ancienne, de sols ou d'aires de terre battue, foulés dans l'antiquité, ou encore, de ces aménagements très divers, entrepris pendant la haute antiquité pour mettre à l'abri les trésors ou les objets du culte pour en éviter la profanation.

Afin de pouvoir maintenir, sous un climat parfois éprouvant, au milieu des mouvements et des bruits de plusieurs centaines d'ouvriers, de véhicules,

ration) spécifie qu'une propriété d'un certain *Urhi* — (?), fils d'*Ehli* — *usuḥ*. est confiée par le roi Ammistamru à un personnage dont le nom est perdu par une brisure de la tablette. Le scribe Jadidu était en fonction dans les Archives Centrales du temps du règne de Niqmépa et celui de son fils Ammistamru. L'acte de donation rencontré dans les Archives Sud-Ouest fait partie d'un dossier concernant Nurhijanu et ses fils, dont les autres pièces signées du même scribe ont été conservées dans les Archives Centrales. En avait-il été retiré temporairement, ou, bien, hypothèse préférable ce document rédigé dans les Archives Centrales par le scribe Jadidu et pourvu de l'empreinte du sceau dynastique, avait-il ensuite été porté « à côté », et cuit dans le four des Archives Sud-Ouest ? Selon les observations faites pendant nos fouilles, des quatre centres de scribes indentifiés à l'intérieur du palais, (dans le cinquième, les Archives Sud, n'ont été conservées que des documents de provenance étrangère), un seul (les Archives Sud-Ouest) était pourvu d'une installation pour cuire les tablettes fraîchement rédigées. Celle-ci semble donc avoir servi à l'ensemble des bureaux ou administrations logés dans le palais.

Nature des Archives Sud-Ouest. — Pour identifier la nature des Archives Sud-Ouest il faut tenir compte aussi des tablettes retirées du four, les dernières qui aient été rédigées avant la destruction de l'aile sud du palais. Ainsi, ces Archives auraient fourni, en excluant les trois fragments politiques recueillis dans l'annexe, en tout 147 documents dont 15 lettres, 14 listes de corporations ou de villes, 39 registres nominatifs, 39 tablettes économiques, 27 textes religieux, 1 acte de donation royale, 2 documents politiques, et deux abécédaires. Les textes y sont donc de catégories fort diverses et plus variées que dans les autres quatre centres de tablettes jusqu'ici identifiés dans le palais (cf *PRU*, III, et IV).

Il n'est ainsi, pas facile de déterminer la nature des Archives Sud-Ouest. Peut-être la présence du four nous permet de les considérer comme une sorte de bureau de triage où l'on centralisait les textes fraîchement rédigés par les scribes dans les diverses administrations pour la cuisson, et d'où on les répartissait ensuite de nouveau vers les Archives qui devaient en assurer le classement et la conservation. Peut-être, les scribes des Archives Sud-Ouest se chargeaient aussi de l'expédition des textes destinés aux provinces ou à l'Étranger. En effet, ces Archives contenaient deux lettres rédigées à l'aide de l'écriture utilisée pour la correspondance en dehors du royaume, le cunéiforme

L'étude des cylindres syriens du deuxième millénaire et de la glyptique d'Ugarit en particulier, conduit à la même observation. On doit donc s'étonner de la tendance chez de nombreux historiens modernes de chercher l'origine des sacrifices d'enfants chez les anciens habitants de la Mésopotamie septentrionale et de la Syrie, notamment chez les Cananéens. On en prend prétexte pour reprocher à ces derniers tous les vices, parfois en renchérissant même sur le jugement des écrivains hébreux qui, eux, avaient le besoin de justifier la conquête. Nous montrerons, le moment venu, qu'un examen des textes et monuments d'Ugarit conduit à une éclatante réhabilitation de la civilisation cananéenne. D'ailleurs, en ce qui concerne les sacrifices d'enfants, à Carthage aussi, il ne s'agissait pas en réalité d'enfants vivants offerts à la déesse Tanit; mais d'enfants mort-nés ou décédés en bas-âge qui furent enterrés dans des cimetières spéciaux près de son sanctuaire la mortalité infantile ayant été dans ces pays jadis, comme encore de nos jours, très élevée. La découverte de ces cimetières [d'enfants avait fait naître déjà dans l'antiquité l'idée de sacrifices que certains archéologues ont pris à leur compte. Quand on cherche des preuves épigraphiques et archéologiques irréfutables là, comme dans le milieu cananéen beaucoup plus ancien d'Ugarit, l'hypothèse s'évanouit.

Un acte de donation royale. — Un seul document des Archives Ouest constitue un acte de donation. Le plan de ce document, muni de l'empreinte du sceau dynastique original, était évidemment dans les Archives Centrales du palais, où tous les autres actes de donations royaux observés par nous *in situ* ont, sans exception été, jadis, conservés (cf *PRU*, III, p. XXIII et suite). Comme le centre de ces Archives n'est distant que d'une vingtaine de mètres de l'emplacement où a été recueilli l'acte de donation des Archives Sud-Ouest, on aurait pu admettre qu'il s'agit là d'un texte déplacé après la destruction du palais par les travaux de cultures, ou par des chercheurs de trésors, qui ont fait maintes fouilles désordonnées à l'emplacement du palais; antérieurement au début de nos recherches en 1929. Cependant, cette hypothèse est à exclure du fait que la tablette a été trouvée *in situ* parmi les cendres accumulées sur le sol des Archives Sud-Ouest, sous des strates archéologiques intactes, épaisses ici de 3 m 10. L'acte de donation d'Ammistamru, au moment de la destruction de l'aile sud du palais, se trouvait donc bien parmi les tablettes des Archives Sud-Ouest.

Voici les caractéristiques de ce document : rédigé et signé par le scribe *Jadidu*. l'acte, selon la traduction de M. Nougayrol, (cf. *PRU*, VI, en prépa-

nous cache, cependant, ce que faisait Astaré, si elle épargnait la biche, ou si elle la tuait. Sa passion de chasserresse l'aura-t-elle emporté ? Plus loin, en effet, lorsque le récit reprend, nous apprenons qu'elle donne à manger au dieu-lune Jarih.

Parmi les tablettes religieuses de grand format recueillies parmi les cendres de l'incendie des Archives Sud-Ouest, l'une est écrite « en large », c'est-à-dire que les lignes de texte sont parallèles aux côtés longs du documents. Il représente une sorte de catalogue de cérémonies cultuelles qui étaient accompagnées de libation de vin qualifié de *msb*. Les dictionnaires d'Ugarit étaient fort riches en appellations pour le vin ; on en connaît plus d'une douzaine dont par exemple, le « vin bon » (*yn tb*) ou qui « n'est pas bon » (*yn i tb*), le « vin piqué » (*hlq*). Le qualificatif *msb* n'a pas encore pu être identifié, mais selon M. Virolleaud, il semble bien qu'il s'agisse d'un vin de qualité moyenne, qu'on donnait, d'après un autre texte aux hommes d'armes et aux gardes du corps.

Le vin *msb* était fourni par quatorze centres viticoles énumérés sur notre texte et ces quatorze localités ont donné pour le culte, en tout, 74 récipients ou jarres appelés *kd* ou *kad*, dans notre texte, mot que les Grecs emprunteront sous la forme de *kados*.

Au début du document, on lit : *yn dykl bd* (), *b dbh mlk* : « vin qui a été (ou sera) livré à N (pour être consommé ?) dans le sacrifice *m-l-k* (ou repas de sacrifice).

Le mot de trois consonnes dont nous ignorons la vocalisation, va évidemment poser la question de savoir si le vin *msb* était destiné à un sacrifice de *mol**k*, terme qui en phénicien punique de basse époque a été considéré comme signifiant l'holocauste d'enfants nouveaux-nés à la déesse Tanit-Astarté.

Précisant qu'il faut lire ici Melek, c'est-à-dire « sacrifice au (moins probablement par le) roi » le traducteur repousse la lecture *mol**k* qui risque de ranimer la discussion autour de ces cruelles pratiques.

On a admis par inférence qu'elles existaient aussi chez les Assyriens, quoique les documents en cunéiformes n'y fassent aucune allusion. Si d'autre part, certains cylindres babyloniens semblent représenter des scènes de sacrifices humains, dont l'interprétation n'est d'ailleurs pas toujours certaine, il ne s'agit jamais d'enfants mais d'adultes et, parfois sans doute, de prisonniers de guerre.

D'autre part, sur le texte mutilé 19.59, on lit par trois fois : « *ybs'r qds* », donc probablement : « annoncer une (bonne) nouvelle (du ? par le ?) saint-sacré ».

Il s'agit là de tablettes d'assez grandes tailles, à l'exception du texte 19.39, qui ne mesure que 73 mm. en hauteur et 52 mm. en largeur, mais atteint au milieu de la section transversale, une épaisseur de 32 mm. La tablette a donc la forme d'un coussinet. Lisse à la surface, des deux côtés d'une écriture très fine mais un peu irrégulière, elle tient dans le creux d'une main et, à cause de sa forme fortement bombée, on la retourne avec le même plaisir que l'on éprouve en égrenant les grosses perles en ambre d'un chapelet. En inventoriant la tablette, au camp de la mission, le soir, à la lumière de ma lampe à pétrole, je constatais que je la faisais ainsi rouler dans ma main presque sans m'en apercevoir. Il s'agit sans aucun doute d'un texte présenté pour pouvoir être manié et emporté facilement. Son format réduit et son épaisseur le rendait « pratiquement » incassable.

En présentant cette tablette à l'Académie des Inscriptions dans la séance du 10 février 1956, M. Virolleaud a précisément remarqué qu'elle n'a ni la forme ni les dimensions des tablettes poétiques et mythologique, jusqu'ici connues, d'Ugarit, et qu'elle provenait d'une bibliothèque privée, celle d'un personnage du nom de Šabel. Ainsi semble se confirmer l'hypothèse antérieurement formulée que des Ugaritiens dévôts avaient conservé dans leurs maisons ou offices, des textes religieux en cunéiformes, comme nous détenons aujourd'hui un Koran, une Bible, un livre de prières ou un missel. La petite tablette présente encore un autre intérêt. Elle nous révèle un épisode inconnu jusqu'à présent, du vaste poème mythologique qui portait simplement comme titre le nom de Baal, et dont nos fouilles entre 1929 et 1932, à l'emplacement de la bibliothèque du Grand prêtre d'Ugarit, entre les temples de Baal et de Dagon, avaient produit de grands morceaux. Sur la tablette de la bibliothèque de Šabel, le dieu Baal, surnommé le Chevaucheur des nuées, est assisté, non pas comme d'ordinaire, par sa soeur Anat, mais par une autre déesse 'strt, donc Astarté, surnommée ici la chasseresse. Notre texte l'a décrit errant dans le désert ou dans la steppe où, à un moment donné, levant les yeux, elle aperçoit un biche. Certes, cette rencontre d'une divinité ou d'un héros avec une biche ou un cerf est un épisode favori de tant de récits mythologiques dans tant de civilisations. Mais notre texte de Ras Shamra en fournit l'une des versions les plus anciennes, sinon la première, jusqu'ici connues. Une brisure fâcheuse du texte à ce passage

(6)

donc d'Alasia ou l'île de Chypre. Ce bateau avait rallié le port *atlg*, lire Atalig. Le texte mentionne d'autre part, quinze talents de métal *šlš*, il s'agit donc de cuivre chypriote.

Constitution d'un tribut à verser au roi hittite. — Pendant notre onzième campagne de fouilles au début de l'année 1939, en explorant l'angle Nord-Ouest du palais, nous avons trouvé deux documents politiques ou diplomatiques qui parlent l'un et l'autre de cadeaux ou tributs à fournir par le roi d'Ugarit à des rois portant le titre de « soleil », dont l'un reste à identifier, l'autre étant : Suppiluliuma, le roi hittite. Dans les deux cas, les « cadeaux » consistaient en vases d'or et d'argent, en pierres précieuses, et en vêtements ou étoffes de laine pourprée. Ils avaient donc été prélevés sur le trésor royal ou confectionnés sur ordre du roi (cf. *Syria*, 1940, p. 253).

Une tablette incomplète, rédigée en cunéiformes alphabétiques avec un résumé en babylonien, trouvée à deux mètres 60 de profondeur, dans la pièce 81, et qui provient du premier étage des Archives Sud-Ouest, nous fait connaître, maintenant, comment a opéré le roi d'Ugarit pour alimenter le trésor royal, en vue du paiement des cadeaux ou tributs dus à ses suzerains ou destinés à certains chef de pays voisins dont il désirait s'assurer la bienveillance, l'amitié, ou le concours militaire en cas de complications internationales.

Il faisait alors lever un impôt extraordinaire sur toutes, ou une partie, des villes et localités de son royaume. La tablette que nous venons de trouver constitue, en effet, une longue liste, encore qu'elle est incomplète, énumérant quatre-vingt villes ou villages ainsi taxés. Les contributions exigées varient de 13 à 150 sicles. Au total, plusieurs milliers de sicles d'argent, donc plusieurs dizaines de kilogrammes de ce métal ont ainsi été recueillies pour fournir ce que la liste nomme en toutes lettres : *l'argaman*, ou le tribut, destiné au « soleil ».

Tablettes liturgiques ou religieuses. — Cinq textes trouvés dans les Archives Sud-Ouest entrent dans cette catégorie. Gravement mutilés pendant l'incendie de l'aile sud du palais, leurs fragments ont été recueillis parmi les cendres qui recouvrent le sol de la pièce 81. Sur plusieurs textes, on ne peut, pour l'instant, déchiffrer que quelques membres de phrases que M. Virolleaud a bien voulu me signaler. Ainsi, sur la tablette 19.13, partiellement reconstituée à l'aide de nombreux morceaux, à la première ligne on lit : « Quand le roi voit *rsp* (le dieu Reshef) », et sur le petit fragment 19.179. on rencontre le *ht škl* que *Môt-et-Sar* tient entre ses mains et qui a été traduit par sceptre de l'infécondité

rit, on peut se demander, en effet, quel intérêt il pouvait y avoir à énumérer sur une tablette si bien écrite, comme celle-ci, des transactions aussi vagues, dépourvues de toute indication pratique. Même si nous admettons qu'il s'agit là de la pièce comptable d'un commissionnaire qui exécutait des ordres pour des tiers, sans chiffres, l'énumération de ces achats ne pouvait avoir qu'un faible intérêt statistique. Reste, évidemment, l'hypothèse qu'il s'agit là de l'exercice d'un scribe.

Un petit fragment de tablette retiré d'un amas de textes broyés par la chute des blocs lors de l'effondrement du premier étage, se rapporte à l'une de ces distributions de vêtements qui, sur ordre du roi, ont eu lieu périodiquement dans le palais. Parmi les documents des Archives Sud-Ouest, nous rencontrons aussi pour la première fois des listes de distribution d'outils qui, à en juger d'après les trouvailles, sont faits de bronze : haches, faucilles, marteaux et deux autres sortes d'outils, non encore identifiés, *krk* et *nit*.

Sur une autre liste 1949 sont mentionnées certaines quantités d'arcs, de carquois, de frondes et de lances. Normalement, ces types d'armes semblent avoir été destinés à l'équipement de l'armée royale ou de la milice, stationnée dans les provinces, comme nous pouvons le conclure d'après des textes semblables, mais plus complets, retrouvés ailleurs dans le palais, et aussi dans la résidence du gouverneur militaire d'Ugarit. Mais, dans le cas de la nouvelle liste des Archives Sud-Ouest, d'après le déchiffrement de M. Virolleaud (cf. *PRU* V, en préparation), il semble bien que cet équipement qualifié de *kn* (solide) était réservé aux membres d'une corporation dont le nom se termine par *dm*, et qui pourrait être les *nqdm*, c'est-à-dire : les bergers. Il est un fait que dans certaines régions montagneuses et boisées, non loin de Ras Shamra, encore aujourd'hui, les troupeaux doivent être protégés contre l'attaque des loups, des ours (une espèce de petite taille) et des panthères (dont on m'a dit, à plusieurs reprises, qu'elles sont noires).

Parmi les autres textes économiques retirés des Archives Sud-Ouest, plusieurs font allusion à des troupeaux de moutons confiés à la charge de diverses personnes, et à des boeufs de labour, énumérés par groupes de cinq, six et dix paires.

Dans l'angle de la cour V, en avant de l'escalier 80, plan I, parmi des décombres provenant de l'effondrement du premier étage des Archives Sud-Ouest, nous avons recueilli un texte mutilé que fait allusion à un bateau *d'alšy*,

pelés dans le préambule d'un traité conclu entre Tudhaliya IV et le successeur de Bentesina sur le trône d'Amurru, Shaushgamuwa. Il est possible que la lettre au roi d'Ugarit retrouvée dans l'annexe des Archives Sud-Ouest, date précisément du temps d'exil de Bentesina, ce qui expliquerait à la fois l'absence du titre de roi et l'excessive humilité du ton de ce document.

Parmi les documents administratifs des Archives Sud-Ouest, quatre constituent des listes énumérant un assez grand nombre de villes ou villages du royaume. Elles ont dû servir au percepteur du royaume pour l'établissement des rôles d'impôts, ou pour la répartition des corvées en vue des travaux d'utilité publique. Ainsi, plusieurs localités étaient tenues à fournir un nombre d'ânes et d'hommes pour les transports. Trois autres listes qui énumèrent des champs de diverses autres localités se présentent comme des extraits d'un cadastre. L'administration centrale à Ugarit avait, en effet, procédé à un recensement des propriétés foncières du pays, ce dont témoignent diverses listes dressées avec soin retrouvées dans les Archives Est et dans le bureau 73 du palais.

Dans la pièce 81 des Archives Sud-Ouest, nous avons recueilli aussi quatorze registres nominatifs d'hommes ou de chefs de famille classés tantôt d'après les localités où se trouvaient leurs domiciles, tantôt d'après le pays dont ils étaient originaires. Parfois le classement s'opère par profession, ainsi une liste énumère des prêtres, deux autres des bergers. Sur une autre liste, il s'agit de gens au service du roi ou de la reine. Fonctionnaires ou serviteurs, les gens du roi avaient droit à des rations de denrées.

Non moins varié et instructif est le contenu des quelques vingt textes proprement économiques ou comptables, retirés des Archives Sud-Ouest. Parmi des marchandises diverses, sont mentionnés 4200 sicles lourds de métal *šlš* (cuivre) et 2 talents 2500 sicles lourds de pierres *srp*.

Retrouvée intacte à 2 m 30 de profondeur dans la pièce 81, la tablette 1962 ayant trait au commerce de la laine, pose un problème. M. Virolleaud signale que sur ce texte sont énumérés un assez grand nombre d'achats de laine, faits par des travailleurs ou des ouvriers, qui sont simplement identifiés par leur métier. Ainsi, on y lit : cinq cultivateurs ont acheté de la laine, dix maçons ont acheté de la laine, et ainsi de suite. Comme ni le nom des acheteurs, ni celui des vendeurs ne sont mentionnés, ni la quantité ou le poids de la laine, ni son prix, comme il est le cas sur d'autres comptes de laine retrouvés à Uga-

tiques rangés dans l'ordre conventionnel, mais disposés cette fois en colonnes, les signes du syllabaire babylonien qui leur correspondaient phonétiquement. Le tableau ainsi obtenu comprenait primitivement quatre colonnes. Cependant, la tablette ayant été gravement mutilée pendant l'incendie du palais, il ne subsiste que les dix premières et les dix dernières lettres de l'alphabet avec leurs équivalences babyloniennes. Tel qu'il se présente, le document enrichit cependant considérablement notre connaissance de la phonétique ougaritique et montre aussi de quelle façon les scribes de ce pays ont vaincu la difficulté de passer d'un syllabaire de plusieurs centaines de signes à une écriture alphabétique qui n'en comprenait plus que trente.

Dans l'annexe de Archives Sud-Ouest, pièces 83 et 84 ne furent recueillis que trois fragments de tablettes, dont l'une constitue une lettre du roi Bentesina, les autres des documents hittites dont un fragment de traité, le second étant illisible. Incomplet, et quelque peu usé comme s'il était resté pendant un certain temps, exposé aux intempéries avant d'être recouvert par l'écroulement des murs du palais, la lettre du roi Bentesina contient la phrase suivante : « Aux pieds de mon maître, je tombe. Puisque le roi, mon maître, s'est enquis de mes nouvelles, mon maître, quant à moi, je vais bien » (traduction de M. Nougayrol, cf. *PRU*, VI, en préparation). Malgré l'absence de titres dans le préambule, il est probable qu'il faille considérer le Bentesina de notre document comme le chef ou le roi d'un pays voisin d'Ugarit, et, dans ce cas, il ne peut s'agir que du roi d'Amurru. Bentesina d'Amurru, en effet, était devenu le beau-père du roi d'Ugarit. L'une de ses filles avait épousé Ammistamru (II), mariage politique, sans doute, qui devait sceller l'amitié entre deux pays animés, devant les mêmes adversaires, d'un égal esprit d'indépendance. On comprend qu'ils s'étaient ligüés précisément au temps du règne de Bentesina, dont les tendances pro-égyptiennes devaient répondre aux sentiments des roi d'Ugarit. Aussi, le roi hittite Tudhaliya IV avait-il pris ombrage de ces développements. Pour les enrayer, il obligea le roi d'Ugarit de répudier la princesse amorrhéenne, sous prétexte qu'elle n'avait cessé « d'inspirer le mal » à son époux, selon les propres termes de l'acte du divorce, retrouvé en 1953, parmi les documents hittites conservés dans les Archives Sud du palais d'Ugarit (cf. *Ugaritica*, III, p. 14 et *PRU*, IV, p. 126). Bentesina de son côté, dut subir les foudres du roi de Boghazkeuy. Par un coup de mains, Muwattali l'avait écarté de son trône, exilé en Hatti et accusé d'un complot pro-égyptien. Ces événements sont rap-

en cunéiformes alphabétiques, dans les Archives Sud-Ouest les textes en cunéiformes syllabiques babyloniens sont en forte majorité : douze contre cinquante-deux en ougaritique. Il s'y ajoute, en outre, vingt et une tablettes en langue hourrite, la plus forte concentration jusqu'ici observée dans les archives du palais de ces textes encore indéchiffrables. Ainsi, déjà du point de vue statistique, les deux Archives logées dans des locaux bordant la cour V, si proches les uns des autres, sont nettement différentes. La distinction est encore plus frappante quand on considère la nature des documents. Dans les Archives Sud ne furent classés que des textes rédigés à l'Etranger, traités et accords économiques ou juridiques réglant les relations entre le royaume et les pays au-delà de sa frontière nord, qui reconnaissaient l'autorité des rois hittites. Les textes des Archives Sud-Ouest, par contre, concernent surtout l'administration et l'économie intérieure du pays d'Ugarit : quarante-deux documents sur un total de cinquante-sept jusqu'ici déchiffrés entrent dans cette catégorie.

Nous avons constaté la même prépondérance parmi les tablettes, toutes en cunéiformes alphabétiques, retirées du four : cinquante textes économiques ou administratifs sur un total de soixante-et-un documents identifiés. La dernière fournée de tablettes trouvées dans le four a donc dû être rédigée par les scribes des Archives Sud-Ouest, et non par ceux des Archives Sud. Ceux-ci ne semblent, d'ailleurs, n'avoir exercé aucune activité de rédaction, ils faisaient essentiellement fonction d'archivistes, classant les documents reçus à Ugarit, en provenance des pays hittites du nord. L'absence, dans les Archives Sud, d'abécédaires ou d'exercices de scribes, s'accorde avec cette observation.

Dans les locaux des Archives Sud-Ouest, voici comment se présente l'inventaire des textes qui ont pu être récupérés dans un état permettant leur identification : 5 lettres, 7 listes de villes et de propriétés, 14 registres nominatifs, 21 tablettes économiques, 26 textes mythologiques ou religieux dont 21 rédigés en langue hourrite. En plus de ces catégories, les Archives Sud-Ouest ont restitué deux inventaires de cadeaux du roi « soleil », un acte royal, une liste de bateaux, et deux abécédaires, dont l'un constitue un tableau synoptique des écritures ougaritique et accadienne (cf. *PRU*, II, p. VI et 201). Il atteste de la part de l'auteur, en plus de la connaissance de l'écriture alphabétique d'Ugarit, celle du syllabaire assyro-babylonien. C'est pour pouvoir passer commodément d'une écriture à l'autre au moment de traduire des textes, que le scribe avait rédigé ce tableau synoptique ugarito-accadien en plaçant en face des signes alphabé-

Les murs de ces pièces à l'angle sud-ouest du palais sont moins larges que ceux des Archives Sud-Ouest et Sud de la cour V. Ils sont simplement adossés à ces derniers, sans joint structural. Les pièces 82 à 84 constituent donc, incontestablement, un agrandissement non prévu dans le plan original de l'aile sud, qui elle-même est une addition au corps central du palais. La porte ouest de la pièce 81, qui donnait primitivement sur l'extérieur du bâtiment, fut, à cette occasion, remplacée par une porte au milieu du mur ouest de la pièce 84, munie d'un couloir intérieur.

Lors de l'incendie du palais, et de l'écroulement de la partie supérieure, des murs, les tablettes classées ou en cours de rédaction dans la pièce 81 et dans les pièces du premier étage des Archives Sud-Ouest, ont été fortement endommagées. La plupart furent retirées de l'épais matelas de cendres qui recouvre la plancher, ainsi qu'une partie du dallage, en avant des portes qui donnent sur l'intérieur de la cour V. La chaleur du brasier fut telle que certains des textes ont éclaté ; les fragments portent des boursoufflures, ou sont entièrement calcinés, ce qui rend la lecture difficile, parfois impossible.

Parmi les terres, nous avons observé des poches de poudre provenant de tablettes insuffisamment cuites ou non-cuites, et qui s'étaient entièrement décomposées. Quelle déception pour le fouilleur quand, après des semaines de recherches, sous une chaleur souvent pénible ou dans la poussière soulevée par le vent, il se penche sur des cendres parmi lesquelles ses yeux ne distinguent plus que les contours de tablettes plusieurs fois millénaires, à jamais perdues pour la science. Il faut qu'il donne alors à l'ouvrier l'ordre d'abandonner sa trouvaille et, ce qui fut jadis un texte rédigé par un scribe du palais royal d'Ugarit, aux XIV^e ou XIII^e s. a. n. è. est soulevé en poudre dans le creux d'une pelle et lancé sur le tas de déblais au bord de la tranchée.

Heureusement, la majorité des tablettes retrouvées dans les Archives Sud-Ouest n'étaient pas dans cet état désespéré. Et même parmi celles qui étaient le plus compromises par le long séjour dans la terre cendreuse, quelques-unes ont pu être consolidées par M. Raïf Hafez, l'habile chef des laboratoires des Musées nationaux de Damas, qui nous a prêté, ici encore, le concours de son expérience. Ainsi une centaine de tablettes ou de grands fragments ont finalement pu être sauvés des Archives Sud-Ouest du palais.

Tandis que, parmi les tablettes des Archives Sud, du côté opposé de la cour V, sur 124 textes identifiés, il n'y en avait qu'un seul qui était rédigé

part, la Mission a bénéficié de l'hospitalité de l'Institut Archéologique dirigé par notre confrère et M. H. Seyrig et de l'aide de son secrétaire M. Abdel-Nour. A tous je remercie ici sincèrement de leur collaboration.

Les fouilles de la XIXe campagne ont été consacrées à l'exploration de l'aile sud du palais et aux terrains immédiatement voisins. Elles ont amené la découverte d'un nouveau bâtiment officiel de l'ancienne Ugarit désigné pour l'instant sous le nom de Petit Palais.

Découverte des Archives Sud-Ouest. La découverte dans l'angle sud-ouest de la cour V du palais, d'un four à cuire des tablettes, pendant notre précédente campagne de fouilles (1954, cf. *Les Annales Archéologiques de Syrie*, IV-V, p. 153), nous a amené à chercher le secrétariat, où étaient installés les scribes qui avaient rédigé les quelques cent documents retrouvés *in situ* parmi les cendres de la dernière fournée. Sans doute, les Archives Sud devaient ici être exclues, quoique l'une de leurs portes d'entrée se trouve à trois mètres à peine de l'emplacement du four. Car les textes en cunéiformes babyloniens retirés de ces Archives se sont révélés être exclusivement originaires de la chancellerie des rois hittites au palais Boghazkeuy, s'ils n'avaient pas pour expéditeur l'un de leurs rois vassaux ou satellites, comme on dit aujourd'hui, principalement le prince de Karkémish. Or, les documents dont se compose le dernier chargement de notre four (cf. *Ugaritica*, IV en cours d'impression), au contraire, ont tous été écrits en cunéiformes alphabétiques par des scribes installés au palais même d'Ugarit.

Les locaux où ils ont travaillé ont pu être identifiés dans le bâtiment qui borde la cour V immédiatement à l'ouest, et dont les murs du premier étage, en s'écroulant, avaient écrasé le four aménagé dans l'angle sud-ouest de cette cour. Désignés par nous sous le nom d'Archives Sud-Ouest, ces locaux comprenaient, au rez-de-chaussée, une vaste pièce (81 du plan, pl. I) qui s'ouvre sur la partie dallée de la cour V, où se trouve le puits, et, au premier étage, une salle ou deux pièces contiguës, accessibles par une escalier qui subsiste, pl. I. Une porte étroite, placée dans l'angle nord-ouest de la pièce 81, communiquait avec des cabinets installés dans le réduit sous le plancher du palier de repos de l'escalier voisin, tandis qu'à l'ouest, une porte large de 1 m. 60, bordée de piliers en pierres de taille donne accès à une autre vaste pièce, 84 du plan, qui communique, à son tour, avec la pièce (ou cour intérieure) 83 et le réduit 82.

RÉSUMÉ DES RÉSULTATS

DE LA XIX^e CAMPAGNE DE FOUILLES A RAS SHAMRA-UGARIT, 1955

par

CLAUDE F. A. SCHAEFFER

MEMBRE DE L'INSTITUT, PROFESSEUR AU COLLÈGE DE FRANCE

La XIX^e campagne de fouilles de la Mission de Ras Shamra a eu lieu d'octobre à début décembre 1955. Elle fut facilitée de nouveau par le bienveillant accueil du Président de la République, S. E. Monsieur Shukri el Kouatli et l'attitude de son gouvernement si attentif au patrimoine archéologique et historique du pays. Les services officiels ont ainsi dans toute la mesure du possible contribué à rendre nos travaux féconds et notre séjour agréable. En particulier, le Dr. Selim Abdul-Hak, Directeur Général des Antiquités de Syrie et ses collaborateurs à Damas n'ont cessé de nous aider et conseiller. Deux membres de leurs services, MM. Adnan Bouni et Raïf Hafez nous ont assisté pendant toute la durée des travaux et ont prêté un concours des plus précieux aux recherches. A Lattaquié, auprès du Mohafez, S. E. Monsieur Moustafa el Hourani nous avons trouvé un appui amical et efficace. De même les autorités militaires, ainsi que la Municipalité nous ont rendu de multiples facilités et services qui ont permis d'accélérer nos travaux. De son côté, le groupe des Amis d'Ugarit, animé par M. Gabriel Saadé, nous a témoigné sa sympathie. Ainsi entouré et appuyé, nous avons pu pendant une nouvelle campagne nous consacrer à l'exploration d'Ugarit, l'un des hauts lieux de l'antiquité syrienne.

Nous ont accompagné et aidé pendant ces recherches, Madame Schaeffer et mes collaborateurs scientifiques et techniques de la campagne précédente : MM. Forrer, Kuss, de Contenson et Kuschke. En arrivant à Beyrouth et au dé-



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

mations certaines. Le nom du roi servi par le premier Tibérios Klaudios (ligne 5) nous échappe (1), l'Auranitide et la Batanée, limitrophes de la "ville" de *Neuè* (antique nom de Nawâ) (2) et de la "ville" grecque de Tafas (3), ayant changé de mains (4). On ne sait pas davantage "aux côtés de" quel chef (sans doute romain) le même personnage a "fait la guerre" (5); à moins que, par les "fugitifs" (?) mentionnés à la ligne 5 on ne puisse entendre les fils d'Antiochos IV de Commagène, qui en 72, s'étant battus contre Caesemius Paetus, s'étaient réfugiés auprès du roi parthe Vologèse (6).

R. Mouterde, S. J.

-
- (1) Il semble impossible de supposer que le nom de ce prince, après le titre *basileôs*, ait été rejeté à la ligne suivante, où on lirait *Jouliou Agrippa*. D'ailleurs l'estampage indique ici, après l'*alpha* initial, une lettre brisée, qui semble être un *phi*.
- (2) Nawâ occupe le point de la route Damas - Bostra d'où se détache un embranchement vers Beisân - Scythopolis; v. surtout Dussaud, *Topographie hist. de la Syrie*, p. 341. Dans son *Onomasticon* (p. 136, 2-3) Eusèbe signale la « ville des Juifs » (c'est-à-dire comptant une colonie juive) de *Nineuè*, que S. Jérôme corrige à juste titre en *Neuè* (grec), *Neve* sans doute en latin. Comme beaucoup de villes de la Décapole, *Neve* et sa voisine Tafas avaient leurs ères particulières; il est fait allusion à cette ère à la fin de l'inscription.
- (3) Nom antique inconnu. Trois inscriptions de Tafas ou du voisinage, dont l'une datée de 69 ap. J. C., mentionnent le « père de la ville » (Clermont - Ganneau, *Rec. arch. or.*, V, 1903, pp. 22-23; Mouterde, *Syria*, VI, 1925, p. 228, n° 8).
- (4) Ayant fait partie de la tétrarchie, de Philippe, mort en 34 ap. J. C., elles furent remises à Agrippa Ier, mort en 44. Entre 44 et 53, date à laquelle elles passèrent à Agrippa II, on ignore leur sort. Cf. Schürer, *Gesch. d. iüd. Volkes*, 4e éd., I, pp. 405, 425, 452.
- (5) Comparer, pour l'expression, l'éloge du navarque Séleukos, « qui a fait campagne avec nous », dans la lettre d'Octave aux habitants de Rhosos (*IGLSYR*), III, 718, 12).
- (6) Cf. Josèphe, *Guerre juive*, VII, 7, 1-2 et l'inscription de Ba'albek (Dessau, *Inscr. lat. sel.*, 9200). Josèphe n'indique que deux rois ayant participé aux opérations, Aristobule de Chalcis et Soëmos d'Ermèse; toutefois un contingent des troupes d'Agrippa II, roi de Judée, pouvait encore être joint aux troupes romaines, avec lesquelles elles firent campagne durant toute la « guerre juive »; dès 66, ce prince envoyait contre les Juifs ennemis de Rome 3000 cavaliers, sous un stratège (Philippos, fils de Iakimos) (qui ne peut être confondu avec le « Philippos, fils de D. » de notre inscription).

“ L'aïeul (?) Philippos, fils de D....., vecut 73 ans. Tibérios Klaudios de la tribu romaine Quirina et il fit la guerre aux côtés de contre (?) les “ fugitifs ” (?), il fut intendant du roi., vécut 53 ans. Joulios A (par adoption (?), par nature (?)) Tibérios Klaudios Philippos, fils (?) du précédent (?) et de Bérénice, vécut ... d'années ayant vécu 42 ans, Gaïos Joulios Ailianos aux aïeux, l'an selon l'ère de la ville ”.

La restitution et la traduction qu'on vient de lire sont en partie conjecturales et laissent subsister, bien des incertitudes. Toutefois deux faits saillants se dessinent, dans l'histoire de cette famille.

C'est d'abord le rôle joué à la seconde génération par un personnage qui obtint droit de cité romaine; le prénom et le gentilice qu'il reçut alors, *Tiberius Claudius*, sont ceux de l'empereur qui lui accorda ce titre, savoir Claude (41 - 54 ap. J.C. ou Néron (54-68)). Le nouveau romain restait d'ailleurs sujet et officier d'un des petits royaumes nés du morcellement du royaume d'Hérode ler; pareil cumul de la *civitas romana* et de fonctions indigènes se rencontre dès 47 av. J.C. chez le “ tout puissant majordome ” ou “ intendant ” d'Hyrkan II, Antipater, père d'Hérode (1).

Le second fait est, à la génération suivante, l'entrée dans la famille d'un autre citoyen romain, Joulios A....., qui semble avoir reçu ce nom par adoption, étant né Tibérios Klaudios Philippos, fils du premier Tibérios Klaudios et d'une noble femme, Bérénice; le nom de cette dernière implique quelque lien de sang ou de patronage avec une des trois Bérénières descendantes d'Hérode (2). Ce Joulios A..... est sans doute le père du dédicant Gaïos Joulios Ailianos (qui pourrait être le personnage, « âgé de 42 ans », et vivant, que mentionne le texte, ligne 9). Ainsi ce dédicant a dû vivre une trentaine d'années après le premier Tibérios Klaudios (promu citoyen romain entre 41 et 68, mort à 53 ans); c'est dire que la liste généalogique de Nawâ a été gravée durant le dernier quart du 1^{er} siècle de notre ère.

L'aspect des caractères s'accorde avec cette estimation et semble exclure une date plus basse.

Les graves lacunes du texte ne permettent pas d'en tirer d'autres infor-

(1) Josèphe, *Antiquités Judaïques*, XIV, 8, 3 et 5; *Guerre juive*, I, 10, 3. Cf. Wilcken, P W, s. v. *Antipatros* 17, col. 2511.

(2) Voir la table généalogique d'Hérode, dressé par M. Otto, P W, s. v. *Herodes*, Suppl. bd II, face col. 16.

NOTE SUR UNE INSCRIPTION MONUMENTALE DE NAWA

par

L E R. P. RENÉ MOUTERDE

Cette inscription était gravée sur un tombeau de famille. La dédicace " Aux aïeux ", qu'on lit après une liste de défunts, ne laisse aucun doute à ce sujet ; elle indique aussi, par la place qu'elle occupe dans l'axe médian du texte, que celui-ci est très incomplet, à gauche et à droite.

Au sommet, une première ligne contenait sans doute comme une sorte de titre, annonçant la liste généalogique. Plus bas, le nom du chef de la lignée était gravée en très grandes lettres ; suivaient la série de ses descendants, puis la dédicace notée plus haut, enfin une date suivant l'ère de la ville de Tafas (1) .

['Ο πρό]γονος (?)
 — — — Φίλιππος Δ — — — — —
 [— — — — — ἔφησεν ἔτη ογ'. Τιβ(έριος) Κ(αύδιος) Κυρ(είνα) —]
 [— — — — — καὶ συνεπολέμησεν — — — — —]
 5 [— — — — — τῶν φυγάδων(?), ἑπετρόνευσεν βασιλείῳς — — —]
 [— — — — —]ρ' ἔφησεν ἔτη νγ'. Ἰούλιος(?) Α[— — — —]
 [— — — — — Τιβ(έριος) Κ(αύδιος) Κυρ(είνα) Φίλιππος υἱὸς αὐτοῦ(?)]
 [— — — — —]οῦς Βερενείας : ἔφησεν ἔτη — — — — —]
 [— — — — — ἔφησας ἔτη μβ'. Γ(αίος) Ἰούλιος Αἰλίας(?) — — —]
 10 γονεῦσι
 [ἔτους] κατὰ θ' η[όλιν . . .]

1) Hauteur de l'estampage 0 m. 72; largeur maxima 0 m. 42. Hauteur des lettres 0 m. 34 (li. 1), 0 m. 07 (li. 2), 0 m. 028 (li. 3 - 9), 0 m. 015 (li. 10), 0 m. 03 (li. 11).

che freizulegen. Noch während wir in der obersten Schuttschicht steckten, erreichte uns die Nachricht vom Muhafaz in Hasseke, dass es ratsam sei, die Arbeit möglichst rasch abzuschliessen und das Land zu verlassen. Hätten wir den Schnitt III (III a) langsam in seiner ganzen Ausdehnung hinabführen können, so hätten wir wahrscheinlich bald den stratigraphischen Anschluss an die Schichten des 3. Jahrtausends gewonnen, denn in dem östlichen Schnitt III waren wir schon in verhältnismässig geringer Tiefe auf einige akkadische Scherben gestossen.

Die untere Hälfte des Hügels und die unmittelbare Umgebung musste unter den gegebenen Umständen einer späteren Untersuchung vorbehalten bleiben.

Vorläufig lässt sich zusammenfassend über den Tell Ailun Folgendes aussagen: Er ist eine der mittelgrossen Ruinen des Chabur-Dreiecks, kleiner als Tell Brak, aber grösser als die meisten Tells dieser Gegend. Sein unterer und demnach ausgedehnter Teil muss Reste aus dem Anfang des 3. vorchristlichen Jahrtausends enthalten. Die Schichten in mittlerer Höhe gehören wahrscheinlich in die Mitte und zweite Hälfte des 3. Jahrtausends. Die Überreste des 2. Jahrtausends stecken im obersten, demnach am wenigsten ausgedehnten Teil des Hügels. Ausgesprochen mitannisches, echte Nuzi-Ware z. B., hat sich bisher so gut wie gar nicht nachweisen lassen. Eine Grabung in grösserem Masstab, die es ermöglichen würde, zusammenhängende Gebäude mit ihrem eventuellen Inhalt freizulegen, setzt eine Beseitigung des islamischen Friedhofs auf dem Gipfel voraus, könnte dann aber auch wichtige Ergebnisse für die Geschichte des Churritertums im 3. und auch im 2. Jahrtausend liefern. Ob man dabei das Glück hat Schriftdenkmäler zu finden, die uns zugleich den Namen der Ruine in der Antike verraten, kann niemand voraussagen. Auch der Tell Brak hat bisher seinen alten Namen nicht hergegeben.

Die diesjährige Kampagne hat von meinen Mitarbeitern, Frau Dr. phil. U. Moortgat-Correns, Dr. phil. Barthel-Fritz Hrouda und Dipl. Ing. Hansjürgen Schmidt, Ausdauer und Entbehrung gefordert. Sie haben ihre ganze Kraft und ihr volles Können in gegenseitiger Hilfsbereitschaft eingesetzt, um ein Gelingen der Unternehmung zu gewähren.

Als die Gesundheit mehrerer Expeditionsmitglieder schon angegriffen war, hat uns Herr Prof. Dr. H. Otten durch seine Mitarbeit neuen Mut gegeben. Ihnen allen ist zu verdanken, was wir erreicht haben.]

Anton Moortgat

Unmittelbar östlich von Schnitt II, aber etwa zehn Meter höher, auf dem Kamm des Hügels, legten wir zunächst in der üblichen Ausdehnung von 4 x 10 m den *Suchschnitt III* an, den wir dann aber bereits nach drei Tagen auf eine Fläche von 20 x 10 m erweiterten. Der Schnitt III sollte uns Auskunft geben über die jüngste, weil höchstgelegene Schicht der Ruine. Die Wahl der Stelle wurde mitbestimmt durch eine besonders starke Anhäufung an der Oberfläche von bemalten Scherben der Chaburgattung, die in die erste Hälfte des 2. Jahrtausends zu setzen ist. Die Oberflächenfunde haben uns denn auch nicht irregeführt. Sobald die oberste lockere Schuttschicht abgetragen war, kamen in Mengen Scherben von kleinen und grossen Chaburgefässen zum Vorschein, teilweise mit der bekannten Ornamentik, vor allem den gegitterten Dreiecken, teilweise aber auch mit neuen Verzierungen (*Abb. 11*).

Aus derselben Schicht des Suschnittes III stammt ein Fragment eines *Wagenrades* mit aufgemalten kreisförmigen Streifen, sicher Teil eines *Votivwagens*. Ferner aber fanden wir hier ein interessantes Bruchstück einer *Terrakotta-Plastik* in etwa halber Lebensgrösse (*Abb. 12*). Wir erkennen den Kopf eines weiblichen Idols mit vogelartiger Physiognomie. Der vogelartige Charakter entsteht durch die schnabelförmig aus der Stirn ragende Nase, auf deren Seiten die beiden eng zusammenstehenden Augen angebracht sind, von zwei kreisrunden Löchern dargestellt, die von einem dick aufgesetzten Tonwulst umgeben sind. Unmittelbar über der Nase geht eine Frisur hoch, die von einem breiten Diadem gehalten wird und auf dem Hinterkopf ein flaches hängendes Rechteck von Zöpfen bildet. Die Backen sind vorgewölbt. An der Stelle der Ohren ragt jeweils ein Vorsprung seitlich heraus, der aber stark bestossen ist. Der Unterkiefer mit Mundpartie ist wohl nicht weggebrochen, sondern absichtlich nie ausgeführt worden. Ergänzt man den Kopf in Gedanken, so ergibt sich ein deutliches Gegenstück in vergrössertem Format zu zahlreichen kleinen Terrakotta-Figuren, die wir immer schon mit dem syrisch-nordmesopotamischen Kreis der churrischen Kultur zusammengebracht haben (1).

Um mehr zu erfahren über die churrische Siedlung des 2. Jahrtausends in Tell Ailun haben wir in den letzten Tagen unseres Verbleibs in Syrien den Schnitt III weit nach Westen über den Kamm des Hügels gezogen und dort unsere gesamte Arbeiterschaft eingesetzt um diesmal eine etwas grössere Flä-

(1) D. B. Harden, *Annals of Archeology and Anthropology* XXI S. 89 ff Tf. 12

halten, wie es auch schon Mallowan in Chagar Bazar getan hat (1). Eine Scherbe dieser Art wurde auf der Mauer aus grossformatigen Ziegeln gefunden, die somit einem grossen akkadischen Bau angehört haben könnte. In Tell Chuweira ist sie besonders zahlreich vertreten.

Stimmen diese Überlegungen, so gehen die Schichten des Tell Ailun, die etwa in halber Höhe der Ruine liegen, in die Zeit der ersten Dynastie von Ur und der grossen akkadischen Könige von Sargon bis Naramsin zurück. Es könnten auch die Schichten sein, die dem churrischen Reich des 3. Jahrtausends, dem Reich von Urkisch und Nawar entsprechen.

Der *Suchschnitt II*, der ebenfalls in einer Fläche von 4 x 10 m ungefähr in gleicher Höhe wie Schnitt I, dafür aber am Südhang des Hügels angelegt wurde, bestätigte die aus dem Schnitt I (I a) gewonnenen Erkenntnisse. Wir haben an ihm nur zwei Tage gearbeitet. Die keramischen Funde waren hier aber besonders reich. Sobald wir unter der Hügeloberfläche eine ungestörte Schuttschicht erreichten, tauchte sofort die eben erwähnte schwarzgraue, klingend hart gebrannte akkadische Ware auf. Dass sie tatsächlich aus der Akkadzeit stammt, wurde hier noch bekräftigt durch die Tatsache, dass im Suchschnitt II gleichzeitig viele schöngeformte Gefässe sich fanden, Kugelflaschen, Näpfe, eiförmige Becher, aus einem hellgelben oder rötlichen Ton, scharf gedreht aber ohne jegliche Verzierung, eine keramische Gattung, die auch in Tell Brak und Chagar Bazar zur Akkadzeit vorkommt (2) (*Abb. 10*).

Ausserdem lieferte der Schnitt II noch drei Fragmente des grössten Nive 5-Gefässes, eines schweren, dickwandigen tiefen Napfes mit dem typischen geritzten und vertieften Ornament. Auch hier lag diese Ware auf dem Tell Ailun mit der Akkad-Ware in einer Schicht. Wenn die Schnitte I (I a) und II, der eine am Nord-, der andere am Südabhang, beide in einer Höhe von etwa 20 m über der Ebene gleichartige Funde aufweisen, so muss man schliessen, dass der Tell Ailun in der 2. Hälfte des 3. Jahrtausends mit einer durchgehenden Besiedlung versehen war. Nur eine Flächengrabung könnte entscheiden, ob diese Siedlung wie in Tell Brak den erobernden Akkadern oder den einheimischen Churri zuzuschreiben ist.

(1) Iraq IX Tf. 39,4 S. 185

(2) Iraq IX Tf. 82, 1-4, 9,10, 11 und S. 257. Dazu V. Christian, *Altertumskunde des Zweistromlandes* S. 338.

geben (Abb. 7) . Die grösste Mauer, sicher ein Teil eines ansehnlichen Gebäudes, lag im Ostteil des Schnittes I, hatte eine Dicke von mehreren Metern und war aus rötlichen Luftziegeln errichtet vom Format 54,5 x 35,5 x 6 cm. Unter dieser Mauer kam eine dünnere zum Vorschein, deren Ziegel das Format 50 x 38 x 7 cm aufweisen. Auch im Schnitt I a wurden mehrere Mauern in verschiedener Höhe festgestellt, die jünger sein müssen als die in I. Alle diese Unterabteilungen einer grossen Siedlungsperiode scheinen jedoch in die Mitte und zweite Hälfte des 3. Jahrtausends zu gehören, weil sie hauptsächlich charakterisiert werden durch Scherben und Gefässe von einer Gattung, die unter dem Namen Ninive 5 (1) bekannt ist. Diese Ware bevorzugt Becher und Schalen aus hellgelbem und rötlichem Ton, die aussen mit geritzten, gekerbten und vertieften Ornamenten geometrischer Art versehen sind (Abb. 8) . Sie ist durch Beispiele aus Ninive, Chagar Bazar und Tell Hamidi bekannt geworden. Sie gehört in die Mitte des 3. Jahrtausends v. Chr. und scheint lange, bis in die Akkadzeit, gelebt zu haben. Mit dem Schnitt I (I a) haben wir demnach Überreste in Tell Ailun berührt, die etwa in die Zeit der I Dynastie von Ur und in die Akkadzeit zu datieren sind. Einige wenige bemalte Scherben, die weder der Gattung der Chaburware noch der viel älteren Tell Halaf-buntkeramik angehören z. B. ein Bruchstück einer innen und aussen bemalten Schale, mögen Beispiele bemalter Ninive 5-Ware bieten, wie sie in Ninive selber zahlreicher zutage kam (2). Sie stammen aus den selben Schichten wie die gekerbte und vertieft verzierte Ninive 5-Keramik in Tell Ailun.

Neben der Ninive 5-Ware gehören ausserdem zahlreiche Scherben des Schnittes I (I a) einer gänzlich andern noch wenig bekannten Gattung an (Abb. 9) . Schichtenmässig deckt sie sich grossenteils mit der Ninive 5-Ware, scheint aber doch etwas jünger zu sein. Der Ton dieser Art von Gefässen ist viel feiner geschlemmt, klingend hart gebrannt, schwarzgrau im Bruch. Die Aussenseite zeigt öfters abwechselnd schwarze und rote Streifen, die teilweise absichtlich durch den Brand erzeugt worden sind. Manche Gefässe sind aussen gerillt. Zylinderförmige Becher, Näpfe und Schalen sind die häufigsten Formen. Die Gefässe können gelegentlich eine beträchtliche Grösse erreichen.

Schon der guten Technik wegen ist man geneigt, sie für akkadisch zu

(1) *Annals of Archeology and Anthropology of the University of Liverpool* XXXI S. 128 - 129 und Tf. 62 - 63 und *Iraq* IV S. 105 (a) (Mallowan) .

(2) *Ebenda* AAA Tf. 54 ff und *Iraq* IV Fig. 25 1 und 3

Einer unserer Arbeiter, der in Derbasije wohnt, hat schon öfters Raubgrabungen auf dem Hügel vorgenommen, angeblich um Bausteine zu fördern. Er zeigte uns in seiner Wohnung ein schönes Gefäss, das er am nordöstlichen Fuss des Tell gefunden haben will. Es gehört der Form und der Bemalung nach der wohlbekannten Gattung der sogenannten Chabur-Ware an, die in die erste Hälfte des 2. Jahrtausends gehört. Wir kennen solche Gefässe von dem benachbarten Hügel Chagar Bazar (1). Dass der Topf vom Tell Ailun stammt, wird durch Scherben bestätigt, die wir auf der Oberfläche aufgelesen haben und die genau die gleiche Bemalung, gegitterte Dreiecke mit Punkten kombiniert, aufweisen. Chabur-Ware bedeckt in grossen Mengen vor allem die oberen Teile des Hügels, d. h. die Geschichte des Tell Ailun muss ein Ende gefunden haben, als diejenige des Tell Fecherije ihren Anfang genommen hat.

Unsere Versuchsgrabungen galten drei *Suchschnitten I-III*, die wir auf der Nord-, Süd-, und Südwestseite anlegten, zunächst jeweils in einer Ausdehnung von 4 x 10 m. Im Lauf der Untersuchung haben wir die Schnitte I und III durch die Schnitte Ia und IIIa erweitert.

Die Schnitte I (Ia) und II liegen in etwa halber Höhe der Ruine, die nahezu 35 m aus der Ebene aufragt, d. h. also in 15 bis 20 m über der Ebene.

Der Schnitt III (III a) dagegen schneidet nicht in die Flanke des Hügels, sondern in seine höchste Oberfläche bei über 30 m.

Es war unsere Absicht, im Verlaufe unserer diesjährigen Kampagne auch die untere Hälfte und die Peripherie der Ruine mit Suchschnitten zu untersuchen. Der vorzeitige Abbruch unserer Arbeit hat uns leider daran gehindert.

Bei allen unseren Schürfungen stand uns als Ziel vor Augen, eine genauere Einsicht zu gewinnen in die Abfolge der Schichten, die sich im Tell Ailun im Laufe der Jahrtausende gebildet haben, indem wir genügend Kleinfunde in schichtbestimmter Lage sammelten, um eine Benennung der Schichten zu ermöglichen.

Im Schnitt I und seiner [Erweiterung Ia, die mehrere Meter tief geführt wurden, traten mehrfach Mauern zutage, die sich deutlich durch ihre verschiedene Richtung und ihre schichtenmässige Lage als verschiedenen Bau-perioden oder Unterabteilungen von Siedlungsperioden zugehörig zu erkennen

(1) M. E. L. Mallowan, Iraq IV Fig. 21 und 23

ne, ein reiches Getreideland. Die Gegend hat weder Fluss- noch Quellwasser wie die bei Raselain, sondern lebt von Regen- und Brunnenwasser. Vom Tell Ailun aus sieht man heute nach Süden auf die Stadt Derbasije mit ihren sauberen Lehmhäusern, ihren grossen Getreidesilos und ihren christlichen Kirchen. Die Bevölkerung Derbasijes ist überwiegend kurdisch. Das Christentum ist durch zahlreiche Flüchtlinge aus der Türkei verstärkt worden. Im Nordwesten wird die Landschaft um den Tell Ailun beherrscht und begrenzt von dem gewaltigen Bergmassiv des Taurus, das nur etwa dreissig Kilometer entfernt liegt. Abends markiert die tiefe Senke im Gebirge mit einem Kranz von flimmerndem Licht die Stelle der alten Stadt Mardin am Horizonte.

Der *Tell Ailun* selber ist ein steil aus der Ebene aufragender Hügel, dessen Rücken in etwa gleichbleibender Höhe einen Viertelkreis mit der Innenseite nach Südwesten bildet (Abb. 6).

Sein höchster Punkt im Nordosten steht ungefähr 35 m über der Umgebung. Nach Norden und Osten ist der Abfall des Hügels am schroffsten, wo sich auch die kürzeren und schmälere Regenrinnen gebildet haben. Nach Süden und Westen dagegen fällt die Ruine zuerst langsamer, dann ganz allmählich in die Ebene ab. Auf ihrem südlichsten Ausläufer steht das moderne Kurdendorf Tell Ailun, aus dessen Bevölkerung die meisten unserer Grabungsarbeiter stammten. So bildet die südwestliche Flanke des Tells eine Art natürliches Amphitheater, das von drei grossen Wadis durchfurcht wird. Ganz im Südwesten, zwischen Dorf und Ruine, ist eine Ziegelei aufgemacht worden, die ihren Lehm dem Tell selber entnimmt. Auf der höchsten Stelle des Hügels ist ein moderner islamischer Friedhof angelegt worden.

Noch vor dem Anfang unserer Arbeit auf dem Tell Ailun konnten wir in Begleitung des Dorfscheichs, des Muhtars, die Ziegelei besichtigen, in deren Betrieb sich mehrere Brunnen befinden, die alle Schichten bis auf das Grundwasser durchschlagen haben und bei deren Anlage wohl auch die ältesten bemalten Scherben an den Tag gekommen sind, die wir bisher auf dem Hügel festgestellt haben, Scherben von der Gattung der Tell Halaf-Buntkeramik, die mindestens hoch hinauf ins vierte Jahrtausend datiert. In einem der Dorfhäuser wurde uns ein besonders grosses Vorratsgefäss aus Ton gezeigt, das vor nicht langer Zeit oben auf der Südspitze des Hügels ausgegraben wurde. Es hat in seinem Boden ein absichtlich angebrachtes Loch, eine Durchbohrung, und dürfte infolgedessen ein Sarkophag in Gefässform gewesen sein. Es mag in das 2. vorchristliche Jahrtausend gehören. Eine genaue Bestimmung war nicht möglich. Zu einer Nachgrabung an der Stelle sind wir nicht gekommen.

ne Bevölkerung damals bereits churrisch gewesen sein mag. In seiner Ausdehnung ist der Tell Brak jedenfalls bedeutend grösser als unser neues Grabungsobjekt, der Tell Ailun.

Die Umstellung unserer Arbeit vom Tell Fecherije auf den *Tell Ailun* war nicht leicht. Sie wurde schon deshalb erschwert, weil wir nicht innerhalb eines Tages unser Zeltlager abreissen, transportieren und wieder aufbauen konnten. Wir waren vielmehr wiederum gezwungen, eine Nacht im Hause Najjar in Raselain zu verbringen. Der eigentliche Umzug unseres Zeltlagers vom Tell Fecherije bei Raselain nach dem Tell Ailun bei Derbasije, das 60 km ostwärts an der türkischen Grenze liegt, ging zwar mit Hilfe einiger treugebliebener Arbeiter und eines Traktors mit Anhänger glatt vonstatten, auch war unser Lager am Abend des 11. Oktober, nachdem wir von allen Behörden, allen voran dem Müdir von Derbasije, in der freundlichsten Weise aufgenommen worden waren, wieder errichtet. Doch stellte sich bei einem abendlichen Besuch des Sohnes des Mohammed Bey Djemil Pascha, des angesehensten unter den dortigen kurdischen Grossgrundbesitzern, heraus, dass unser Lager nur wenige hundert Meter von der türkischen Grenze, mitten in einem gefährdeten Konterbandengebiet gelegen war. Ein zweiter Umzug konnte aber glücklicherweise nach Verhandlungen mit der Gendarmerie vermieden werden.

Schlimmer als all dieses war jedoch der Umstand, dass unser Architekt Herr Dipl. Ing. Hansjürgen Schmidt am Tage unserer Ankunft in Tell Ailun einen schweren Fieberanfall erlitt, der sich nach zwei Tagen laut Aussage des Arztes in Derbasije als Symptom einer typhoiden Krankheit herausstellte. Wir waren infolgedessen genötigt, unsern Kranken in eine Klinik in Kamischli zu bringen.

Erst nach der Genesung des Herrn Schmidt und nach seiner Wiederkehr nach Tell Ailun, die ungefähr zusammenfiel mit der Ankunft Prof. Ottens aus Bogazköy, konnten wir mit vollen Kräften an die Untersuchung des Hügels gehen, die Ausdehnung unseres ersten bereits angefangenen Suchschnittes erweitern und die Anzahl unserer Arbeiter bis auf nahezu hundert erhöhen.

Der *Tell Ailun* birgt möglicherweise die Vorläuferin der jetzigen Stadt Derbasije in sich, an deren nördlicher Peripherie er aufragt (*Abb. 5*).

Er muss im Altertum ebenso wie heute Derbasije die Zentrale eines reichen landwirtschaftlichen Gebietes gewesen sein. Nach allen Richtungen, auch über die türkische Grenze hinweg, schaut man vom Hügel in eine weite Ebe-

Dreieck fehlen. Ein weiteres Merkmal dieser Siedlungen, unter denen Tell Chuweira die grösste ist, bildet die ausgedehnte Verwendung grosser behauener Steinblöcke für den Bau von Stadtmauern und -toren. Ausserhalb der Stadtmauer von Chuweira stehen und liegen in einer beabsichtigten Reihe mehr oder weniger gut erhaltene *Stelen* oder Steinmale, an denen zunächst weder Spuren von Schrift noch Bildern zu erkennen waren. Wenn es Siegesmale sind, so könnte man sie mit den von Frhr. von Oppenheim entdeckten Stelen von Djebelet el beda (1) vergleichen, ihre Aufstellung ausserhalb der Stadtmauer andererseits erinnert an die Königs- und Beamtenstelen in Assur, die eine Art monumentaler Kalender waren (2). Diese wären als Vergleichsobjekt allerdings zu jung, denn auf Grund der leider noch nicht veröffentlichten Kleinfunde, vor allem der Keramik, scheint Tell Chuweira in das 3. Jahrtausend zu gehören. Eine bestimmte, häufig vertretene schwarz-graue, klingend hart gebrannte Ware, manchmal im Brand rotgestreift, weist in die Akkad-Zeit. Sie wird uns auf dem Tell Ailun wieder begegnen (Abb. 9).

Es fällt eigentlich schwer, die Gruppe von Tells, die der Kategorie von Tell Chuweira angehören, nicht mit einem bestimmten Volkstum und einer straff organisierten politischen Macht in Verbindung zu bringen, doch können wir heute noch nicht entscheiden, ob mit den einheimischen Churri oder mit den erobernden Akkadern.

Jedenfalls unterscheidet sich die Ruinengattung, zu der der Tell Chuweira gehört, grundsätzlich von dem grössten Tell des Chabur-Dreiecks, dem *Tell Brak*, den wir bei Gelegenheit eines Krankentransportes nach Kamischli besucht haben. Tell Brak kennt weder die doppelte Umwallung noch die Steinbautechnik. Naramsin, der grosse akkadische König, hat durch einen ausgedehnten Palastbau den Hügel zu einem gewaltigen Stützpunkt akkadischer Machtpolitik gemacht, wie wir durch die jahrelangen Grabungen Mallowans wissen (3). Auch vor der Akkad-Zeit schon stand Tell Brak stark unter dem Einfluss der klassischen Kultur des südlichen Zweistromlandes. Es ist schwer, die eigenen einheimischen Züge seiner Kultur herauszuschälen, wenn auch sei-

(1) M. Frhr. von Oppenheim, *Der Tell Halaf*, Leipzig 1931 S. 199 ff.

(2) W. Andrae, *Die Stelenreihen in Assur*. 24. Wissenschaftliche Veröffentlichung der Deutschen Orient-Gesellschaft 1913.

(3) M. E. L. Mallowan, *Excavations at Brak and Chagar Bazar*. In *Iraq* IX 1947

einen Vergleich mit einem Teil aus einem Baukomplex, der auf Grund von Inschriften sicher in die mitannische Periode, in die Zeit des Königs Šauššatar gehört. In unmittelbarer Nachbarschaft des *Palastes von Nuzi*, einer mitannisch beherrschten Provinzstadt östlich des Tigris, liegt ein Haus mit besonderem Grundriss, das die Ausgräber als Priesterhaus oder als Kapelle zu verstehen versuchen (1). In einem seiner Räume standen sechs Gefässe ganz ähnlicher Art und gleicher Grösse wie diejenigen, die wir in Fecherije fanden, an einer Wand aufgereiht. Man sagt wohl nicht zu viel, wenn man die drei Gefässe in Fecherije sich in einem Raum verwandter Art wie in Nuzi denkt und aus ihnen auf eine ähnliche Palastanlage mitannischer Zeit wie in Nuzi schliesst. Sie erbringen demnach den Beweis, dass in mitannischer Zeit in Fecherije die Besiedlung bis an den Ostrand des Hügels reichte und zeigen uns, dass wir für diese Periode mit einer ansehnlichen Bebauung des Ortes zu rechnen haben. Leider werden wir sie wegen der schwierigen Umstände wohl niemals freilegen können.

Noch bevor wir die Genehmigung zur Bereisung des östlichen Chaburgebietes erhielten, konnten wir am letzten Sonntag im September 1956 eine Erkundungsfahrt in westlicher Richtung in das Gebiet zwischen Belich und Chabur durchführen, nach dem sogenannten *Tell Chuweira*. Dieser fern jeder grösseren modernen Siedlung gelegene Hügel, etwa 60 km westlich Raselain, ist wichtig nicht nur, weil dort vor drei Jahren eine kurze Grabung der syrischen Regierung unter Leitung des Franzosen Lauffray stattgefunden hat in der Annahme, der Hügel berge die mitannische Hauptstadt Waššukanni in sich. Er ist vor allem wichtig, weil seine Ruine einem besonderen Typus angehört, den zum ersten Mal der niederländische Geometer van Liere mit Hilfe stereoskopischer Luftaufnahmen erkannt hat (2). Es handelt sich um Stadtgründungen, die in zwei Etagen angelegt, eine innere mit einer Mauer befestigte Stadt von einer zweiten Umfassungsmauer mit Unterstadt umgeben zeigen. Die Luftaufnahme, die hier in erster Linie in den Dienst der Landvermessung gestellt war, brachte van Liere zugleich die archäologisch wichtige Erkenntnis, dass Siedlungen dieser Art vor allem westlich des Chabur und im Gebiet des Djebel Abdulaziz und des Sindjar zu finden sind, während sie im eigentlichen Chabur-

(1) R. F. S. Starr, *Nuzi* Bd. I S. 275, Bd. II Tf. 23 A, B und Plan 13.

(2) W. J. Van Liere et J. Lauffray. Nouvelle prospection archéologique dans la Haute Jezireh syrienne. In: *Annales Archéologiques de Syrie* IV - V 1954 - 55 S. 129 ff.

kann aber die Gussform in Fecherije nur durch Zufall in höhere Lage geraten sein.

Die Bruchsteingründungen für Luftziegelmauern, die wir in verschiedener Höhe zwischen - 1,30 m und - 2,50 m freigelegt haben, waren zu fragmentarisch und im Suchschnitt zu beschränkt, als dass wir sie zu sinnvollen Grundrissen von Gebäuden ergänzen könnten.

Der einzige Raum, der sich als solcher erkennen liess, ergab sich in der Westecke des Suchgrabens. Er muss bei etwa - 2m gegründet worden sein und hatte noch Reste von drei seiner Wände aufzuweisen, an denen Spuren von Wandputz aus weissem Gips erhalten waren. Er dürfte der jungassyrischen Periode angehören.

Um nicht die für Fecherije vorgesehenen drei Wochen zu überschreiten und rascher in die Tiefe zu gelangen, musste die Grabungsfläche eingeschränkt und nur das östliche Drittel des Suchschnittes als *Tiefgrabung* weitergeführt werden bis etwa - 6,80 m. In dieser Tiefe wurde im Ostschnitt ebenso wie im Türbe-Schnitt die Erde so feucht, dass bald das Grundwasser sich zeigen würde.

Während sich im Niveau zwischen - 3m und - 4 m Scherben neuassyrischer Art fanden, während wir noch bei - 3,70 m eine Kinderbestattung in einer neuassyrischen Tonurne freilegten, tauchte von etwa - 4,75 m ab die typische Keramik der mitannischen Zeit, die Keramik mit heller Bemalung auf breiten dunklen Streifen auf, daneben die charakteristischen Knauffüsse der mittellassyrisch-mitannischen Becher.

Noch tiefer, bei - 6,00 m, fanden wir in einer Umgebung, die starke Reste von Gebäuden aus Luftziegeln aufwies, *drei grosse Vorratsgefässe* aus Ton, durchschnittlich 70 cm hoch, aufrecht in einer Reihe nebeneinander stehend (*Abb. 4*).

Alle drei waren, obschon sie nicht mit Schutt gefüllt waren, bei ihrer Freilegung noch ganz, eins ist uns dann trotz aller Vorsicht beim Transport zerbrochen. Die Gefässe sind gut gedreht und profiliert mit Kugelboden, Halsrand und plastischem Seilmuster auf der Schulter versehen. Eins war mit einer Schale abgedeckt. Die Gefässe waren sichtlich hier nicht nachträglich abgestellt, sondern standen, wohl in einer Vertiefung im Boden, in situ, d. h. in einem für sie bestimmten Raum, sicher einem Magazin. An ihrer Datierung kann kein Zweifel sein: um sie herum wurden mehrere typische Nuzi-Scherben des 15. - 14. Jahrhunderts, d. h. der Mitanni-Zeit, gefunden.

Worauf wir hier gestossen sind, lässt sich am besten verdeutlichen durch

Wie durchwühlt an dieser Stelle die Schichten gewesen sind, kann man an den beiden besten Kleinfunden aus dem Ostschnitt erkennen, einer schönen Lampe und einem Fragment einer Gussform aus Speckstein.

Die *Lampe* ist ein gutes Stück aus Bronze in Gestalt eines Schwanes mit zurückgelegtem Kopf, etwa 15 cm lang, gefunden im südwestlichen Teil des Suchschnittes, etwa einen halben Meter unter dem Nullpunkt, demnach noch mitten in den nachassyrischen Schichten (*Abb. 2*).

Das zweite Stück jedoch, eine *Gussform* für einen Metallgegenstand in Form eines Löwen, der liegend eine Gazelle in den Vorderpranken hält, ist nicht weit weg von der Lampe entdeckt worden, jedoch um mehr als einen Meter höher, d. h. in noch jüngeren Schichten (*Abb. 3*).

Ob der rückwärtige Teil der Form abgebrochen ist oder ob daraus ein Gegenstand in Form einer Löwenprotome gegossen werden sollte, vielleicht ein Griff für ein Gerät oder eine Waffe, lässt sich nicht mehr entscheiden. Dem Stil seiner Darstellung nach passt diesser Löwe garnicht in römische oder in gar noch spätere Zeit. Vielmehr erinnert die Darstellung, ein Löwe, der eine Gazelle schlägt oder fängt, sowohl thematisch wie in den Einzelheiten der Stilisierung an Ähnliches in der sogenannten Kerkuk-Glyptik, d. h. der Gruppe von Rollsiegeln, die in der Mitte des 2. Jahrtausends über das ganze Vorderasien vom westlichen Iran bis nach Palästina verstreut sich findet und schon immer mit dem churrisch-mitannischen Volk in Verbindung gebracht worden ist (1). Der Kampf zwischen Löwe und zahmem Vierfüssler ist in diesem Bereich vorderasiatischer Siegelschneiderei nur ein Teilmotiv aus einem umfassenden Bilderkomplex, wie bereits einmal in frühsumerischer Zeit. Die Gussform aus Speckstein zeigt ausserdem den gleichen Hang zur Verwendung des Kugelbohrers, der einen Kreis um ein Loch herstellt, wie die Kerkuk-Glyptik. Diese vereinfacht z. B. ein Flechtband zu einer Reihe eng aneinandergfügter Kreise, wie sie hier zur Verzierung des Löwenkörpers benutzt werden. Vor allem aber die Art, wie der Kopf der kleinen Gazelle unserer Gussform reduziert wird auf einen solchen Kreis, von dem drei gebogene Striche ausgehen zur Andeutung von Nase, Ohr und Horn, ist so bezeichnend für die Kerkuk-Glyptik, dass man auf zeitliche und völkische Nähe schliessen möchte. Dann

(1) Zahlreiche Beispiele der sogenannten Kerkuk-Glyptik befinden sich in nahezu allen öffentlichen und privaten Sammlungen. Ich weise hier nur auf einige bezeichnende Stücke hin: Rollsiegel aus Tiryns in Athenische Mitteilungen Bd. 45, Tf. II 6; Louis Delaporte, Catalogue des cylindres orientaux du Musée du Louvre Tf. 97, 24 und 22 (A 951 und 952); Ders., Cylindres orientaux de la Bibliothèque Nationale, Tf. XXX, 440.

Es war von vornherein unsere Absicht gewesen, zunächst unser Zeltlager wiederum auf dem Tell Fecherije bei Raselain aufzuschlagen, weil wir dort noch einen ergänzenden Suchschnitt anzulegen gedachten und zugleich um einen Stützpunkt für unsere weiteren Erkundungen im Chaburgebiet zu gewinnen.

Unser vorjähriger Zeltplatz auf dem südwestlichen Ausläufer des Tell Fecherije war während des Jahres 1956 von weiteren Baumwollpflanzungen so eingeengt worden, dass wir nur mit Mühe unsere Zelte darauf errichten konnten. Auch blieb uns für die Anlage eines Suchschnittes keine grosse Auswahl an freiem Gelände. An einer der wenigen Stellen des Tell Fecherije, die weder von Gräbern noch von Baumwolle bedeckt sind, unmittelbar südlich des amerikanischen Suchgrabens « Sounding I (IA) » konnten wir am 17. September einen Schnitt von 15 m Breite in ost-westlicher Richtung und von 10 m Länge in nord-südlicher Richtung abstecken.

Dieser von uns als *Ostschnitt* bezeichnete Suchgraben war als Gegenstück zum westlichen grossen Türbe-Schnitt des vorigen Jahres gedacht und sollte uns Auskunft bringen über die Ausdehnung der churisch-mitannischen Siedlung auf dem Tell Fecherije in diesem östlichen Teil der Ruine. Der Abfall des Hügels ist hier im Osten viel weniger steil als im Westen. Der höchste Punkt liegt nur 2,75 m über dem Nullpunkt, während er bei dem Türbeschchnitt 7 m erreicht. Die jüngere Schuttbildung war hier demnach um über 4 m geringer. Trotzdem hatten wir, wie zu erwarten, meterdicke Ablagerungen zu durchschneiden ehe wir an die churisch-mitannische Schicht herangelangten. Sie zeigte sich erst, wie vorausberechnet, in einer Tiefe von 5 bis 6 m unter dem Nullpunkt, hier etwa 9 m unter der Hügeloberfläche (*Abb. 1*)

Die jüngeren Schichten, die hellenistisch-römische und die byzantinische, waren an dieser Stelle des Hügels, wie die endgültige Publikation anhand sorgfältiger Schnittzeichnungen der Grabungswände nachweisen wird, sehr stark durch Umbauten, Fundamentgründungen und Schuttlöcher gestört. Die jüngste Zeit, die islamische, ist so gut wie gar nicht vertreten. Byzantinisches erkannten wir, wie überall sonst auf dem Hügel, an zahlreichen Resten von Bauten aus Kalksteinquadern, die wir aber auch hier in sekundärer Verwendung auffanden. Tiefe Schuttlöcher, nach den darin befindlichen Scherben aus hellenistisch-römischer Zeit stammend, reichen bis zu 2 m hinab. Die hellenistisch-römischen Wohnschichten steigen langsam von Westen nach Osten an, sodass im östlichen Abschnitt die jungassyrische Schicht, die unmittelbar unter der hellenistisch-römischen liegt, bis etwa 2 m hinaufreicht.

Hauptziel der diesjährigen Kampagne war, unter den etwa fünfhundert kleinen und grossen Ruinenhügeln des Chaburgebietes mit Hilfe kleinerer Schürfungen einen herauszufinden, der besonders geeignet wäre, die Quellen zur Geschichte des Churrischen Volkes im 3. und 2. Jahrtausend v. Chr. zu bereichern. Bei den Verhandlungen, die zu diesem Zwecke mit dem Service des Antiquités in Damaskus geführt wurden wegen einer Erweiterung unserer Grabungslizenz auf das gesamte Chabur-Dreieck, stellte sich heraus, dass die Erlangung einer Generalkonzession zur sofortigen Angrabung eines jeden Hügels, der uns geeignet erschiene, nicht möglich war. Vielleicht lag das mit an den in diesem Jahr besonders schwierigen politischen Verhältnissen. Jedenfalls waren wir genötigt, uns noch in Damaskus auf zwei bestimmte Hügel festzulegen, die wir während der vorigen Kampagne oberflächlich untersucht hatten. Auch unsere Bewegungsfreiheit im militärischen Sperrgebiet am Chabur blieb zunächst auf Raselain und Umgebung beschränkt. Erst nach mehreren Wochen bekamen wir die Genehmigung, unsere Grabungen in den weiter östlich gelegenen Teil des Chaburdreiecks zu verlegen und den Tell Ailun bei Derbasije sowohl wie den viel kleineren Tell Qabr el kebir auf je einen Monat zu erforschen. Viel schwerer waren die Folgen der politischen Spannungen für unser Unternehmen, als Syrien in den Krieg eintrat und wir auf Anraten des Muhafaz von Hasseke bereits am 1. November die Grabung in Eile beenden und das Land verlassen mussten. Es sind uns dadurch zwei bis drei wertvolle Arbeitswochen verloren gegangen, was uns besonders bitter war, weil erfahrungsgemäss gerade der letzte Arbeitsabschnitt die wichtigsten Ergebnisse zu bringen pflegt. Auch waren wir nun nicht mehr in der Lage, die von Derbasije aus in Aussicht genommenen Erkundungsfahrten in den östlichen Teil des Chabur-Dreiecks durchzuführen.

Bei allem Unvollendeten, Bruchstückhaften jedoch, das notgedrungen unserer diesjährigen Arbeit anhaftet, konnten wir immerhin zweierlei Wichtiges erreichen: Einmal ein abschliessendes Urteil über Entstehung und Entwicklung des im vorigen Jahr bereits angeschnittenen Tell Fecherije und zum Anderen einen Einblick in die Bedeutung und historische Einordnung des Tell Ailun bei Derbasije, nach dem Tell Brak am Djardjar eines der grössten Ruinenhügel im Chaburgebiet, den auch schon Mallowan nach seinen zahlreichen Erkundungen und Grabungen im nördlichen Mesopotamien während der dreissiger Jahre zu den aussichtsreichsten Objekten zählte (Iraq IX 1947 S. 47). Ausserdem konnten wir auf zwei Erkundungsfahrten nach Westen in Richtung Tell Abjad bzw. nach Osten über Kamischli nach Tell Brak unsere Kenntnis der Tells bedeutend erweitern.

ARCHAEOLOGISCHE FORSCHUNGEN DER MAX FRHR. VON OPPENHEIM-STIFTUNG IM NOERDLICHEN MESOPOTAMIEN 1956

Von

ANTON MOORTGAT

Jedem Bericht über die Ergebnisse der zweiten Kampagne der Max Frhr. von Oppenheim-Stiftung im Chaburgebiet hat der Dank an alle diejenigen voranzugehen, die in der Heimat wie in Syrien unsere Forschungen durch ihre Unterstützung überhaupt erst möglich gemacht haben. In der Heimat sind es vor allem der Graf Matuschka Greiffenclau, Vorsitzender des Kuratoriums der Stiftung, Herr Universitätskanzler Schneider und Prof. Dr. Werner Caskel, die uns besonders gefördert haben. Sie waren es auch, die einen namhaften Betrag vonseiten der Arbeitsgemeinschaft für Forschung des Landes Nordrhein-Westfalen für die Unternehmung beschaffen konnten.

In Syrien war es der Generaldirektor der Altertümer, Herr Dr. Selim Abdulhaqq, der uns diesmal über die Schwierigkeiten, die mit der Lage unserer Forschungsstellen in einem militärischen Sperrgebiet zusammenhängen, hinweghelfen konnte.

Der Direktor des Aleppiner Museums, Herr Dr. Feisal Serafi, hat uns eine grosse Hilfe geleistet, indem er uns seinen Mitarbeiter Herrn Soubhi Saouaf als Vertreter des Antikendienstes mitgab. Herr Saouaf ist uns im Verlauf der Unternehmung ein guter, auch in schwierigen Situationen stets hilfsbereiter Kamerad geworden.

Auch im Chaburgebiet selber haben uns wiederum wie im vorigen Jahr alle Behörden die freundlichste Aufnahme bereitet. Im Hause des Herrn Jacob Najjar und seiner Gattin in Raselain fanden wir nach schweren Fahrten durch die Steppe immer wieder einen Stützpunkt, vor allem beim Aufbau und Abbau unseres Zeltlagers.

servation : *Simyra castellum* dit Ptolémée V, 15, 4. En revanche, la ville est bien attestée à l'époque hellénistique et au temps des Perses. La couche en est épaisse, dense. Comme beaucoup de villes de la côte phénicienne et toutes celles de la pérée de Rouad, en particulier Carné, Enhydra, Marathus, la conquête romaine les frappa de mort. De Balanée au nord à Orthosia au sud, on ne voit, sauf rares exceptions, pas un fût de colonne, pas un chapiteau. L'organisation romaine a fait disparaître les municipes hellénistiques au profit des grandes cités, Rouad pour cette région. Le monnayage confirme le fait.

Le temps de la domination assyrienne est bien attesté. C'est la deuxième couche dans nos trois sondages. Le sondage N. - E. n'a livré que peu de tessons, nous y avons traversé une couche de déblais, sans mur ni sol. Ne serions-nous pas là dans quelque cour d'une vaste résidence dont la grande plateforme nettement surélevée marquerait l'emplacement (1). Les premiers temps de l'âge du Fer sont attestés dans deux sondages et par des poteries qui ne sont pas exclusivement de la production locale : la céramique peinte atteste une importation des îles de la Méditerranée orientale. L'agglomération était donc de quelque importance. Enfin le Bronze Récent 3 est nettement révélé dans chacun de nos trois sondages et à une cote assez constante, savoir 4 m. 90 dans le sondage N. E. à l'intérieur de la plateforme surélevée et à environ 3 m. 50 et 3. m. 90 respectivement dans les sondages nord et N. - O. Là encore la céramique est de qualité. Les murs rencontrés dans nos excavations sont en briques dans les parties hautes du sondage N. - O. en pierres partout ailleurs et certains sont remarquables par leur épaisseur, ce qui révèle des constructions publiques plutôt que privées. Ces constatations faites dans la masse même du tertre sont donc tout à fait en accord avec ce que nous savons de l'histoire de Simyra, et les [conclusions déjà inférées de son étude superficielle et de sa localisation pour une identification avec cette ville s'en trouvent confirmées.

(1) Les gens du village prétendent que cette plateforme a été faite il y a peu pour aménager des aires à battre, mais l'homogénéité des poteries recueillies en surface ne révèle aucun remaniement des terres depuis les temps hellénistiques.

plat, col droit, l'un avec rebord horizontal, l'autre avec rebord simple. Ius apparaissent une gourde lenticulaire avec deux anses de part et d'autre du col, de grandes assiettes très plates, empilées; un pot bas, col droit, épaule carénée et deux anses obliques pleines; les fragments d'un grand et beau vase à haut pied, large panse carénée ornée d'un décor en métopes. Les fragments de nombreux vases ont été en outre recueillis. Toutes ces poteries et tessons doivent être remontés par les ateliers du Musée de Damas, ce qui permettra de juger de leurs formes et de leurs décors. Mais dès maintenant on voit que nous tenons là un ensemble du Bronze Récent. Ce gisement paraît en connexion avec un mur N.-S. conservé sur environ 1 m. 50 de hauteur dont nous avons suivi le parement au flanc ouest de l'excavation et qui est peut-être lié au beau mur E.-O. signalé plus haut. L'angle appareillé visible sur la photographie, à droite, appartiendrait à un autre bâtiment. Ignorant sa cote de base, on ne peut rien dire de son rapport avec le mur précédent ni avec le sol représenté par les poteries en place mises au jour. Malgré les promesses d'un tel ensemble nous avons arrêté cette fouille à ce niveau, car il ne pouvait être question de poursuivre nos recherches avec les moyens mis en œuvre pour de simples sondages.

A l'ouest de ce dernier sondage, nous avons reconnu en surface un large blocage de pierre arrêté net en ligne droite, comme un parement de mur, le long de la bordure du tertre. Nous pensons à un rempart. Au débouché de la rampe méridionale qui escalade le flanc méridional du tell, quelques pierres appareillées qui sortaient de terre nous ont amenés à effectuer un dégagements pour préciser leur destination. Ce sont les blocs de parement disposés en trois assises d'une muraille épaisse ou d'une tour pleine. Ils mesurent couramment 0.45 x 0.30 x 0.65, la longueur disposée perpendiculairement au parement. L'intérieur n'est qu'un blocage de grosses pierres brutes. Au-dessous des assises appareillées s'enfoncent encore quatre assises de gros blocs bruts. La poterie en connexion avec ce massif est extrêmement mélangée. L'ouvrage paraît romain.

★ ★ ★

Tels sont les résultats obtenus par nos sondages au Tell Kazel. Transposés dans l'histoire, les faits observés nous apprennent qu'à l'époque romaine et dans les temps postérieurs il n'y avait pas d'installation importante sur le tertre. La tour que nous venons de signaler révèle qu'il n'y avait là qu'un poste d'ob-

poterie des premiers temps hellénistiques ou de l'époque perse. Fragments de coupe à vernis noir avec traces de roulette dans le fond; fonds de jarre en pointe ou à moignon; grands bassins à bord horizontal et plat rehaussé de lignes ondulées, et parfois élargi par places, sans doute aux extrémités d'un diamètre dans les vases complets. Fragments de jarres à décor cordelé; partie supérieure d'une large jarre, sans anse, à très large embouchure et bord évasé; un col de cruche, large, avec départ d'anse un peu au-dessous du bord lequel est légèrement évasé.

Avec le mur de brique inférieur nous rencontrons un petit fragment de vase orné de lignes droites bordant une ligne ondulée, en peinture noire franche, déjà un fragment de grand bilbil à décor linéaire blanc crème, des fragments de grands vases à bandeau saillant orné d'incisions, tels qu'on les voit en usage dès le Bronze Moyen 3 et peut-être même 2 final. C'est dans la partie inférieure de ce gisement que nous trouvons, à 1m. 90 de profondeur, un gisement de poteries en place représenté presque uniquement par des coupes peu profondes avec quelques tessons: fonds discoïdes, fragments ornés de trainées blanches, bleutées, des fragments de coupes à lustrage horizontal grossier; et à deux mètres de là, plus au nord, derrière un grand mur, un fragment de coupe et un fragment de cratère peint du style cycladique III. Nous sommes là à l'âge du Fer I et II initial. Un fragment de grand bilbil à nervures en relief, l'une d'elles cordelée, annonce le Bronze Récent III. Un bord de vase avec l'épaule ornée de fines incisions prélude au gisement du Bronze II, 3 encore loin dans le tréfonds. A ce niveau, (2m. 90 au-dessous de la surface) nous avons arrêté le travail parceque la présence d'un beau mur, épais de 1 m. 20, au travers de notre tranchée ne nous permettait plus d'approfondir la fouille utilement. Mais nous l'avons poursuivie dans la partie nord, où nous disposions encore d'une aire d'environ 5 m. x 3 m. Nous y rencontrons un gisement caractérisé par un fond de jarre en large pointe aplatie, un fragment de coupe à bord simple, une anse de jarre raccordée dans le haut à une épaule très légèrement carénée, un bord de grande jarre auquel s'attache une anse retombant sur la carène de l'épaule, un fragment comportant le bord et la carène d'une jarre du même genre, enfin un fragment de pot à épaule nettement carénée et pourvu d'une anse la reliant au bord du col. A ce niveau est apparu également un important gisement de poteries en place, les unes intactes, les autres disloquées mais avec les fragments en connexion entre eux. On dégage d'abord deux grands récipients globulaires à étroit fond

Brusquement nous atteignons un gisement de Bronze Récent, lui aussi apparemment sans homogénéité, mais cependant attesté par des fragments caractéristiques: l'inévitable bol chypriote à décor en échelle, des fragments décorés au peigne, la lampe à fond arrondi. Un fond de vase cylindrique étroit, orné de bandes rouge ocre. Trouvée un peu plus bas, un grand cul de cratère à décor en métopes quadrillées de lignes rouge-ocre avec des lignes festonnées le long des bords, est un document expressif du Bronze Récent 3. La présence de ce col au-dessous des pièces précédentes révèle des remaniements que dans ce simple sondage nous n'avons pas les moyens d'élucider. Plus bas nous avons retrouvé une stratification en place: large marmite à fond arrondi, épaule carénée et bord évasé; pot à large col évasé, aux parois fines et apparemment lustrées; bols chypriotes à décor en échelle sur engobe crème; vase au bord à double mouluration; lampe à fond bombé et bec longuement pincé. Bilbils à décor de lignes blanches.

La fin de cette couche est marquée par l'apparition des produits céramique de la fin du Bronze Moyen: encore des bilbils, mais déjà des fragments de grands récipients ornés sur l'épaule de grandes lignes en zigzags obtenues au peigne ou de bandes en relief rehaussées de chevrons incisés; fragments de plats (?) avec incision profonde sur la face externe et lignes lustrées grossières sur la face interne; un fragment peint avec lignes ondulées entre des lignes droites. Nous tenons là le passage du Bronze Moyen 3 au Bronze Récent.

Au-dessous nous arrivons en effet au Bronze Moyen, avec un matériel qui eut été sans doute abondant si nous avions prolongé la fouille. En quelques heures nous recueillons des bols carénés finement lustrés, des anses de pichet à trois brins recouvertes d'un engobe brun, des fragments de plats à fines lignes circulaires incisées, des fragments de grands récipients décorés au peigne. Les épaules de vases rehaussées d'une ligne d'incisions en grains d'orge. Ce sont là les particularités céramiques caractéristiques du Bronze Moyen 2 et 3.

Sondage N. - O. — L'excavation mesurait 5 x 10 m. en surface et dans le fond, à 4 m. 50, elle ne fut plus que de 5 x 3 m. Après une couche de terre de 0 m. 40 on rencontre un mur en briques calcinées ou à demi-cuites, mesurant 0. 42 x 0. 38 x 0. 10, en terre rougeâtre sombre. Ce mur compte cinq assises. Il n'est peut-être qu'une reprise d'un mur, également en briques de même couleur, très ruiné, dans lequel nous avons compté six assises. Au dessous une forte couche de terre mélangée à beaucoup de cendres diffuses parmi les restes d'un mur de pierres éboulé. Le sol correspondant à cette destruction s'établit à 2 m. 90, où nous rencontrons un gisement de poteries en place. Avec le mur en briques supérieur nous n'avons trouvé que de la

gros des VIIe - IXe s. Signalons encore provenant du haut de cette couche à peu près stérile, la partie inférieure d'une figurine aux jambes jointes, peinte en rouge, de la même technique que la tête de terre cuite mise au jour plus haut.

Aussitôt cette couche décevante traversée — elle s'enfonce jusque vers 3 m. 90, ce qui lui donne une puissance de près de 1 m. 50 — nous atteignons le gisement du Bronze Récent : tessons à peinture linéaire rouge ou noire et rouge de la fin de cet âge ou début du Fer, et en nombre des fragments de bols chypriotes à décor en échelle brun sur fond de couverte bleutée ainsi que des tessons du même horizon chronologique à bandes rouge — ocre ou noires. Nous sommes à 4 m. 20 de notre cote de départ et aussitôt apparu ce pointement caractéristique du Bronze Récent, nous avons arrêté le travail.

Sondage Nord. — Excavation initiale de 6 x 10 m., à surface réduite à partir d'une profondeur de 2 m. pour aménager une rampe d'exploitation sur le front ouest. On rencontre en surface beaucoup de céramique hellénistique d'importation à vernis rouge orange : coupes et bols à fond plat cernés d'un haut rebord ; fragments de coupes à vernis noir avec impression à la roulette dans le fond ; quelques pièces de pâte moins fine et de vernis mat assez grossier, paraissant être de fabrication locale. Fragments de vases mégariens, deux à couverte noire et un à couverte rouge. Un fragment de lampe hellénistique à dessus rehaussé de cannelures rayonnantes et un fragment de lampe attique à vernis rouge ; un fragment de lampe romaine à vernis rouge, du type à volutes de part et d'autre du bec. Poteries locales à grosses stries horizontales, provenant de grands récipients, sans doute des jarres. Fragments livrant le bord horizontal, orné d'une ligne ondulée, de grands récipients. Une coupelle à anse horizontale s'apparente aux lampes à bec de cette forme du Ve s. Tout ce matériel, qui nous retient à l'époque hellénistique et au siècle antérieur, s'est rencontré dans les premiers trois quarts de mètre du sondage.

Au dessous nous atteignons très vite un gisement des VIe et VIIe s. : petites fioles cypro-phéniciennes en terre cuite fine à couverte chamois ornée de lignes fines rouge ocre ; céramique chypriote à décor linéaire noir et rouge ; fond de jarre en forme de gros bouton arrondi ; fond de coupe (?) à large bouton plat à base épanouie et bien détachée. Fragments de poterie à bord (?) peint en noir avec de larges bavures de coulée. Poterie fine d'importation, à belle couverte rouge brun très différente du vernis orange de la couche précédente et à fond arrondi, sans rebord. La partie inférieure de cette couche nous a paru très remaniée.

Sondage du N. - E. - L'excavation mesurait 10 x 5 m. en surface. Dès la première journée de travail on se trouve dans la couche hellénistique et les fragments d'une jarre à anses en bretelle nous amènent jusqu'au Ve s. avant notre ère, au plus bas jusqu'à la première moitié du IVe s. Les pièces les plus caractéristiques sont : des fragments de grands récipients à bord plat ornés de lignes ondulées, des fragments de jarres à épaule carénée avec col à bord très bas et large ; fonds de jarres se terminant en moignon presque cylindrique, larges anses de grands *pithoi* à surface profondément cannellée ; fragment d'un bol mégarien rouge à palmettes et feuilles d'eau allongées avec une jambe humaine en relief en bordure de la cassure ; fragments de plats à couverte saumon fond bordé d'un rebord et fragments à vernis noir ; fragments de marmites à panse globulaire à larges stries, large embouchure à bord évasé avec deux petites anses plates s'y rattachant ; fragments de grands plats à épaisses parois obliques, presque rectilignes, creusées de larges rainures horizontales et à bord renforcé ; le haut d'un grand récipient orné au peigne fin de deux bandes horizontales bordant une bande ondulée. Des fragments de grandes tuiles plates, larges de 0,45 m., à épaisses bordures en relief. Cette couche, que l'on peut appeler gréco-perse est d'une puissance d'environ 1. m. 20.

Au-dessous, la fin de l'âge du Fer est manifeste : marmites globulaires aux parois non striées et deux petites anses s'attachant à un col de profil incurvé ; l'anse de jarre à deux gros brins ; petits pots à panse cylindrique, épaule carénée, bord de l'embouchure un peu rabattu vers l'extérieur ; grand récipient à épais boudin au-dessous du bord d'une ouverture fort large. Tête d'une figurine à polos cylindrique et figure juvénile pleine. Signalons encore l'apparition au bas de cette couche d'un col de pichet à bec trifolié avec l'attache d'une anse près du bord, un bord de marmite à lèvre très évasée et de profil fortement incurvé, un grand fond de jarre en cône allongé, un fond de petit récipient à bouton évasé et peint en rouge. Cette poterie persiste jusqu'à environ 2 m. 50 de la surface de la plateforme.

Nous atteignons ensuite une zone stérile, sans sols, sans le moindre mur. La poterie est peu abondante et en général très fragmentée : anses plates, l'attache supérieure renforcée par des pattes latérales accolées au bord du vase ; un fragment de plat très peu creusé à bord rentré, bas et en quart de cercle, tranche horizontale et plane ; un très petit fragment de poterie fine à couverte claire rehaussée d'une décoration monochrome noire. Ces fragments relèvent en

(2)

Nous avons consacré près d'un mois, du 27 avril au 22 mai, à étudier Tell Kazel et sa région et faire quelques sondages dans sa plateforme. Ce fut un travail aisé. Les propriétaires du tell, la grande famille des Bachoûr de Safitah, comprirent de suite l'intérêt de nos recherches et nous accordèrent libéralement toutes facilités pour travailler dans leurs terrains. La main d'oeuvre est nombreuse dans la région et immédiatement disponible. Cette année encore nous étions logés à Tartous dans les locaux de la Mission Laïque où nous nous sommes trouvés fort bien malgré les 28 km. que nous devons parcourir pour nous rendre à notre travail.

De la surface du tell et même du bas de ses pentes la vue est si étendue et sur des régions d'une telle importance qu'on ne peut concevoir que ces avantages n'aient pas été exploités dans l'antiquité. De la plateforme de son angle N. - E. particulièrement on domine un très vaste horizon. Rouad est au loin avec les terres qui lui font face. Plus près de nous au N. - E. s'ouvre la petite vallée qui mène à Safitah, l'ancienne Argyrokastron et le château franc d'Areimé est étalé sur une colline à l'est, au pied de la chaîne de montagnes des Nosairis. Au S. - E. c'est le large débouché de la trouée de Homs et au sud la partie méridionale de la plaine de Akkar arrêtée par la masse montagneuse du Liban, au pied de laquelle on aperçoit le tell d'Arqa. Toute la côte s'étale au couchant, depuis le promontoire de Maraquié jusqu'à Ras Shaqqa loin au sud et, en arrière, formant un cran de mire net, l'ensellement au fond très abaissé qui isole ce cap du massif montagneux intérieur.

Nous avons pu effectuer trois sondages dans la plateforme du tell, et en accord avec notre propos reconnaître si ce tertre peut représenter l'ancienne Simyra, particulièrement importante au temps d'el - Amarna, nous avons décidé de les arrêter aussitôt atteinte la couche du Bronze Récent. 1° Un sondage au nord en bordure de la pente septentrionale, un peu à l'est de l'arrivée de la rampe qui l'escalade 2° Un sondage au N. - E., vers le milieu d'une belle plateforme d'environ 70 m. de côté qui forme la partie culminante du tertre dans cet angle de sa surface nettement en retrait du débouché des trois rampes. 3° Un sondage au N. - O., à l'autre extrémité de la pente septentrionale, entre les débouchés sur la plateforme des rampes nord et ouest (1).

(1) Cet article a été composé et mis à l'impression sans qu'il nous ait été possible d'avoir en mains les fragments de céramique mis au jour dans ces sondages.

chalands à fond plat, soit du genre des légères mahonnes méditerranéennes soit mieux encore du genre des *chartouch* qui naviguent sur l'Euphrate et que l'on voyait aussi naguère sur la petite rivière de Arsous, près d'Alexandrette. Enfin le site est un poste stratégique important, voisin du château franc d'Areimé qui domine une hauteur voisine à l'est. Il permet de contrôler à la fois la route côtière et le débouché de la trouée de Homs. Il est d'autre part la première étape journalière sur la route menant de Rouad-Tartous dans l'intérieur syrien. La distance depuis Tartous est de 28 km., correspondant bien aux trois double-heures de marches des annales de Tiglatphalazar Ier (voir ci-dessus). D'après Strabon, Simyra était la possession la plus méridionale des Arvadites sur le continent et voisine de l'Eleuthère (1). Tell Kazel n'en est qu'à cinq km. et il n'y a aucun autre tell plus au sud ni aussi proche du rivage. Ses abords sont de bonnes terres à blé comme l'étaient les terres de Simyra (2) et de Arqa (3) au temps des tablettes d'El-Amarna.

Toutes ces particularités sont en faveur d'une identification de Tell Kazel avec l'ancienne Simyra. Aussi nous avons pu plaider cette cause auprès du Directeur Général des Antiquités de Syrie pour qu'un sondage soit effectué par son service dans ce tertre afin d'en vérifier la stratification. Pour répondre aux données historiques que nous venons d'exposer, ce tertre doit livrer des restes romains, hellénistiques, de l'âge du Fer et un gisement particulièrement important du Bronze Récent (4).

(1) STRABON, XVI, 2, 12. Ses monnaies sont du même type que celles de Rouad. (HILL, Brit. Mus. Cat. Phoenicia, p. XLV)

(2) J. A. KNUDTZON, *Die El-Amarna Tafeln*, 60, 26 ; 85, 86 : 36 ; 31 ; 96, 17.

(3) *Ibid.* 62, 13-20 ; 103, 13, 14.

(4) Il n'y a aucune raison de ne pas voir la même ville dans la *Sumur* des textes égyptiens, *Samuri* et *Simirra* des textes d'El-Amarna et des inscriptions assyriennes, *Simyra* et ses variantes des textes classiques, qui font toutes trois figure de capitale régionale dans cette même région. Capitale au temps de Moyen Empire égyptien et résidence du représentant du Pharaon, particulièrement sous Aménophis III et IV (voir J. A. KNUDTZON, *Die El-Amarna Tafeln*, II, p. 1138 ss.). Capitale à l'époque assyrienne et résidence d'un gouverneur (cf. FORRER, *Die Provinzeinteilung des Assyrischen Reiches*, 1921, p. 57 s. et 68, ainsi qu'une inscription fragmentaire découverte par le professeur Mallowan à Nimroud, publiée par Wiseman dans *Iraq* XIII, 1951, p. 21 ls., pl. XI et brillamment commentée par A. Alt dans ses *Kleine Schriften zur Geschichte des Volkes Israel*, t. II, p. 150-162). A l'époque hellénistique l'importance de la ville est encore attestée par monnaies (voir ci-dessus).

Récent et aussi du Bronze Moyen, surtout des premiers temps de cet âge. Mais d'autres considérations amenèrent les fouilleurs à renoncer à l'indentification de ce site avec l'ancienne Simyra. 1° ce tell est très petit, il ne dépasse pas 150 m. de base dans sa plus grande dimension ; 2° ses pentes sont douces et il est peu probable qu'un rempart l'ait cerné à une époque quelconque ; 3° les restes de murs mis au jour attestent de pauvres constructions sans aucun caractère tant soit peu soigné ; 4° les restes de paille (*tbn*) calcinés abondent et les fours à pains (*tannûr*) se comptent à la demi-douzaine pour une excavation de 300 m², ce qui est une caractéristique nettement rurale ; 5° le tertre ne s'appelle pas Tell Semerian, mais Tell Abou-Ali, du nom du saint vénéré dans le ouéli culminant, quoiqu'il relève du village de Semerian.

Le troisième site où l'on a généralement envisagé de reconnaître Simyra est Tell Kazel, sur la rive droite du Nahr el-Abrache, à 3 km. 1/2 de son embouchure (1). Là, toute les objections que nous venons d'avancer pour écarter le tell Abou-Ali disparaissent. Le tell est vaste, il mesure en surface 250 m. selon son grand axe parallèle à la rivière, ce qui fait 325 à 350 m. à la base ; sa largeur en surface est d'environ 200 m. et sa hauteur de 25 m. approximativement. C'est donc un grand tell, comparable à celui de Hama (320 x 200) et aux tertres de Sidon (250 x 300) et de Byblos (200 x 275). Les pentes en sont très raides, ce qui laisse supposer l'existence de fortifications en pierres ou en briques. Sa surface forme un plateau bien marqué, divisé en quatre parties par trois rampes y donnant accès. Une de ces rampes gravit la pente nord, l'autre la pente ouest ; la troisième, la plus importante, s'amorce à l'extrémité ouest de la pente sud. Ces accès sont anciens, car la surface du tell n'est occupée actuellement que par de pauvres maisons de fellahs qui ne justifient même pas l'existence de la moindre d'entre elles. Ces chemins sont encore assez bien tracés pour que deux heures de travail aient rendu deux d'entre eux accessibles à nos voitures. Ce tell est le plus vaste de la région et en domine le centre, sans trop s'écarter de la côte (2). Le Nahr el-Abrache le protège du côté sud et facilite ses communications marchandes avec le rivage, car il peut être accessible à des

(1) E. O. FORRER, dans *Ann. M. H. Ehrich, Early Pottery of the Jebel Region*, dans les *Memoirs of the Amer. Philos. Society*, XIII, 1939, Appendix II, p. 113 ; BRAIDWOOD, *op. cit.* p. 218, ss.

(2) Que Simyra ait été proche du rivage apparaît bien dans les tablettes d'El-Amarna (Cf. J. A. KNUDTZON, *Die El-Amarna Tafeln*, 104, l. 37 ss, et 105 l. 12 ss., 17 ss., 85 s.)

pour l'occupation des terres musulmanes. De là cette forteresse redoutable du Crac des Chevaliers et ses satellites pour en commander l'accès.

Par la richesse du terroir et son importance comme zone de passage, cette plaine a nourri des villes importantes : Arqa et Orthosia au sud, Rouad et Marathus au Nord. Au centre, dans la région dite de Semerian, trois principaux tertres s'élèvent : Tabbet el-Hammam sur le rivage, un tell près du village de Simyrian et un peu plus au sud, contigu au Nahr el-Abrache, le Tell Kazel.

Sur cette base d'informations j'avais jadis engagé l'Institut Oriental de Chicago à faire des sondages pour reconnaître la valeur de ces sites. Vingt-deux sondages à Tabbet el-Hammam, où une jetée antique se voit encore en mer, ont révélé une installation bien attestée depuis le néolithique jusqu'au début du Bronze Moyen et depuis les débuts du Fer jusqu'à l'époque byzantine. Mais rien de valable qui corresponde à la plus grande partie du Bronze Moyen et à tout le Bronze Récent, qui puisse justifier une installation de quelque importance à cette époque (1). Et R. J. Braidwood de conclure ; « In the Late Bronze Age, there seems to have been no occupation of the tell, or else its remains lie so far within the core of the mound that our sondages did not reach them. This alternative seems unlikely however, for all the sherd sorting from the tell only small fragments of Cypriote « milk bowls », and none of the other characteristic Late Bronze wares appeared (2) ». La même mission de recherches effectua un sondage dans le petit tertre de Semerian. Quelques vestiges et restes céramiques du Bronze Ancien et Moyen et du Bronze Récent dans deux des sondages effectués, l'un d'eux ayant même livré une statuette de bronze, donnaient à ce site quelque droit à représenter l'ancienne Simyra. La Direction Générale des Antiquités de Syrie y effectua un sondage en mars 1955. On eut confirmation de l'existence dans ce tertre d'une abondante couche de l'Âge du Fer et du Bronze

— qui ne mène nulle part, hormis avec des porteurs ou des convois muletiers. Pour une armée la vallée de l'Eleuthère s'impose. Ce passage serait la vallée de l'arbre *âch* que l'on identifie avec le sapin. Cet arbre abonde dans la forêt de Qamouha, un boisement froid exposé au nord, où l'on en voit de fort beaux fûts. Son nom arabe est *shuh*, cf. l'assyrien *asuhu* : l'*Abies Cilicica* des botanistes. Son extrême limite méridionale est la forêt de Ehden. Dans la vallée de l'Adonis, à 30 km. plus au sud, il n'y en a plus un seul exemplaire.

(1) ROBERT J. BRAIDWOOD *Report on two sondages on the coast of Syria, South of Tartous*, dans *Syria* XXI, 1940, p. 183-221.

(2) *Ibid.*, p. 195 s.

s'appelle encore *Semerian*. La région est elle-même drainée par un gros ruisseau appelé lui aussi *Nahr Semerian* (1). Ce nom n'est pas commun dans l'onomas-tique arabe syrienne ; on ne le rencontre que là et il n'y a aucun sens non plus que dans aucun des parlers arabes actuels du pays, où le racine *smr* qui évoque l'idée de brun fournit cependant quelques toponymes de forme adjective. On peut donc le considérer comme résiduel.

Dans l'aire ainsi désignée réduite à une surface de six kilomètres carrés environ, aucun accident de terrain ne gêne l'observation hormis le cordon des dunes côtières et de très basses ondulations quand on s'approche de la montagne. C'est la partie centrale de la plaine qui s'étend du Nahr-Maraqiyé au Nord jusqu'au Djebel Torbol au Sud. Plaine de bonne terre noire, profonde, extrêmement fertile, abondamment irriguée par les petites rivières quasi perennes du Nahr el-Barid, du Nahr Arqa, du Nahr el-Kebir (l'Eleuthère), du Nahr el-Abrache, du Nahr Ghamqé, la moins prodigue, du Nahr el-Qess et, tout au nord, du Nahr Maraqiyé. Sa partie méridionale est d'une richesse agricole qui a frappé tous les voyageurs. C'est « la grande plaine », la *Macropedion* de Strabon (2). Au Moyen-Age, Burchard de Mont Sion vante cette plaine aux nombreux casaux, riche en champs d'oliviers, de figuiers, d'arbres divers et de beaucoup de bois. Les fleuves y abondent et les paturages. Je vis là, écrit-il, le plus grand troupeau de chameaux, il y en avait plusieurs milliers. C'est incontestablement la plus vaste-environ — 500 km² — plaine de la côte syrienne une des plus nourricières aussi (3). Mais à cette valeur foncière il s'en ajoute une autre, hors de pair celle-là : une valeur de position. Cette plaine est en effet la trouée majeure pour gagner depuis la côte la Syrie intérieure. Thoutmès III et Ramsés II (4) l'ont parcourue. Au temps des Croisades c'était la route dorsale

(1) Village et ruisseau sont portés sur la carte au 1/50.000 des Troupes Françaises du Levant (Feuilles Halba et Hamidiyé).

(2) XVI, 2, 17. Ce nom se retrouverait dans celui de Magara du Papyrus Anastasi I, Voir CHABAS, *Voyage d'un Egyptien*, p. 126-127. Cité par Maspero, *Hist. Anc.* II, p. 189, no I.

(3) THOMSON dans le *Missionary Herald*. 1840. vol XXXVII, p. 48, à la suite de THOMAS SHAW, Mais aujourd'hui l'agriculture encore soumise aux contraintes féodales y est stagnante.

(4) Dans cette vallée il faut localiser la ville de Meriamon — on a pensé à Mariamin — fondée par ce pharaon lorsqu'il fit route de la côte sur Qadech. On localisait cette ville dans la vallée d'Adonis lorsque cette vallée, comme celle du Nahr el-Kelb, était à tort considérée comme un passage pour gagner l'intérieur syrien. Mais ce n'est qu'un cul-de-sac —

droit dans le thalweg de l'enselement qui sépare les deux massifs. De cet angle l'armée égyptienne suivit le cours de la rivière et à son débouché dans la plaine côtière — l'actuelle plaine de Akkar — elle n'eut qu'à obliquer vers le N. O. pour filer en ligne droite sur Rouad. On se trouve donc amené à chercher Simyra quelque part sur cet itinéraire en plaine et le plus près possible du rivage.

Pour la suite de notre enquête nous disposons d'un texte précieux dans les annales des rois d'Assyrie. Des tablettes du temple de Anu et Adad mises au jour par les fouilles d'Assour ont révélé une campagne menée au pays d'Amourrou par le roi Tiglatphalazar Ier (fin XIIe, début XIe s.) : « Au Mont Liban je me rendais. Des poutres de bois pour le temple de Anu et de Adad, les grands dieux, mes seigneurs, je coupais et j'emportais. Au pays d'Amourrou je passais et Amourrou en sa totalité je conquies. Tribut de Byblos, de Sidon, d'Arvad je reçus. Sur des bateaux d'Arvad, qui est au bord de la mer, à *Samuri* qui est au pays d'Amourrou je passais, un voyage de trois double-heures (*bêru*). Un cachalot (*na-ḫi-ru* : souffleur), qu'ils appellent cheval de mer, au milieu de la mer, je tuais. » (1).

La distance entre Rouad et Simyra est donc de six heures. Est-ce par bateau que le roi aurait passé toutes ses troupes, on en doutera. On n'embarque pas des troupes pour les débarquer six heures après le long d'une côte plate, sans obstacle aucun. Il est préférable de penser que le roi s'est offert une partie de navigation et de pêche tandis que ses hommes faisaient route par terre, suivant une direction qui dut être à peu près celle suivie en sens inverse plus de trois siècles auparavant par l'armée de l'houtmès III (2). Or, à cette distance horaire qui peut correspondre à 25 ou 30 de nos kilomètres, nous arrivons dans des terres connues actuellement sous le nom de *Ard-Semerian* (3). Un petit village situé à 5 km de la côte, tout au pied de la montagne,

(1) D. D. Luckenbill, *Ancient Records of Assyria and Babylonia*, Vol. I, p. 98, no 302.

(2) Sous réserve de ce que nous disons plus haut, note 4, il me paraît surprenant que l'armée égyptienne ait effectué la longue course de Qadech à la côte pour piller une ville mineure comme Ardata, laissant sur son flanc droit la pression de Rouad et de sa pérée. Un raid direct de Qadech à Orthosia ne change pas les termes essentiels de notre démonstration, car la région de Semerian garde de toute manière le débouché de la vallée.

(3) Désignation reconnue au cours d'une enquête personnelle.

Pendant longtemps on a cru à la suite de Thomas Shaw (1) que Simyra était représenté par le lieu-dit *Sumra*, à environ une demi-heure de marche au nord du Nahr el-Kebir. Ce lieu-dit aurait encore été reconnu par A. T. Olmstead en 1904 et selon Robert J. Braidwood, qui fit appel aux souvenirs de ce savant, il se trouverait dans le voisinage de Shaqqa, petit village près de l'embouchure du Nahr el-Abrache (2). Malheureusement personne ne connaît plus aujourd'hui dans la région le nom de *Sumra* ni celui de Shaqqa et aucun tell n'y apparaît hormis, sur la rive gauche de la rivière, la petite éminence appelée el-Lahâ. Il faut donc chercher Simyra ailleurs dans ces parages. Deux textes sont d'importance à cet égard.

Les annales du Pharaon Thoutmès III relatent qu'au cours de sa sixième campagne en Asie, Sa Majesté arriva à la ville de Qadech, la détruisit, coupa ses arbres, moissonna ses céréales. Elle atteignit le pays de *S. y. wt* (nom incomplet), ensuite la ville de Simyra, puis enfin Rouad qui fut traitée pareillement (3). Dans cette marche l'armée avait pour objectif immédiat la capture de Rouad et de ses dépendances et sans doute le ravitaillement abondant des troupes, comme ce fut le cas dans la campagne de l'année précédente. L'armée dut faire marche par la route la plus directe. L'étude du terrain révèle qu'elle ne put depuis la région de Qadech que se diriger vers la trouée de Homs, qui s'ouvre entre les pentes nord du Liban et le versant méridional de la montagne des Nosairis, et gagner ainsi les abords du coude que fait l'Eleuthère. Celui-ci coulant d'abord du nord au sud perpendiculairement à l'axe de la trouée, fait un angle

(1) *Travels*, I. p. 269.

(2) *Report on two Sondages on the Coast of Syria. South of Tartous* dans *Syria* XXI, (1940) p. 219, n. I.

(3) JAMES HENRI BRAESTED, *Ancient Records of Egypt*, vol. II. p. 108, 465. Rouad pour l'annaliste n'est pas seulement l'île, mais aussi la côte voisine. Dans la campagne de l'année précédente il est fait mention de ses céréales, de ses beaux arbres, de ses jardins et de leurs fruits, du vin coulant à flots des pressoirs, des grains sur les terrasses aussi abondants que le sable du rivage (*ibid.* p. 196, no 461). Je sais qu'à la suite de Hermann Ranke (*Altorientalische Texte zum alten Testament* 2e ed. p. 88) le le toponyme' - *r' - t - wt*, - *r' tj - wt* qui apparaît dans le récit des 5e et 6e campagnes de Thoutmès III ne désignerait peut-être pas Rouad, qui est rendu ailleurs par' - *r' - t - wt* mais *Ardata* des tablettes d'El-Amarna, que l'on identifie avec Orthosia à l'embouchure du Nahr el-Barid, sur la rive droite

A LA RECHERCHE DE SIMYRA

par

MAURICE DUNAND ET NESSIB SALIBY

La mention dans Genèse X, 18 du gentilice *Semari* d'où l'on a inféré le toponyme *Semar* ou *Semara*, a provoqué depuis longtemps des recherches pour identifier ce site sur le terrain. Comptés parmi les fils de Canaan, les *Semarites* apparaissent notamment en compagnie des gens d'Arqa, de Sin, de Rouad et juste avant le dernier d'entre eux, les gens de Hama. Cette association limitait les recherches dans la région comprise entre Hama, Rouad et les pentes septentrionales du Liban où se trouve Tell Arqa (1). Les auteurs de l'antiquité classique, en particulier Pline (2) et Strabon (3), mentionnent une ville de Simyra et leurs indications concordent pour la placer entre l'Eleuthère, qui est le Nahr el-Kebir méridional et Marathus, qui est Amrith. Seul le géographe Ptolémée le plus tardif de ces auteurs (4) la localise au sud de l'Eleuthère. L'aire des recherches se trouve ainsi ramenée de la basse vallée du Nahr el-Kebir aux approches d'Amrith.

(1) L'identification d'Arqa avec Tell-Arqa est sûre. Voir déjà THOMSON, *Bibliotheca Sacra*, V, p. 15-17. Pour Sin on propose Shein à 6 km au S. - E. de Halba (DUSSAUD, *Topographie Historique*, p. 88 s.). Mais ce site est trop près d'Arqa et trop retiré dans la montagne pour avoir jamais eu quelque importance. La localité du même nom à 20 km au N. E. de Tell Qala, encore importante aujourd'hui, est à préférer car elle ne présente pas ces difficultés.

(2) *Histoire Naturelle*, V, 20, 17

(3) *Geographica*, XVI, 2 ; 12

(4) *Geographia* V, 15, 14.

LES ANNALES ARCHÉOLOGIQUES DE SYRIE

Revue d'archéologie et d'histoire syriennes, publiée par la Direction Générale des Antiquités de la Province Septentrionale de la République Arabe Unie. Elle paraît deux fois par an, et se propose de contribuer au développement de la science archéologique, à la publication des fouilles, et de regrouper les amis et les spécialistes des Antiquités Syriennes.

* * *

Elle publie des articles en arabe, français, anglais et allemand et elle pourra éventuellement faire l'objet d'un échange avec toutes les revues archéologiques et historiques du monde entier.

La rédaction et la direction de la revue des Annales Archéologiques de Syrie sont assurées par :

M. Sélim Abdul-Hak,	Directeur Général des Antiquités de Syrie.
M. George Haddad,	Directeur de la Section d'Histoire à la Faculté des Lettres de Damas.
M. Mouti Mourabet.	Directeur des Affaires Administratives à la Direction Générale des Antiquités.
M. Fayçal Seirafi	Conservateur du Musée d'Alep.

* * *

CONDITIONS D'ABONNEMENT

20 Livres syriennes en Syrie par an.

50 Shillings ou l'équivalent en dollars et en francs à l'étranger . . .

Le prix du tome VII est aussi de 20 livres syriennes.

Les ouvrages dont on désire se procurer un compte rendu sont à adresser à la direction de la revue.

Le Conseil d'Administration de la Direction Générale des Antiquités est composé pour les années 1957 et 1958 de :

M. Sélim Abdul-Hak	Président
M. George Haddad	Membre
M. Raïq Stoufi, Secrétaire Général du Ministère des Finances	"
Ruzqallah Salem Député	"
M. Mouti Mourabet	"
Chef d'une section de la Direction Générale des Antiquités	"

L'adresse : Revue des Annales Archéologiques de Syrie, Direction Générale des Antiquités — Damas, Province Septentrionale de la République Arabe Unie.

RÉPUBLIQUE ARABE UNIE

DIRECTION GÉNÉRALE DES ANTIQUITÉS

DE LA PROVINCE SEPTENTRIONALE

LES ANNALES ARCHÉOLOGIQUES DE SYRIE

REVUE D'ARCHÉOLOGIE ET D'HISTOIRE SYRIENNES

Tomes VII

1957

SOMMAIRE DU SEPTIEME TOME

PARTIE OCCIDENTALE

- | | |
|--------------------------------------|--|
| 1) Maurice Dunand et Nessib Saliby | A la recherche de Simyra 3 |
| 2) Anton Moortgat | Archaeologische forschungen
der Max Frhr. von Oppenheim-
Stiftung im noerdlichen Meso-
potamien 1956 17 |
| 3) R. P. René Mousterde | Note sur une inscription mo-
numentale de Nawa 31 |
| 4) Claude] F. A. Schaeffer | Résumé des résultats de la
XIXe campagne de fouille a
Ras Shamra-Ugarit, 1955 35 |
| 5) Paul Collart | Le sanctuaire de Baalshamin
à Palmyre 67 |
| 6) W. J. Van Liere | Urkis, centre religieux hurrite
91 |
| 7) Dj'afar al-Hassani et Jean Starky | Autels palmyréniens décou-
verts près de la source Efca 95 |
| 8) Sélim Abdul-Hak | Exposition syrienne itinérante,
peinture, folklore, et artisanat
123 |
| 9) Gabriel Saadé | Le second congrès archéolo-
gique arabe 133 |



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات رایانه‌ای و علوم کامپیوتر

اللوحة الأولى



٢

١



٤

٣



٥

اللوحة الثانية



٢



١



٥



٤



٣

٦

اللوحة الثالثة



٢

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١



٤



٣

اللوحة الرابعة



مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



٤

٣



اللوحة السادسة

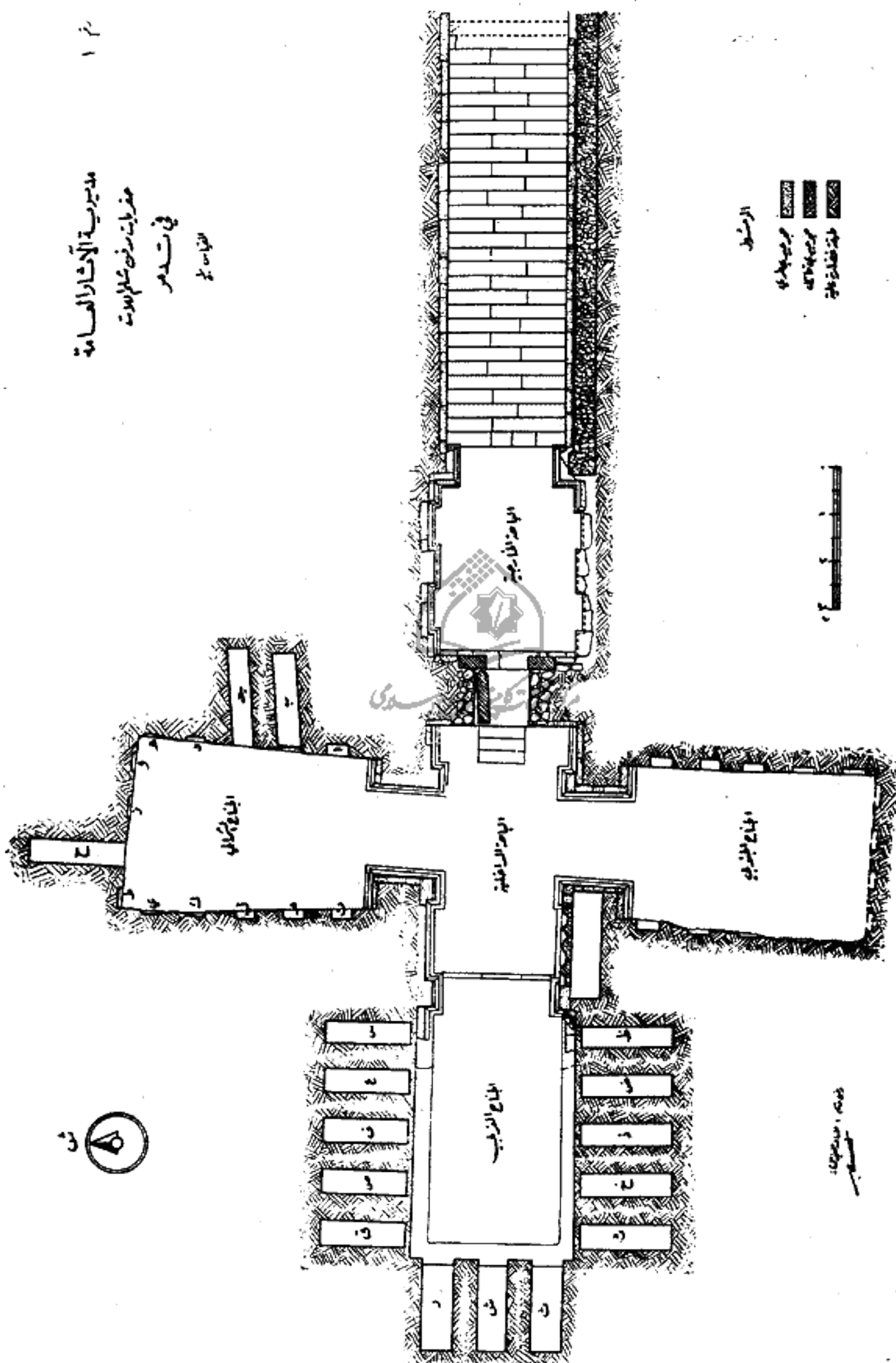


مديرية الآثار العامة

محرمیاتی مدفنیں سلام اللہ

پیغام

مجلس



10/10/10

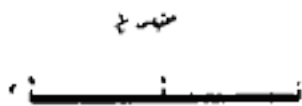
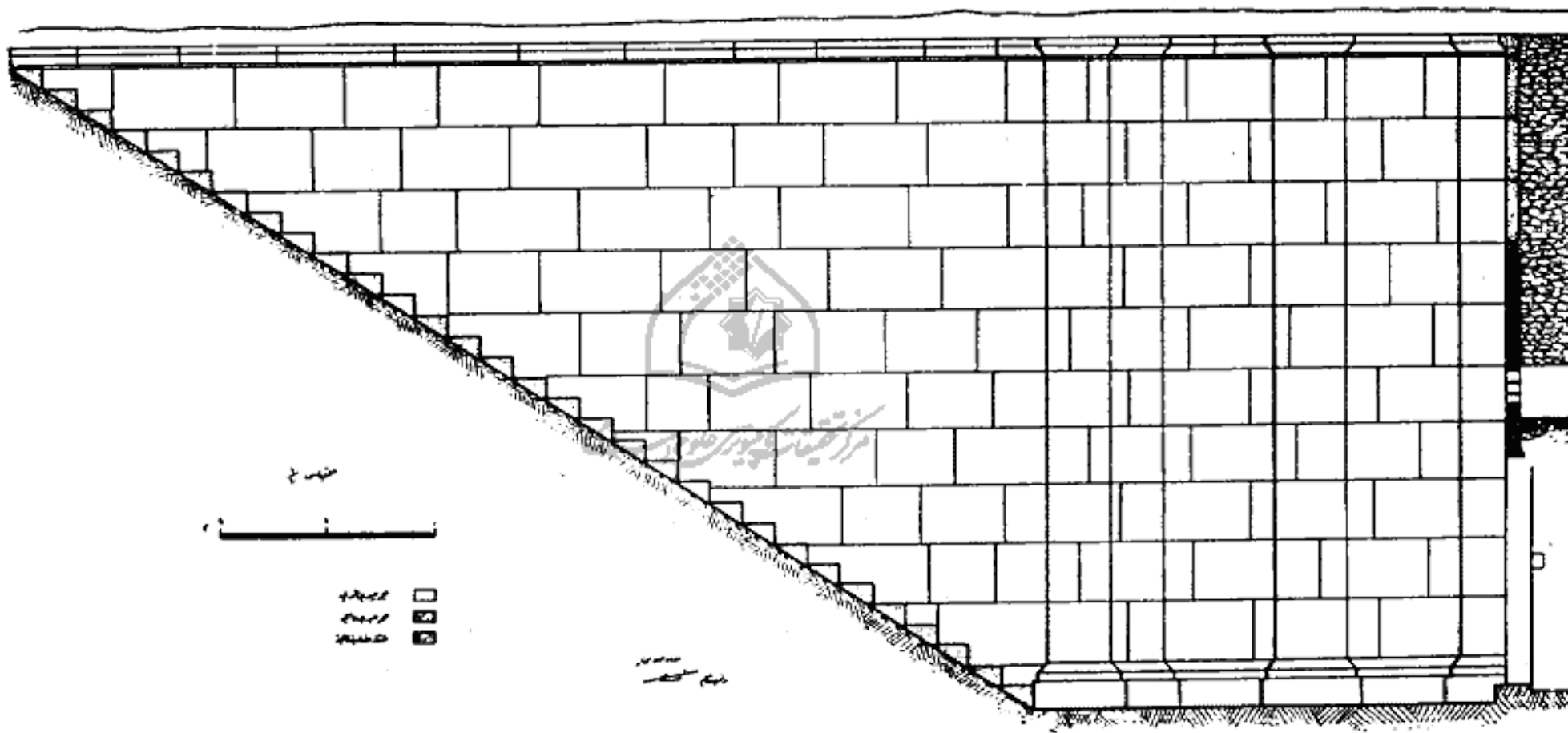
3

مديرية الآثار العامة
مقرات وزارة التعليم
في دمشق

٢٢٠

مقطع معماري باتجاه الجنوب



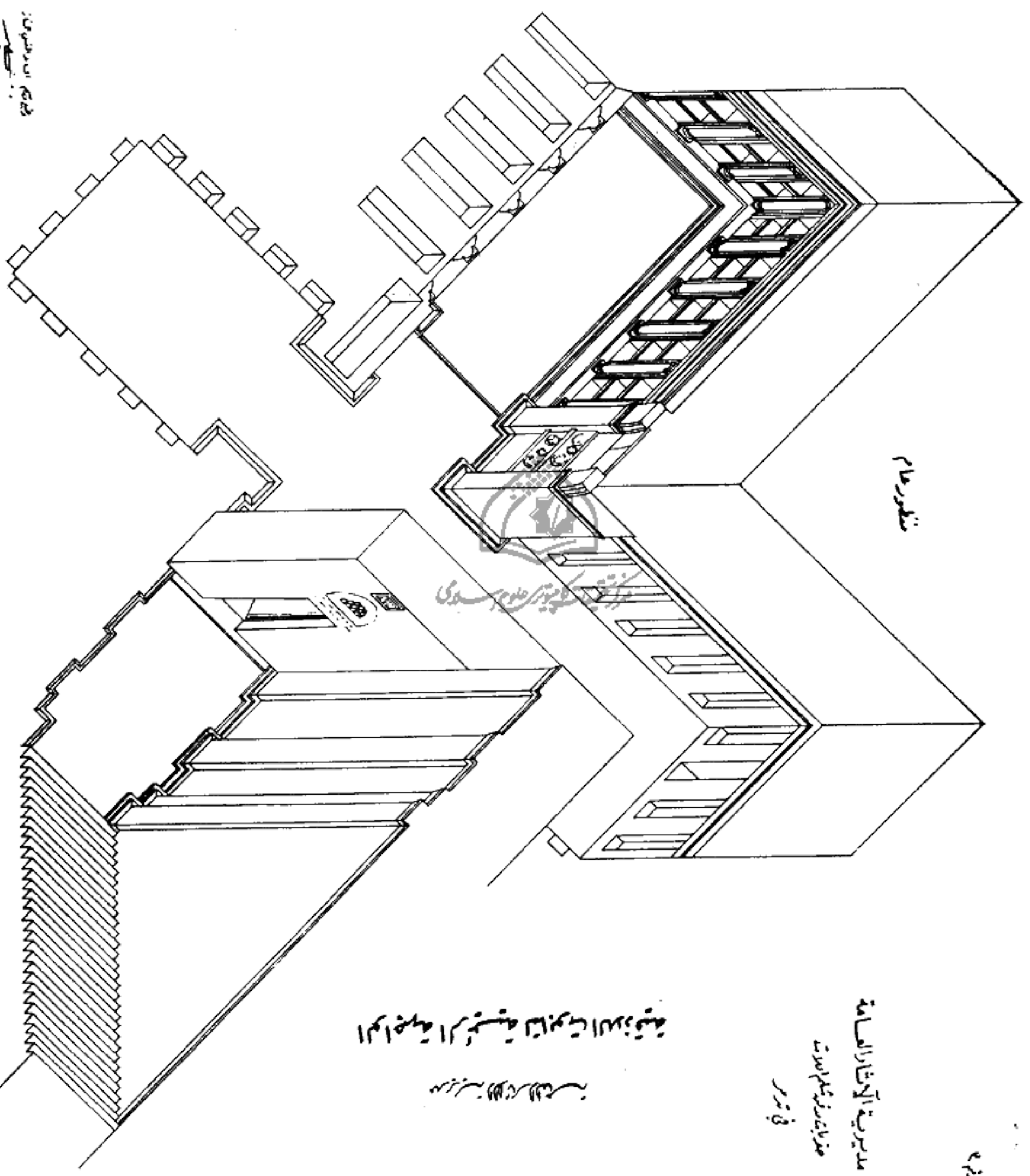


□ ۱
■ ۲
■ ۳

۱۰ م
۵ م

مديرية الأثار العامة
محافظة جدة
في تدمر

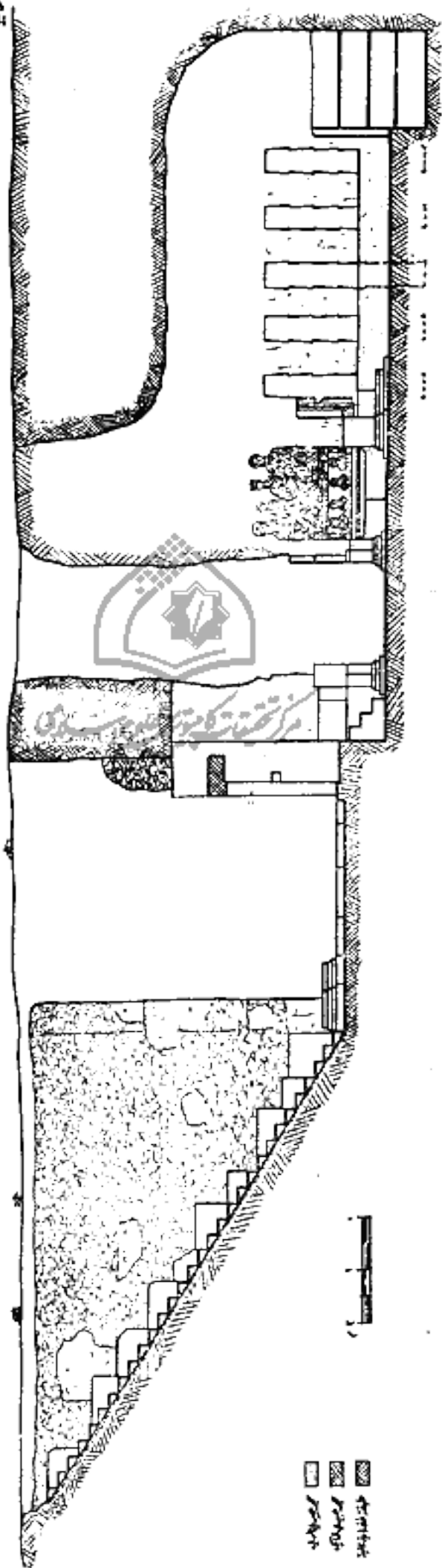
الوزارة العامة للثقافة
مديرية الأثار العامة
محافظة جدة



مخطط الموقع

قديريية الآشور السامرة
 حواريين من قديم السامريين
 في تدمر

مقطع من بناء القلوب

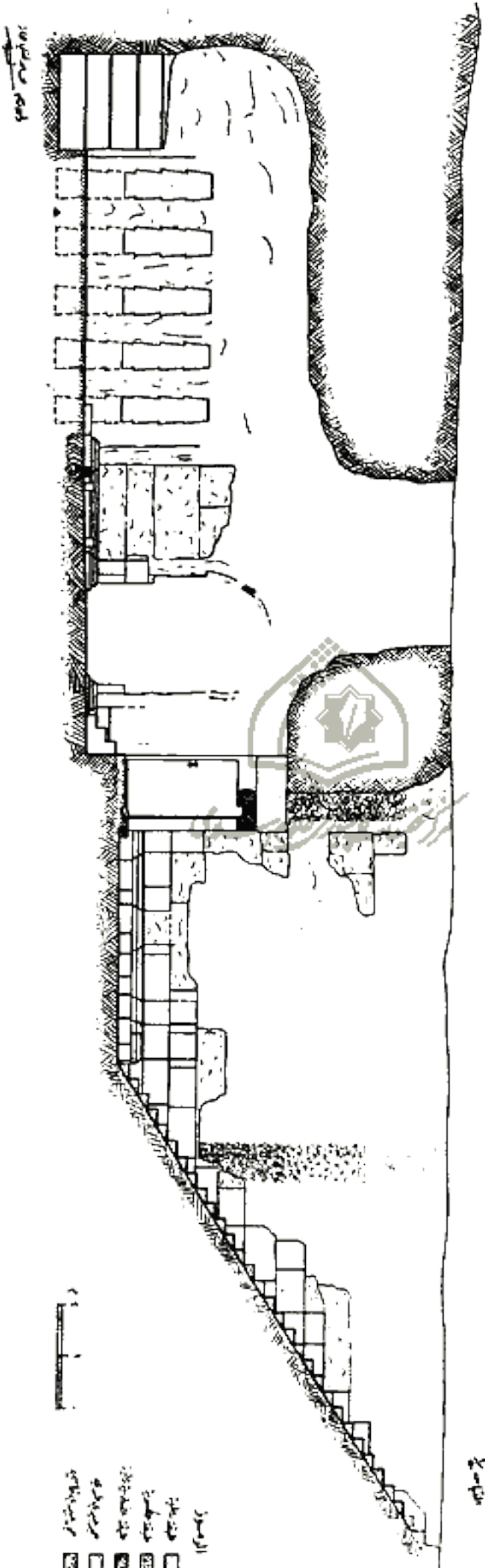


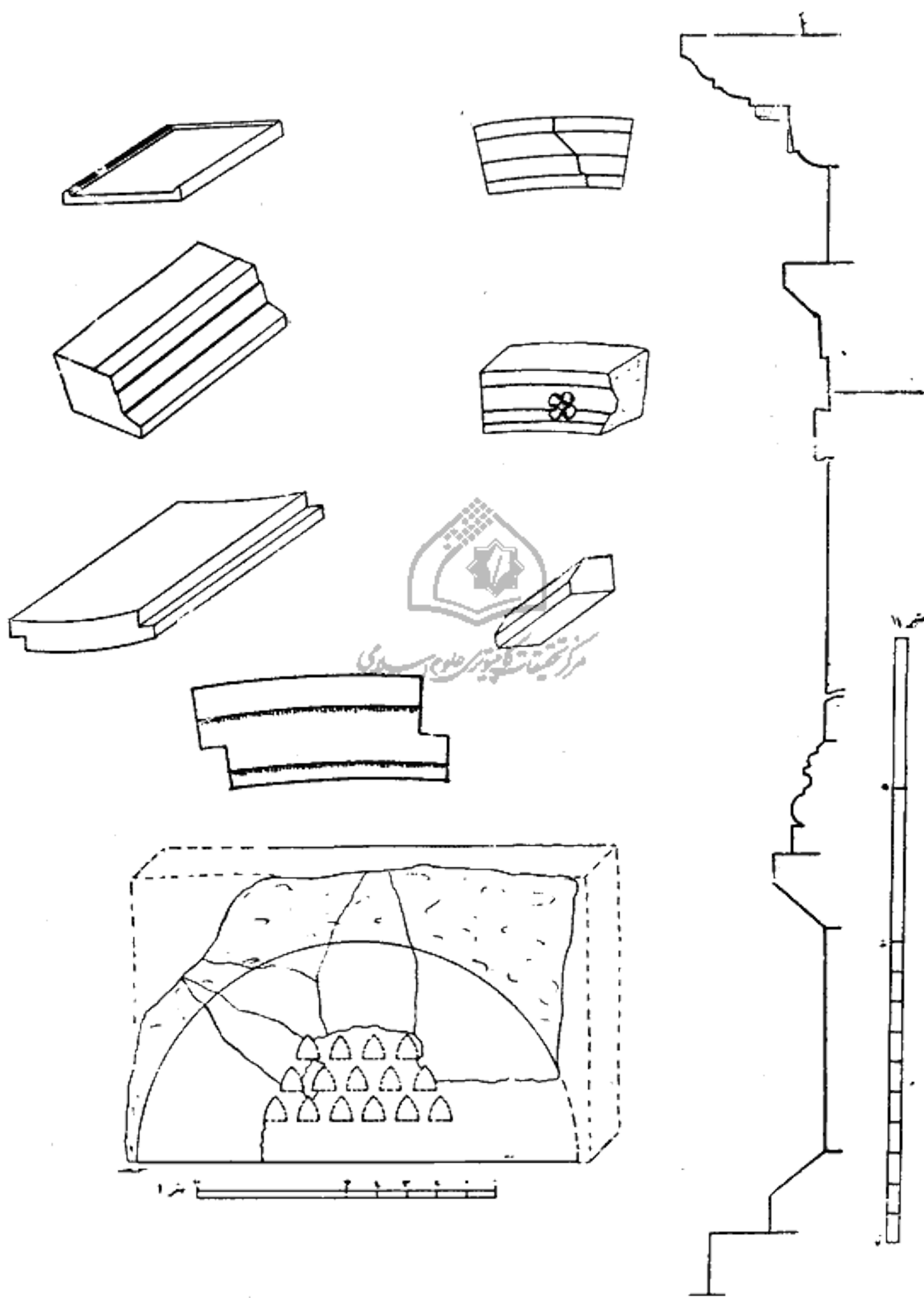
البناء من الحجر
 الجدران من الطين
 السقف من الخشب

الارتفاع ١٠ م

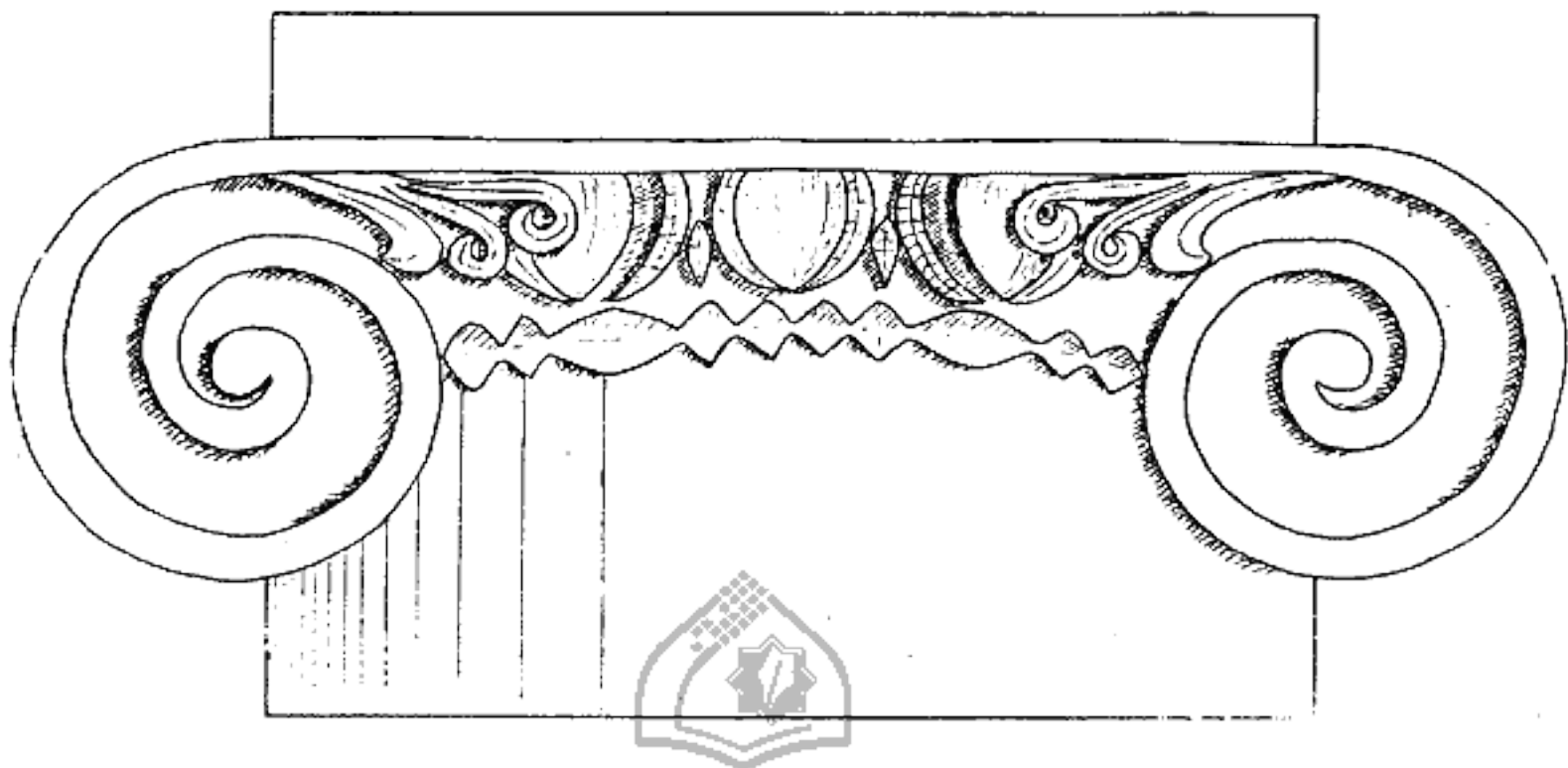
نقطة لادام به نوار بشمال

٥
مدیریتہ الآثار والعمارة
مدرسة رشيد بن محمد السليمان
في تدمر
ملاحق

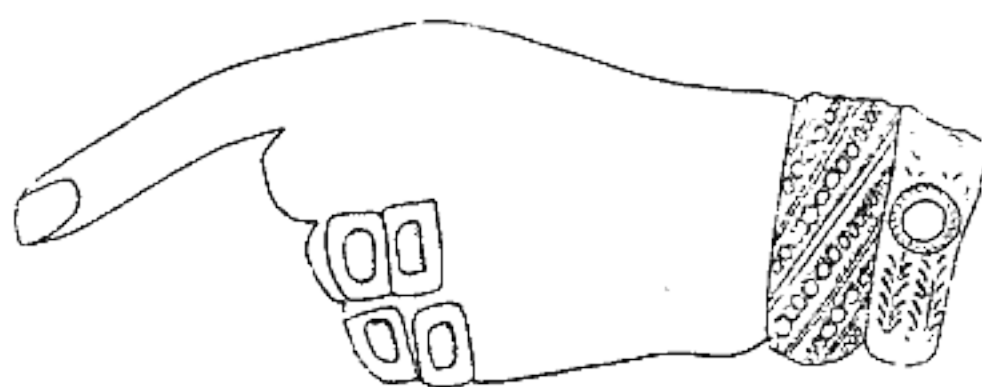




بعض التفصيلات العمرانية والمهندسية في مدفن شلم اللات .



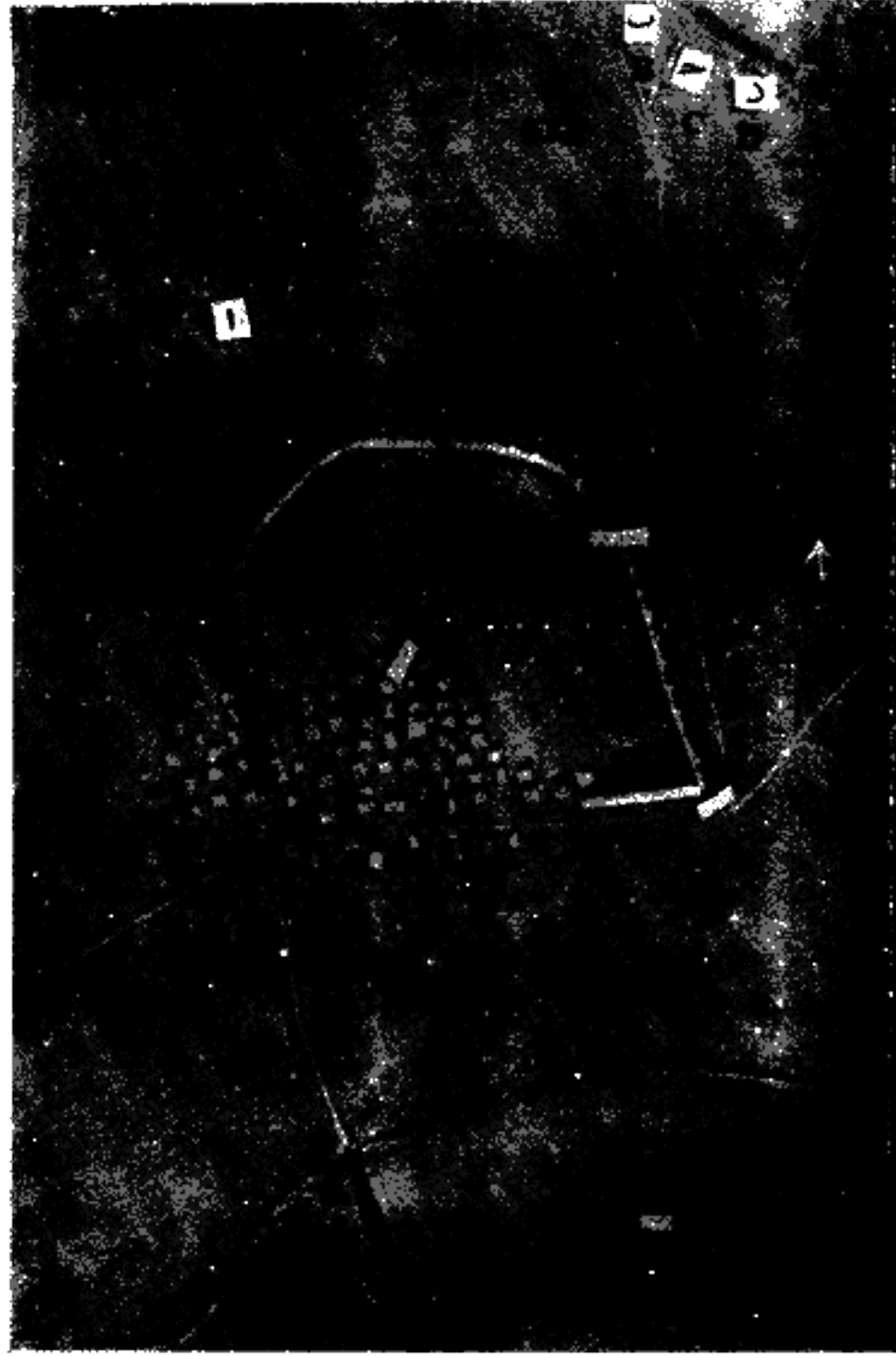
مرکز تحقیقات کپی رایت و حقوق ادبی



نموذج لتاج من تيجان الأعمدة ، ويد تمثل لسيده في مدفن شلم اللات .



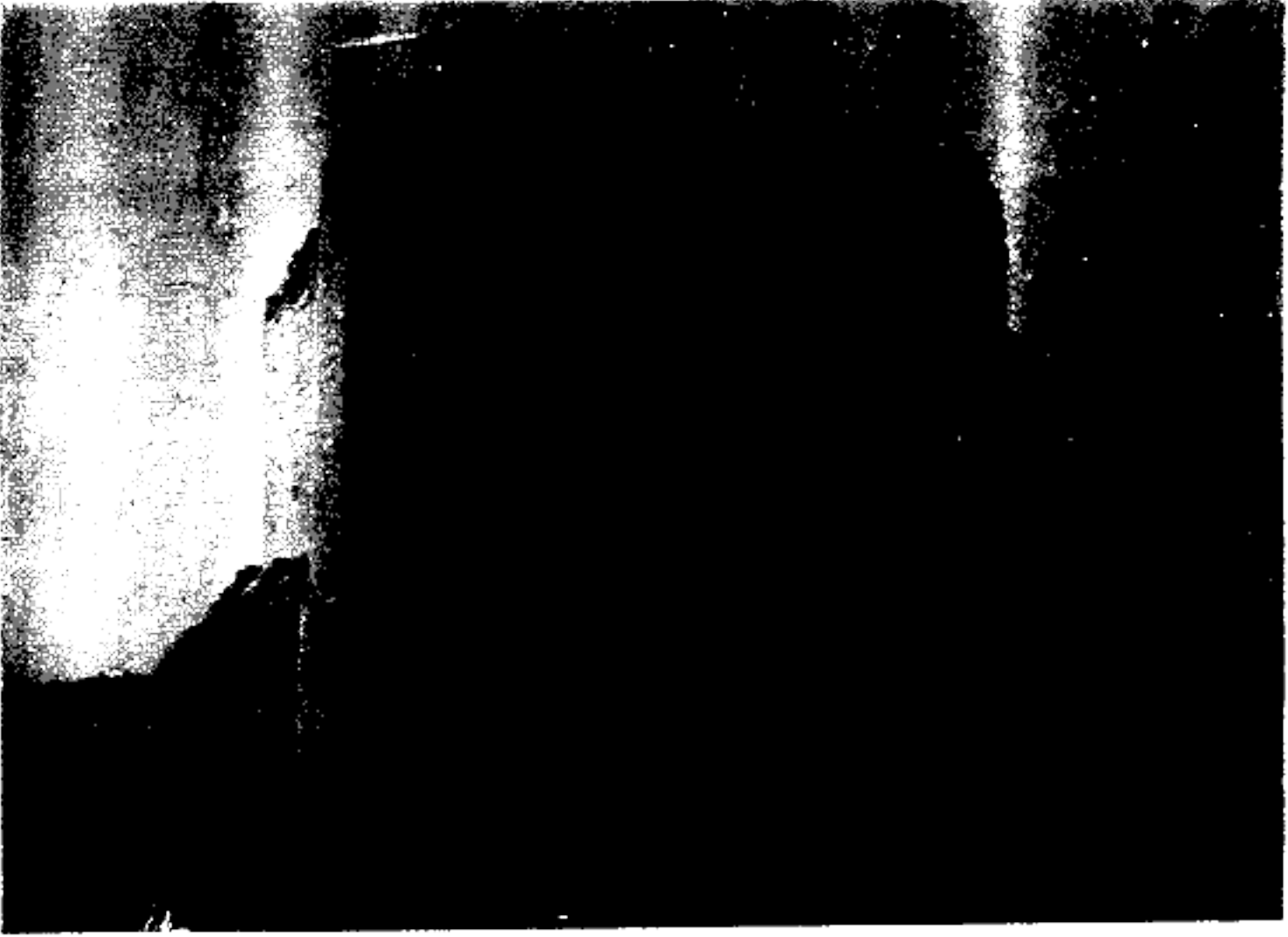
مصور الجزيرة كما وضعه الجغرافي الاصطخري في كتاب الاقاليم طبعة
Dr J. H. Holler, Gothae, MOCCCXXXIX وبلاحظ فيه أن الجنوب
يتجه الى الاعلى وأن مدينتي الرقة والرافقة متلاصقتان



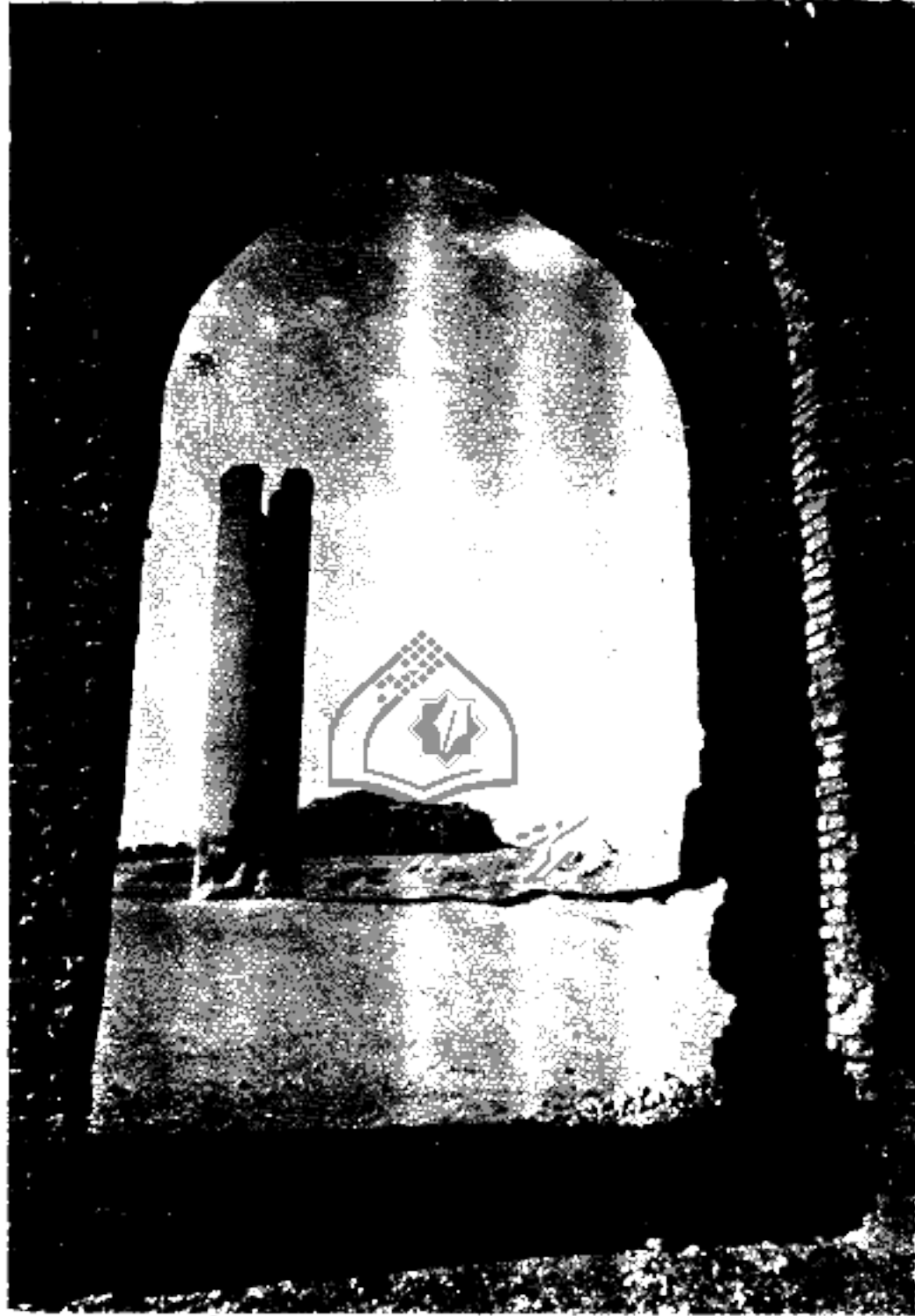
مخطط حجم لمنطقة الرقة هو معروض في قاعة الرقة من فرع الآثار العربية الإسلامية في المتحف الوطني بدمشق ويبدو فيه النقاط الآتية :

- ١ - مدينة الرافقة المصورة ضمن السور
 - ٢ - مسجد الرافقة
 - ٣ - توسع الرافقة خارج السور وهي التي أطلق عليها / الرقة الوسطى / وهي منطقة القصور التي تجري فيها مديرية الآثار العامة أعمال الجفر والتنقيب
 - ٤ - آثار القناة التي تروي الرقة .
 - ٥ - البلدة الحالية
- أ، ب، ج، د : القصور المكتشفة من قبل مديرية الآثار العامة .

اللوحة - ٣ -



باب بغداد كما يبدو حالياً في خرائب الرافقة



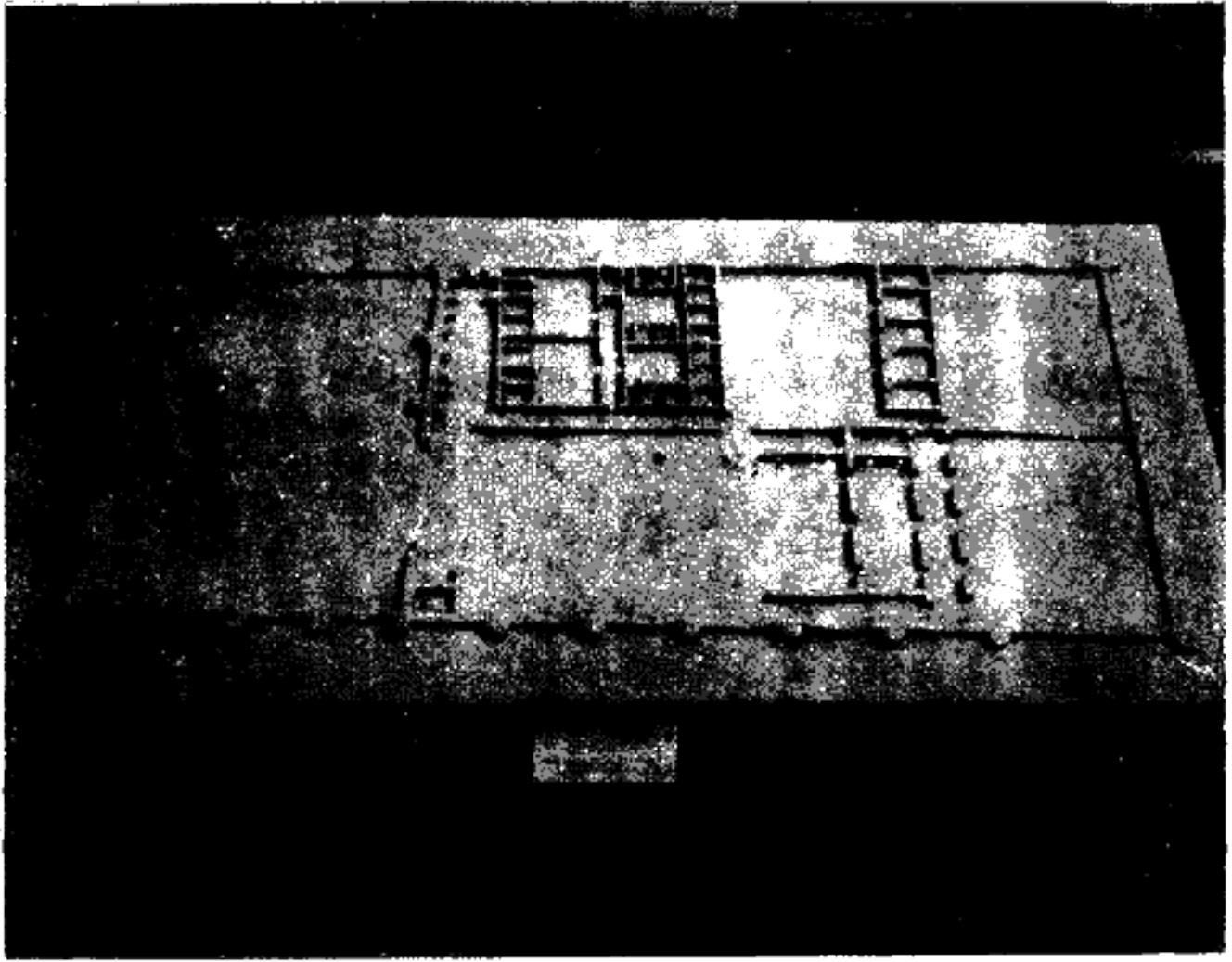
مأذنة جامع الرفقة تبدو من أحد أبواب واجهة المسجد الآجرية

اللوحي - ٥ -



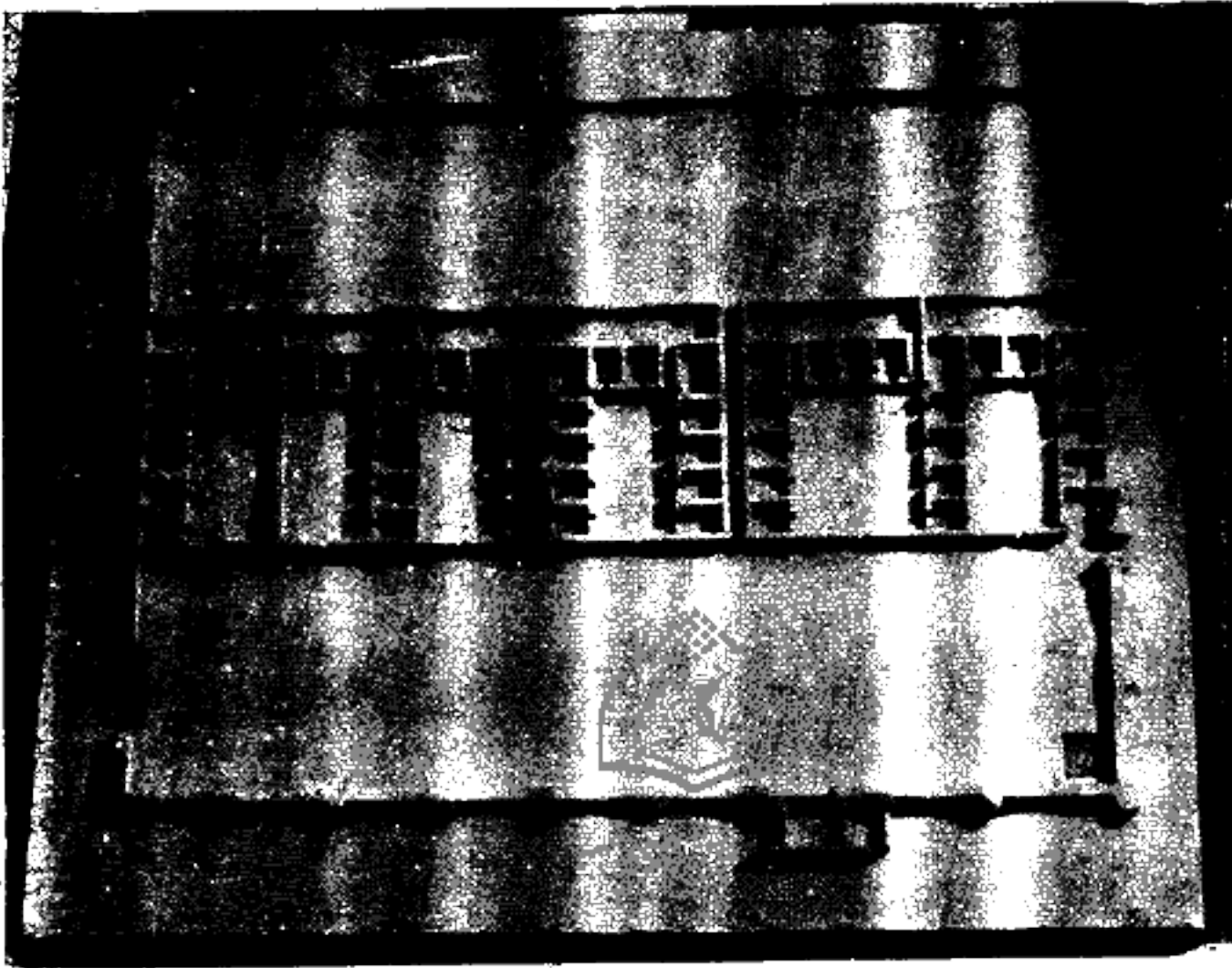
واسجة مسجد الرافقة وهي مبنية من الآجر ولا زالت مائة للعيان

اللوحة - ٦ -



المخطط المجمع للقصر - ب - كما هو معروض في قاعة الرقة من فرع الآثار العربية الإسلامية
في المتحف الوطني بدمشق

اللوحة - ٧ -



المخطط الجسم للنصر - ٥ - كما هو معروض في قاعة الرقة من فرع الآثار العربية الإسلامية
في المتحف الوطني بدمشق

اللوحة - ٨ -



قاعة الرقة - في فرع الآثار العربية الإسلامية من المتحف الوطني بدمشق

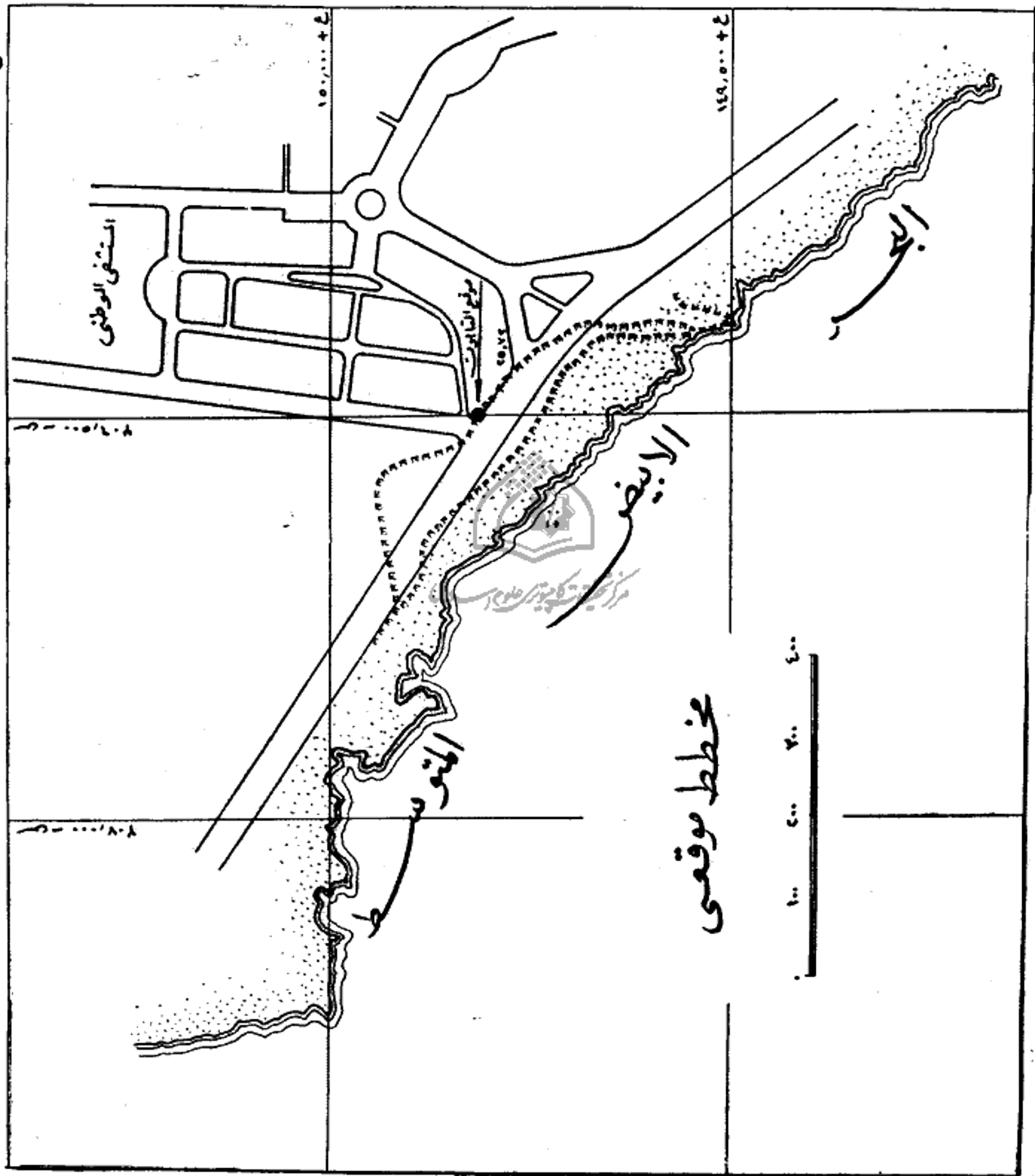
اللوحة - ٩ -

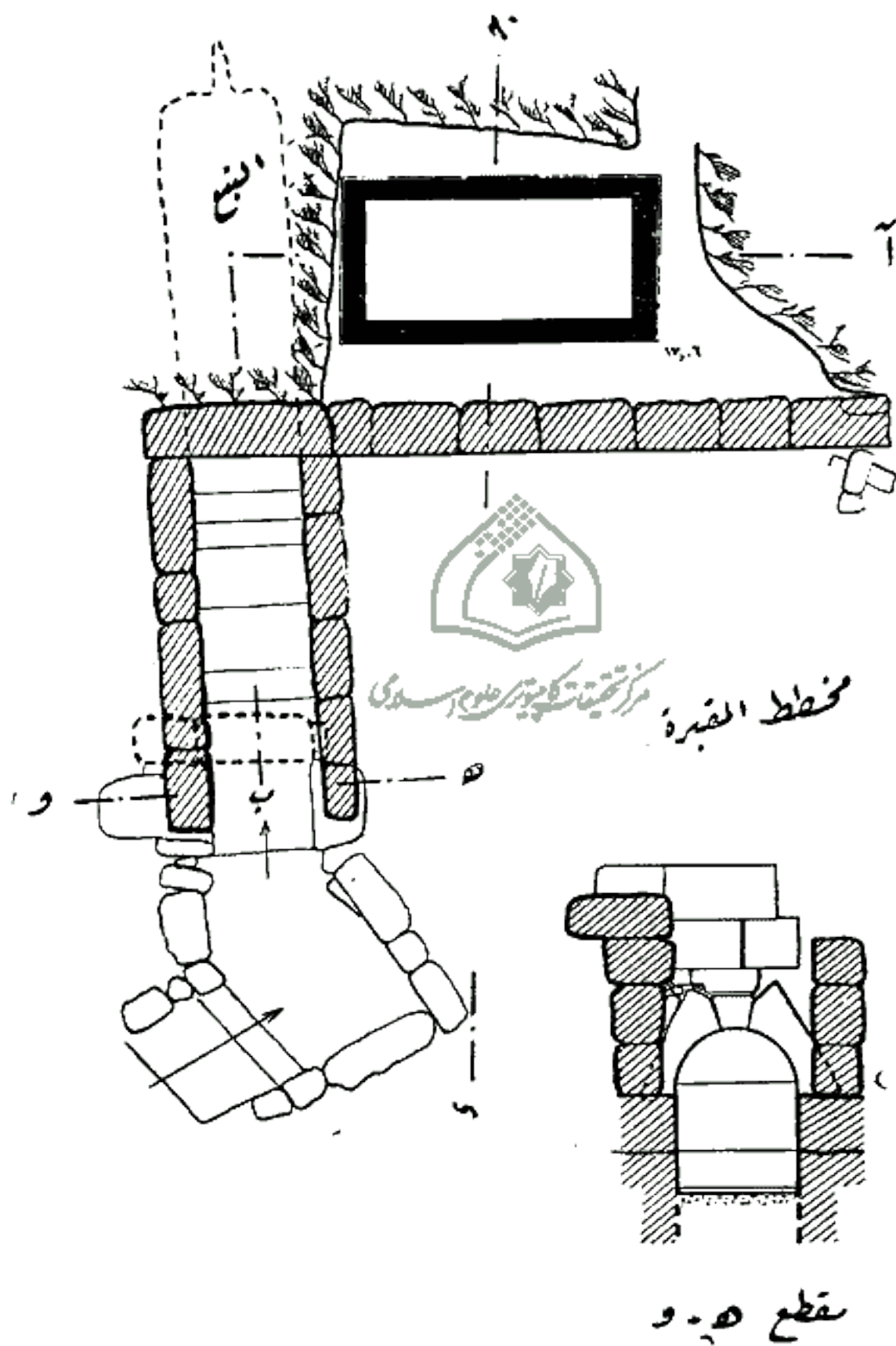


تاج عمود من حجر الجص الطبيعي ، يظن أنه من العهد البيزنطي وقد عمد البناء العربي إلى مسح الذؤابة العليا للصليب ليستخدمه في العمران في العهد العربي



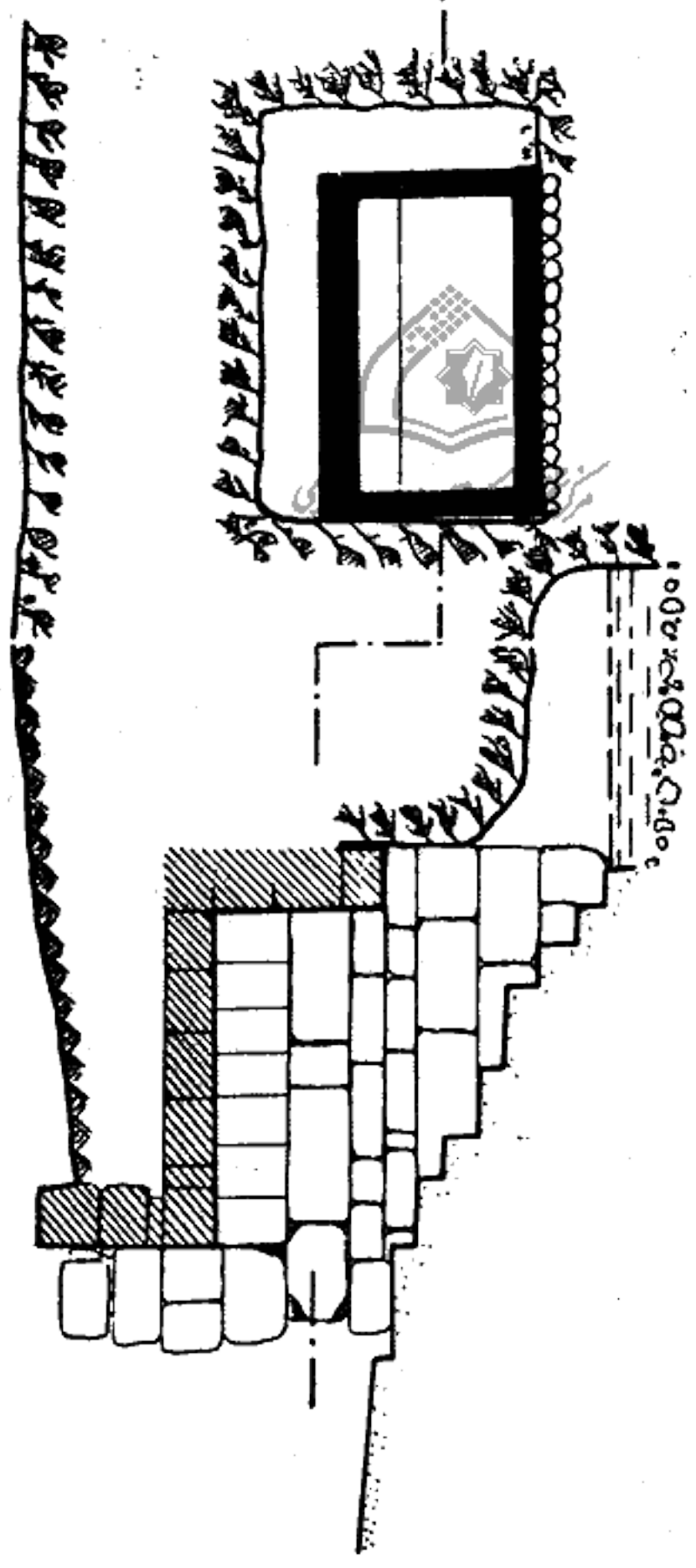
مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی





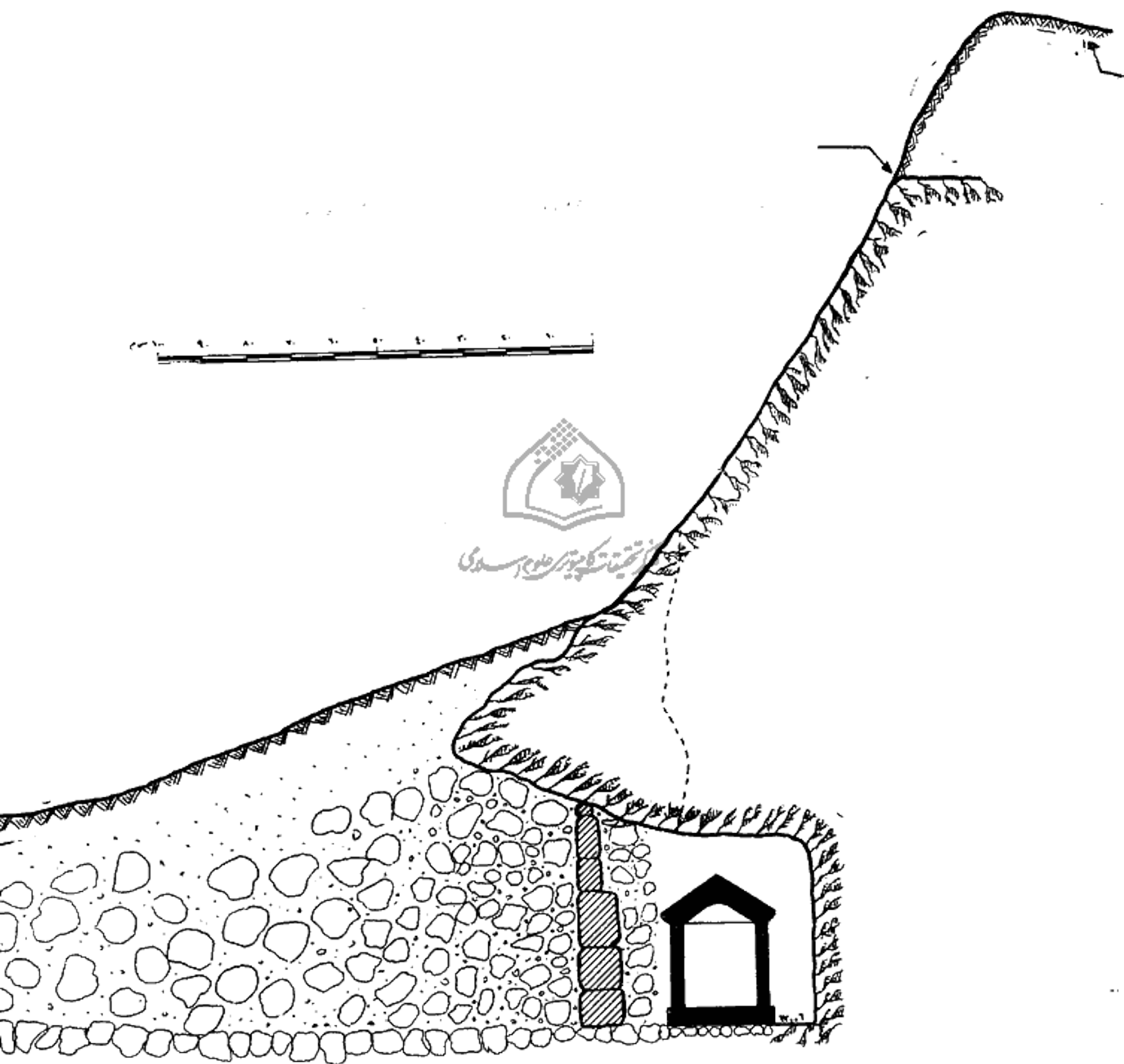
مقطع آ-ب

مقطع المخطط



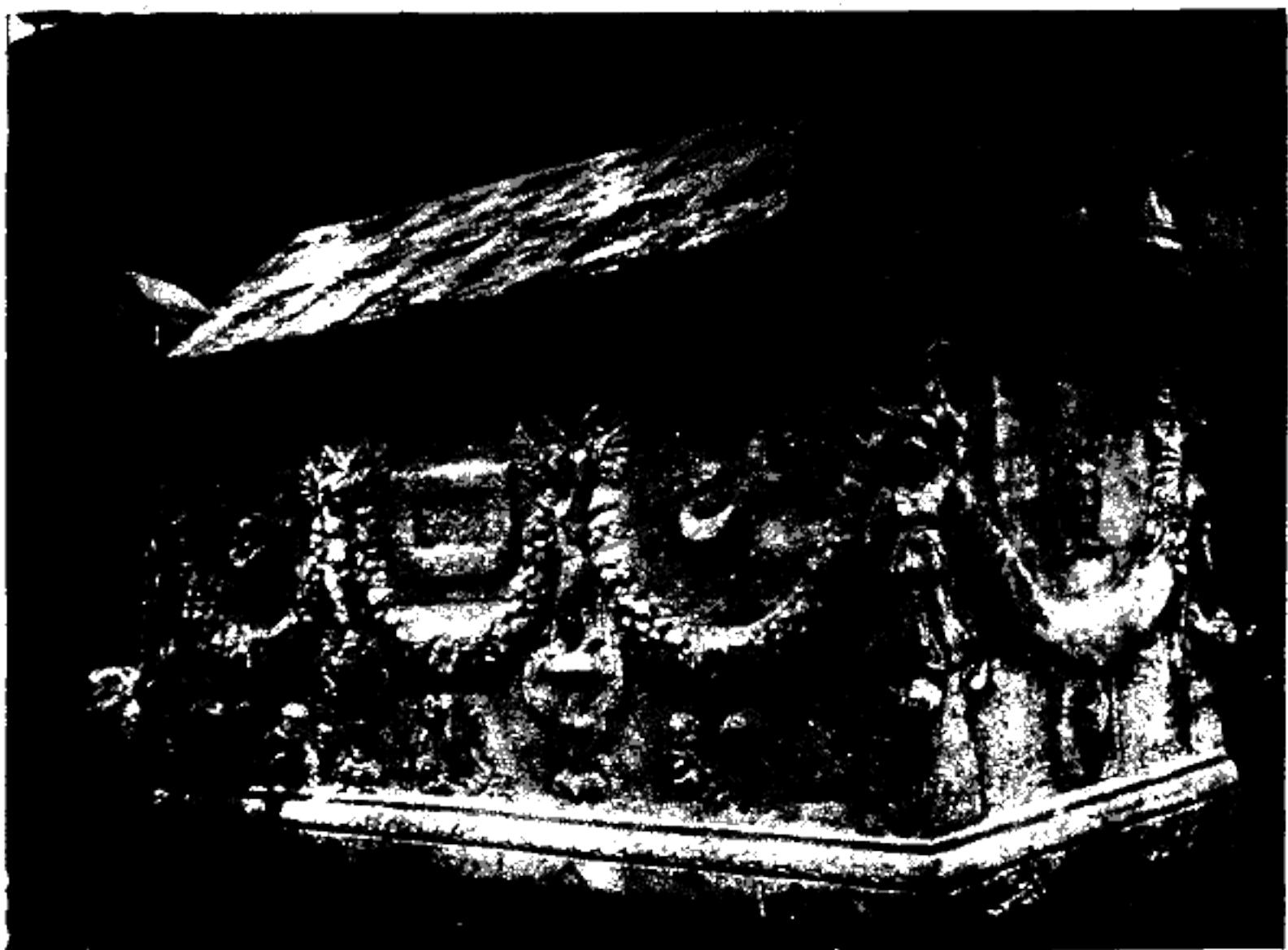
الموقع ٣

اللوحي ٤

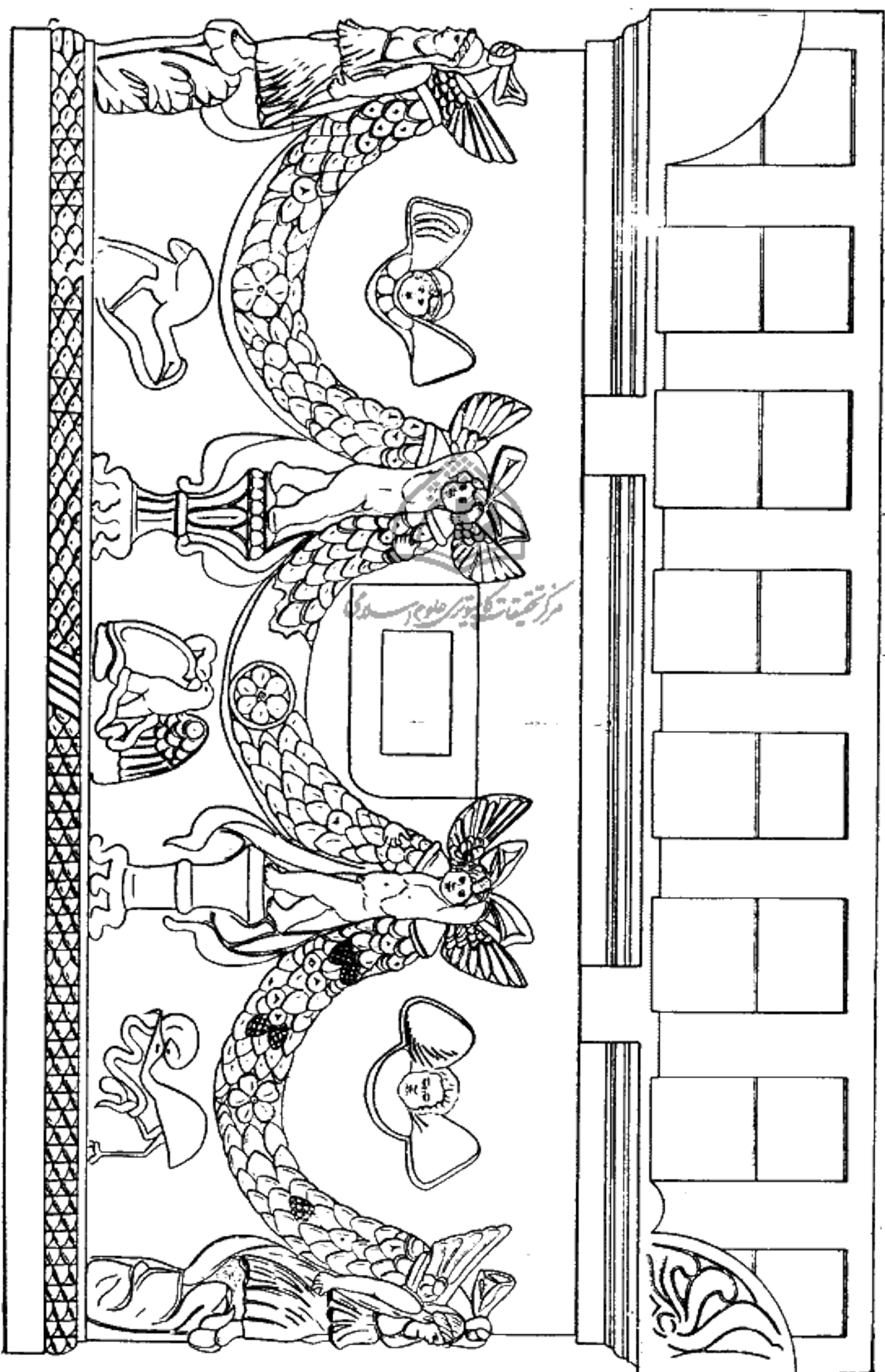


مقطع ج - ٥

الوح ٥



١ - ثابت الاذقية



(الموردة) الواجهة الرئيسية لتابوت الالافية

اللوحة ٢



(الشكل ٢) الواجبة الرئيسية تمثالان فافران لاله ابروس يحملان الاكليل



(الشكل ٣) الواجهة الجانبية اليمنى

اللوحة ٩



(الشكل ٤) الواجهة الجانبية اليسرى



(الشكل ٥) الواجهة الخلفية

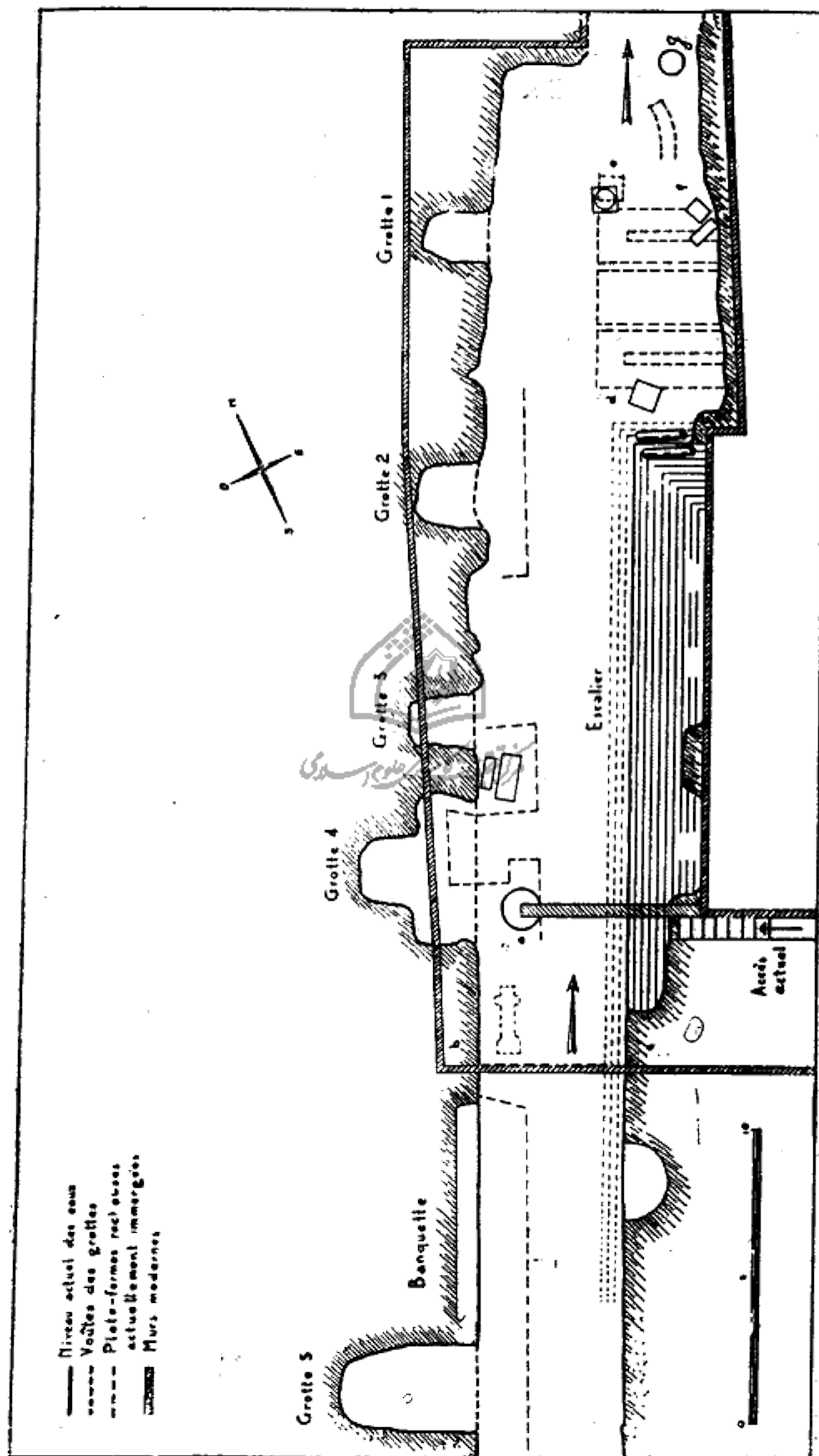
اللوحة ١١



(الشكل ٦) الرافعة السيارة تقف على المدرج ، ويبدو التابوت
في الاسفل ، بعد ان كشفت عنه الحفريات



(الشكل ٧) التابوت وغطاؤه بعد ان تم رفعها من الكهف ، وتبدو في الافق.
مياه البحر الالبيض المتوسط





1. Sortie des eaux,
et à droite, grotte 4.



2. La grotte 4 et sa niche.



سازمان اسناد و کتابخانه ملی
جمهوری اسلامی ایران



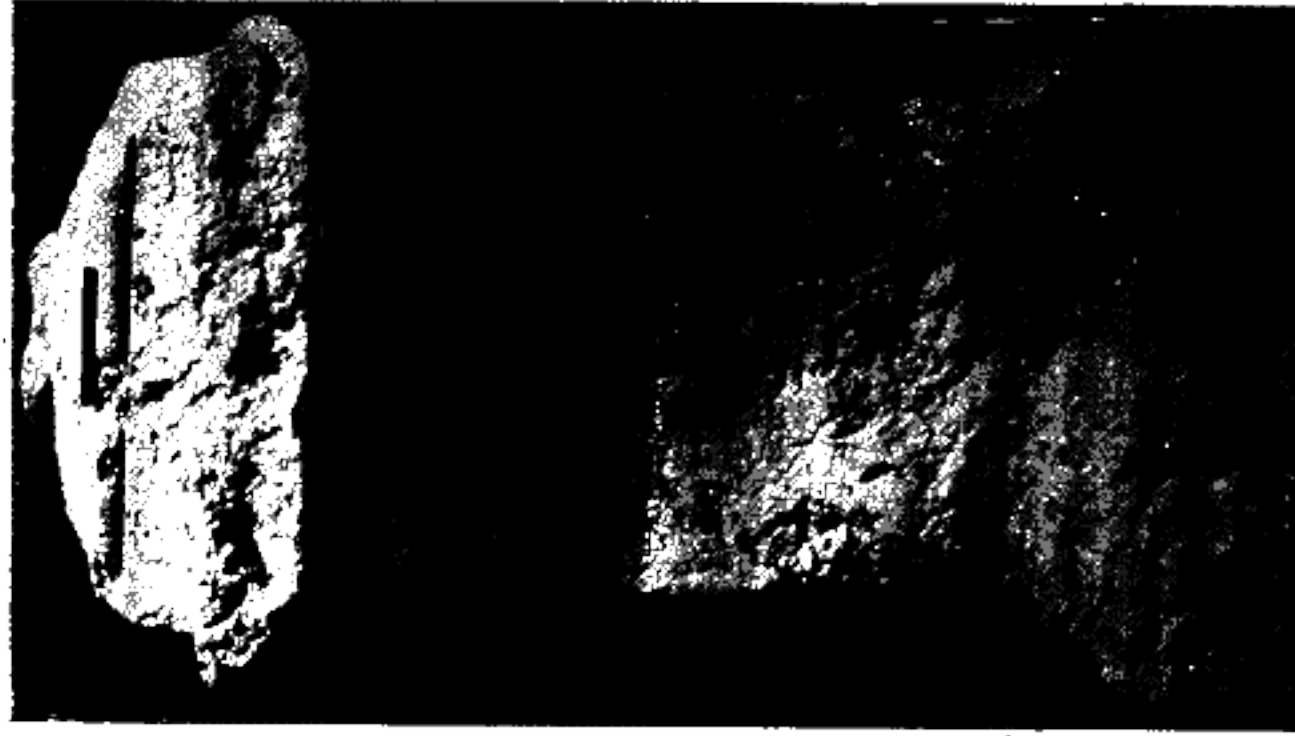
3. Vue prise de la sortie
de la source



4. Secles d'autels dominant
la source (S).



A 1168 (oct. 162)



A 1167 (oct. 162)

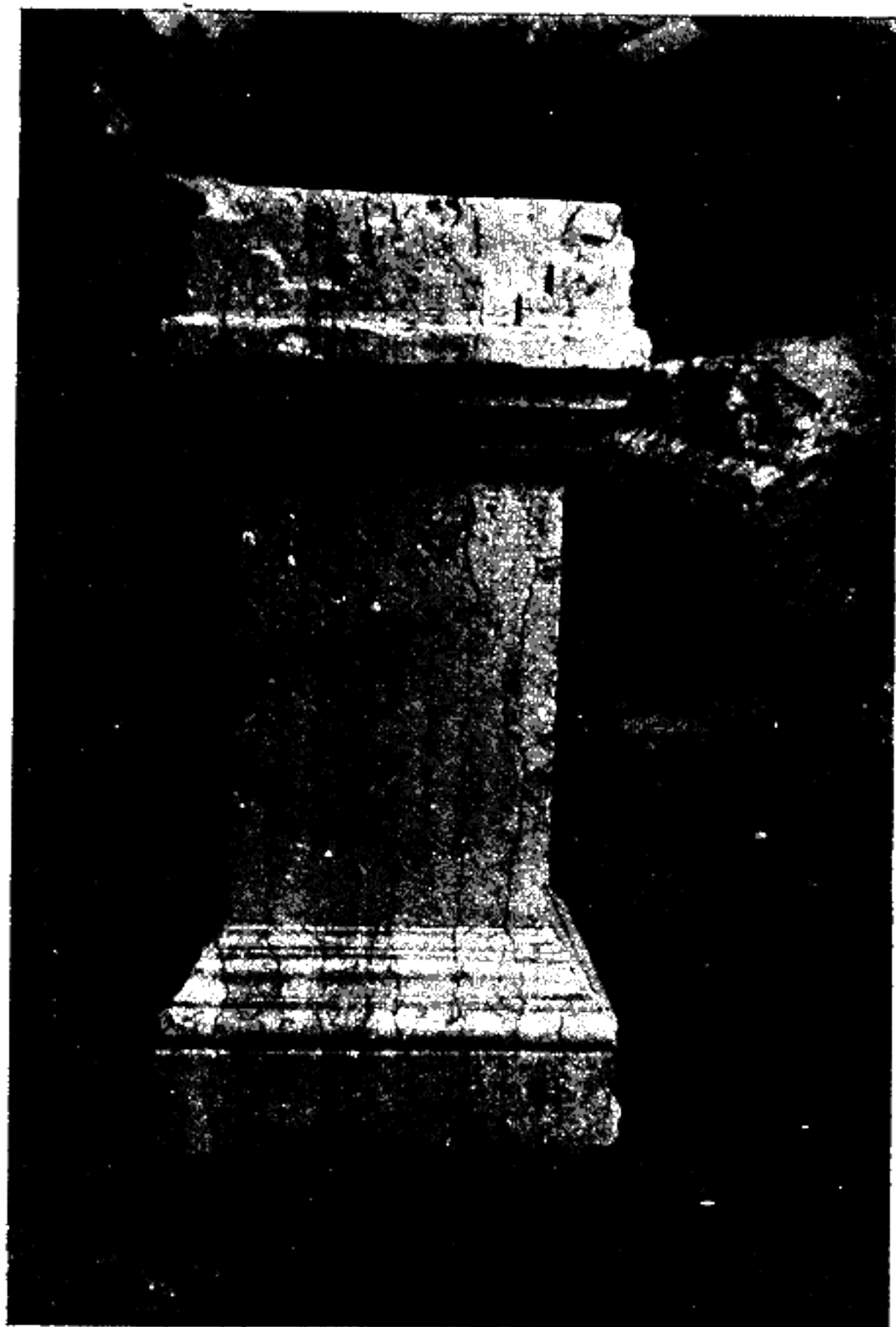


Fig 2



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



1. — Statue honorifique.



2. — Tête de prêtre.



3. — Tête de prêtre

Pl. VIII



1. — Autel dédié à Malakbêl



2. — Stèle votive de Shadrafa.



3. — Tête féminine.



4. — Fragment de stèle funéraire.



1. — Bas-relief aux aigles.



2. — Id. (détail) : dieu lunaire



3. — Id (détail) : dieu solaire.



1 — Cour Sud et temple.



2. — Petite cour Nord



3. — Stucs décoratifs





1. — Chapiteau - archaïque -
(cour Nord).



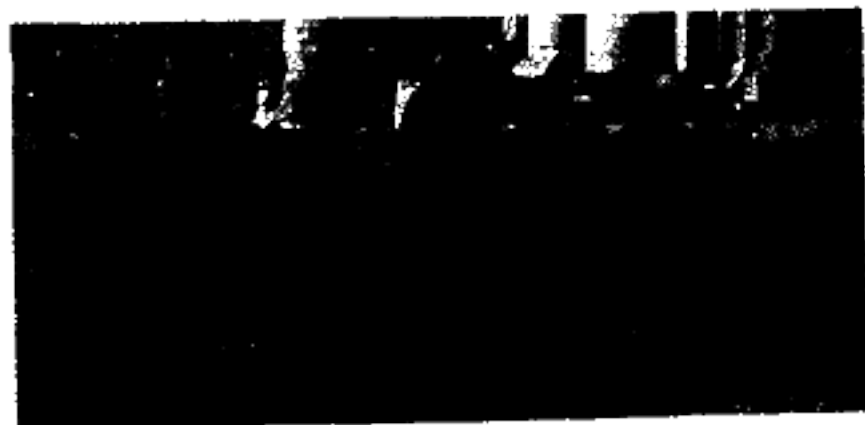
2. — Chapiteau corinthien
(péristyle rhodien).



3. — Chapiteau épannelé
(cour Nord)



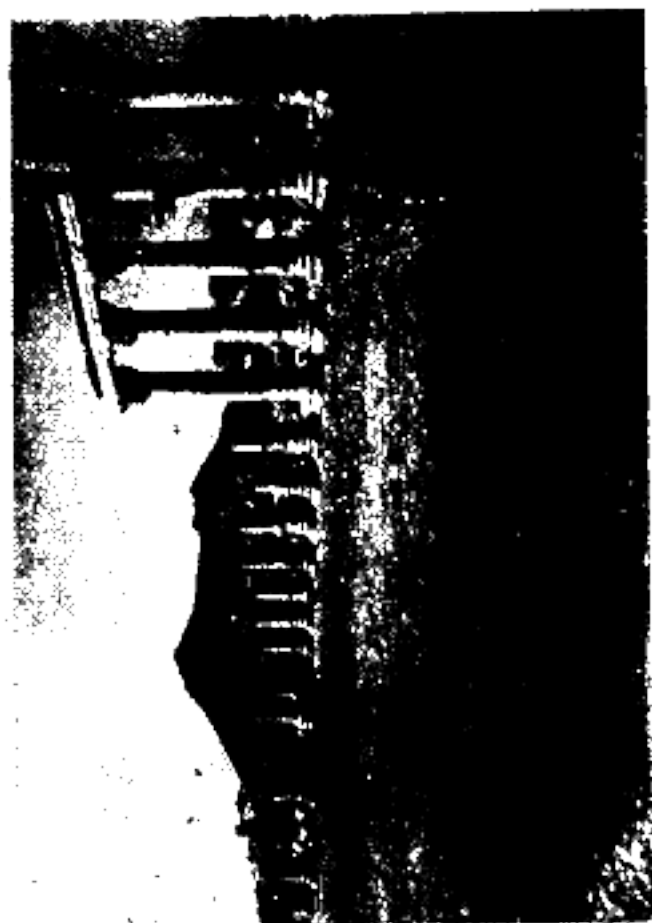
4. — Chapiteau corinthien
(cour Sud)



5. — Dédicace sur architrave du portique
de Yarhai (cour Nord, 67 après J. - C.).



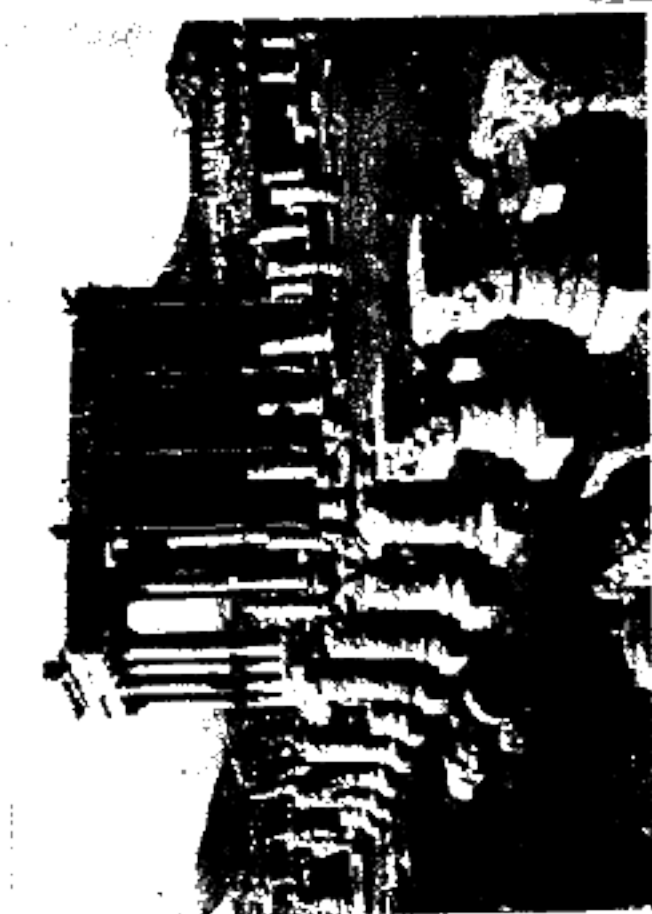
6. — Rappel sur tambour
de colonne.



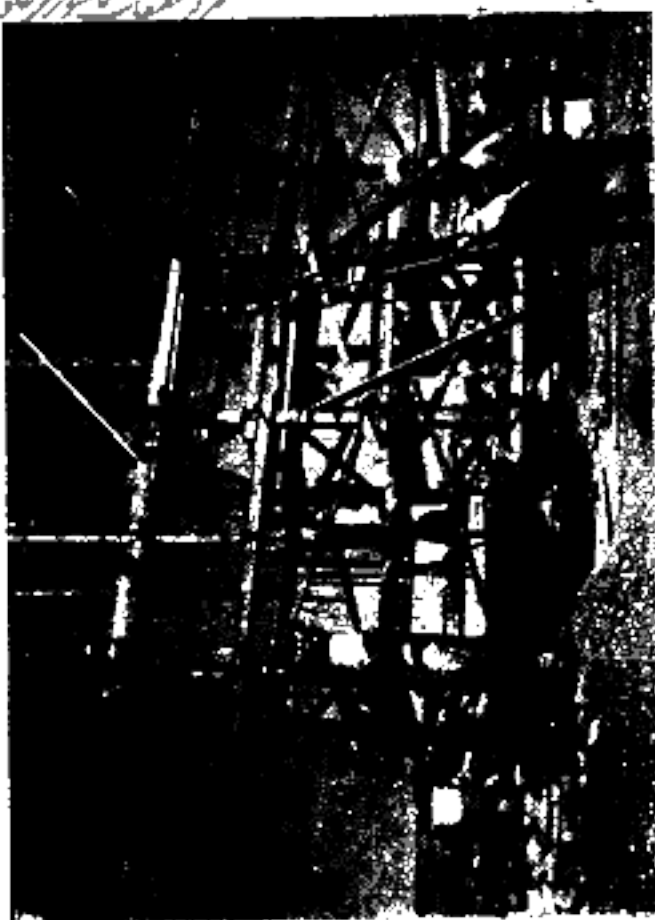
2. — Cour Nord : portique d'Alaisha.



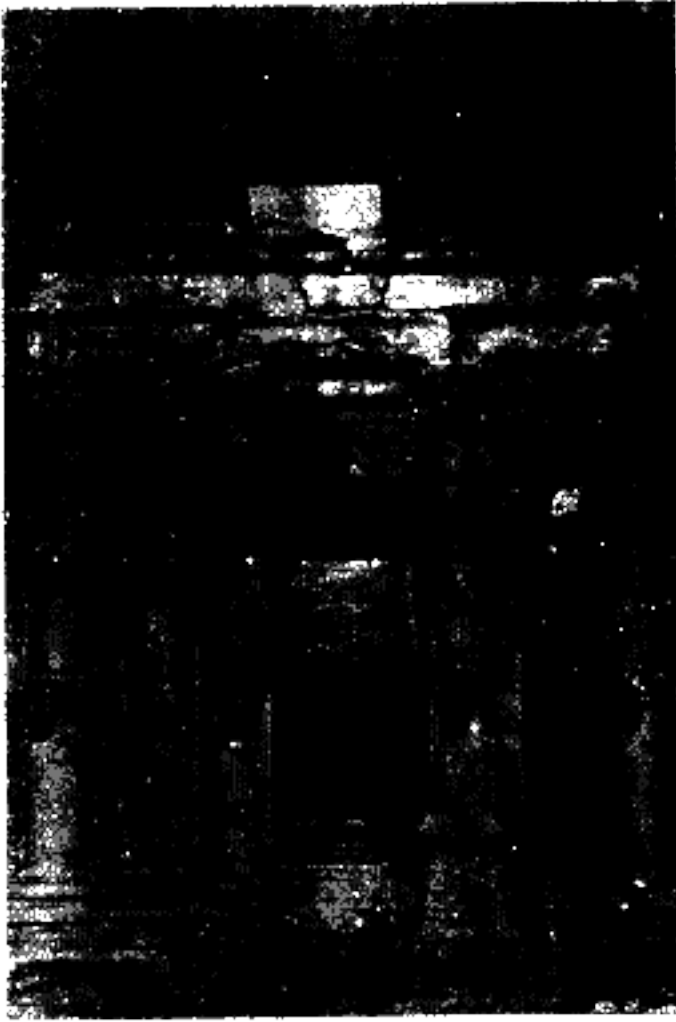
4. — Cour Nord : colonnes relevées.



1. — Cour Nord : portique de N'abdaï et temple.



3. — Cour Nord : travaux d'anastylose.



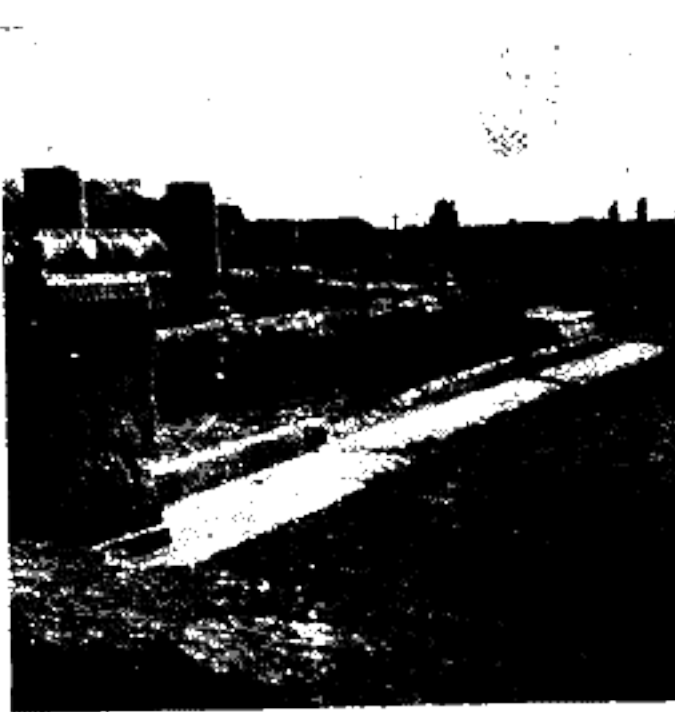
1. — Façade dégagée du temple.



2. — Entablement du thalamos reconstitué à l'intérieur de la cella.



3. — Merlon.



4. — Nécropole derrière le temple.



5. — Salle de banquets

Pl. II



1. — Temple de Baalshamin
avant la fouille (1953).



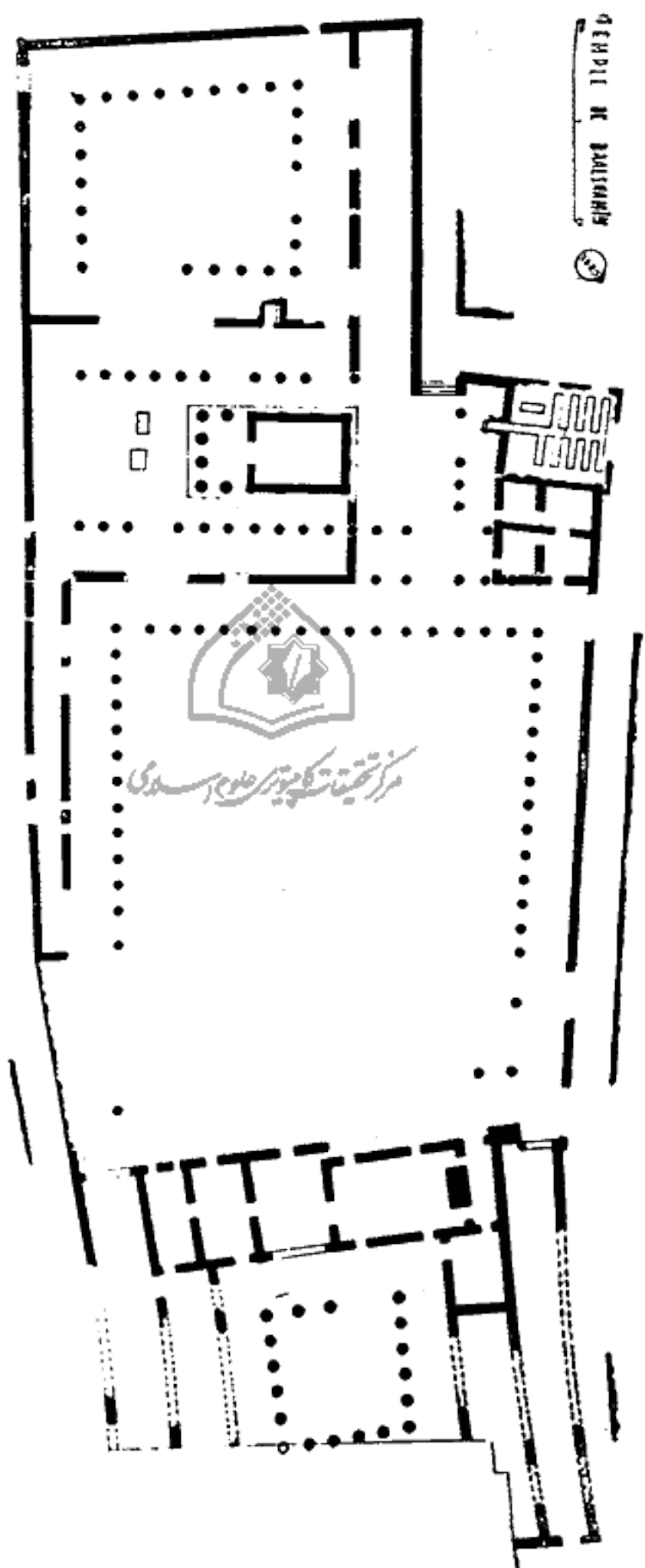
2. — Temple de Baalshamin dégagé
(1956)



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد



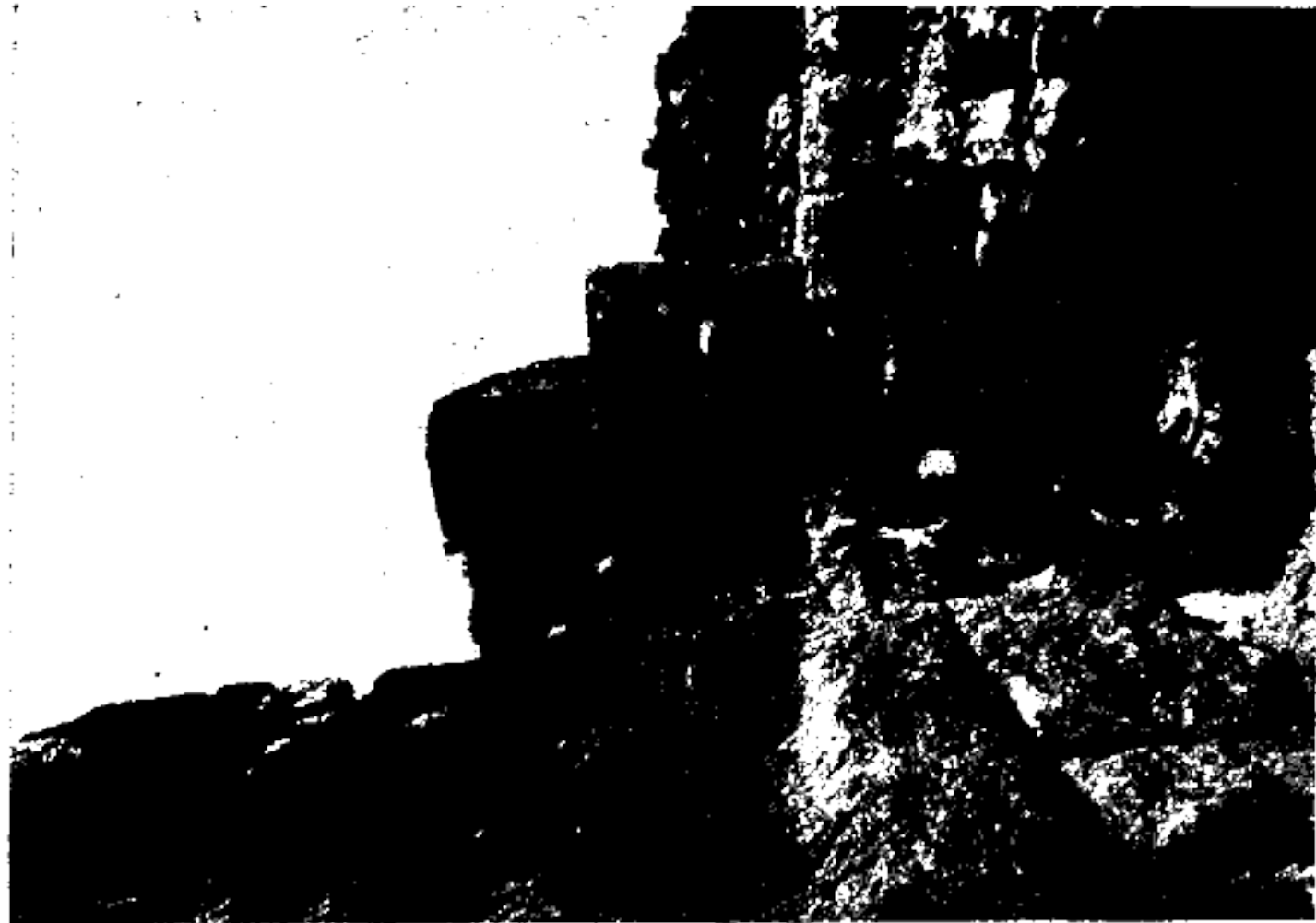
3. — Sanctuaire de Baalshamin, vu du Nord.



Plan du sanctuaire de Baalshamin à Palmyre.



Un coin du Petit Palais d'Ugarit, à la fin
des fouilles de 1955.



Enceinte Est du Grand Palais à l'intérieur de la (cour V) ;
elle est fortement penchée vers la gauche.



Vue de l'intérieur de la cour V du grand Palais d'Ugarit. Au milieu le bassin ornemental avec bordure à deux gradins en pierres de taille. Dans l'angle droit le trou d'écoulement relié à une canalisation passant sous le sol de la cour. Au fond la margelle du puits posée sur un pavage. La porte à gauche du mur d'enceinte ouest de la cour conduit vers les Archives Sud-Ouest du Palais, la porte à droite vers l'escalier menant au premier étage de cette aile du Grand Palais.

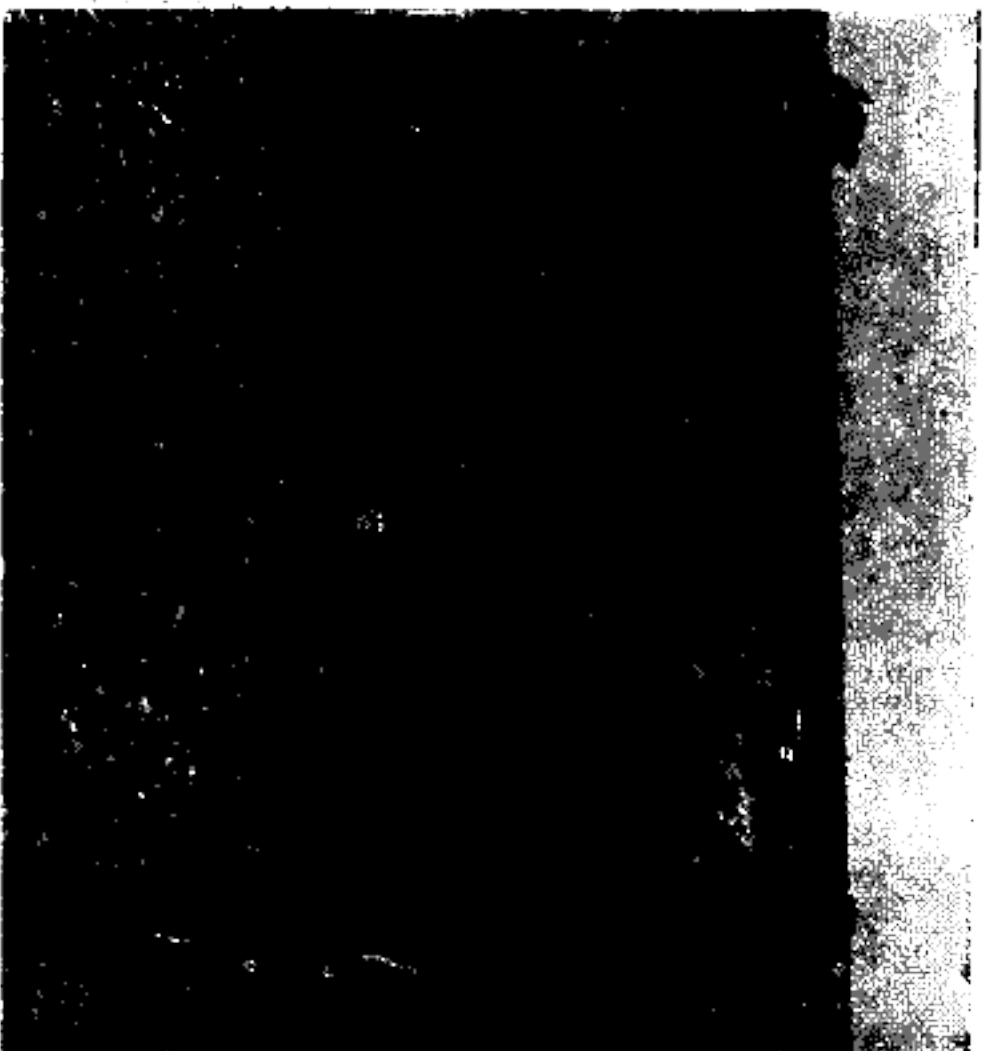


Pavage arraché et bases de colonnes renversées à l'entrée de la cour intérieure du Petit Palais d'Ugarit. Ras Shamra, 1955.



Fouilles dans les couches supérieures du Petit Palais d'Ugarit; au premier plan le sommet partiellement effondré de la façade nord.

Pl. IX



Début des fouilles dans les magasins et allées
au sud-ouest du Palais d'Ugarit Ras Shamra, 1955



Escalier dans l'antichambre du Petit Palais
d'Ugarit, Ras Shamra, 1955.



Passage entre le Grand Palais (mur extérieur de la cour V) à droite et le Petit Palais d'Ugarit (front nord coudé, à gauche). Sous le passage un élément de la conduite d'eau alimentant le bassin ornemental de la cour V du Grand Palais (en bas, à droite de la photographie).



Fouilles à l'angle sud-est de Grand Palais d'Ugarit (cour V). Les murs au premier plan font partie des magasins et dépôts mis au jour au sud-ouest du Palais. Ras Shamra, 1955. cf. pl IX.



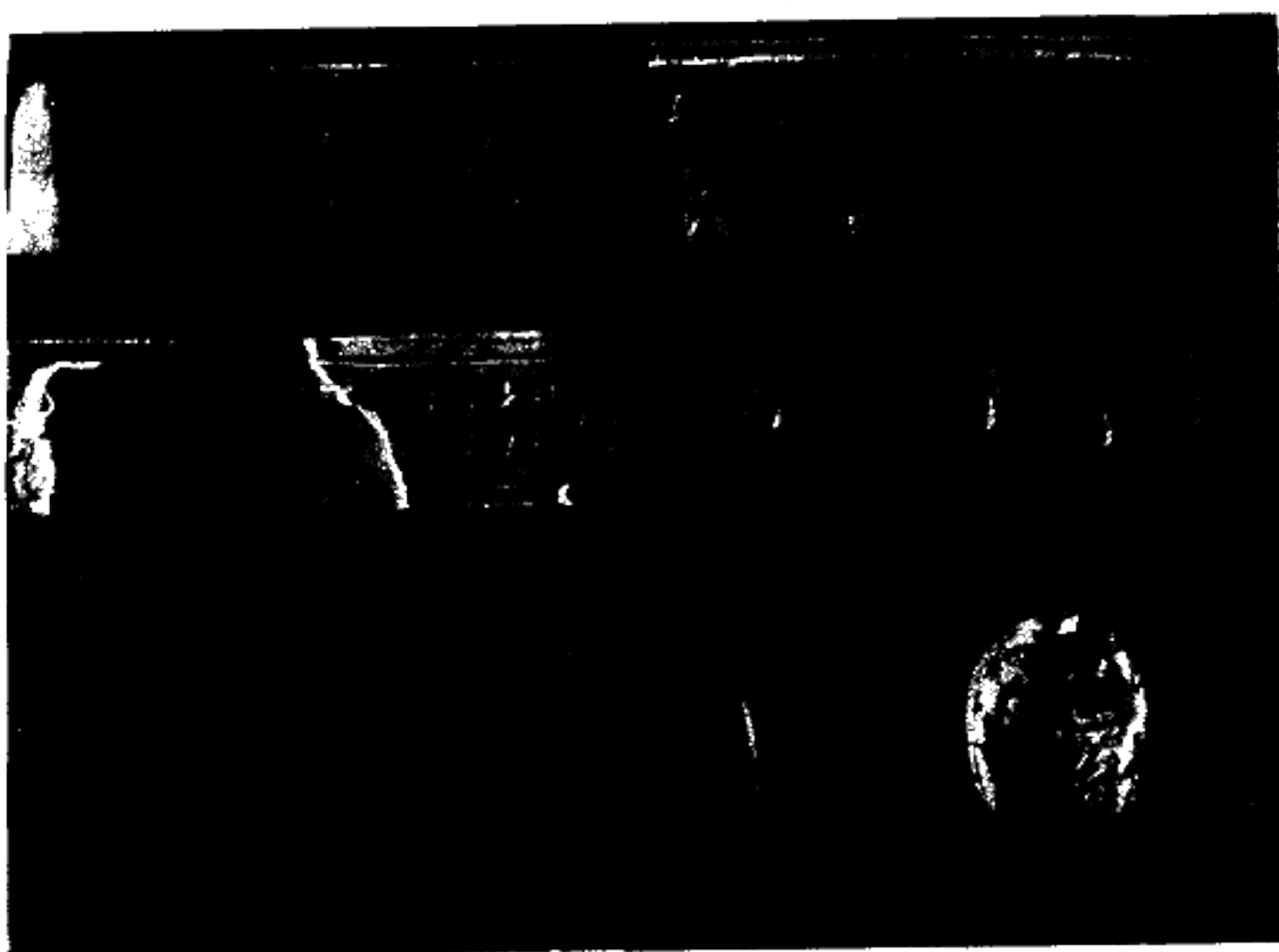
Dépôt de lampes du type dit cananéen à bec pincé et de plusieurs coupes hémisphériques trouvées parmi les ruines des maisons nivelées au moment de l'établissement de la place entre le Grand et le Petit Palais d'Ugarit. XIe - XIVe s. av. n. e.

Ras Shamra, 1955.

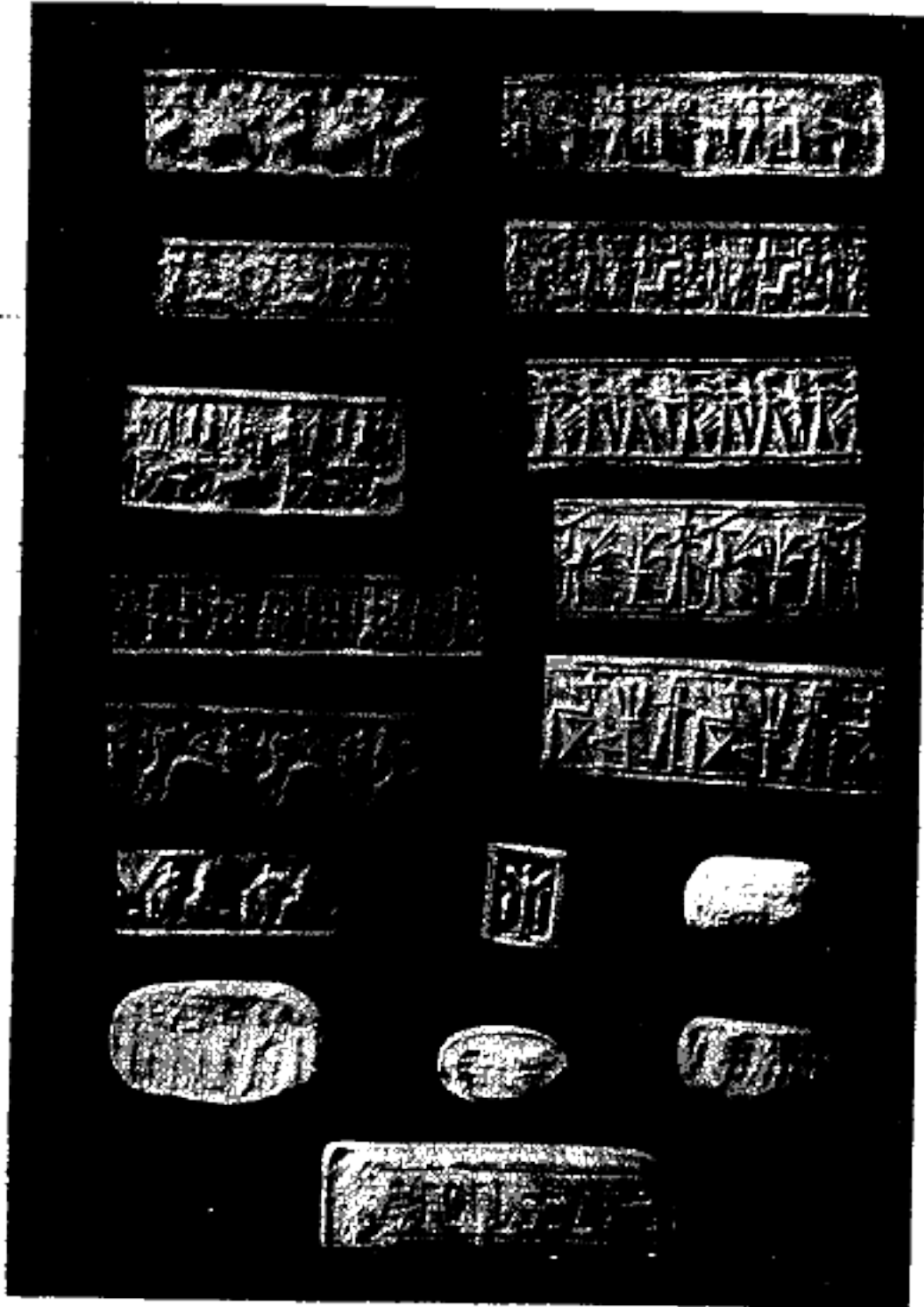


Tablettes en cunéiformes babyloniens des Archives économiques découvertes dans le Petit Palais d'Ugarit.

Ras Shamra, 1955.

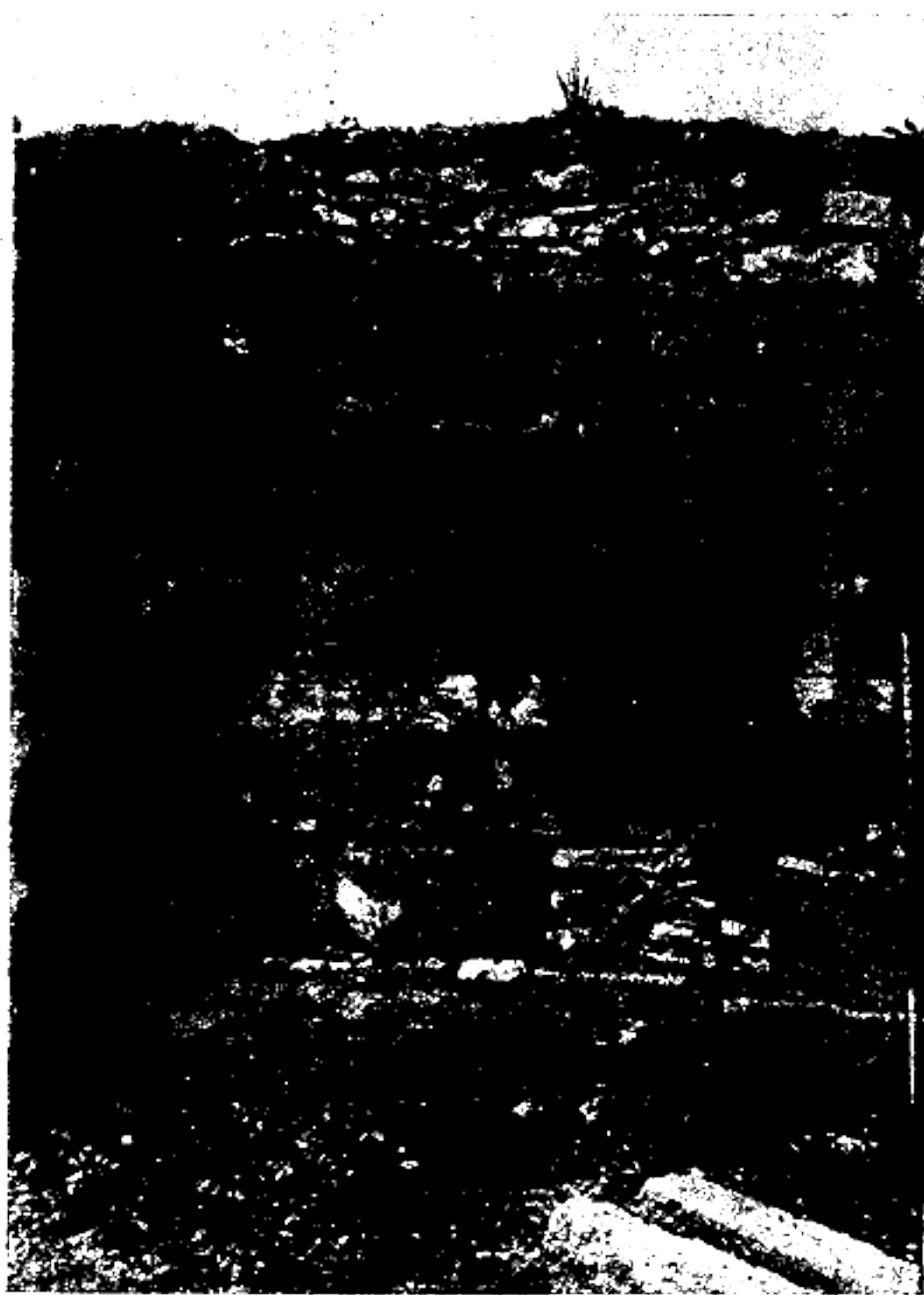


Première rangée et moitié gauche de la seconde : moulage de l'inscription égyptienne sur le socle de statuette trouvé dans le Petit Palais d'Ugarit parmi les textes en cunéiformes, archives, chambre 2. — Deuxième rangée, à droite, empreinte de cylindre en pierre, gravure de style négligé (XIII^e s.) — En bas, empreintes de deux plaquettes en faïence figurant des navires et, à droite, empreinte de cachet hittite. Ras Shamra, Petit Palais, 1955.

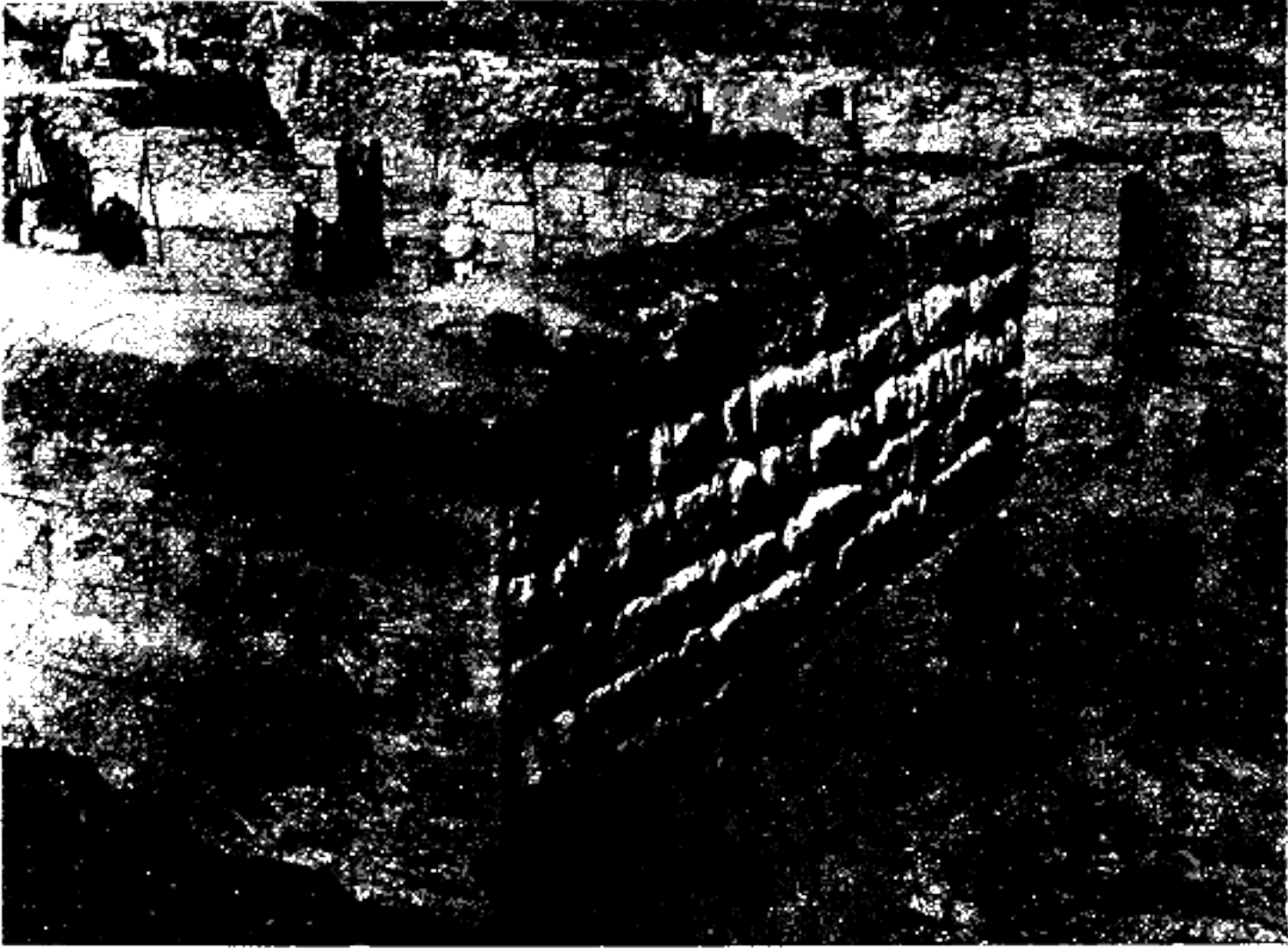


Empreintes de divers cylindres et cachets, fragment de tablette à inscription égéo-mycénienne et, en bas, fragment d'une inscription hiéroglyphique du temps du Nouvel Empire, provenant de la Place au sud du Grand Palais et du petit Palais d'Ugarit. XIVe et XIIIe. av. n. e.

Pl. IV



Détail du mur extérieur sud du Grand Palais d'Ugarit (cour V)
avec bossage destiné à faciliter l'adhérence de l'enduit.



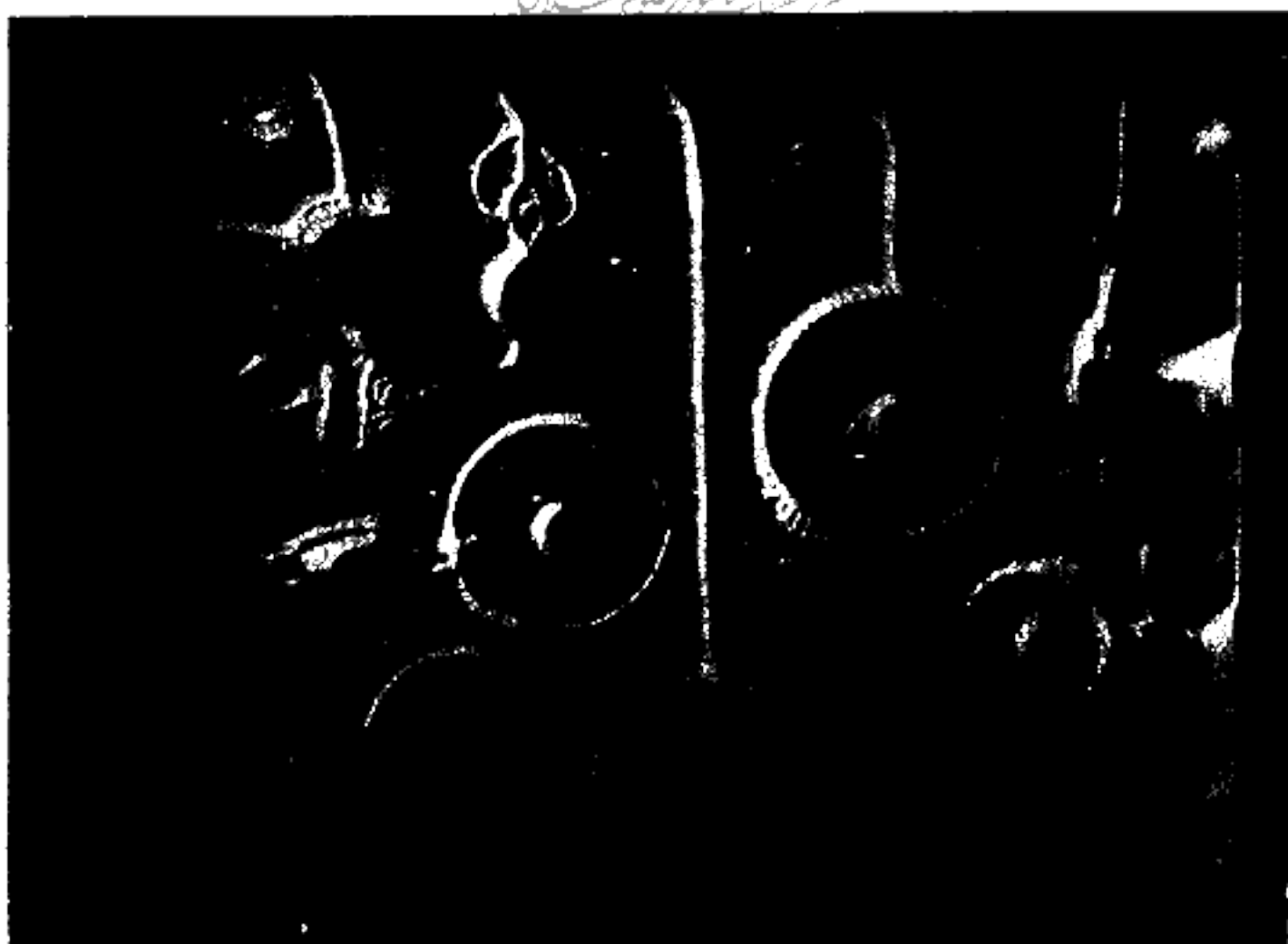
Mur extérieur sud du Grand Palais (cour V) montrant le bossage.



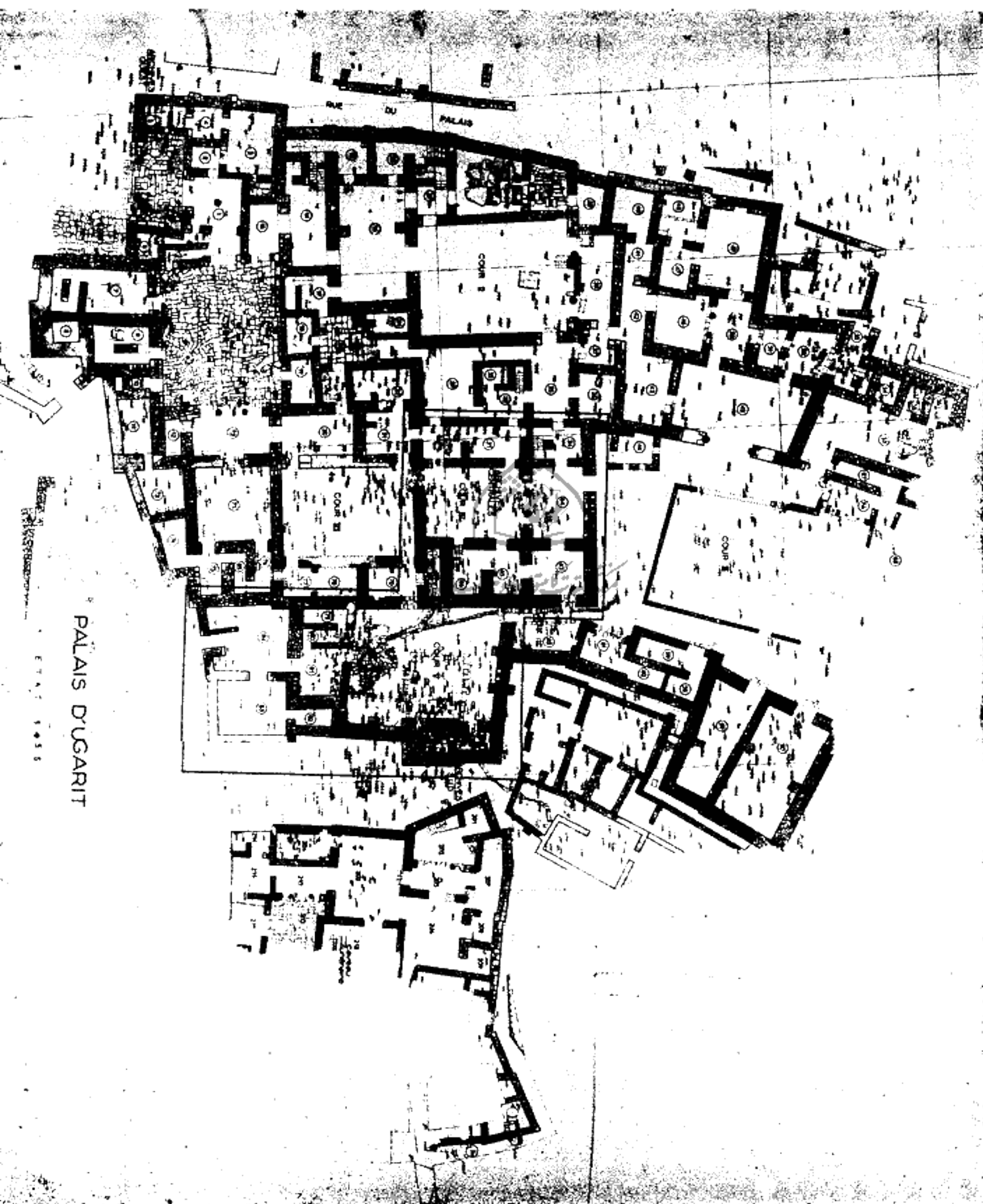
Mur extérieur sud de la cour V du palais d'Ugrit. Ras Shamra, 1955.



Osselet de bovidé avec armature en plomb (« kab » pour jouer, ou poids ?)
trouvé dans le bassin ornemental de la cour V du Grand Palais d'Ugarit.
Ras Shamra, 1955



Moitié d'un moule bivalve en stéatite pour bijoux : boucles d'oreilles
en forme de croissant lunaire, pendentifs en forme de tête de taureau
de fleurs et de disques.
Ras Shamra, 1955



Plan du Palais d'Ugarit, état du dégagement, 1955.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

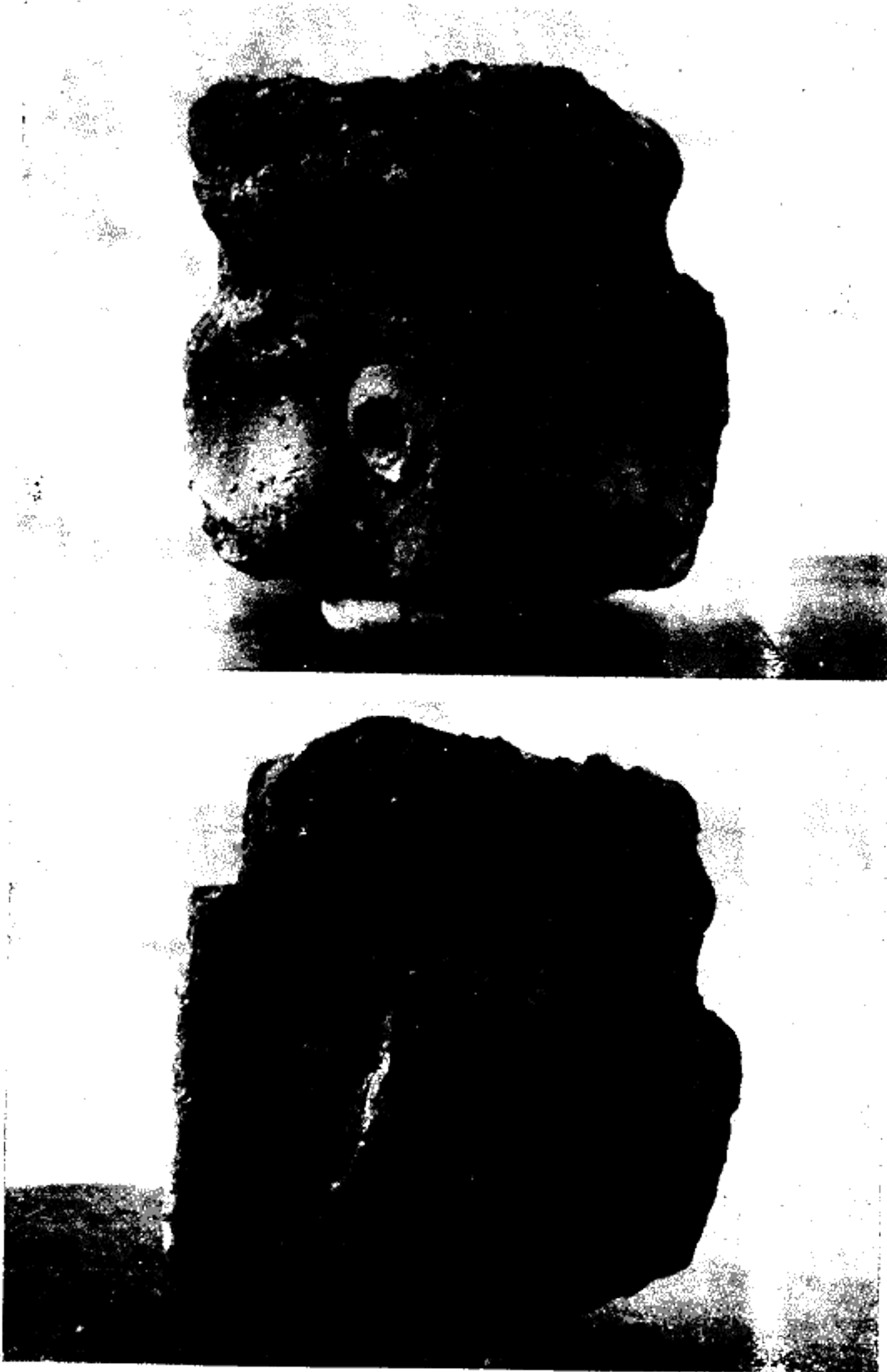


Abb. 12 Tell Ailun. Kopf einer Tonstatuette. Halbe Lebensgrösse

Tafel. VI

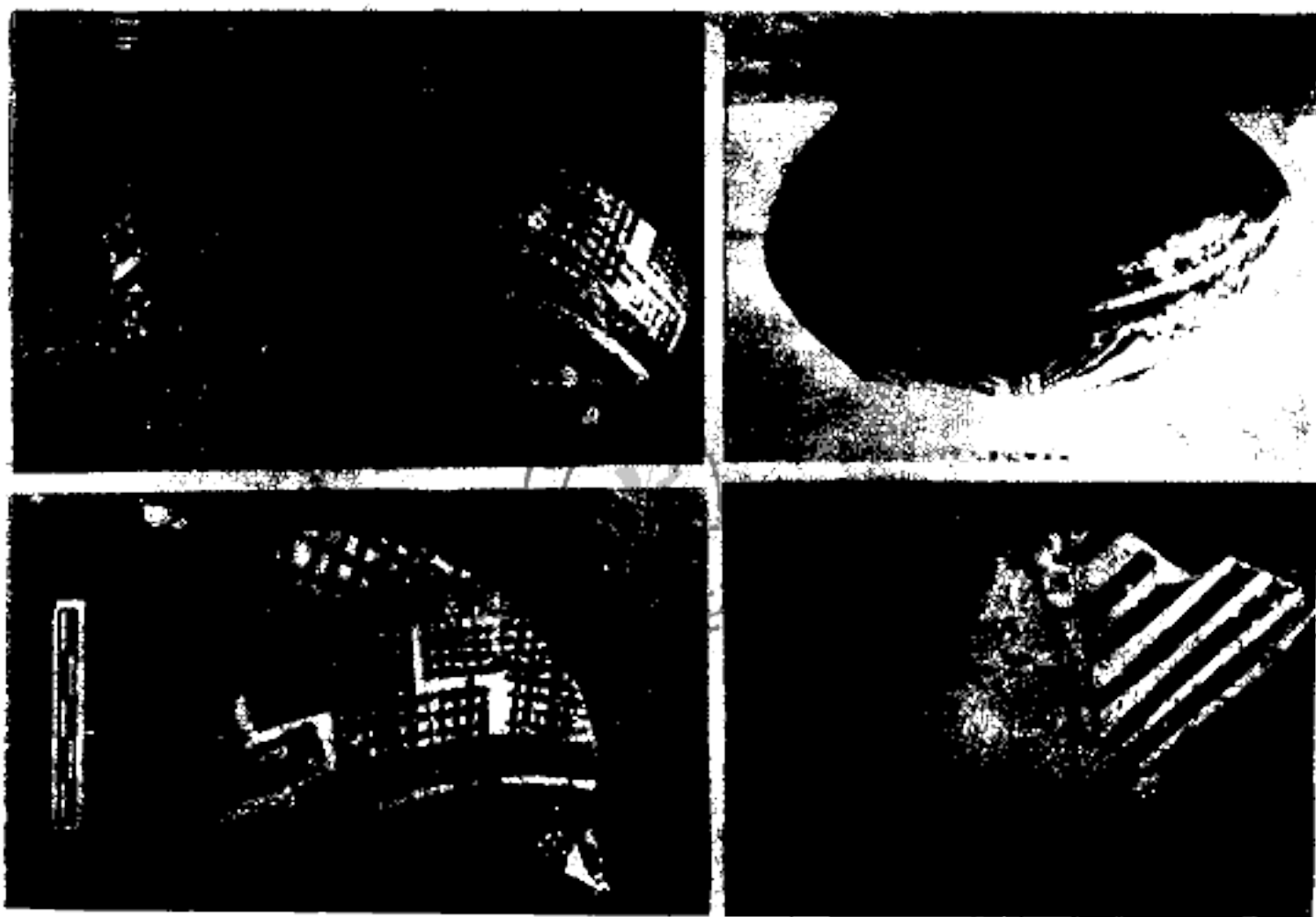


Abb. 11 Tell Ailun, Chabur-Ware

Tafel V

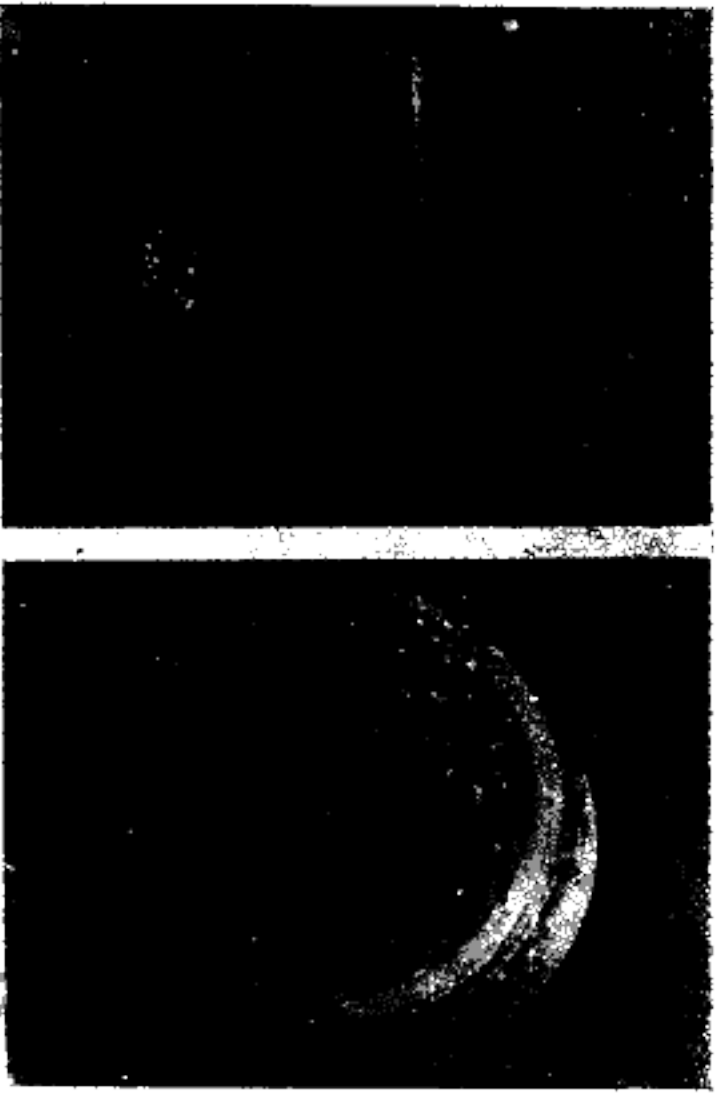


Abb. 9 Tell Ailun, Schwarzgrau akkadische Ware



Abb. 10 Tell Ailun, Hellegelbe akkadische Ware

Tafel. IV

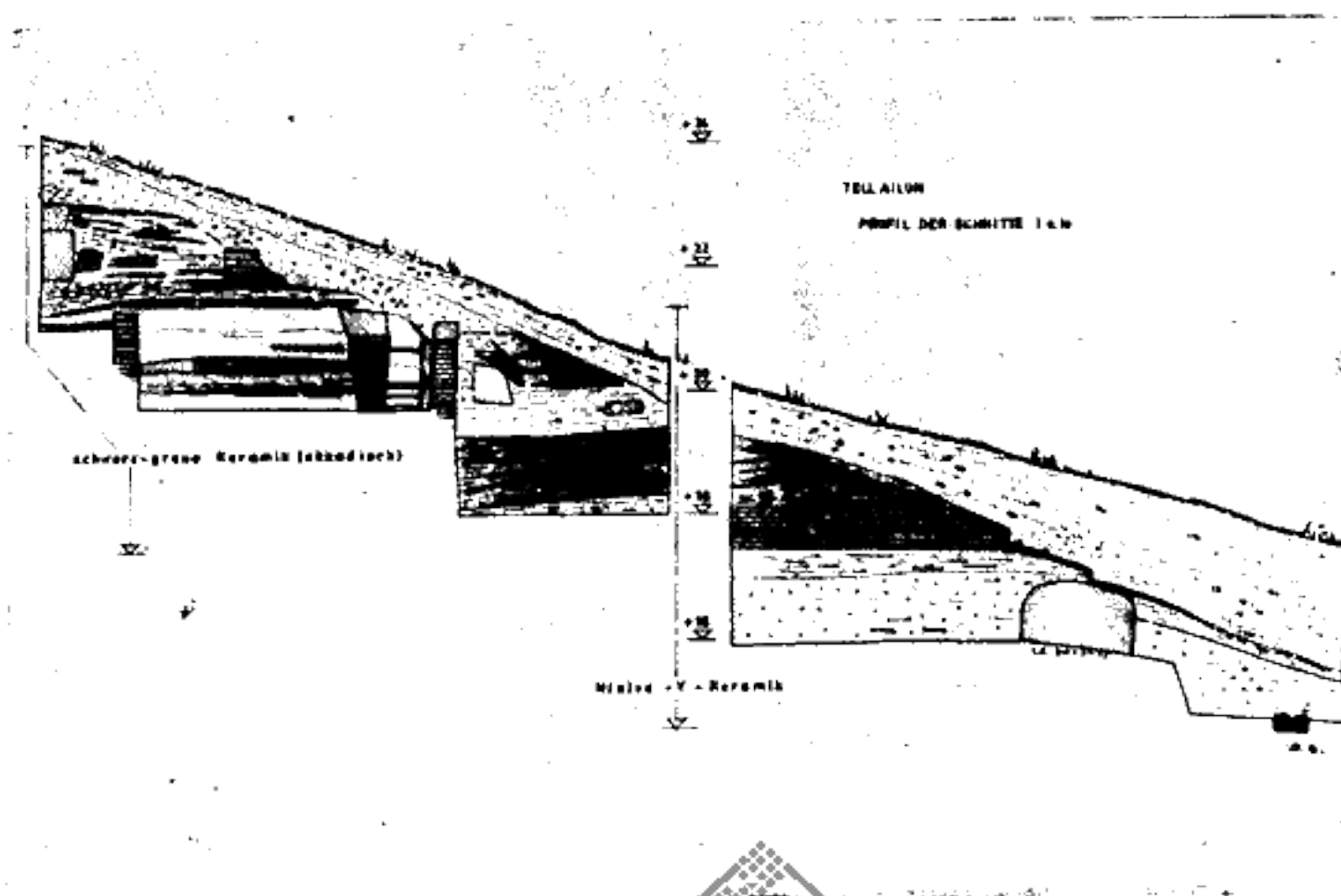


Abb. 7 Tell Ailun. Profil der Schnitte I und Ia



Abb. 8 Tell Ailun. Ninive V-Keramik

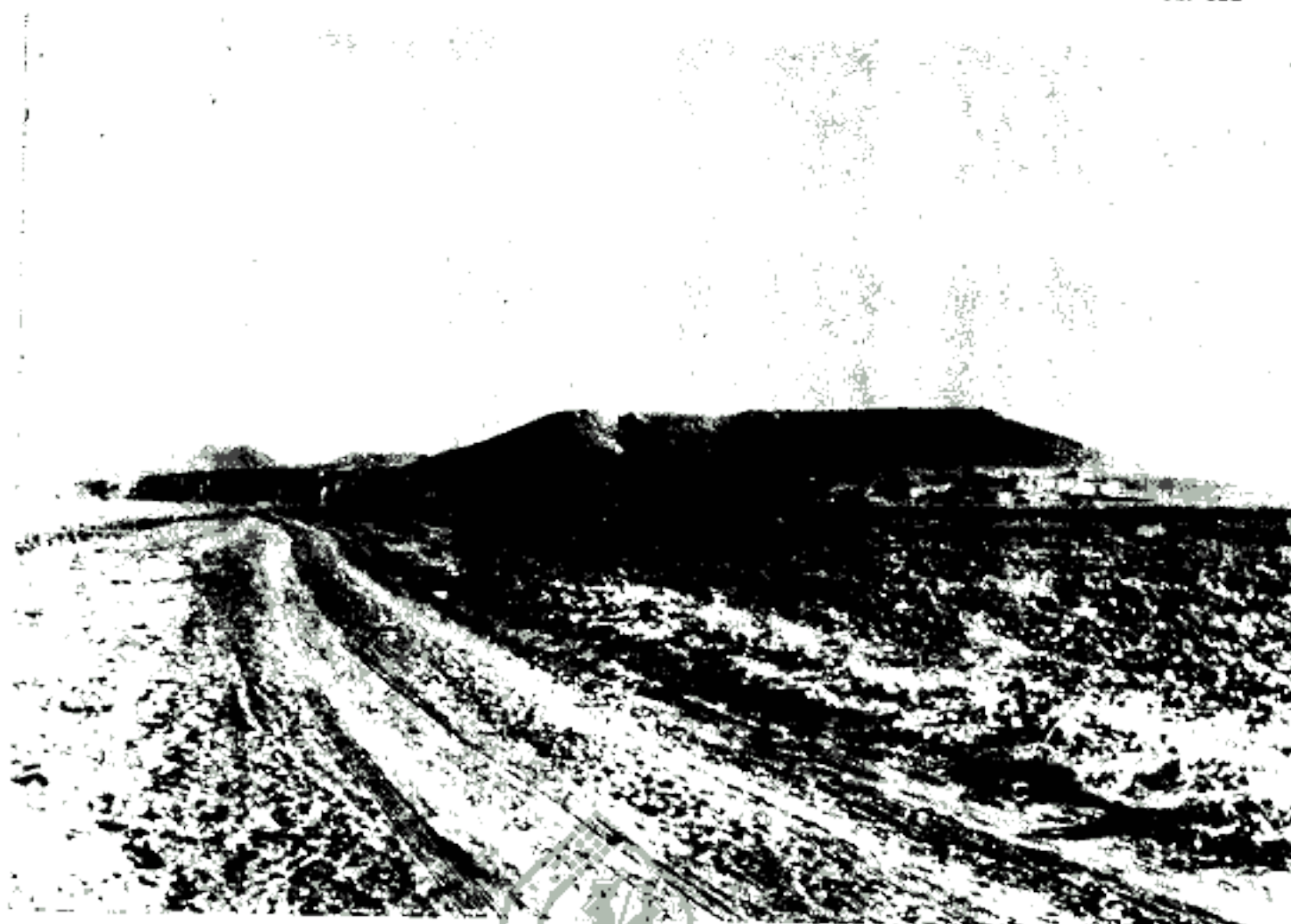


Abb. 5 Tell Ailun, von Südwesten gesehen

مرکز تحقیقات کهنه‌سازان

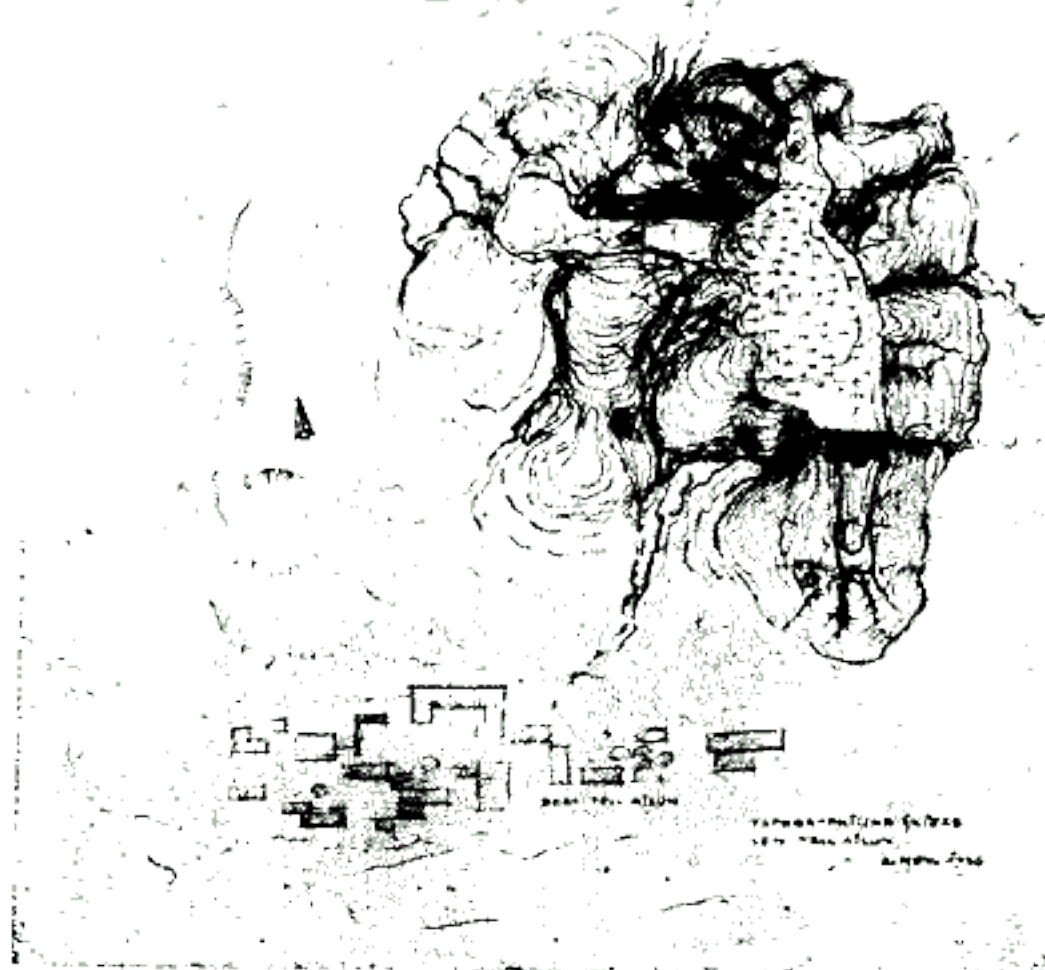


Abb. 6 Tell Ailun. Topographische Skizze

Tafel. II

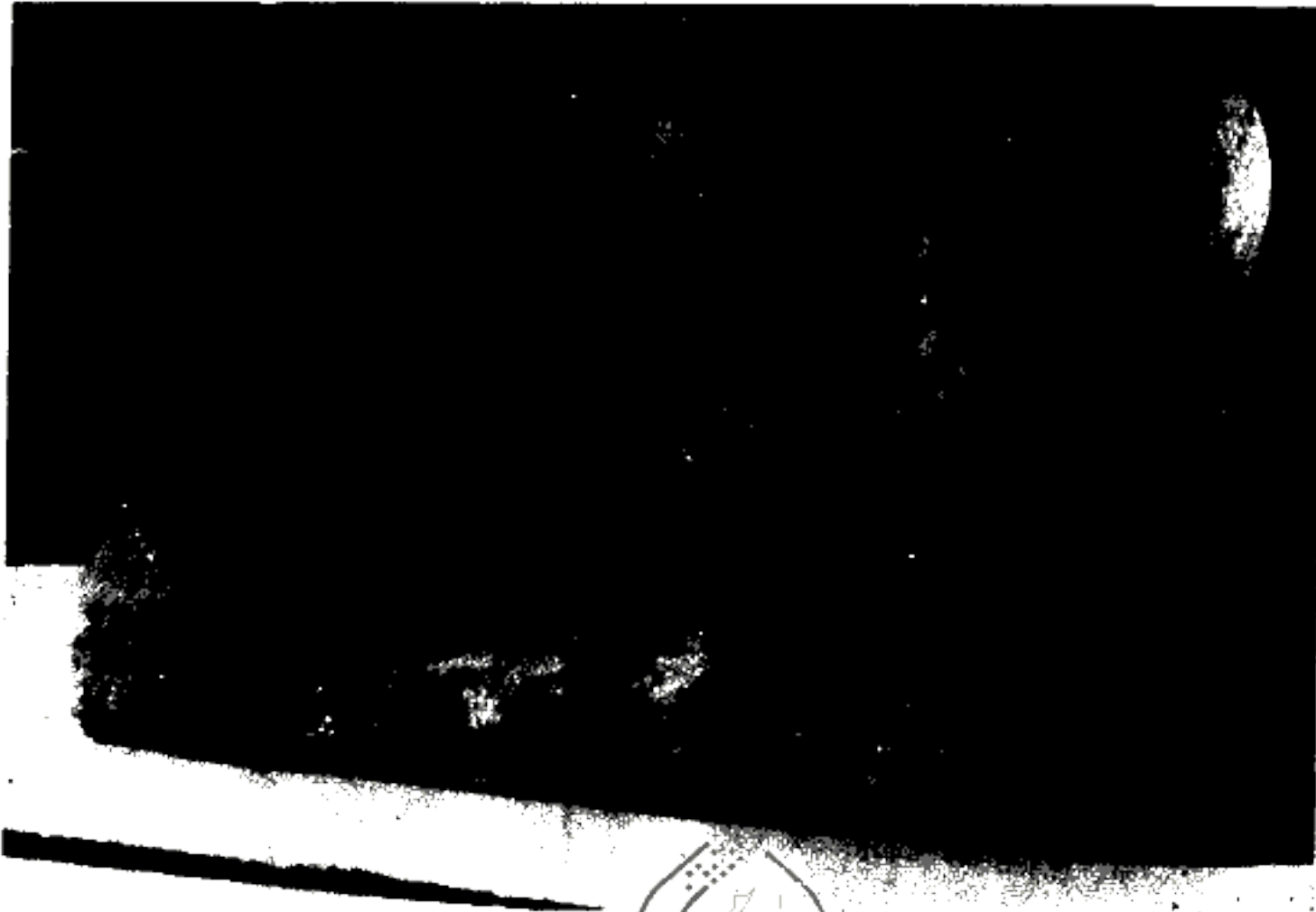


Abb. 3 Tell Fecherije. Gussform aus Speckstein

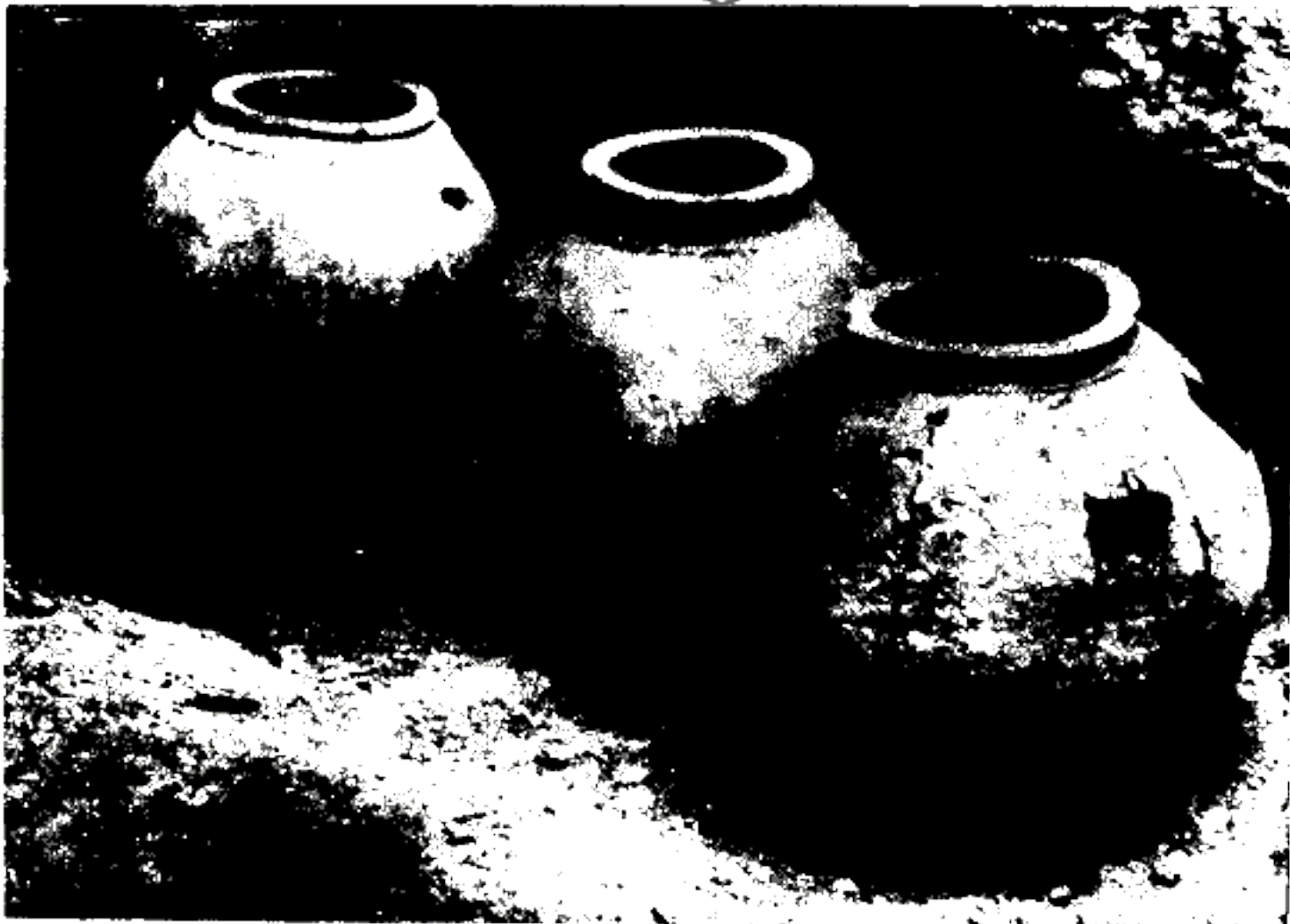


Abb. 4 Tell Fecherije. Drei Pithoi mitannischer Zeit

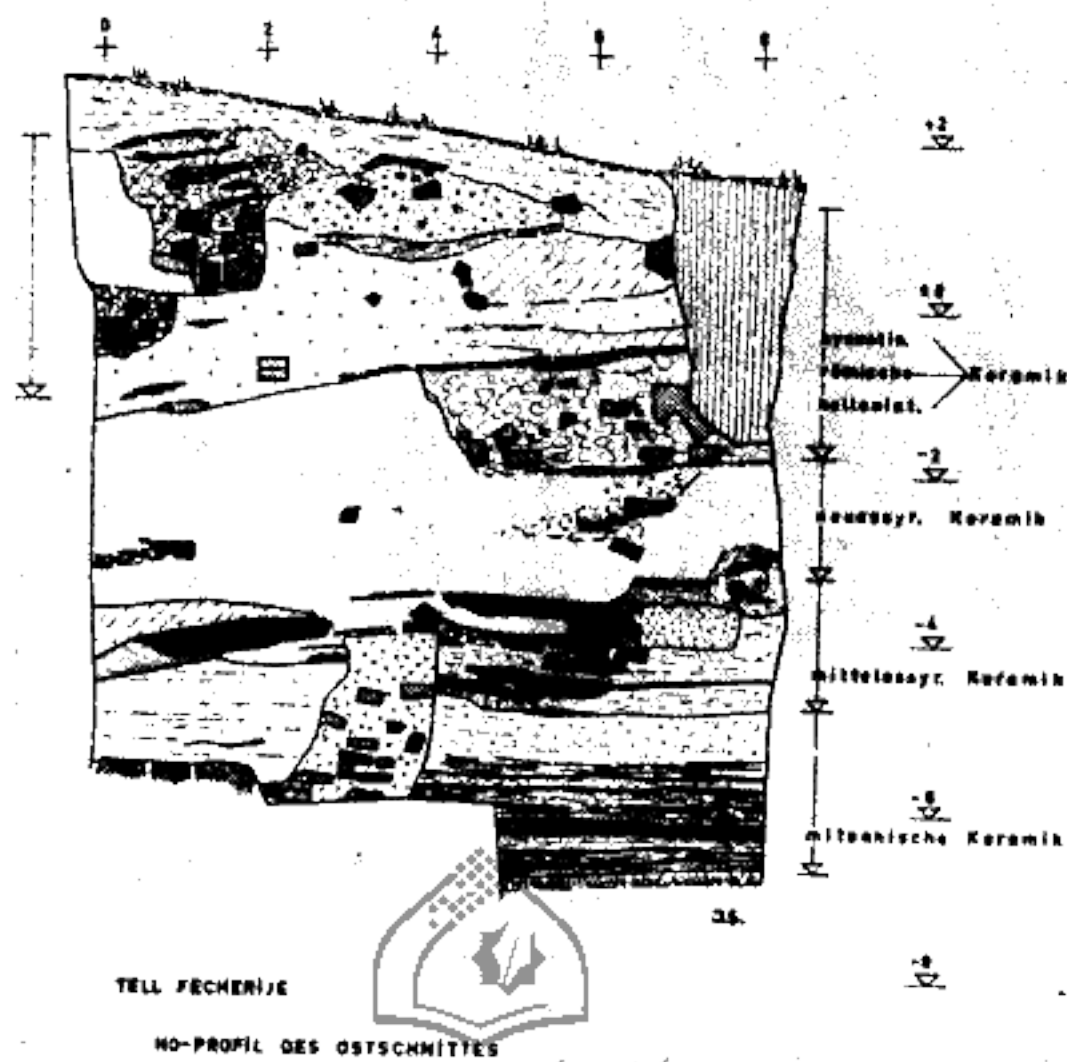
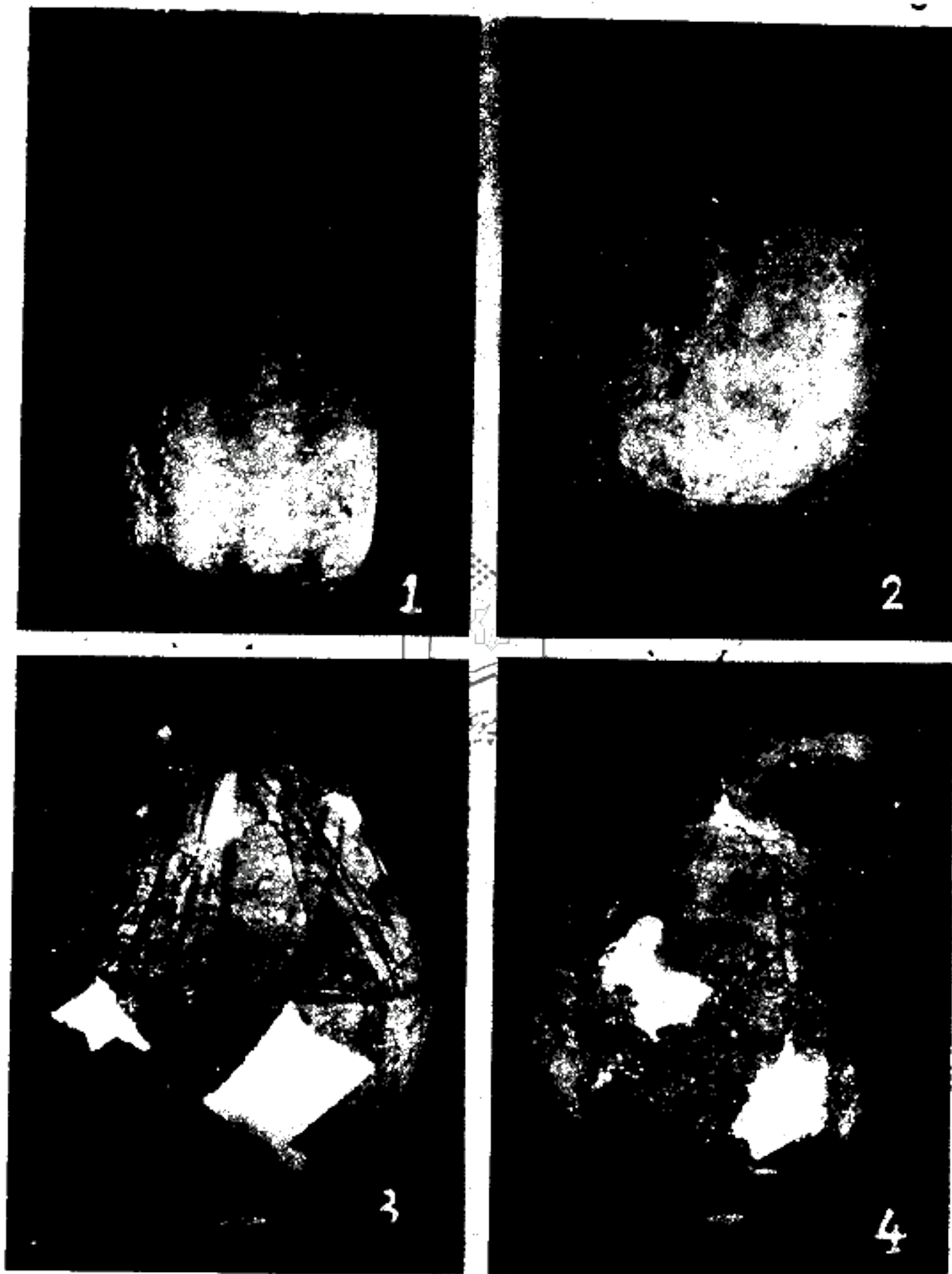


Abb. 1 Tell Fecherije. NO—Profil des Ostschnittes



Abb. 2 Tell Fecherije. Hellenistisch-römische Bronzlampe

Pl. VII

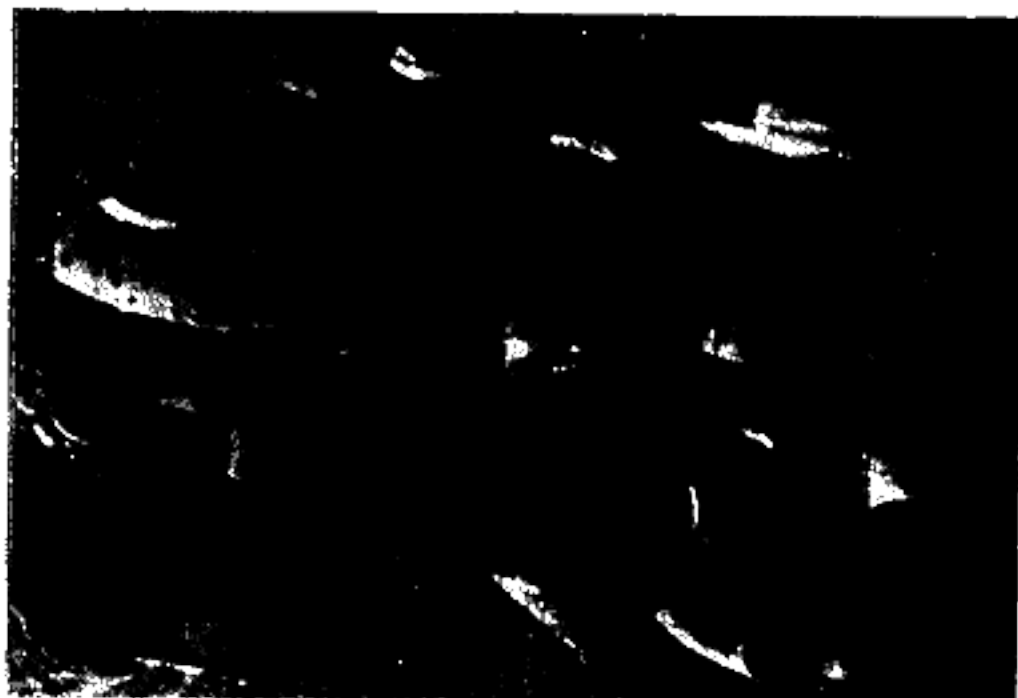


Gisement non précisé I. — Pichei en terre cuite claire ; 4. — Cruche à décor en bandes noires et rouges bordées de noir. Fer 1.

Sondage du N. - O. 2. — Gourde plate en cuite claire ; 3. — Vase caréné à une anse et décor peint en noir. Bronze Récent 2 ou 3.

Tell Kazel.

Pl. VI



Poteries du Bronze
Récant 2 et 3.

Poteries de l'âge
du Fer 1.



Poteries du Bronze Moyen 2 et 3.
Tell Kazel, sondage Nord.

Pl. V



- Poteries en place dans la couche du Bronze Récent 2 et 3.
1. — partie nord du gisement.
 2. — partie sud.

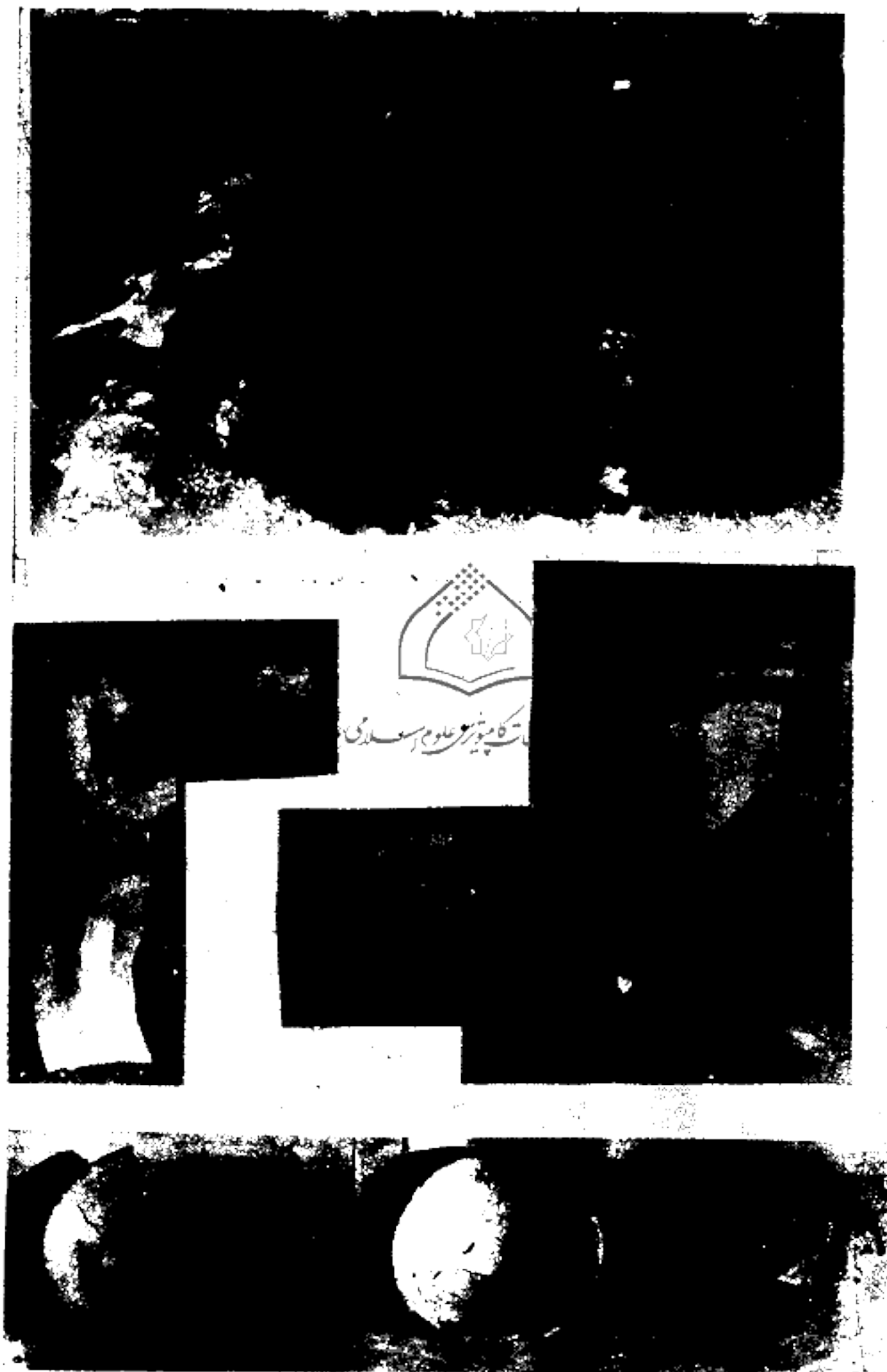
Tell Kazel, sondage du N. - O.



Tell Kazel. Sondage du N. - O. Couche supérieure du gisement du Bronze Récent 2.

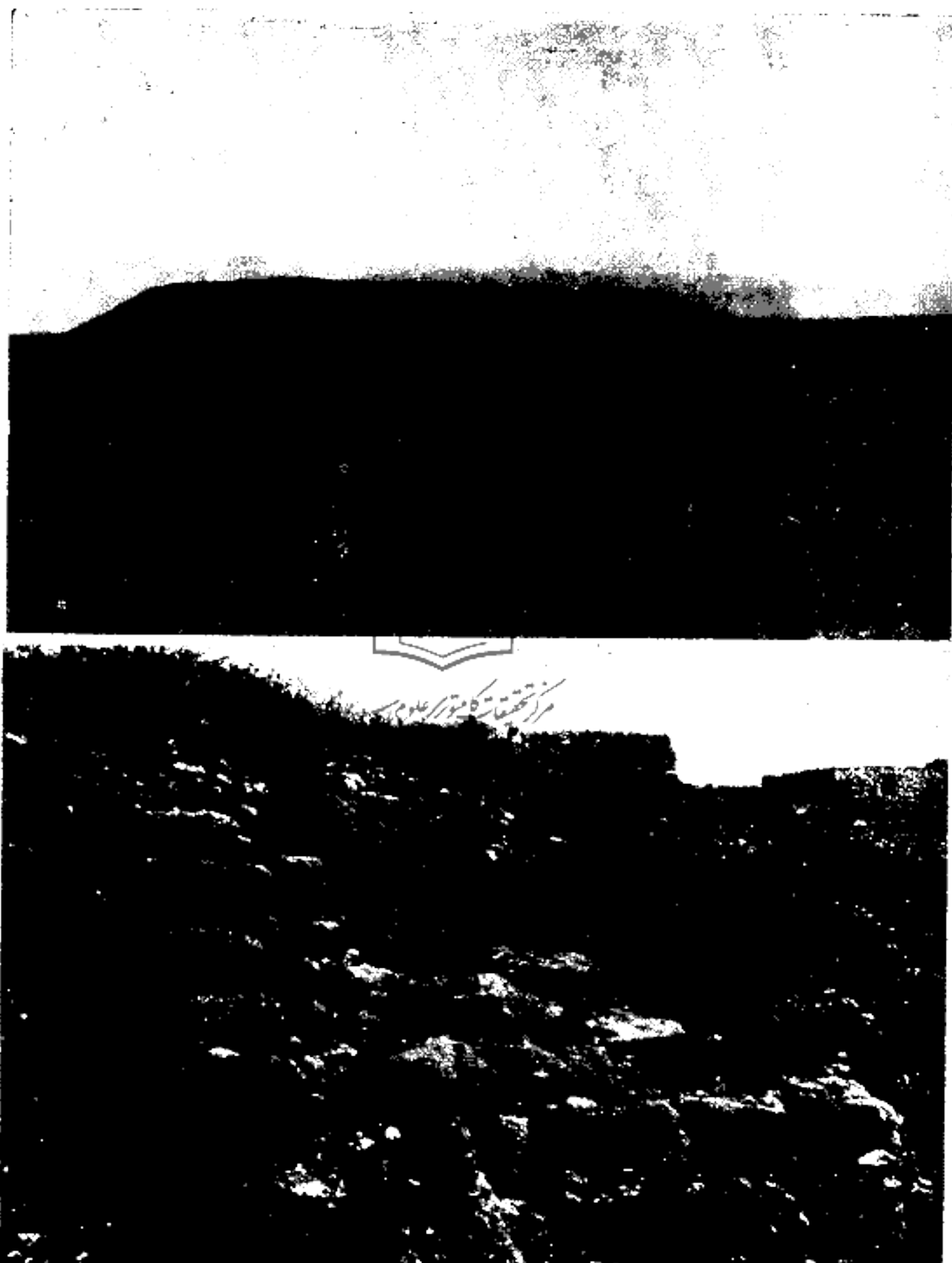
1. — Partie nord : à droite, l'angle externe d'une construction postérieure.
2. — Partie sud.

Pl. III



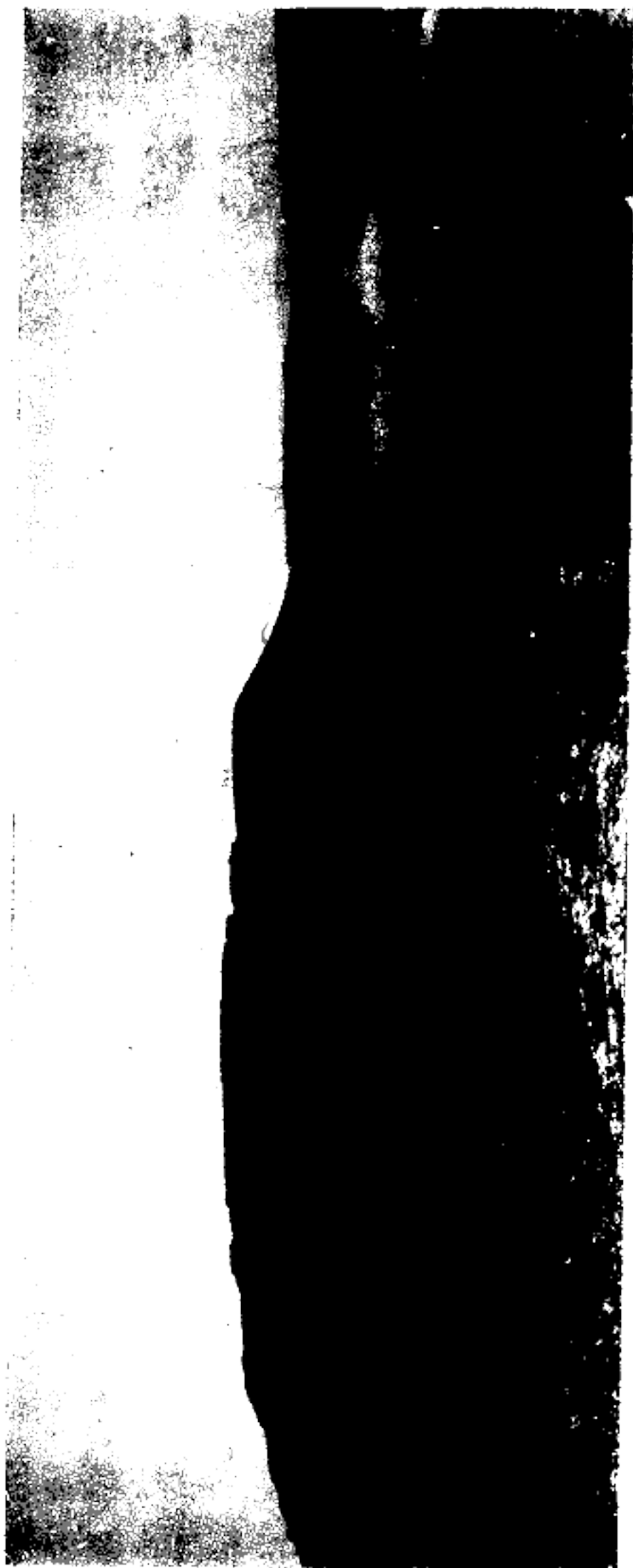
1. — Couche supérieure : murs de briques, mur éboulé ; à gauche, mur épais de 1 m. 10. En bas, gisement de poteries. Trouvé un peu plus bas, un grand col de cratère à décor en métapes quadrillées de lignes rouge ocre.

2, 3. — Poteries de l'âge du Bronze Récent final et de l'âge du Fer I :
Tell Kazel, sondage du N. - O.

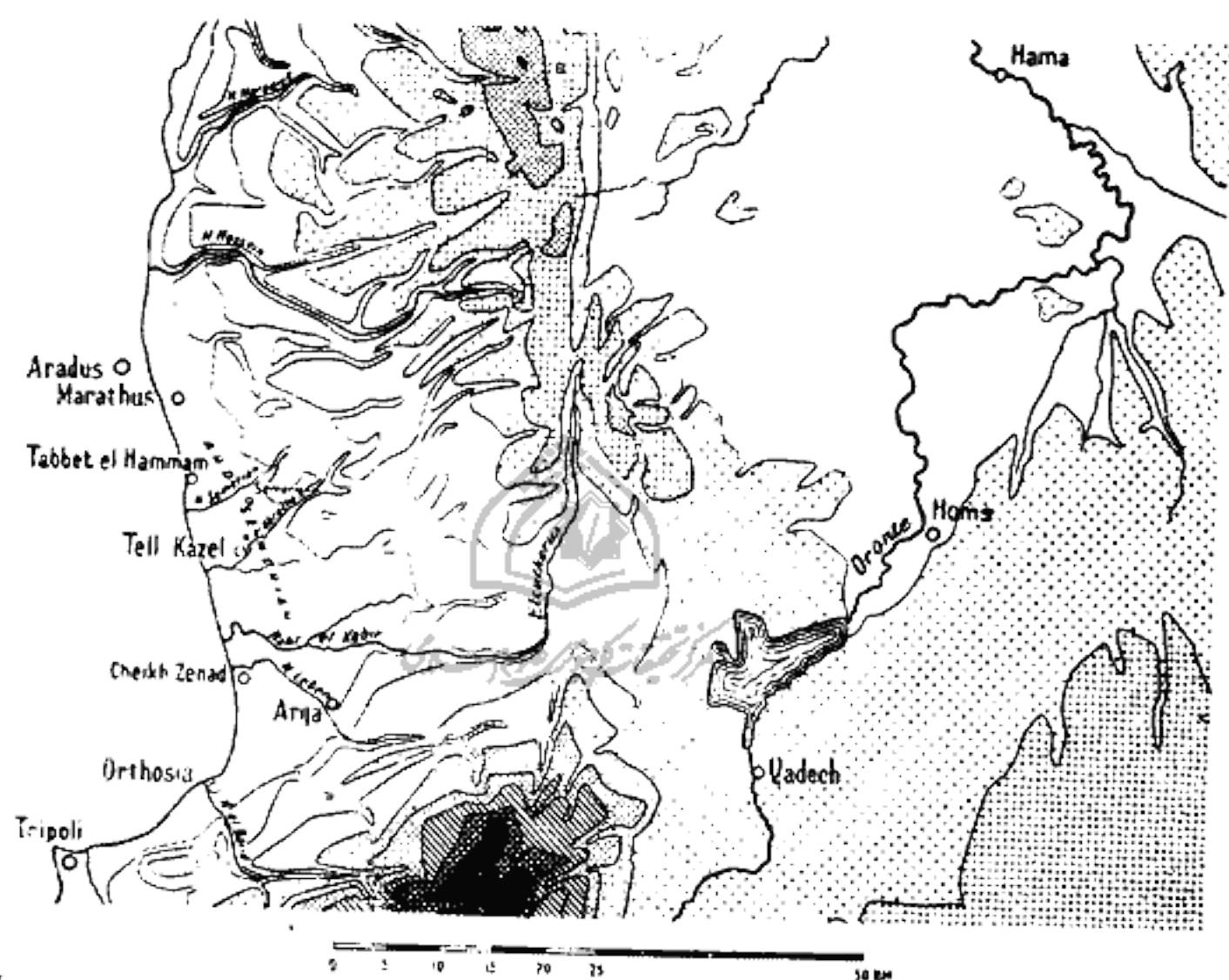


Tell Kazel. 1. — Vue générale prise du nord. 2. — Reste d'une tour romaine au débouché de la rampe méridionale.

PL I



Le Tell Kazel. Vue générale prise de l'Est.



La plaine côtière aux abords de l'Eleuthère (Nahr el-Kebir méridional)
et le passage vers Qadech.